

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

الإنتاج المعرفي للنخبة السوسولوجية الجزائرية

في الجامعات الجزائرية

ما بين الواقع والمأمول

دراسة لعينة من الأساتذة الأكاديميين في الجامعات الجزائرية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي

إشراف الأستاذ:

أ.د. معتوق جمال

إعداد الطالبة:

قديد هنده

السنة الجامعية 2017 - 2018

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

الإنتاج المعرفي للنخبة السوسولوجية الجزائرية

في الجامعات الجزائرية

ما بين الواقع والمأمول

دراسة لعينة من الأساتذة الأكاديميين في الجامعات الجزائرية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي

إشراف الأستاذ:

أ.د. معتوق جمال

إعداد الطالبة:

قديد هنده

اللجنة المناقشة

رئيسا

مقررا

عضوا

عضوا

عضوا

عضوا

أ.د. رأس مال عبد العزيز

أ.د. معتوق جمال

د. دريس سفيان

د. مشته ياسين

د. الجوزي هيبية

د. آيت عيسي حسين

السنة الجامعية 2017 - 2018

شكر و عرفان

" وأما بنعمة ربك فحدث "

أول الحمد والذكر لله العلي القدير على نعمة العقل، الصبر والعزم.

كما يشرفني تقديم أجمل عبارات التقدير والشكر والعرفان، لأستاذي الفاضل المشرف البروفيسور جمال

معتوق، لإشرافه على هذا البحث، بإرشاداته وملاحظاته الصائبة، وصبره الجميل على كل ما بدر مني.

وعلى ما بذله من جهد متواصل، في كل مراحل إنجاز هذا البحث، بتقديمه لي يد العون والإرشاد والنصح،

وقراءة كل فصول الأطروحة وتصحيحها، ومدنا بالمراجع والمصادر الهامة؛ جزاه الله خيرا.

كما لا يفوتني أن أتوجه، بتحيةة شكر وامتنان، إلى كل من ساندني في إخراج هذا العمل إلى النور،

جزى الله الجميع عني كل خير.

الإهداء

إلى الذين بددوا لي وحشة الطريق، وملؤوا حياتي

حبا وأملا،

ورفعوا الأكف تضرعا ورجاء، إلى قرة عيني وقلبي

أمي وأبي برًا وإحسانا.

إلى سندي الدائم أخي العزيز هشام، وأخواتي ذرات روحي.

إلى قوافل الشهداء والعلماء والمجاهدين الشرفاء،

الذين انتصبوا كأعمدة من نور وضياء، على امتداد تاريخ هذا الوطن العريق المجاهد.

إلى كل من عرفتهم، وانسجمت معهم روحي وأحبتهم،

أغلف هذا العمل بالحب، وأضمخه بالامتنان

لأقدمه لكم جميعا.

الفهرس

شكر وعرهان

الإهداء

فهرس الموضوعات

مقدمة أ-د

الباب الأول: الجانب المنهجي والنظري للدراسة

الفصل الأول: المقاربة المنهجية للدراسة

- 1- أسباب اختيار الموضوع..... 05
- 2- تحديد أهداف البحث وأهميته..... 05
- 3- أهمية الدراسة..... 06
- 4- الإشكالية..... 06
- 5- فروض الدراسة..... 13
- 6- تحديد المفاهيم 14
- 7- المقاربة النظرية للدراسة 24
- 8- الدراسات السابقة 35
- 9- صعوبات الدراسة..... 61

الفصل الثاني: مدخل إلى سوسولوجية النخب

- تمهيد 65
- المبحث الأول: مدخل للتعريف بالنخبة..... 66
- المطلب الأول: مفهوم النخبة..... 66
- المطلب الثاني: النخبة بمفهوم الصفوة..... 68
- المبحث الثاني: تاريخ النخب في المجتمعات الإنسانية..... 70

70.....	المطلب الأول: الحضارة القديمة.
72.....	المطلب الثاني: المجتمعات الحديثة.
76.....	المبحث الثالث: أنواع وأدوار النخب.
76.....	المطلب الأول: حسب تقسيم " توم بوتومور "
77.....	المطلب الثاني: حسب التقسيم المعياري.
78.....	المطلب الثالث: أدوار النخب ووظائفها.
81.....	المبحث الرابع: ديناميات وآليات إنتاج النخب.
82.....	المطلب الأول: إنتاج داخلي وإنتاج خارجي.
82.....	المطلب الثاني: إنتاج تلقائي وإنتاج منظم.
83.....	المطلب الثالث: نخبة منتجة ونخبة عقيمة.
83.....	المطلب الرابع: نخبة ظاهرة ونخبة كامنة.
83.....	المطلب الخامس: نخبة مسيطرة ونخبة مسيطر عليها.
84.....	المبحث الخامس: خصائص النخبة.
84.....	المطلب الأول: الحالة الأولى: نموذج الاستقرار.
85.....	المطلب الثاني: الحالة الثانية: نموذج التنقل دون التحرك.
86.....	المطلب الثالث: الحالة الثالثة: نموذج التحرك دون التنقل.
87.....	المطلب الرابع: الحالة الرابعة: نموذج الحركة والتنقل مجتمعان.
89.....	المبحث السادس: تصورات نظرية حول النخبة.
89.....	المطلب الأول: الإتجاه السيكلوجي: فيلفريدو باريتو والإرث الفكري حول النخبة.
96.....	المطلب الثاني: الإتجاه المؤسسي: رايت ميلز.
98.....	المطلب الثالث: الإتجاه التنظيمي: غيتانو موسكا.
100.....	المطلب الرابع: الإتجاه الأدائي: روبرت ميتشلز.

104.....	المطلب الخامس: توم بوتومور
106.....	المطلب السادس: أورس ياجي
110.....	المبحث السابع: نماذج نخبوية
110.....	المطلب الأول: النخبة السياسية
112.....	المطلب الثاني النخبة الثقافية
119.....	المبحث الثامن: النخبة السوسولوجية العربية
119.....	المطلب الأول: لمحة عن النخبة السوسولوجية
119.....	المطلب الثاني: دور النخبة السوسولوجية
123.....	المطلب الثالث: النخبة السوسولوجية العربية
128.....	خلاصة

الفصل الثالث

النخبة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي (1830م-1962م)

130.....	تمهيد
131.....	المبحث الأول: تعريف النخبة الجزائرية وظروف نشأتها
131.....	المطلب الأول: تعريف النخبة الجزائرية
133.....	المطلب الثاني: ظروف نشأتها
137.....	المطلب الثالث: قراءة سوسيو تاريخية في علاقة النخبة الجزائرية بالمجتمع
143.....	المبحث الثاني: نماذج من النخبة التقليدية المحافظة
143.....	المطلب الأول: أنموذج 1: عبد القادر المجاوي (1848-1913)
148.....	المطلب الثاني: أنموذج 2: عبد الحليم بن سماية (1866-1933)
160.....	المبحث الثالث: نماذج من النخبة المثقفة في فترة الحركة الوطنية: بين الخصائص والأدوار

المطلب الأول: أنموذج 1: بين الإصلاح والاندماج: عبد الحميد بن باديس (1889-	160.....(1940)
المطلب الثاني: أنموذج 2: بين الاستلاب والالتزام: فرحات عباس (1899-1985)	168.....
المبحث الرابع: النخبة المثقفة فترة الثورة التحريرية (1954-1962): بين الحضور والمشاركة	176.....
المطلب الأول:	176.....
المطلب الثاني: أنموذج 1: مصطفى لشرف " بين الهوية والأيديولوجيا".....	179.....
المطلب الثالث: أنموذج 2: بودغن علي المدعو " العقيد لطفي " بين البندقية والقلم	187.....
المطلب الرابع: مالك بن نبي: النموذج أو "البراديغم الذي لم يتحقق في الجزائر"	190.....
خلاصة.....	202.....

الفصل الرابع : النخبة العالمية السوسيولوجية

تمهيد.....	204.....
المبحث الأول: في ماهية النخبة العالمية السوسيولوجية.....	205.....
المطلب الأول: السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر.....	205.....
المطلب الثاني: دور ووظيفة النخبة السوسيولوجية.....	209.....
المبحث الثاني: دور المشتغلين بالسوسيولوجيا والصعوبات التي يواجهونها.....	211.....
المطلب الأول: البحث السوسيولوجي.....	211.....
المطلب الثاني: الباحثون في السوسيولوجيا.....	213.....
المطلب الثالث: الصعوبات التي يواجهها البحث والباحث السوسيولوجي.....	219.....
المبحث الثالث: مواقف بعض علماء الاجتماع من النخبة السوسيولوجية.....	224.....
المطلب الأول: النخبة السوسيولوجية حسب عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو"	224.....

المطلب الثاني: النخبة السوسيولوجية حسب عالم الاجتماع "ألان توران".....	229
المطلب الثالث: النخبة السوسيولوجية حسب عالم الاجتماع الأمريكي "ألفين غولدنر".....	232
المطلب الرابع: النخبة السوسيولوجية حسب عالم الاجتماع الفرنسي "إدغار موران".....	239
المطلب الخامس: النخبة السوسيولوجية حسب "عبد الكبير الخطيبي" (النقد المزدوج).....	246
المطلب السادس: النخبة السوسيولوجية حسب "عبد الصمد الديالمي" (الأزمة القادمة في علم الاجتماع).....	253
خلاصة.....	258

الفصل الخامس: النخبة السوسيولوجية في الجزائر

تمهيد.....	260
المبحث الأول: نشأة علم الاجتماع كعلم أكاديمي بالجزائر.....	261
المطلب الأول: كرونولوجيا مسيرة علم الاجتماع بعد الاستقلال.....	261
المبحث الثاني: النخبة السوسيولوجية ما بعد الاستقلال.....	265
المطلب الأول: المرحلة الأولى: النخبة ومرحلة الاستقلال الأولى.....	265
المطلب الثاني: المرحلة الثانية: النخبة السوسيولوجية وحكم الحزب الواحد: لفترة ما بين 1971-1979.....	265
المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: النخبة السوسيولوجية ومرحلة التعددية السياسية: ما بعد سنوات الثمانينيات.....	267
المطلب الرابع: السوسيولوجيون الكولونياليون في الجزائر.....	268
المبحث الثالث: النخبة السوسيولوجية ما بعد الاستقلال.....	270
المطلب الأول: المرحلة الأولى: النخبة ومرحلة الاستقلال الأولى.....	270

المطلب الثاني: المرحلة الثانية: النخبة السوسولوجية وحكم الحزب الواحد: الفترة ما بين

1971-1979..... 273

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: النخبة السوسولوجية ومرحلة التعددية السياسية: ما بعد

سنوات الثمانينات..... 275

المبحث الرابع: بين استاتيكية النخبة السوسولوجية وديناميكية النظام وحركية المجتمع: نماذج

من النخبة داخل النظام الحاكم والمؤيدة لأيديولوجيته..... 278

المطلب الأول: نماذج من النخبة داخل النظام الحاكم والمؤيدة للايديولوجية.... 278

المطلب الثاني: النخبة السوسولوجية المعارضة للنظام..... 290

المطلب الثالث: نخبة المهجر: غربة المكان أم اغتراب الذات 301

المبحث الخامس: النخبة السوسولوجية بين الراهن الداخلي والتحديات الخارجية..... 311

المطلب الأول: الراهن الداخلي..... 311

المطلب الثاني: النخبة والتحديات الخارجية..... 312

المطلب الثالث: آليات النخبة السوسولوجية في مواجهة تحديات العولمة..... 318

خلاصة..... 325

الفصل السادس: في ماهية الاغتراب ومسألة اغتراب النخبة السوسولوجية

الجزائرية

تمهيد..... 327

المبحث الأول: معنى التغريب..... 328

المطلب الأول: الإغتراب لغةً..... 328

المطلب الثاني: المعنى القانوني للإغتراب..... 332

المطلب الثالث: المعنى السيكولوجي للإغتراب..... 334

المطلب الرابع: المعنى السوسولوجي للإغتراب..... 335

336.....	المبحث الثاني: التتبع التاريخي لمفهوم الإغتراب.....
336.....	المطلب الأول: الإغتراب في الدين الإسلامي.....
338.....	المطلب الثاني: الإغتراب في الفكر الفلسفي.....
347.....	المطلب الثالث: الإغتراب في الفكر الإجتماعي.....
350.....	المطلب الرابع: الإغتراب في الفكر الوجودي.....
353.....	المطلب الخامس: الإغتراب في التحليل النفسي.....
359.....	المبحث الثالث: النظريات الإجتماعية المفسرة للإغتراب.....
359.....	المطلب الأول: ما هو علم الإجتماع؟.....
360.....	المطلب الثاني: الإغتراب في فكر إميل دوركايم.....
363.....	المطلب الثالث: النظرية الماركسية والإغتراب.....
366.....	المطلب الرابع: تحليل بيان بورديو للإغتراب.....
368.....	المبحث الرابع: أنواع الإغتراب.....
368.....	المطلب الأول: الإغتراب المهني.....
368.....	المطلب الثاني: الإغتراب التعليمي.....
370.....	المطلب الثالث: الإغتراب الاجتماعي.....
372.....	المطلب الرابع: الإغتراب الثقافي.....
372.....	المطلب الخامس: الإغتراب التكنولوجي.....
373.....	المطلب السادس: الإغتراب المعلوماتي.....
373.....	المطلب السابع: الإغتراب الإبداعي.....
374.....	المطلب الثامن: الإغتراب النفسي.....
374.....	المطلب التاسع: الإغتراب السياسي.....
375.....	المطلب العاشر: الإغتراب الديني.....

376.....	المبحث الخامس: أبعاد الاغتراب.....
376.....	المطلب الأول: اللاقوة (العجز).....
378.....	المطلب الثاني: اللامعنى.....
378.....	المطلب الثالث: اللامعيارية (الأنوميا).....
379.....	المطلب الرابع: غربة الذات.....
380.....	المطلب الخامس: التشيؤ.....
381.....	المطلب السادس: العزلة الاجتماعية.....
381.....	المطلب السابع: اللاهدف.....
382.....	المطلب الثامن: الانسحاب.....
382.....	المطلب التاسع: الرفض.....
383.....	المطلب العاشر: التمرّد.....
384.....	المبحث السادس: أسباب الإغتراب.....
385.....	المطلب الأول: أسباب نفسية.....
385.....	المطلب الثاني: أسباب اجتماعية وثقافية.....
386.....	المطلب الثالث: أسباب اقتصادية.....
388.....	المبحث السابع: في مسألة اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية.....
388.....	المطلب الأول: مظاهر الإغتراب عند النخبة السوسولوجية الجزائرية.....
393.....	المطلب الثاني: تطبيقات في تجارب الإغتراب.....
413.....	خلاصة.....

الباب الثاني: الجانب الميداني للدراسة

الفصل السابع: مجتمع الدراسة

416.....	تمهيد.....
417.....	- محددات الدراسة.....

421 منهج وتقنيات الدراسة -

429 مجتمع البحث وعينة الدراسة -

432 خصائص العينة -

الفصل الثامن: تحليل فرضيات الدراسة

453 عرض وتحليل جداول الفرضية الأولى -

483 الاستنتاج الجزئي للفرضية الأولى -

485 عرض وتحليل جداول الفرضية الثانية -

507 الاستنتاج الجزئي للفرضية الثانية -

508 عرض وتحليل جداول الفرضية الثالثة -

539 الاستنتاج الجزئي للفرضية الثالثة -

542 الاستنتاج العام للدراسة -

550 خاتمة -

552 المراجع -

الملاحق

فهرس الجداول

الصفحة	العنوان	رقم الجدول
433	التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب الجنس والرتبة	01
434	توزيع أفراد العينة حسب الجنس والمؤسسة الجامعية	02
436	توزيع أفراد العينة حسب السن والجنس	03
437	توزيع أفراد العينة حسب السن والرتبة	04
438	التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب اللغات المتحكم فيها	05
440	التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب اللغات المتحكم فيها والرتبة	06
441	التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب متغير بلاد التكوين في التدرج ومتغير الرتبة المهنية	07
442	توزيع أفراد العينة حسب بلد التكوين في ما بعد التدرج والرتبة المهنية	08
443	التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب نوع الشهادة المتحصل عليها	09
445	العلاقة بين ما تمثله مهنة التدريس لفئة البحث، وطريقة الإلتحاق بعلم الإجتماع كتخصص	10
447	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي والفرصة في اختيار مهنة أخرى	11
448	العلاقة بين الأقدمية، وفرصة اختيار مهنة أخرى	12
449	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى اعتقاده أن علم الإجتماع، علم خاص مقارنة بالعلوم الأخرى	13
410	العلاقة بين بلاد التكوين في ما بعد التدرج ، ومدى الإعتقاد بأن علم الإجتماع، له خصوصية عن العلوم الأخرى	14
453	مفهوم النخبة بالنسبة للأستاذ الجامعي	15
455	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى الكلام عن نخبة سوسولوجية عالمية	16
458	نظرة الأستاذ الجامعي ، لدور النخبة العالمية السوسولوجية	17
459	رأي الأستاذ الجامعي في امتلاك النخبة السوسولوجية في الجزائر، النفوذ والقرار الكافي، أو عدم امتلاك ذلك	18
462	موقف أفراد العينة من مقولة يورغن هابرماس	19
465	رأي الأستاذ الجامعي، في مدى مطابقة مقولة " يورغن هابرماس " على النخبة السوسولوجية في الجزائر	20
468	رأي الأستاذ الجامعي، في إمكانية الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي	21

471	رأي الأستاذ الجامعي من مقولة بيبير بورديو، التي يصف فيها علم الاجتماع بالرياضة القتالية	22
473	نظرة أفراد العينة، إلى نوعية العلاقة القائمة بين النخبة السوسولوجية والسلطة	23
475	موقف الأستاذ الجامعي من وصف ممارسي السوسولوجيا، بالمشتغلين في علم الاجتماع، بدلا من علماء الاجتماع	24
478	موافقة الأستاذ الجامعي بمتغير الأقدمية، على أن كل المشتغلين في علم الاجتماع عندنا، يشكلون نخبة سوسولوجية متجانسة	25
480	رأي الأستاذ الجامعي حسب أقدميته، في مدى استطاعة النخبة السوسولوجية التمتع اجتماعيا	26
485	معنى الاغتراب لدى الأستاذ الجامعي	27
487	مدى إمكانية الكلام، عن اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية	28
488	العلاقة بين إمكانية الكلام، عن اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية، ومدى تموقعها اجتماعيا	29
490	العلاقة بين اتصاف علم الاجتماع بالطابع الأيديولوجي، ومدى إمكانية تصور علم اجتماع خالي من الأيديولوجيا	30
492	العلاقة بين إمكانية تصور علم الاجتماع، خالي من الأيديولوجيا وبلد التكوين في التدرج	31
494	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى موافقته على مقولة عبد الصمد الديالمي	32
496	العلاقة بين متغير الشهادة، ومدى الموافقة على مقولة عبد الصمد الديالمي	33
499	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ورؤيته لوضعية النخبة السوسولوجية الجزائرية	34
501	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ورأيه في مدى مسؤولية النخبة السوسولوجية عن وضعها	35
503	نظرة فئة البحث، إلى واقع النخبة السوسولوجيا في الجزائر	36
504	رأي فئة البحث، في ما مدى صدق أن السلطة أعطت فرصا عديدة للنخبة السوسولوجية	37
505	رأي فئة البحث، في وجود نظرة دونية اتجاه علم الاجتماع	38
508	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، وسبقيته لقراءة أعمال علماء اجتماع جزائريين	39
509	العلاقة بين متغير السن والقراءة لعلماء اجتماع جزائريين	40
511	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، وأهم خمسة مراجع سوسولوجية عنده	41
512	العلاقة بين متغير السن لفئة البحث، والأعمال السوسولوجية المفضلة لديه	42
513	العلاقة بين متغير الجنس لفئة البحث، والأعمال السوسولوجية المفضلة لديه	43

515	العلاقة بين متغير الجنس، واللغة المفضلة لقراءة الأعمال السوسولوجية	44
516	العلاقة بين الأعمال السوسولوجية المفضلة لدى فئة البحث، واللغة المفضلة في قراءتها	45
517	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى معالجة الإنتاج السوسولوجي الجزائري، للمشكلات الجزائرية	46
519	العلاقة بين متغير الجنس، ومدى معالجة الإنتاج السوسولوجي، للمشكلات الإجتماعية	47
520	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ورأيه حول قدرة المشتغلين في علم الإجتماع، على التنبؤ بحجم المشكلات	48
522	العلاقة بين متغير الجنس لفئة البحث، ورأيهم حول قدرة المشتغلين في علم الإجتماع على التنبؤ	49
523	العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، والإعتقاد بأن الإنتاج السوسولوجي، هو إنتاج أكاديمي بحث	50
524	أمثلة لتدخل علماء الإجتماع، في معالجة المشكلات الإجتماعية	51
525	مدى معرفة فئة البحث، عن أجيال علماء الإجتماع في الجزائر	52
526	تصنيف عينة البحث، لأجيال علماء الإجتماع في الجزائر	53
528	عضوية عينة البحث، في مخابر البحث العلمي	54
529	رأي فئة البحث، حول نوعية الرسائل الجامعية	55
531	مدى تأييد عينة البحث، لفكرة إنشاء المخابر، وفرق البحث	56
533	خصائص النخبة السوسولوجية، حسب رأي عينة البحث	57
535	نظرة عينة البحث، لمستقبل علم الإجتماع في الجزائر	58
537	موقف عينة البحث، من إمكانية الكلام عن نخبة سوسولوجية جزائرية	59

مقدمة

احتل مفهوم النخبة في الفكر السوسيولوجي ، مجالاً واسعاً في المجتمعات الغربية، وقد جاء كردّ فعل مباشر أو غير مباشر، على نظرية الطبقات والصراع الطبقي عند ماركس؛ لدى دراسته لمختلف التشكيلات الاجتماعية، والاقتصادية، والتاريخية، وتحليله لانقسام المجتمعات الطبقيّة بصفة جوهرية، إلى طبقة سائدة وطبقة مسودة؛ وقدم باريتو مفهوم النخبة كبديل للتحليل الطبقي، في حين أوعزها موسكا، إلى ضرورة وجود طبقة حاكمة لقيادة المجتمع وضمان تطوره؛ أما ماكس فيبر فقد قدّم نموذج النخب، المبنية على الكفاءة والانتظام في المجتمع الرأسمالي، وهكذا تعدّدت مداخل وزوايا النظر لمسألة النخبة.

في هذه الدراسة، لا نسعى إلى معالجة ومناقشة ما كتب عن النخبة، في التراث السوسيولوجي، الكلاسيكي منه والمعاصر، وإنما نحاول تسليط الضوء على نموذج من النخب الفكرية، التي تتخذ من الجامعات ومراكز البحث، فضاء لإنتاج الأفكار، وتقديم المقترحات، وصياغة الرؤى، التي تعنى بدراسة بنى المجتمع ووظائفه، وتطوره؛ ونقصد بذلك النخبة السوسيولوجية، أو ما يطلق عليها آخرون المشتغلون بالسوسيولوجيا.

إن هذه النخبة، إنما تختص في توجهاتها البحثية، وإنتاجها المعرفي، في دائرة كل ما هو اجتماعي.

إن البحث السوسيولوجي ضرورة حتمية، لا بدّ منها لفهم سيورة المجتمعات الحديثة ونشأتها، إذ إنه يقمّ للمجتمعات فوائد تتطلّب العناية الكافية، منها الخدمات التي تساعد على فهم جزء من مشاكله الأساسية، استناداً لما يوفّره من معارف ومبادئ تفسيرية نافعة؛ ومن هنا يصبح للمتقف ذي الخلفية السوسيولوجية، كما يقول بذلك عابد الجابري دور في النسق الاجتماعي ، يتحدّد من خلال ما يقوم به في المجتمع، وذلك من خلال نزوله إلى القاع الاجتماعي، وامتلائه قدرة النقد والمساءلة.

غير أن ما يلاحظ، وما يعاب على الساحة العلمية والفكرية في المنطقة العربية، هو ذلك التهميش المقصود للإنتاج الفكري بصفة عامة، والإنتاج السوسيولوجي بصفة خاصة؛

ولعلّ أبرز عوامل هذا التهميش وتجلياته، هو حضور السياسي وسنّه لغة الإستبدادي في تسيير شؤون المجتمع، إذ أنه لا يمكن الجمع بين ثنائية استبداد- بحث علمي راقى؛ ومن هنا فإن تهميش الإنتاج الفكري للنخبة، هو تهميش للنخبة في حدّ ذاتها.

هذا ما نسعى إلى تناوله في هذه الأطروحة، من خلال تعرّضنا لمسألة الإنتاج العلمي الأكاديمي، للنخبة السوسيولوجية بالجزائر.

الفصل الأول يتضمن المقاربة المنهجية، وفي الباب الأول تناولنا الجانب النظري والوثائقي للبحث، ويضم ستة فصول.

الفصل الثاني يحتوي مدخلا إلى سوسيولوجية النخب، مفهوم النخب لغويا واصطلاحا، تاريخ النخب في المجتمعات الإنسانية، والمجتمعات الحديثة، أنواع النخب، وقسمت حسب التقسيم المعياري، ثم أدوار النخب، ديناميات النخب، خصائص النخب، تصورات نظرية حول النخب، نماذج نخبوية؛ وتناولنا أهم النخب، وهما النخب السياسية، والنخب الثقافية. تطرّقنا أيضا إلى النخب السوسيولوجية، وظيفتها في المجتمع، المبادئ والأسس التي يقوم عليه دور النخب السوسيولوجية.

وفي الفصل الثالث تناولنا النخب الجزائرية، أثناء الاحتلال الفرنسي، ظروف نشأتها، قراءة سوسيولوجية تاريخية، في علاقة النخب الجزائرية بالمجتمع.

ثمّ تناولنا نموذجين في كل مرة، من النخب التقليدية المحافظة، تصاعديا في الزمن، مروراً بفترة الحركة الوطنية، وصولاً إلى فترة الثورة التحريرية، عند اندلاعها سنة 1954؛ مبرزين الأدوار التي قامت بها هذه النخب، إن في الإنتاج المعرفي، والمساهمة ميدانيا في الكفاح المسلح.

ثم خصّصنا مطلباً مستقلاً، لنموذج مالك بن نبي.

وبما أنّ موضوع دراستنا الجوهري هو النخبة، تطرّقنا في الفصل الرابع إلى النخبة السوسيولوجية، بداية تطرّقنا إلى مفهوم السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر، وتاريخ هذه السوسيولوجيا في الجزائر المستعمرة، وأهداف السوسيولوجيا الكولونيالية، وعرضنا بعض النماذج من السوسيولوجيين الكولونيين.

في مطالب أخرى، شرحنا ماهية وأنواع البحث السوسيولوجي، مهنة علم الاجتماع وعالم الاجتماع؛ ثمّ تناولنا نماذج من المواقف الخاصة بالنخبة السوسيولوجية، حسب عدد من علماء الاجتماع الغرب والعرب؛ فخصّصنا ستة مباحث، لمواقف ستة علماء اجتماع من الغرب الأوروبي والشرق العربي.

أما الفصل السادس فخصّصناه لموضوع الإغتراب، عند هذه النخبة المثقفة، فتطرّقنا إلى معنى الإغتراب لغة، ثم المعنى القانوني، والسيكولوجي، والسوسيولوجي؛ وفي مبحث ثاني تتبعنا تاريخياً مفهوم الإغتراب في الدين الإسلامي، ثمّ في الفكر الفلسفي، وبعدها الإغتراب في الفلسفة الألمانية، ثم الإغتراب عند بعض الفلاسفة الغربيين المرموقين. وفي مبحث ثالث عرضنا النظريات الاجتماعية المفسّرة للإغتراب. أما في المبحث الرابع فتناولنا أنواع الإغتراب، أما المبحث الخامس فخصّصناه لأبعاد الإغتراب مع شرح أسبابه؛ وفي المبحث السابع فخصّصناه لمسألة اغتراب النخبة السوسيولوجية، بأنّ وضّحنا مظاهر هذا الإغتراب؛ وفي مبحث ثامن وأخير عرضنا نموذجان لاغتراب النخبة الجزائرية، النموذج الأول ويتعلق بالاغتراب اللغوي، والثاني الاغتراب الثقافي.

بهذه التصورات والنظريات حول النخبة بصفة عامة، والجزائرية خصوصاً، استطعنا ولوج ميدان النخبة السوسيولوجية في الجامعات الجزائرية، فتناولنا في الفصل السابع من الجانب الميداني، الذي احتوى على فصلين، ففي الفصل السابع، تمّ تحديد لأهم الأسس

المنهجية للدراسة، والتي تتمثل في تحديد مجالات الدراسة، تحديد العينة ونوعها، حجمها، وما صفاتها، وأخيرا مناهج البحث المستخدمة وتقنياته.

وتناولنا في الفصل الثامن عرض وتحليل نتائج الدراسة، عن طريق عرض النتائج الإحصائية لخصائص العينة، وعرض نتائج الفرضيات الجزئية، وتحليلها تحليلًا سوسيولوجيًا؛ وأخيرا تلخيص النتائج العامة للدراسة. وخاتمة لخصنا أبرز ما وصلنا إليه من نتائج، ونبين عبرها إلى أي مدى تحققت المحاور، التي انطلقنا منها في هذه الدراسة، وتضمنت الدراسة بقائمة تحليلية لأهم المراجع المستعملة، وأيضا ملاحق شملت استمارة البحث الميداني، وبعض الصور الأرشيفية.

وفي الأخير، نتمنى أن تكون هذه الدراسة بادرة موفقة، أو لبنة إضافية للمشتغلين بموضوع النخبة في إطار المجتمع الذي ننتمي إليه، باختلاف مضمون ومحتوى المادة المدروسة.

الفصل الأول

المقارنة المنهجية للدراسة

1- أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار الموضوع، لما تكتسبه النخبة من أهمية في المجتمع، إلا أنه يمكن تحديد بعض الأسباب الذاتية و الموضوعية، والتي أدت إلى تناول الموضوع ، ويمكن حصرها فيما يلي :

أ- الأسباب الذاتية :

- محاولة تناول الظاهرة بالدراسة، لإرضاء الفضول العلمي حيث يعتبر موضوع النخبة من المواضيع الصعبة والمثيرة في نفس الوقت.
- اهتمامنا بموضوع النخبة منذ دراستنا الأولى في الجامعة، وتأثرنا باهتمامات بعض أساتذتنا، وقراءتنا لأعمالهم مثل الأستاذ جيلالي اليابس رحمه الله، وعبد الرحمان بوزيدة والدكتور جمال معتوق وكتابات أنطونيو غرامشي...

ب- الأسباب الموضوعية :

- تقصي حقيقة وواقع النخبة الجزائرية في المجتمع، وإنتاجها المعرفي.
- تقصي الدور الفعلي للنخبة العلمية الجامعية من خلال إنتاجها المعرفي، وتأثيرها في تغيير المجتمع.
- تسليط الضوء على بعض الظواهر والممارسات، للمشتغلين بالحقل العلمي والمعرفي من النخبة السوسولوجية.

2- تحديد أهداف البحث وأهميته

- الهدف الأساسي للدراسة هو إعداد أطروحة أكاديمية للتخرج.
- توسيع المعارف من خلال القراءة، لأكثر قدر من الباحثين الاجتماعيين في الجزائر، وفهم تصوراتهم حول الظاهرة المدروسة.
- الوصول إلى معرفة الأسباب الفعلية للظاهرة.
- محاولة التأكد من صدق الفرضيات الموضوعية، من خلال الدراسة الميدانية.

• إستنتاج بعض النظريات المفسرة للإنتاج المعرفي العلمي ومعرفة مدى خدمتها للواقع السوسولوجي عندنا.

3- أهمية الدراسة :

إن معرفة الأهمية من موضوع الدراسة، هو معرفة إنتاج النخبة السوسولوجية الجزائرية، ويمكن تحديد أهمية الدراسة في ما يلي:

• عمق وقوة الموضوع، من خلال دراسات كبرى في هذا المجال، المتعلقة بالإنتاج المعرفي للنخبة السوسولوجية.

• الأهمية العلمية والأكاديمية، للموضوع .

• تقديم معطيات موضوعية، ونتائج علمية، حول الظاهرة المتناولة.

• الإستفادة من النتائج المتوصل إليها، لفتح آفاق بحث جديدة.

4- الإشكالية:

من المعلوم أن النخبة تمثل مكانة متميزة في أي مجتمع من المجتمعات، لدرجة جعلت الظاهرة النخبوية، من الظواهر المميزة لتاريخ المجتمعات البشرية، على جميع الأصعدة، لاسيما وأنها كانت مساهمة بشكل كبير، في تدبير صراعات النسق الإجتماعي وتحولاته.

إن دراسة النخبة تكتسي أهمية بالغة النظر، نظرا للأدوار والوظائف الحيوية، التي تقوم بها داخل المجتمع، مما جعلها تفرض نفسها على باقي مكوناته؛ كما أن البحث فيها، يمكن من طرح عدد من القضايا السوسولوجية الهامة، من قبيل الترتيب الإجتماعي، ومكونات البناء الإجتماعي، وبعض آليات الحراك الاجتماعي أفقيا وعموديا، وكذا استراتيجيات الفاعلين.

يشير مفهوم النخبة بالمعنى الأكثر شمولاً، إلى أشخاص يتميزون عن جموع السكان بصفة خاصة، تضعهم موضوعيا وذاتيا، على رأس طبقات المجتمع، والذين بالتالي يعملون

بشكل من الأشكال، كمجموعة اجتماعية مسيطرة تقريبا؛ سواء بشكل عام، " نخبة سياسية ودينية وفكرية"، أو في مجال نشاطها الخاص " نخب مهنية".

هذه النخب المتخصصة، ووفقا لكل حالة، هي موضع حب وتقدير واحترام، أو رفض من مجتمعهم؛ إنهم على كل حال المبدعون، وعند الإقتضاء الحراس الأمناء، على عدد من معايير السلوك الاجتماعي، ولعدد من القيم المنصوص عليها بوضوح.

هذا وسيتم بشكل أكثر دقة، تمييز النخبة التي يمكن وصفها بالمطلقة، مثل النخبة السياسية، أو الدينية، ونخبة أكثر تخصصا ومحددة بشكل جيد مثل: النخبة العالمية، والنخبة المهنية.

وتكون النخبة وفقا لكل حالة، عاملا ديناميكيا، ومحركا لتغيير اجتماعي موجه إيجابيا بشكل جيد.

يتضح جيدا من خلال هذه الإيضاحات، أن ما يميز النخبة، هو قدرتها على التأثير على المجتمع جوهريا، من حيث نماذج السلوك التي تقدمها لهذا المجتمع.

إن النخبة الأكاديمية وتحديدًا المتعلقة بالأساتذة الجامعيين، تحتل مكانة اجتماعية تتمظهر عبر آليات أو مستويات، ومنها المستوى الأول المتعلق بالمستوى الإستهلاكي المعرفي، عبر فعل القراءة والمتابعة لكل جديد، وإصدار في المجال المعرفي والعلمي، وإعادة الإنتاج عبر فعل الكتابة والبحث العلمي المتواصل، والحضور العلمي في فعاليات فكرية ومعرفية محلية ودولية.

أما المستوى الثاني فيتمظهر في الحضور الفعلي في المؤسسة، أو الحضور الفعلي في الجامعة، وتمثل مختلف الأدوار المنوطة بها، كالوظائف الإدارية، واستيعاب مختلف التوجهات الاجتماعية، خاصة منها المجال السياسي (غير منفصل عن المجتمع).

بينما المستوى الثالث فيتعلق بالتأثير الفعلي للنخبة في الوسط الجامعي، خاصة منه التأثير في الطلبة؛ وتبني مختلف المشاريع والأفكار، أو الأيديولوجيات وإنتاج نخب جديدة

طلائعية بمشروع مستقبلي، يوافق حيناً أو يعارض حيناً آخر، ما هو سائد في الحقل الذي ينتمون إليه.

إن المستويات التي تناولتها، تؤهل النخبة الأكاديمية لاكتساب خصائص وامتيازات النخبة، والتي عدّها " يورغن هابرماس " في قوله التالي: " القدرة على إنتاج معارف جديدة، القدرة على التأثير في المجتمع، والقدرة على صناعة الوعي الاجتماعي"⁽¹⁾.

إن التنظير الذي تمّ الإشارة إليه، والخاص بنوع من النخبة المتمثلة في النخبة الأكاديمية وخصائصها، يحيلها إلى طرح القضية الأساسية التي أثارت انتباه الباحثين، وأثارت انتباهنا بشكل أعمق، والمحصورة تحديداً في النخبة السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية، كجزء هامّ من النخبة الأكاديمية، المشتغلة على موضوعات وقضايا تخصّ مجتمعها، حيث أن هذه النخبة التي حصرناها في النخبة السوسيولوجية، احتلّت مكان الريادة رغم الهزات التي تعرّضت لها، بوصفها مزعجة للسلطة⁽²⁾، وذلك بنقدها وكشفها ما هو كامن، ومعارضتها للوضع القائم، الذي تميّز بالأزمات المتوالية، التي أسهمت في ولادة السوسيولوجيا الغربية، المولودة من رحم الأزمات باختلافها، وقد أنتجت معارف جديدة منها علم الاجتماع كعلم حديث النشأة، بينما هذه النخبة ذاتها في العالم العربي وفي الجزائر تحديداً، كانت غير نافذة وتابعة وعقيمة، بالإضافة إلى أنها كانت بيداً بيد المستعمر، وحالة الجزائر حسب الدراسات الكثيرة التي أنجزت، لخير دليل على ما نقول.

وهنا يمكن التأكيد على أن هذه النخبة الصغيرة، استمدت المشروعية والاستمرارية من الوجود الاستعماري ذاته، حيث برزت النخبة الجزائرية في المجتمع، عبر آليات المراقبة والتكوين والشهادات والتميّز الاجتماعي، ولهدف واحد هو تحريك آلة الحكم أو النظام، هذه

1 - جون سكوت، خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً المنظرون المعاصر، ترجمة: محمود محمد حلمي، بيروت، لبنان،

الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية، 2013، ص 383.

2 - جون سكوت، خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً المنظرون المعاصر، المرجع السابق الذكر، ص 114.

الأخيرة أي النخبة في خدمة النظام⁽¹⁾، توجّه المعرفة، تنظّم إنتاج هذه المعرفة، وتراقب انتشارها قصد تحقيق إرادتها ومقاصدها؛ من بين هذه المقاصد معرفة ومراقبة المجتمع، بهدف تسيير الإنتاج الوطني للثروات، ودورانها لمصلحة معينة واحدة، وليس للصالح العام، بل لمصلحة مجموعات مهيمنة، التي تسهر على إعادة إنتاج نظامها والدوام، واستدامة الهيمنة الاستعمارية وطمع المعمرين⁽²⁾.

هذه الهيمنة زادت من مسعى الاستعمار الفرنسي التفرقي، بأن أوجدت هوة شاسعة بين نخبتين، من دعاة التقليدية ودعاة العصرية، أو نخبة تغريبية، ونخبة صارت معزولة هامشية؛ فعند الإطلاع بترؤي وعمق على تاريخ الجزائر الإستعماري، وفي ما يخص النخب، فالاستعمار لم ينشئ نخبا، ولم يبرزها في المجتمع، بل سعى وسهر على إنتاج وإعادة إنتاج كوادر للتسيير ومراقبة المجتمع المستعمر، وبهدف الإبقاء على هيمنة النظام الكولونيالي الاستغلالي الهمجي⁽³⁾؛ فالجزائر لم تقلت من هذه التدايعات الكولونيالية، وتجنّدت بنخب ثورية برغم أنانية الكوادر والمؤسسات التي أنشأتها، وجهزتها السلطات الإستعمارية، والتي نجحت في إحلال نظام كولونيالي لا إنساني، والذي انتهج ضمن إيديولوجية سياسية تعليمية انقسامية، أدت إلى ثنائية وازدواجية في التكوين المعرفي والعلمي، للنخب الجزائرية المحدودة في العدد والنوعية؛ وأوجد الاستعمار هوة شاسعة بين نخبتين رئيسيتين، نخبة تلقّت تعليمها في المدارس والمؤسسات التقليدية، بدءا بالمساجد والزوايا والمدارس العربية والمشرقية، ونخبة ثانية تحصّلت على تكوين فرنسي غربي، في المدارس الفرنسية بالجزائر وفرنسا، وبرز المكوّن اللغوي بصفة خاصة الذي حول

1 - Said Nacer Boudiaf- Aicha Kasoul – Mohamed Magoual, **Elites Algériennes Histoire et Conscience de Caste de la guerre des tranchées a la guerre des Sables**, Les Editionnes APIC, 2005, P : 09.

2 - جمال معتوق، **واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي - دراسة ميدانية بالجزائر، تونس والمغرب**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي، (غير منشورة) جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، الجزائر، 1998-1999، ص 77.

3 - جمال معتوق، **المرجع السابق الذكر**، ص 76.

السوسيولوجي الجزائري إلى تغريبي، تابع ومقلد لنمط الدراسات، والنظريات الغربية خاصة الفرنسية منها.

فالسوسيولوجيا الكولونيالية " الفرنسية " فعلت فعلتها في البنى التحتية القليلة العدد، وفي النسق العقائدي، والذهني، والفكري للإنسان الجزائري، فالسوسيولوجيا كانت في خدمة الأيديولوجيا الاستعمارية، التي كرّست - من خلال الدراسات الاستكشافية، التي قام بها خاصة ضابط وعسكريون - أيديولوجيا الغربي المنتصر على العربي (الجزائري) ⁽¹⁾ المنهزم، وهي كتابات ذات طابع بطولي - هزلي، تمجيد للمستعمر وتلميع لصورته.

فالإرث الكولونيالي السوسيولوجي، لم يرم إلى إيجاد حلول لمشاكل المجتمع الجزائري، بوصفها وتحليلها واقتراح حلول وبدائل لها، بل بالعكس انتشرت كتابات ودراسات هزيلة تفقر إلى كل أخلاقيات البحث والكتابة، تسعى إلى تقزيم المواطن الجزائري واستصغاره ⁽²⁾.

هذا الإرث من التراكم المعرفي السوسيولوجي الكولونيالي، كان مصدرا مهماً بالنسبة لنخبة جزائرية من خريجي المدرسة الاستعمارية التغريبية، لكن هذا الإرث هو في نفس الوقت كرّس الثنائية الانقسامية ⁽³⁾ أكان على مستوى اللغة، العرق أو الجنس، فنجد ثنائية عربي/ قبائلي ومعرّب / مفرنس، ولا توجد هذه الظاهرة إلا في المجتمع الجزائري فقط، وكانت تداعياتها كارثية على النسق التعليمي في الجزائر، بأن صارت النخبة السوسيولوجية مبعدة عن حقل العلوم الأخرى، والنظر إلى علم الاجتماع بدونية وقصور، كون هذا الإختصاص كان أداة استعمارية، ويخص خدمة أجنادته وليس خدمة قضايا المجتمع.

ومن هنا واجهت النخبة السوسيولوجية في الجزائر عقبات كثيرة، أهمها تأثير المكتوب اللغوي الاستعماري، الذي حوّل السوسيولوجي الجزائري إلى تغريبي تابع مقلد، لنمط الدراسات والنظريات الغربية خاصة الفرنسية منها.

1 - جمال معتوق، نفس المرجع، ص 76.

2 - ناصر جابي، الجزائر، الدولة والنخب - دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب، الجزائر، 2008، ص 09.

3 - نفس المرجع، ص 10.

ويضاف إلى العقبة السابقة عقبة أخرى، والمتمثلة تحديداً في الوضع السوسيو سياسي والاقتصادي، فالوضع الاجتماعي المتردي مثلاً، أسهم في تراجع دور النخبة السوسولوجية والمتمثلة أساساً، في النظرة القاصرة لعلم الاجتماع، وقد انعكس ذلك في عمليات التوجيه، حسب الملاحظة التي يمكن القيام بها عند التسجيل في هذا التخصص، والتي تتبع سياسة حشر كل من له معدّل أدنى في البكالوريا، في هذا التخصص الهام والحساس⁽¹⁾.

وهذا ما أدى إلى ظهور مشاكل عديدة نوعية وكمية، ساهمت في تراجع علم الاجتماع عن دوره الذي حققه في الغرب، كما أن الأزمة المعيشية المتردية، وأزمة الحراك الاجتماعي والسياسي، أثناء فترة العشرية السوداء، ابتداءً بأحداث 05 أكتوبر 1988، والتي يرجع الكثير من الباحثين أنها أحداث هامة، في مسيرة الحياة الاجتماعية والسياسية للجزائر، والتي ارتبطت باليقظة، أو الوعي الجماهيري مع الممارسات التعسفية⁽²⁾، التي يمكن ترجمتها في رفض نتائج الحدث الانتخابي؛ ومن هنا ظهرت بوادر العشرية السوداء التي مرّت بها الجزائر، وما تعلق بها من عنف وقتل وقمع للحريات، ولم تكن أيضاً نتائجها واضحة على المستويات الاجتماعية بل وحتى التعليمية، وانعكست على مجريات المسيرة السوسولوجية بالجزائر، بمغادرة عديد من علماء الاجتماع إلى خارج الوطن، ومقتل بعض منهم ونذكر إثنين من أقطاب السوسولوجيا في الجزائر جيلالي اليابس وامحمد بوخبزة⁽³⁾.

وبسيطرة التيار الإسلامي على الساحة الوطنية، وما قابلها من سيطرة على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والتعليمية كذلك؛ ففي هذا القطاع الاستراتيجي، وعلى مستوى الجامعة وبفرع علم الاجتماع مثلاً، أين نشط التيار الإسلامي وبقوة، جاءت محاولات لتغيير بعض مقاييس علم الاجتماع، لتتوافق مع الأوضاع السارية والجديدة آنذاك، فتم إدخال مقياس علم الاجتماع الإسلامي، كمقياس جديد تماشياً مع

1 - جمال معتوق، "علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا"، الطبعة بدون دار نشر، 2006، ص 88.

2 - عبد الحميد قرفي، فؤاد منصور، "واقع علم الاجتماع في الجزائر دراسة حالة جامعة عنابة"، أعمال الملتقى "علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر"، ص 149.

3 - وسيلة يعيش خزار، الممارسة السوسولوجية في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، سبتمبر 2010، ص 114.

مطالبهم؛ وثبت مرة أخرى التموّج الأكاديمي لنخب متنوعة، وكان لها حضور حتى في الجهاز السلطوي، في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وقد مثلتها بعض الرموز أو الأسماء في الحقل السوسولوجي، لكنها قليلة وغير نافذة، بالمقارنة بنخب علمية أخرى، تميزت بالقوة والتأثير والنفوذ في مختلف المجالات.

وبما أن النخبة السوسولوجية غير منفصلة عن واقع المجتمع وتحولاته، فإن ذلك يحيلنا إلى محاولة البحث في الطروحات والانشغالات التالية:

- كيف تتمظهر مستويات وآليات تموّج النخبة السوسولوجية الجزائرية؟ وماهي الأدوار التي تحتلها هذه النخبة، وما هو مستوى التمثيل والحضور الذي تلعبه داخل المجتمع أو في الحقل التي تنتمي إليه.

- ماهي الأسباب الحقيقية لغياب دور النخبة السوسولوجية في التغيير؟

- وهل هناك فعلا نخبة أكاديمية سوسولوجية؟

وهل هذه النخبة تمتلك المقومات الموضوعية المطلوبة، حتى يمكن أن نصفها بنخبة؟

وهل هذه النخبة استطاعت في ظل هشاشة المكانة الاجتماعية، للعلوم الاجتماعية

عامة وعلم الاجتماع خاصة، التموّج اجتماعيا وعلميا؟

- ما طبيعة العلاقة التي تربط هذه النخبة، بالنسق السياسي والأيدولوجي القائم؟

- وهل نوعية التكوين، ورأس المال الثقافي والمعرفي، لهذه النخبة، له دخل في

تمايزها، وما فائدة هذا عن باقي المشتغلين في علم الاجتماع؟

- وهل كل المشتغلين في علم الاجتماع، يشكّلون نخبة أكاديمية سوسولوجية؟

وبناء على هذه التساؤلات جاءت هذه الدراسة، محاولة للإجابة على التساؤل العام

التالي:

هل توجد نخبة سوسولوجية فاعلة، في الحقل السوسولوجي في الجامعة الجزائرية، أم

هي قيد التشكّل الإبستيمي؟

ويتفرّع من التساؤل المطروح سابقا، الأسئلة التالية:

1- هل هناك مشغولون في علم الاجتماع، وليس هناك نخبة سوسيولوجية، لا يشكّلون فئة متجانسة، مهتمّون سياسيا، وغير متموقعين اجتماعيا؟

2- هل يعاني المشغولون بعلم الاجتماع، من صور عديدة للاغتراب، نتيجة التهميش، وعدم الفعالية، وتعطّل أدوارهم العلمية والنقدية؟

3- هل الإنتاج السوسيولوجي، في غالبه، إنتاج نمطي، روتيني، يعتمد مقاربات وأطر نظرية، يتم استنساخها من خارج الفضاء الابستيمي المحلي؟

5- فروض الدراسة:

هناك مشغولون في علم الاجتماع، وليس هناك نخبة سوسيولوجية، لا يشكّلون فئة متجانسة، مهتمّون سياسيا، وغير متموقعون اجتماعيا.

1- يعاني المشغولون بعلم الاجتماع من صور عديدة للاغتراب، نتيجة التهميش وعدم الفعالية، وتعطّل أدوارهم العلمية والنقدية.

2- الإنتاج السوسيولوجي، في غالبته، إنتاج نمطي، روتيني، يعتمد مقاربات و أطر نظرية، يتم استنساخها من خارج الفضاء الإبستيمولوجي المحلي.

6- تحديد المفاهيم

1-6 النخبة:

التعريف الأول: يعرفها " توم بوتومور " أنها: جماعات مهنية أساسا لها مكانة عالية في المجتمع⁽¹⁾.

التعريف الثاني: يشير المصطلح إلى جماعة أقلية، تملك نفوذا أو تأثيرا على الآخرين، ويعترف بها على أنها في القمة⁽²⁾.

التعريف الثالث: يرى " فيلفريدو باريتو": أن النخبة هي قلة في كل مجموعة، مؤهلة بحكم خصائصها الطبيعية و النفسية و العقلية و أنماط سلوكها للقيادة و التحكم.⁽³⁾

التعريف الاجرائي :

"هي فئة تمتاز بتصور عميق نحو العالم والفضاء الاجتماعي التي تعيش فيه، وتمثل القوة المحركة للمجتمعات من أجل إحداث التغيير، ومن اهتماماتها تقمص أدوار محورية في مؤسسات المجتمع والدولة التقليدية والمعاصرة؛ وهي من جملة المشاريع الحضارية للأمة وللناس.

2-6 المنتج المعرفي :

التعريف الأول: يعود مصطلح المنتج، أو الإنتاج، أو النتاج في اللغة العربية، إلى فعل "أنتج"، ويقال أنتج الرجل القمح أي أخرج ثمره، وأنتج الرجل الشيء من آخر، أي أخرجته أو أظهره، والنتاج هو الشيء المخرج ، والإنتاج بمعنى استخراج النتيجة من المقدمات⁽⁴⁾.

التعريف الثاني: يعرف المنتج في علم الاقتصاد، أنه ما ينتج من عملية تحويل عوامل الإنتاج من مواد خام، ومجهودات بشرية وتكنولوجية ورأس المال إلى سلع أخرى؛

1- عبد الهادي جوهرى، قاموس علم الاجتماع ، ط1، دار الشروق، بيروت، 2000، ص 1390.

2- معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 209.

3 - محمود عودة، أسس علم الاجتماع، ب ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص 252.

4- معجم المنجد في اللغة العربية، المرجع سابق الذكر، ص 788.

وفي حالة السلع يكون الإنتاج بصفة أساسية هو أداء الخدمات، فالسلع فعليا لا يتم خلقها من عدم، ولكن يعني الإنتاج بتغيير شكل الأشياء، حيث يغير المواد الخام إلى سلع نهائية، والمنتجات أو المنتجات هي السلع المتحصل عليها في شكلها النهائي⁽¹⁾.

التعريف الثالث: في علم الاجتماع يقصد بالمنتج ما ينتج من "عملية خلق وإبداع، وإكثار من الشيء مع مراعاة تحري قيمة وجودة الشيء المنتج، من خلال تكييف الموارد البشرية والمادية المتاحة، لخدمة الاحتياجات الاجتماعية وتلبيتها؛ وقد تدعي الموارد المنتجة (الخريجون في الجامعات، والكليات، والمعاهد، والمدارس، ومراكز البحث، المعارف، والخبرات) بالمنتجات، ويبدو بذلك الإنتاج المعلوماتي والخبراتي، هو شرط وجود تلك المؤسسات، لأن إنتاجها هو الذي يحدد طبيعة تطورها.

التعريف الإجرائي:

يقصد بالمنتج المعرفي في هذه الدراسة، ما ينتج عن عملية تحويل المواد الأولية، من أفكار وتصورات سوسيولوجية وفلسفية، إلى دراسات وبحوث مستمدة من الواقع، قادرة على تفسير الواقع الاجتماعي، والربط بينه وبين النماذج النظرية والفكرية.

3-6 النخبة المثقفة:

عندما نأخذ بمفهوم " فيلفيدو باريتو "، حيث يفهم أنهم الأفراد الأكثر تميزا وتأثيرا، في مجال اختصاصاتهم، فمفهوم النخبة الثقافية يدلّ في أبسط تعريفاته، على هؤلاء الذين يمارسون تأثيرا كبيرا، في مجال الإنتاج الثقافي والرمزي في مجتمعاتهم، وحقول تخصصاتهم الفكرية، خاصة الكتاب، والمنظرون، والأدباء، والشعراء، والمفكرون والإعلاميون. يتميز هؤلاء بطاقتهم الإنتاجية، في مجال الفكر والثقافة، كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم. فالنخبة الثقافية تتشكل، من كبار الأدباء، وكبار

1- محمد حسين يوسف، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، موقع صيد الفوائد [http:// www.saaaid.com](http://www.saaaid.com).

المؤرخين، والشعراء، والفنانين، الذين يلعبون دورا مميزا وحيويا، في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعنوية.

وللتعبير عن النخبة الثقافية، استعمل المفكرون عادة عددا من المصطلحات، أبرزها؛ مصطلح "الأنجلنسيا" بصيغته الماركسية، ومصطلح المثقف العضوي، وفقا لنظرية "غرامشي"⁽¹⁾، ومصطلح "المفكر الرسولي"، صاحب الرسالة، وفقا لمصطلح "إدوارد سعيد"⁽²⁾، ومصطلح "المفكر النقدي"، وفقا لمنظور "نيتشه" و"سارتر".

ومن خلال تعريفاتنا السابقة للنخبة، فإن الذين يشكّلون نخبة ما، غالبا ما يكونون الأفضل بين أقرانهم، والأكثر تأثيرا في مجال اختصاصاتهم؛ ومن هذا المنطلق فإن نخبة المثقفين تتمثل في أكثرهم إنتاجا، وفعلا، وتأثيرا، وحضورا، وممارسة، وإبداعا، في مجال الفكر والثقافة والإبداع الثقافي⁽³⁾.

وفي هذا السياق يقول تشومسكي: "إن من مسؤولية المثقفين، أن يقولوا الحقيقة ويفضحوا الأكاذيب، وأن المثقف هو من يحمل الحقيقة في وجه القوة"⁽⁴⁾.

يعرف الباحث طارق مخنان النخبة المثقفة بقوله: "هي مجموعة من الأشخاص المتجانسين، يمثلون رصيذا معرفيا، ولهم تكوينا عاليا؛ ويتمتعون بسلطة رمزية، تخوّلهم التفكير في قضايا المجتمع..."⁽⁵⁾.

1 - أنطونيو غرامشي هو فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، ولد عام 1891 وتوفي عام 1937، ناقد مسرحي، صاحب فكر سياسي مبدع، صاحب فلسفة البراكسيس (النشاط العملي والنقدي - الممارسة الإنسانية والمحسوسة) إنها فلسفة سياسية، هو مؤسس مفهوم "الهيمنة على الثقافة"، كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي. مستخرج من الرابط الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org/wiki/أنطونيو_غرامشي ؛ بتاريخ 2017/02/12 على الساعة 15 سا. 49د.

2 - إدوارد سعيد، " المثقف والسلطة "، ترجمة: محمد عنائي، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص: 34-35.

3 - Julien Benda, « L Tradition des Cleres », Edition Grasset, Paris, P : 75.

4 - نعوم تشومسكي، " اللغة ومشكلات المعرفة "، ترجمة: حمزة بن قيلان، الدار البيضاء، توبقال، الطبعة الأولى، 1990، ص: 58.

5 - طارق مخنان، " أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير "، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، مدرسة الدكتوراه، السنة الجامعية 2011-2012، ص: 20.

ويشمل تعريف النخب الثقافية هؤلاء الأكثر تأثيراً، في مجال الإنتاج الثقافي الرمزي في المجتمع، وخاصة الكتاب والمنظرون، وأساتذة الجامعات، والأدباء، والشعراء، والمفكرون والإعلاميون...

التعريف الإجرائي: هي تلك النخبة التي تنشط في ميادين الفكر، والأدب، والفن، مهمتها إنتاج الأفكار، واقتراح الرؤى، وتطويرها.

4-6 السوسيولوجيا:

المعنى اللغوي للكلمة:

سوسيولوجيا: هي كلمة إنجليزية "Sociology" ،متكوّنة من كلمتين "Society" وكلمة "Logy"، إذ تحمل الأولى معنى "مجتمع".

في ما تعني الثانية "دراسة أو بحث"، والغالب أن الكلمة الأساسية "سوسيولوجيا" مأخوذة من الأصل من الفرنسية، والتي بالتالي هي أحد أبناء اللاتينية. والسوسيولوجيا وفقاً لإجماع هاتين الكلمتين تعني: دراسة المجتمعات الإنسانية، والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية.

المعنى الاصطلاحي للكلمة:

"السوسيولوجيا": هي العلم الذي يدرس المجتمعات، والقوانين التي تحكم تطورها وتغيرها؛ وترجع أصول علم الاجتماع لعصور قديمة، ففي اليونان حاول ديمقريطس وأرسطو وأفلاطون ولوكريتيوس، تفسير أسباب التغيرات الاجتماعية، والقوى التي تحرك حياة الناس، وأصل الدولة، والقانون، والسياسة، ظهر هذا المصطلح مع ظهور العلم نفسه "علم الاجتماع"، في القرن 19م، نتيجة التراكم الكيفي والكمي، الحاصل في الدراسات القانونية والسياسية والاقتصادية؛ وبرزت ضرورة قيام علم يهتم بالظواهر الاجتماعية، خصوصاً بعد المعرفة السوسيولوجية.

بعد ظهور مبدأ التخصص في العلوم، بحيث لم تعد الفلسفة أمّا للعلوم، وهذا الانفصال ساعد على انطلاق التأسيس لعلم الاجتماع، على يد الآباء المؤسسين، منهم سان سيمون،

أوغست كونت، أميل دوركايم، كارل ماركس، وماكس فيبر. ليصبح بذلك علما قائما بذاته، له مناهجه ونظرياته المتنوعة، التي تسعى إلى مقارنة الظواهر الاجتماعية؛ فأساس "السوسيولوجيا" حسب - مارسيل موس -، هو ملاحظة المجموعة الاجتماعية وسلوكياتها، ملاحظة شمولية.

تطور مفهوم السوسيولوجيا كمصطلح مرتبط بعلم الاجتماع كثيرا، في الفترة الأخيرة، ليشمل الجانب التجريبي والحقلي للمجتمعات، وعملية المعرفة التي يتميز بها المجتمع، وماهية المحركات الرئيسية والمصدرية له ولأفراده؛ وفي الغالب فإن مفهوم علم الاجتماع هو من المفاهيم المتطورة دائما، والتي تعاني صيرورة فكرية وأيديولوجية، من قبل المفكرين وعلماء الاجتماع.

التعريف الإجرائي: هو علم ينتمي إلى الحضارة الحديثة، يعنى بدراسة المجتمعات، انطلاقا من الأنساق الاجتماعية، على مستوى الماكروسيولوجي (المجتمع)، كما على مستوى الميكرو سوسيولوجي (الأفراد).

5-6 المعرفة السوسيولوجية:

من الناحية التاريخية [الحضارية]، يمكن تعريفها بأنها معرفة اجتماعية مصاغة طبقا لنماذج وأنماط تصورية، عن طريق تمثّل الواقع، هذه المعرفة الاجتماعية ناتجة عن التحول، في مضمون النظر إلى المجتمع⁽¹⁾، (أسباب وجوده واستمراره)، وفي شكل التفكير في ظواهره ومشكلاته؛ هذا التحول الناجم عن سلسلة التغيرات الطارئة، في الحضارة الغربية (العقائدية، المعرفية، المجتمعية)، من المقاربات الغيبية (اللاهوتية)، والتأملية (الميتافيزيقية)، إلى المقاربات العلمية (الوضعية).

1 - نعمان عباس، مقاربات علم الاجتماع بين التكامل والتعدد: جراسة تحليلية في طبيعة المعرفة السوسيولوجية بين وحدة العلم وخصوصيات الواقع، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة منتوري - قسنطينة - قسم علم الاجتماع، 2010-2011، غير منشورة، 294 صفحة، ص 75.

وحدة العلم: المقصود بوحدة العلم، المقاربة الابستمية السائدة في نظرية المعرفة المعاصرة، والذي صاغه مجموعة من الباحثين (فلاسفة، منطقيين، رياضيين، فيزيائيين) في ما يسمى ببيان "الوضعية المنطقية"، حلقة فيينا سنة 1929، والذي يعتبر امتدادا وتحديدا للفلسفة الوضعية، حيث يرفض الفلاسفة كمنوال للمعرفة، التي لا يمكنها أن تقوم بإجراء تحليلات للعمليات السببية، أو التحقق من مقولاتها الماورائية؛ ولهذا تقترح الإمبريقية المنطقية، كأداة منهجية للمعرفة العلمية الوجدانية (في حقل الطبيعة أو المجتمع)، القائمة على التجربة (الإمبريقية)، والتحليل المنطقي لمقولات العلم (الرياضيات كلغة وحيدة للمعرفة العلمية) (1).

وتعتبر أعمال دوركايم، كتطبيق للفلسفة الوضعية (لأستاذه كونت)، المؤسس الأكاديمي الفعلي للسوسيولوجيا؛ خاصة في طورها الأمريكي، أين ازدهر علم الاجتماع، من خلال مقاربتين أساسيتين، الوظيفية والإجرائية (روافدها: الوضعية المحدثة، ومدرستي (شيكاغو الكيفية، وكولومبيا الكمية).

والمعرفة السوسيولوجية من منظور "وحدة العلم"، حسب صيغها العديدة، هي الصورة النهائية للواقع الاجتماعي، والنظريات هي التجمعات الكبيرة للمشكلات [المعرفية] المجزئة؛ فهي تقديرات لما يكون عليه، أي من أجزاء الصورة؛ فالنظريات السوسيولوجية (الخاضعة لشرطي الإجرائية والتحقق)، هي تقديرات للمعرفة السوسيولوجية.

- وتفترض هذه المقاربة، أن المعرفة تراكمية، وأن المعرفة العلمية حيادية، وأن الواقع متجانسا، وشفافا، ومحددا؛ أي يمكن الإمساك به (تعقله وفق المنظور الوضعي العلمي والوحيد)؛ إلا أن هذه المصادر تتناقض منطقيا في بنائها، فالواقع (الظواهر)، عبارة عن

1- Boutefnouchet, Mostapha, **Introduction de la sociologie**, O.P.U, Alger, 2004, p 204.

استثناءات غير محدودة، وتعقيدات غير منتهية، لهذا فشلت المقاربة الوضعية في فرض منطقتها (في علم الاجتماع أو في غيره و في غيره من العلوم) أمام خصوصيات الواقع (1).
التعريف الإجرائي: نعني بها التراث السوسيولوجي الكلاسيكي والمعاصر، بشقيه النظري والامبريقي، وهي خلاصة للتراكمية الإبستمولوجية في الحقل السوسيولوجي.

6-6 الإغتراب (Aliénation):

يستخدم مصطلح الاغتراب استخدامات متعددة، تختلف باختلاف مجال الدراسة، وقد شاع استخدامه الوقت الحاضر في الفلسفة، واللاهوت، والقانون، والطب النفسي، بالإضافة إلى استخدامه في علم الاجتماع والاقتصاد (2).
في هذه الدراسة لا يهمننا التفسير، الذي أعطاه كارل ماركس لهذا المصطلح، وذلك لكونه اقتصر فقط على شكل من أشكال الاغتراب، وهو الاغتراب عن العمل عند دخول العمال في علاقات الإنتاج.
ويستخدم هذا المصطلح الآن في العلوم الاجتماعية، بمعاني عديدة، أبرزها ما كتبه "سيمان" "Seeman" في مقال له عن مفهوم الاغتراب، ميّز فيه بين خمسة استخدامات لهذا المصطلح فهناك:

أولاً: إنعدام القوة (Absence de Force): الذي يعني شعور الفرد بأنه ليست لديه القدرة على التأثير، في المواقف الاجتماعية المحيطة به.

ثانياً: فقدان المعنى (Le perte de signification): الذي يتضمن عجز الفرد عن الوصول إلى قرار، أو معرفة ما ينبغي أن يفعله، أو إدراك ما يجب أن يعتقدّه موجّهاً لسلوكه.

1 - وهيمنة هذه المقاربة على الصعيد الجامعي والبحثي، لا يعود إلى قوة حجتها، وإنما أيضا إلى ذرائعيتها، أي الصلاحية الاجتماعية أقوى من الصحة المعرفية. كما خلص إلى ذلك ميرتون في آخر أعماله (علم اجتماع العلم سنة 1973، التنظيم المعاصر للإنتاج العلمي، هو منظمة للمنافسة العلمية، وليست للمعرفة العلمية، للاستزادة نظر: 2-Merton Robert King, Eléments de théorie et de méthode sociologie, Mendras, Armand Colin, Paris, 1997, p 198.

2 - محمد عاطف غيث، المرجع سابق الذكر، ص 26.

ثالثاً: فقدان المعايير (Anomie): وهو لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة، وغير موافق عليها اجتماعياً لتحقيق أهدافه.

رابعاً: العزلة (L'isolement): ومعناها انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائدة، وتبني مبادئ أو مفاهيم مختلفة، ما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة.

خامساً: الذات: وهي إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا عن ذاته (1).

وفي قاموس الألفاظ السوسولوجية، نجد أن هناك مدرستين قد اهتمتا بهذا المصطلح، حيث أنه في السوسولوجيا الوظيفية، للاغتراب خمسة أبعاد، وهي تلك الأبعاد التي سبق ذكرها، بينما النظرية الفعلية ترى بأن الاغتراب ثلاث حالات هي:

1- إستغلال طبقة اجتماعية من طرف طبقة اجتماعية أخرى.

2- الكبت الناتج عن عدم الاندماج، داخل النسق التنظيمي للعمل.

3- الاغتراب هو ظاهرة مرتبطة بسير المجتمع، حيث أنه في هذا الأخير الإنسان -

كلياً- بما فيه حياته الشخصية، واستهلاكه، في خدمة مجموعات اقتصادية وسياسية كبرى، ضف إلى ذلك خدمة الاندماج الكلي داخل المجتمعات، ذات الأنظمة التسلطية (2).

كما أن الاغتراب هو حالة- السيكو- اجتماعية، التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة

تجعله غريباً وبعيداً عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي (3).

أما العالم "أريك فروك" (Erich Fromm) في كتابه "المجتمع السوي"

(La société Saine)، الذي نشر سنة 1955، فيعرف الاغتراب أنه: "تلك الحالة التي لا

يشعر الإنسان أنه المالك الحقيقي لثرواته وطاقاته، بل يشعر أنه كائن ضعيف يعتمد كيانه

على وجود قوى خارجية لا تمت ذاتيته بصلة (4).

1 - محمد عاطف غيث، المرجع سابق الذكر، ص 20.

2- Dictionnaire des termes de sociologie, Op.cit, p 12.

3 - دينكن ميتشل، المرجع سابق الذكر، ص 18.

4 - نفس المرجع، ص 19.

التعريف الإجرائي:

نقصد بالاغتراب في هذه الدراسة، هي تلك الحالة من الضياع التي تتواجد فيها النخبة الجزائرية السوسولوجية، أي حالة من الضعف، والقهر، والإقصاء.

7-6 المكانة (Statut):

تعتبر المكانة في العلوم الاجتماعية الحديثة، عن وضع معين في النسق الاجتماعي⁽¹⁾. وهو الوضع الذي يشغله الفرد أو الجماعة، في ضوء توزيع الهيئة أو توزيع الحقوق والالتزامات، والقوة والسلطة⁽²⁾.

يعرّف لينتون "Linton" المكانة بأنها: "مجموع الحقوق والالتزامات"⁽³⁾.

بينما نجد في معجم علم الاجتماع، هناك تداخل بين المكان والمنزلة، حيث جاء في هذا القاموس، أن المنزلة الاجتماعية هي المركز الذي يحتله الفرد، أو العائلة، أو الجماعة القربانية، في نظام إجتماعي معين بالنسبة لمراكز الآخرين، والمنزلة الاجتماعية هي التي تحدد الواجبات، والحقوق، والسلوك، والعلاقات الاجتماعية⁽⁴⁾.

وفي نفس القاموس نجد أن المنزلة الاجتماعية أو المكانة الاجتماعية، تعني كذلك السمعة، حيث تتأثر بعدة متغيرات، إلا أنها تعتمد على عاملين متلازمين، هما الدخل والحرفة..⁽⁵⁾.

كما تعني المكانة أيضا: " مجموعة الأحداث المتفاعلة في ما بينها، لمختلف الأدوار الاجتماعية لفرد ما⁽⁶⁾.

1 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص 47.

2 - نفس المرجع، ص 472.

3 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

4 - دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، لبنان، دار الطليعة، 1986، ص 210.

5 - نفس المرجع، ص 210.

6- Dictionnaire des termes de la sociologie, Coll, Flasch, Ed Marabout, Allier, Belgique, 1992, p 82.

كما تعني المكانة: مجمل القواعد المحددة لسير مؤسسة ما. وهي الحالة المحدد من طرف القانون لمجموعة أو فرد ما...⁽¹⁾.

التعريف الإجرائي: تعني بالنسبة لدراستنا هذه، الموقع الذي تتمتع به النخبة السوسيولوجية، داخل النسق الجامعي.

8-6 الدور:

- **التعريف الأول:** " حسب رالف لينتون فإن الدور، هو المظهر الديناميكي للمكانة، وهو عبارة عن نموذج يتركز حول بعض الحقوق والواجبات؛ ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل الجماعة، أو موقف اجتماعي معين، ويتحدد دور الشخص في أي موقف، عن طريق مجموعة توقعات يعتقنها الآخرون، كما يعتقنها الشخص نفسه "⁽²⁾.

- **التعريف الثاني:** " هو أفعال الشخص أثناء علاقاته مع أشخاص آخرين، ضمن النظام الاجتماعي، وأن تقسمي العمل في هذا النظام أدى إلى تعدد الأدوار وتباينها، وتكون مرتبطة وظيفيا، وذات أهداف مشتركة "⁽³⁾.

- **التعريف الثالث:** " هو سلوك ملتصق بالموقع الاجتماعي للفرد "⁽⁴⁾.

التعريف الإجرائي: وهو ذلك الفعل الذي يقوم به الفرد، والذي من خلاله تحدد مكانته في المجتمع، فترتبط المكانة بالدور، حيث أن الدور الذي يقوم به الأفراد أو الجماعات، داخل النسق اتجاه أمر ما، يحدد من مكانة هذا الأمر داخل النسق، فإذا كان دور النخبة السوسيولوجية دور كافي، وهو الدور المطلوب من أي مشتغل بالجامعة، كانت مكانة علم الاجتماع داخل النسق التعليمي مرموقة.

1- GRAWITZ (M), « lexique des sciences sociales », 5ème édition, Dalloz, Paris, p 364.

2 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، 2006، ص 358.

3 - صالح محمد أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الطبعة السابعة، عمان، دار الميسرة، 2010، ص 52.

4 - معن خليل العمر، علم الاجتماع، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ب ط، د ت، ص 270.

7- المقاربة النظرية للدراسة:

تعتبر مسألة تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي لظاهرة معينة، الهدف الأساسي للمقاربة النظرية، المتمثل في تحديد الأطر النظرية التي احتوت الدراسة؛ ولما كان موضوع البحث، يرتكز على دراسة الإنتاج المعرفي السوسيولوجي للنخبة السوسيولوجية في الجزائر، دل هذا الأمر على أنّ هذه الدراسة، ترتبط بأحد فروع علم الاجتماع، ألا وهو علم الاجتماع المعرفة، وهو علم القصد منه " محاولة كشف ارتباط المعرفة ككيان معرفي، يتمتع بعناصر مستقلة وثابتة، بمسار الاجتماع العام، فالمعرفة وإن كانت من ثوابت الحياة البشرية، تبقى مرتبطة دون شك بالإطار الاجتماعي الذي تنشأ وتتحرك فيه⁽¹⁾."

وهنا يخلق نوع من العلاقة بين المعرفة وواقعها، هذه العلاقة يأخذها علم الاجتماع المعرفة على عاتقه، أي أنه يدرس الروابط بين " الواقع الذي هو صفة تتعلق بالظواهر التي تتعرف عليها، بوصفها مستقلة عن إرادتنا الخاصة، والمعرفة من جهة أخرى بوصفها للتأكد من أن الظواهر واقعية.."⁽²⁾، مما يؤكد أن الدراسة تتدرج فعلا في إطار علم الاجتماع المعرفة، لوجود علاقة بين علم الاجتماع في الجزائر كمعرفة، والواقع الاجتماعي لهذه المعرفة، المتمثل في التصورات والممارسات، التي تتشكل وتصاغ في المجتمع، انطلاقا من بنية ذهنية وفكرية معينة، تحكم بها تفاعل الظروف والفاعلين في الحقل المعني.

ولأن الموضوع مرتبط بدور المشتغلين في هذا العلم، من خلال إنتاج المعرفة، وتأثير هذه الأخيرة، في المستوى الأكاديمي والاجتماعي؛ يرى كارل مانهايم أن الجماعات الاجتماعية المتباينة، تختلف اختلافا عظيما في قدراتهم، ولذلك تتسامى على مواقفها الخاصة، ووضع أمله الكبير في أهل الفكر (الأنتلجنسيا)، الذين لهم ارتباطات اجتماعية،

1 - محمد إسماعيل قابري، نظرية المعرفة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 2، دت، ص 106.

2 - بيتر بيرغر وتوماس لوكمان، البنية الاجتماعية للواقع، ترجمة: أحمد باقادر، الطبعة الأولى، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2000، ص 11.

وهو نوع من الطبقة الوسطى المقحمة⁽¹⁾، إذ يميز كارل مانهايم بين عدة أنماط معرفية، كالنمط السياسي، والتنظيمي، والفكري، والفني، والأخلاقي، والديني؛ بهدف إنجاح المشروع الإنساني وتفعيل العلاقات، خدمة للنفع العام، إذ إن "النخب" السياسية والمنظمة، ترمي إلى تكامل عدد كبير من الإرادات الفردية، فيرى أن وظيفة "النخب" والفئات الدينية، هي أن تتسامى بتلك الطاقات الروحية، التي لا تستنفذها المجتمعات في الصراع اليومي، من أجل البقاء؛ وذلك فإن كارل مانهايم يرجع الأزمات الثقافية، في المجتمع الديمقراطي إلى تراجع النخب المثقفة والمبدعة، التي تبدو كأن لها نتائج عكسية⁽²⁾؛ وهو الأمر الذي تعيشه الكثير من النخب في الجزائر، وفي جميع الميادين.

إذ يرى عبد الرحمن بوزيدة⁽³⁾: "أن أزمة المجتمع الجزائري ومؤسساته الاقتصادية بصفة عامة، يكمن في التحول التكنولوجي الذي قامت به الجزائر، والذي لم يفض إلا إلى بروز نخبة أو فئة اجتماعية جديدة، قضت على ما يعيق وجودها من نخب تقليدية، منتجة لقيم إجتماعية وثقافية تقليدية أصيلة، لكنها لم تستطع أن تجعل من هذا الوجود، قوة إنتاج حقيقية وفعالية، تنتج للمجتمع الحلول التي يحتاجها، للخروج به من الحالة الانفعالية إلى الحالة الفاعلية.

وهذا ينطبق على الكثير من الفئات العلمية الاجتماعية في الجزائر، وخاصة السوسيولوجية، التي لم تستطع إلى حد اليوم إبراز دورها كقوة فاعلة، تسهم في توثيق الصلة بين الفكر والواقع؛ والذي يمكن أن يعود السبب فيه، إلى عدم معرفة واقعنا الاجتماعي معرفة خالصة، إذ يرى كارل مانهايم أن هناك مفهوما يؤثر دون معرفة الواقع الاجتماعي، ألا وهو

1 - بيتر بيرغر وتوماس لوكمان، المرجع سابق الذكر، ص 22.

2 - أحمد محمد سليمان حجازي، "مقدمة لدراسة النخبة في الثقافة العربية والإسلامية، جدلية الأصالة والمعاصرة"، مجلة علوم إنسانية، السنة الخامسة، العدد 37، ربيع 2008، مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.ulum.hl> بتاريخ: 2017/08/18، على الساعة 19 سا 57 د.

3- Abderrahmane, Bouzida, Industrie mécanique et relations social dans les projet social, Algérie, éd-3- OPU, 1989, p 29.

الوعي الزائف، والذي اعتبره مظهر من مظاهر التشويه الأيديولوجي فيقول أن: " المعرفة تظهر لنا مشوهة وأيديولوجية، عندما لا تستطيع الأخذ بعين الاعتبار الوقائع الجديدة، التي تتطابق مع وضع معين "(1).

وبالتالي فإن أغلب المعرفة المقدّمة، من قبل المشتغلين في الحقل السوسيولوجي في الجزائر، يمكن وصفها بأنها معرفة مشوّهة، لأنها لا تمدّنا بنتائج كافية عن الواقع المعاش، حيث يصبح هؤلاء تابعين وخاضعين لأيديولوجيا معينة، تخدم مصالح معينة، وبالتالي إنتاج نوع من الوعي، يمكن اعتباره وعيا زائفاً.

ولتفادي هذا النوع من التشويه، وجب استنفاد الطاقات من أجل إحداث التغيير، الذي لا يتأتى حسب " بيير بورديو " إلا بإعطاء أهمية للعقل والعلم؛ هذه الأهمية تكفل ظهور ومضات ثورية تمثل القطيعة الابستيمولوجية، من أجل إنتاج معرفة سوسيولوجية أصيلة، ناجمة عن وعي الباحث السوسيولوجي، ومعرفته للموضوع الاجتماعي.

فالموضوع الاجتماعي في تصور بورديو، هو الموضوع الذي يكشف عن مجموعة العلاقات الداخلية في البنية، أو هو النسق من العلاقات، الذي يسمح لنا التحليل بالوصول إلى وظائفها، أي التعرّف على الطريقة التي تشتغل بها، العناصر النسقية المكوّنة للبنية، وكيفية ترابطها وأدائها واشتغالها(2).

وفي هذا السياق، فإن هدف البحث الاجتماعي، هو السعي إلى إظهار منطق النسق، من خلال ثلاث عمليات(3).

1- Mannheim (Karl), **Idéologie et Utopie**, Librairie Mancel Rivière et Cie, Paris, 1956, p 42.

2 - أكرم حجازي، **الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، افريل، 2005، ص 05.

مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.uluminsamia.com> تاريخ التصفح: 2015/03/15، على الساعة 114 45 د.

3 - André Lalande, « **Vocabulaire technique et critique de la philosophie** », Quadrige, PUF, 6ème éd, 1988, p 298.

- الأولى: إسقاط بعض الظواهر، والقيام بعملية استكشاف متعددة، أي الكشف عن نسق العلاقات المحددة، واستبعاد المعطيات الحكائية، والتاريخية، والاقتصادية.
- الثانية: تعليم النسق، أي الكشف عن أنساق التفاعل الداخلية والخارجية معا؛ فلو أخذنا أنساق المواقف داخل الجامعة مثلا، لتوجب علينا النظر في نسقين هما: النسق الداخلي، أي موقف السلطة الجامعية، والنسق العلمي الذي يربط الجامعة بالخارج.
- وأخيرا الثالثة: تطوير النسق عبر البحث عن تمييز كل الحلقات المترابطة، العملية والرمزية والأيدولوجية، وكل السلوكات الفردية التي يحددها نسق العلاقات.
- هكذا يتوصل بورديو إلى استعمال الحقل Champ، الذي ينتظم بداخله كل أنساق المواقف والتفاعلات الأنفة الذكر. ومن الواضح إننا إزاء منهجية يتبين لنا مشروعية استخدام مفهوم الحقل الاجتماعي ضمن الشروط المحددة (الإسقاط، التعيين، التطوير).
- فيرى أن العالم الاجتماعي Le monde social في المجتمعات الحديثة، ينقسم إلى حقول، أي فضاءات اجتماعية أساسها نشاط معين، ومنه فإن الحقل الاجتماعي في الجزائر، كموضوع للدراسة هو عبارة عن فضاء اجتماعي، يحمل كل الموصفات التي وضعها بورديو، فالمجال أو الحقل العلمي، يكون أكثر استقلالية، كلما كان الصعود فيه يعود إلى أولوية الرأسمال العلمي الصافي، وتكون أقل عندما يكون الصعود فيه، حسب أولويات الرأسمال الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي⁽¹⁾.
- وعليه فإن الحقل السوسيولوجي في الجزائر، وأغلب الحقول العلمية تقل استقلاليته، بسبب ضعف أولوية الرأسمال العلمي الصافي، فنلاحظ أن الكثير من الباحثين والعلماء، إتخذوا من الغرب موطناً لحريتهم العلمية والإبداعية.

1- Pierre Bourdieu, Op.cit, p 107.

إن الحقل كما يشير "بورديو"، ليس مجرد تمثل ذاتي أو بناء نظري للعالم، بل له وجود موضوعي، في الواقع، تعكسه حقيقة المؤسسات التي تعبر عنه، وكذلك الممارسات والمصالح المشتركة، فيتميز الحقل السوسولوجي في الجزائر:

أنه في سيرورة تشكّله التاريخي مر بمراحل طويلة وبطيئة؛ وصراعات متعددة تستهدف الحصول على الاستقلال الذاتي؛ إنه عويلم من العالم المجتمعي، يشتغل بطريقة مستقلة نسبياً، له قوانينه وقواعد لعبه الخاصة، لا يزال يثبت وجوده في خضم الكثير من التعتيم والتهميش.

يتميز الحقل بوجود نوعين من الصراع⁽¹⁾:

الأول: داخلي بين عملائه، في تنافسهم على الشرعية وعلى امتلاك الحق في تمثيل الحقل والتعبير عنه، واحتكار المنافع التي يدرها من جهة، ومن جهة أخرى التنافس بين قداماء الحقل أو الأجيال الأولى (من فترة ما بعد الاستعمار إلى فترة الثمانينيات)، وهم الآباء المؤسسون أن صحّ القول، والوافدون الجدد (المحدثون)، الأمر الذي يُشكّل نوعاً من الانقسام الفكري داخل الحقل.

والثاني: هو صراع بين الحقل وباقي حقول المنافسة، داخل الفضاء الاجتماعي، فيحاول علم الاجتماع بصعوبة فرض نفسه، في المنظومة التعليمية⁽²⁾ منذ نشأته على يومنا هذا.

من جهة أخرى يرى "بورديو" أن رأس المال (Le Capital)، هو كل طاقة اجتماعية يملكها الفرد، ويعتمد عليها في التمييز والمنافسة، وأشار إلى أن كل حقل له شكل خاص من رأس المال، وهو يختلف إلى رأسمال ثقافي، رأسمال اقتصادي، ورأس مال اجتماعي، حيث أنّ الحقل يرتبط بنوعية رأس المال، ويشير مفهومه إلى مجموعة الأشياء المادية التي يمتلكها الأفراد، والتي يمكن أن تكون لها قيمة رمزية (الجاه، السلطة... وهي رأسمال

1 - جميلة شلغوم، السوسولوجيا والنخبة، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي جامعة قاصدي مرباح، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2011-2012، غير منشورة، ص 34.

2 - نفس المرجع، ص 35.

رمزي): " فإذا كان رأس المال الحقيقي، هو الذي يضمن مكانة اجتماعية عالية، وتحكما وسيطرة في الموارد، وقوة العمل، وتأثيرا أساسيا كبيرا، فإن نفس الآثار تحدثها مميزات اجتماعية، دون حاجة إلى أن تتحول إلى مال وصاحب القوة؛ وصاحب المال بالنسبة لبورديو هو من يملك رأس مال اقتصادي، ثقافي، واجتماعي (1).

وعليه فإن رأس مال المشكل للحقل السوسيولوجي في الجزائر، لم يكن كافيا لتحصيل المكانة المرجوة من علم الاجتماع في الجزائر، وهذا بسبب قلة السيطرة في الموارد، والتأثير الضعيف للرأس المال الثقافي (Le Capital culture)، الذي يعبر عن مجموعة المعارف والقدرات والمهارات النظرية والعملية، في إطار ثقافة معينة، ويتألف من الشهادات المدرسية، والألقاب الثقافية، والتي يحول لمالكها مراكز ووضعيات تتحدد لحجمها ونوعها. والاختلافات في الرأس مال الثقافي مؤشر للاختلافات بين الطبقات. ويؤكد أيضا أسبقية رأس مال الثقافة، مدعيًا بأن رأس المال الاجتماعي، والرأس المال الاقتصادي، مكتسب بشكل متراكم مع مرور الزمن.

حيث نجد أن السوسيولوجيا في الجزائر كحقل اجتماعي، نجد فيه أن النخبة السوسيولوجية أو المشتغلين، هم عبارة عن فاعلين بوصفهم معيدي إنتاج البنية داخل النسق، يعملون على إعادة إنتاج نفس الحقل، دون التجديد أو الإضافة في المعارف، وبالتالي إنتاج علاقات قوة وسيطر يتشكل منها الحقل؛ في وقت أن المشتغلين يملكون ثقافة وخبرة ومكانة إجتماعية، ومنصب ينبع من رأس مال ثقافي، يشكل قوة لها سلطة فعالة رمزية للهيمنة على عناصر الحقل.

فيجب الوقوف كما وقف بورديو على الدوام، ضد النظام التعليمي القائم على تلقين المعلومات، ونقد بشدة المدارس ومناهجها، وحسب رأيه يجب أن تكتفي الدولة بتعليم التعليم،

1 - السيد عبد العاطي وآخرون، نظرية علم الاجتماع والاتجاهات الحديثة والمعاصرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004، ص ص 27-28.

وتدريب الناس على تحصيل المعرفة، فالرجل يرفض الأدلجة، ولا يقبل أية شبهة للتأثير السياسي على التعليم، ومنه يجب على المشتغلين في حقل علم الاجتماع في الجزائر، بدل وإعادة إنتاج La Reproduction.

يؤكد بورديو⁽¹⁾ أن مكتسبات البحث العلمي، يجب أن تسلط على تحليل شروط إشتغال الباحث، بما هو ذات منتجة للمعرفة، أي لا بد من ممارسة تفسير انعكاسي على ضوء نتائج العلم، خصوصا العلم الاجتماعي. ومن هنا تأتي ضرورة أن يقوم الباحث الاجتماعي، بتحليل عمله وخطابه ونشاطه، تحليلا انعكاسيا (ذاتيا). ونعتقد أن أبرز تطبيق لهذا، يوجد في كتاب "الإنسان الأكاديمي"، الذي تناول فيه بورديو مجموع الشروط، التي تحدد بروز اشتغال المتخصص كأستاذ جامعي أو مثقف أكاديمي.

وتتمثل أهمية الانعكاسية La Réflexivité، كونها تجعل الباحث يستعمل الاكتشافات المترتبة على ممارسته العلمية، ليغزبل دوره، وليكشف العوامل الناتجة عن تاريخه الشخصي، التي تشترط حاله كذات مفكرة، والتي تؤثر على ممارسته العلمية، وتشوش رؤيته للمجتمع، بدون وعي منه في أغلب الأحيان.

ولذا يعدّ التحليل الانعكاسي، بما هو تحليل اجتماعي، شرطا لا غنى عنه لكل ممارسة علمية حقيقية.

وحسب مطالعاتنا واطلاعنا على بعض علماء، ومفكري الحقل السوسيولوجي أو خارجه، وإسقاط مقارنة بحثنا التي تخص النخبة السوسيولوجية استثناء، بمجالها الجغرافي والثقافي، واختلاف الزمكان لهذه النخبة، أو بما يعرف بخصوصية "النموذج الثقافي الموجه للمعاني"، الذي يختلف بطبيعة الحال مع نظيرتها الغربية؛ إلا أن هذه الاختلافات في المنشأ والممارسة، لكلا النخبتين، لم تمنعنا من محاولة الاستفادة منها، على الأقل في الجانب النظري، وذلك انطلاقا من نظرية الفعل التواصلي " ليورغن هابرماس".

1- Pierre Bourdieu, Science de la science et réflexivité, Edition Raison D'agir, Paris, 2001, p 29.

سنحاول عرض موجز لهذه النظرية، بهدف تقديم معنى الفعل التواصلي، وماذا يقصد به هابرماس، ثم نوضح بعدها كيفية استفادتنا من النظرية، في توظيفها كمقاربة سوسولوجية لدراستنا.

برغم قوة مدرسة فرانكفورت بعلمائها المعروفين، مثل هوركهايمر وأدورنو، إلا أنه و في سنة 1929، وصل هابرماس إلى قمة الشهرة الفكرية الحداثية في ذلك الوقت، واعتبرته الجمهورية الألمانية بفيلسوفها دون منازع، وهذا ما عبّر عنه وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر⁽¹⁾.

في ثمانينيات القرن الماضي ألقى هابرماس محاضرة بمناسبة استلامه جائزة أدورنو؛ حيث قال أن موضوع الحداثة مثير للجدل ومتعدد الأوجه، وما انفكّ يلاحقني منذ ذلك الحين⁽²⁾؛ لكن هابرماس لا يرفض الحداثة، بل يجب انتقادها من الداخل، وإعادة تصحيحها، هو لم يرفضها كلياً ، وكما ذهب إلى ذلك مفكري ما بعد الحداثة، والذي يصفهم بأنهم يمثلون نوعاً من النزعة الفوضوية ، ذات العمق المحافظ⁽³⁾.

فنظرية هابرماس تركز أكثر على الفرد وتحريه من الاغتراب، وعلى العلاقات بين الأفراد، التي هي بشكل عام غير عادلة بينهم، حيث نجد أن أحد مهيمن والآخر مهيمن عليه؛ لذا يدعو هابرماس إلى تغيير المجتمع ليس بواسطة تغيير الأبنية الاجتماعية، ولكن بتغيير العلاقات بين الأفراد، وأول شكل في التغيير هو الخطاب، فنظريته ركزت على الفرد كيف يشارك بكل حرية في تشكيل مجتمعه.

ففي كتابه " الفضاء العام " L'espace publique، أو التحول الهيكلي في المجال العام سنة 1962، حيث قام بدراسة سوسيو تاريخية حول كيفية نمو، تطور وتدهور المجال العام،

1 - كمال بومشير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط.1، 2012، ص 153.

2 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

3 - نفس المرجع، ص 153.

ما بين القرنين الثامن عشر والعشرين⁽¹⁾، كَوّن وطور نظرياته هابرماس بعطاءات الفلاسفة وعلماء الاجتماع، من كانط إلى جاك دريدا، وصولاً إلى تخصصات مختلفة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، كالتحليل النفسي و علم النفس التحليلي لجان بياجي، و نتائج دراسات أنثروبولوجية لهربرت ميد، والسوسيولوجيا المعاصرة كما مارسها تالكوت بارسونز، بالإضافة إلى الفلسفة التحليلية للعالم اللغوي فيتغنشتاين، وعالم النفس لوكاش في تحليله للتشويء، و تشومسكي في التداوليات التصويرية. فهو لا يقتنع بمدرسة أحادية النظرية؛ فاهتم هابرماس بقضية الحداثة والتواصل، اللذان كانا يشكلان له هاجسا أساسيا و محورا رئيسيا ، تجلى ذلك في كتابه " الحداثة والتواصل " ، أبرز فيه فكرة تحرر الذات الانسانية من عقلانية المؤسسات الحديثة، التي ترهن الجسد في مجال عمومي، يضفي عليه العقل شرعية مشكوك في أنسنة قوانينها وتشريعاته، ففي المجال العمومي يسجن الجسد داخل نسق صارم ، وفي عقلانية تمسخ الفردية الحقيقية، ولا توفر شروط إمكانية إقامة أرضية صالحة للتفاهم بين الذات³ وهذا ما يسميه هابرماس العقلية الأداةية، فأراد أن يؤسس بدلها العقلية التواصلية. .

ويقصد هابرماس بالفعل التواصلية، هو التواصل في المستوى الواعي، أو الأفعال، وليس الإيصال الظاهري بين الأفراد في شكله العادي بل الإتصال الديناميكي⁽²⁾، كما أن له خصائص هي، القدرة على إحداث التغيير، ويشترط هابرماس في الفعل التواصلية أن يتميز بخصائص ثلاثة:

الخاصية الأولى: أن يكون على درجة من الوعي الحقيقي، وليس الوعي الزائف، والمقصود بالوعي الحقيقي، يرى هابرماس في كتابه المعنون " المعرفة والمصلحة"، يفرق بين ثلاثة أشكال من العلاقة التي تحكم المعرفة والعلم: أولا: المصلحة التقنية: وهي بنى الأعماق التي تتمظهر: في التجريبية لتلبية حاجيات مادية معينة، وهي التي سادت في المجتمعات الحديثة، وأطلق عليها اسم العقل الأداةية.

1 - كمال بومشير ، المرجع السابق الذكر، ص 154.

2 - نفس المرجع، ص 155.

الخاصية الثانية: مصلحة المعرفة التطبيقية: وهي تتمحور حول مجال ظاهرات الأشخاص، والتعبيرات، أو حول بنى الأعماق للمنظومات الاجتماعية.

الخاصية الثالثة: المعرفة التحررية هذه تضمن علاقة المعرفة النظرية، مع براكسيس الحياة، أي مع مجال موضوعات، ينشأ بداية ضمن شروط تواصل مشوّه نسقيا، وضمن شروط قمع، مشرّعا ظاهريا مستتبطا، يكون لهذا السبب أيضا نمط التجربة والفعل، الذي يناسب مجال الموضوعات هذا، التجربة مع الطبيعة الموهومة، هي بصورة خاصة تأملية، وتتشابك مع فعل إلغاء أشكال القسر، المرتبطة بالطبيعة الموهومة⁽¹⁾.

• وعليه، حسب هذا التقسيم للمعرفة والمصالح، التي تنطلق منها المعارف، فالمصلحة التحررية هي التي يجب، أن تنطلق منها النخبة المثقفة، لإحداث تغيير حقيقي، ولا بأس أن نوضح بأن هابرماس، يتفق مع جان بول سارتر، في أن المثقف دائرة نفوذه هي الوعي، الذي لا يعترف بأهميته أحد، وإن كانت الطبقة السائدة تعمل على تزييف هذا الوعي، وإعادة إنتاج أيديولوجيتها المهيمنة؛ هذا الوعي سمّاه سارتر بالبحث عن الحقيقة.

ثانيا: الخاصية هذه للفعل التواصلي عند هابرماس، هي القدرة على إنتاج معارف جديدة؛ انتقد هابرماس أيضا العقل الأدوارى، وكشف مظاهر البربرية للعقلانية، وإدانة سيطرة الدولة الحديثة، في أشكالها القهرية، هو فعل ضروري لإعادة تنشيط السلب في الفكر، وتجديد القوة النقدية، واعتبره هابرماس، وهذا الأمر لا يقوم به إلا الفرد النقد الإيجابي.

يعتبر هابرماس أيضا أن مهمة العلوم الاجتماعية بل ويقع على عاتقها عملية النقد، لأنها علوم نقدية منذ تكوينها، وهذا ما يسميه هابرماس بـ "التأمل الذاتي"، إنها توفر الإطار المرجعي للافتراض المرجعي للافتراضات النقدية، باعتبار أن التأمل الذاتي، يحرّر الذات من تبعيتها للقوى الراكدة والجامدة.

1 - كمال بومشير، المرجع السابق الذكر، ص 155.

وثالثاً: خاصية الفعل التواصلي هي الفاعلية، ونقصد بها العمل الميداني الواقعي حيث لا يكفي الوعي الحقيقي وحدهن والقدرة على إنتاج معارف جديدة، فيجب أن تكون هناك قدرة على التأثير والتغيير، باكتشاف آليات وميكانيزمات جديدة يقول في هذا السياق: " لا يستطيع المجتمع أن يضمن بقاءه، إلا إذا اعتمد على قدراته التعليمية، أي كلما كان قادراً على اكتساب قواعد تفاعلية مع الآخرين، فزمان وجوده سيكون أطول وأقوى؛ فإذا امتلك القدرة التعليمية، عندئذ يستطيع أن يتفاعل مع الآخرين، يكسب منهم معارف جديدة، تشجعه وتدفعه إلى الانخراط، والمساهمة في الحياة الإنتاجية الفكرية، والاجتماعية، الاقتصادية والعلمية.

إن الاتصالات المستمرة بين الأفراد، تقلص من كمّ ونوع المشاكل الاجتماعية، وتزيل أية أمور غامضة تحصل في مرئياتهم؛ فالمتقف إلى مثل هكذا اتصالات مع الآخرين، يوضح لهم أهدافه في خطابه التي يوجهها لهم، عبر عباراته ومؤلفاته.

يركز هابرماس أيضاً وبشكل لافت للنظر على النقد البناء، كمحك ميزاني حقيقي، ويطلب من النخبة استخدامه في مجتمعاتهم، كوسيلة، أو آلية في تصحيح أو تعديل أو تقويم، كل ما هو فاسد، أو ناقص، أو مشوّها، أو منحرفاً؛ سياسياً واقتصادياً، بل ولا يقبل هابرماس بمواقف الطليعة المتأرجحة، الذي يضعون ساقاً في جهة، والأخرى في الجهة الثانية.

بمعنى آخر، يعتبر هابرماس النقد، وسيلة فضلى ومناسبة لتعليم وتنوير الناس حول ما يدور حولهم، أي أنه يعتمد على النشاط العقلي، في رؤية وغريلة الأحداث والأفكار، الدائرة في المحيط الاجتماعي⁽¹⁾.

إعتبر هابرماس أنّ الجامعة المنتج الفعلي للمتقفين العضويين، والمالكين لنفوذ قوي لم يحصل عليه، أي متقف في عصور سابقة، نلاحظ أيضاً وهذا هام جداً هو أن هابرماس لم

1 - كمال بومشير، المرجع سابق الذكر، ص 155.

يتناول موضوع النخبة المثقفة بشكل واسع، بل ركز على تكوينهم الثقافي، ووظيفتهم النقدية للأحداث السلبية، ودورهم كذلك في التواصل مع المجتمع، من أجل تنويره والارتقاء بوعيه المجتمعي والسياسي⁽¹⁾.

عرضنا إذن من خلال نظرية الفعل التواصلية، أهم خصائص الفعل التواصلية وهي: الوعي، القدرة على إنتاج معارف جديدة الفعالية؛ وهي المنطلقات التي سنختبرها، ونرى مدى توفرها في النخبة السوسيولوجية المثقفة الجزائرية.

8- الدراسات السابقة:

- دراسة علم الاجتماع في الجزائر - السؤال والهوية - لمحمد حافظ دياب⁽²⁾

يرى الباحث محمد حافظ دياب، الذي يؤكد في معرض دراسته للخطاب السوسيولوجي في الجزائر، أن الفعل السوسيولوجي في منطقتنا العربية يختلف عن مجمل أفعال التغيير الاجتماعي الجارية فعلا، بمعنى آخر أن تجارب التنمية وإجراءات تحديث البنية الاقتصادية، وصياغة أسس عملية الثقافة الوطنية، وكل ما تثيره من ردود اجتماعية أسبق من الدراسات والبحوث السوسيولوجية مثال ذلك، أن إعادة هيكلة المنشآت الصناعية التي تمت في الفترة ما بين عامي 1982 و1985 قد استتبعها أبحاث سوسيولوجية عديدة، وهو ما يزال سائدا الاتجاه القائل أن مهمة السوسيولوجيا في الاقتصار على دراسة المعطيات الظاهرة والمباشرة التي تتقادم الموقف الأصعب، القائم على إعادة هيكلة الواقع والعلاقات المباشرة، إلى البحث عن المحركات والعناصر الفاعلة في آلية حركية البنية الاجتماعية - الاقتصادية، ويأخذ الباحث أحمد دياب على السوسيولوجيا المطبقة في الجزائر، هروبها من بحث مشكلات البيروقراطية و اختلالاتها الوظيفية في المنشآت الإنتاجية و الخدمية وآثار النظام الاقتصادي على البنية الاجتماعية الطبقية، ومظاهر الاستهلاك الترفي، وظاهرة

1 - كمال بومشير، المرجع سابق الذكر، ص 156.

2 - نفس المرجع، ص 157.

المد الإسلامي (الأصولي) وكلها موضوعات لم يستطع البحث السوسولوجي في الجزائر أن يصغها في صلب اهتماماته بعد.

- دراسة "واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي" للدكتور جمال معتوق⁽¹⁾.

تناول الدكتور الباحث جمال معتوق في دراسته، مختلف الآراء حول موضوع علم الاجتماع ومجالات تطبيقه ومكانته في المجتمعات العربية، حيث تعتبر دراساته حول علم الاجتماع الواقع والآفاق من أكثر الدراسات العميقة و الدقيقة في هذا المجال، فيرجع سبب وجود الدراسات الاجتماعية أو دراسات علم الاجتماع في الأوطان العربية، إلى الاستعمار الغربي للمجتمعات العربية للمجتمعات العربية، من أجل معرفة ثقافتها و تاريخها للتحكم بها ، كما تطرق إلى فكرة الاغتراب للعلم معه نفسه كعلم ، و تطرق أيضا إلى التحيز الأيديولوجي للمشتغلين بعلم الاجتماع، من حيث إعادة إنتاج النظريات الغربية على حساب واقع مجتمعاتهم.

ولقد انطلق من دراسته من التساؤل التالي:

• هل هناك علم اجتماع عربي عامة ومغربي خاصة؟ وإذا كان هناك علم اجتماع مغربي، ماهي حدوده والانجازات التي حققها داخل هذه المنطقة؟ وفي حال غيابه فلاي سبب يرجع ذلك؟

ترجمت هذه الإشكالية إلى مجموعة من الفروض كانت كما يلي:

- تتأثر وضعية علم الاجتماع داخل البلدان المغربية بظروف المعيشة للمشتغلين.
- تفسر وضعية هذا العلم داخل هذه الدول بغياب الأنساق المعرفية، القادرة على بناء
- التركيبة العلمية الفعالة لفهم واقع وطموحات هذه المنطقة.
- لكل من المضايقات والانحصار الديمقراطي وغياب حرية التعبير، والتحيز الأيديولوجي للمشتغلين بهذا العلم علاقة بالوضعية داخل هذه البلدان.

1-جمال معتوق، واقع علم الاجتماع في المغرب العربي، دراسة ميدانية بالجزائر، تونس والمغرب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي، (غير منشورة)، جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، الجزائر، 1998-1999.

• تتأثر وضعية هذا العلم داخل البلدان المغاربية بالقيمة والمكانة التي يمتاز بها لدى المشتغلين به.

• تفسر وضعية علم الاجتماع والمشتغلين في داخل البلدان المغاربية، بغياب الاتصال وتبادل الخبرات بين الاجتماعيين المغاربة، والاكتفاء بالاستيراد الكلي للمنتوج المغربي.

• يعود غياب الطلب على الخدمة السوسولوجية داخل البلدان المغاربية، إلى انعدام العرض من قبل المشتغلين بهذا العلم.

ومن خلال استخدام الاستبيان، حيث تضمن 53 سؤالاً موزعاً على 07 محاور، فأسفرت الدراسة الميدانية على النتائج التالية:

الفرضية الأولى: تتأثر وضعية علم الاجتماع بظروف المشتغلين.
توصل الباحث إلى ما يلي:

- وجد أن أغلبية المشتغلين بالحقل السوسولوجي وفي البلدان الثلاثة، ذكور بنسبة 81% بالمقابل 19 بالمائة من العينة من الإناث.

- أثبتت الدراسة أن الأساتذة المكلفين بالدروس أعلى نسبة بالجزائر، وأن النسبة تقل في المغرب وتونس، وهذا ما أرجعه الباحث إلى أنه في هذه البلدان، تتم سيطرة الجيل الأول على الساحة السوسولوجية مع صعوبة التوظيف.

- من خلال الدراسة وجد الباحث أن نسبة 42 بالمائة من العينة، تفوق خبرتها 10 سنوات.

- لاحظ أن المبحوثين الجزائريين يسكنون شققاً، والمبحوثين التونسيين يسكنون فيلات وكذا المغرب، ومنه فإن الوضعية السكنية للمبحوثين في المغرب وتونس أحسن بكثير منها في الجزائر.

الفرضية الثانية : تفسير وضعية هذا العلم بداخل هذه الدول بغياب الأنساق المعرفية، القدرة على بناء التركيبة العلمية الفعالة لفهم واقع وطموحات هذه المنطقة.

توصل الباحث إلى ما يلي:

- لاحظ أن هناك 03 نماذج لعلم الاجتماع في البلدان الثلاث، ففي الجزائر علم الاجتماع الأيديولوجي بنسبة 64، 63 بالمائة، في تونس علم الاجتماع يبحث عن نفسه وليس حاسما اتجاه تقييم الممارسة السوسيولوجية العربية عموما، و المغربية على وجه الخصوص بنسبة 42، 71 بالمائة، أما في المغرب فهو علم تقنوقراطي لا يتعدى مجال الجامعة و المكتبات.

- كما استنتج الباحث أن اهتمامات المستغلين تختلف من بلد إلى آخر، فهناك ترتيب الاهتمام بالقضايا في الجزائر يظهر بالشكل التالي:

أولا القضايا التنموية، ثانيا: القضايا الاجتماعية، ثالثا: القضايا السياسية وهي آخر اهتماماتهم، على عكس تونس والمغرب وهو ما يدل على تنوع السوسيولوجيا وتوسعها في الجزائر.

إستنتج أيضا الباحث، أن غياب علم الاجتماع في البلدان العربية والمغربية خاصة، يعود إلى ظروف سياسية وإلى التقصير من قبل المشتغلين، أو انه لم يفرض نفسه كعلم حيث اتفق المبحوثون على أنه إرث كولونيالي.

الفرضية الثالثة: لكل من المضايقات والانحصار الديمقراطي وغياب حرية التعبير والتحيز.

وجد الباحث أن المضايقات التي يتعرض لها الباحث (شتم، توقيف عن العمل) تمثل نسبة 45، 45 بالمائة مقابل 28، 27 بالمائة لم يجيبوا بسبب عدم الشعور بالراحة وفقدان حرية التعبير...، وبالتالي فان هذه المضايقات تؤثر سلبا على علم الاجتماع في هذه البلدان.

الفرضية الرابعة: تتأثر وضعية هذا العلم داخل البلدان المغربية، بالقيمة والمكانة التي يمتاز بها هذا العلم لدى المشتغلين به.

وجد الباحث نسبة 65 بالمائة من مجموع الباحثين غير راضين عن مهنة التدريس، و نسبة 44 بالمائة سترك المهنة، فاستنتج الباحث من مختلف النسب أن وضعية علم الاجتماع مرتبطة بالمعنى والقيمة التي يكتسبها المشتغلين به، ونظرا لأن أغليبيتهم لم يمارسوا هذه المهنة عن قناعة، فبالتالي أثر ذلك سلبا على وضعيته.

الفرضية الخامسة: تفسر وضعية علم الاجتماع والمشتغلين به داخل البلدان المغاربية، بغياب الاتصال وبناء الخبرات بين الاجتماعيين المغاربية، والاكتفاء بالاستيراد الكلي للمنتوج الغربي.

وجد البحث أن 68 بالمائة من المبحوثين لم يشاركوا في الندوات واللقاءات العلمية، وكذا المؤتمرات داخل البلدان المغاربية، ووجد نسبة 32 بالمائة ممن قاموا بذلك وهي إحدى عوائق عملية الاتصال وتبادل الخبرات والآراء.

وجد الباحث أيضا أن نسبة 73 بالمائة لم يقم بمطالعة الإنتاج السوسيولوجي المغاربي، ونسبة 27 بالمائة ممن قاموا بذلك، وأرجع ذلك إلى العقدة الدونية لكل ما هو محلي القطيعة مع دور النشر، المواضيع المتناولة غير مهمة، غلاء الكتب.

الفرضية السادسة: يعود غياب الطلب على الخدمة السوسيولوجية داخل البلدان المغاربية، إلى انعدام العرض من قبل المشتغلين بهذا العلم.

وجد الباحث أن نسبة 68 بالمائة ليس لديهم إنتاج سوسيولوجي في مجال الكتب والدراسات العلمية، و14 بالمائة ممن لديهم إنتاج وحسبة فان السبب يعود إما لدور النشر وطابعها التجاري، أو يرجع للسوسيولوجيا نفسها أو يرجع للسلطة والمجتمع.

وفي الأخير استنتج الباحث من كل هذه الدراسة، أنه لا وجود لعلم اجتماع مغاربي، بل هناك علم لا يرتبط بواقع وطموحات المنطقة، فهذا العلم هو علم وليد مجتمعات غربية، تختلف كل الاختلاف عن المجتمعات المغاربية التي لها ثقافتها وخصوصيتها.

- دراسة "السوسيولوجية والنخبة في الجزائر" للباحثة جميلة شلغوم⁽¹⁾.

تناولت الباحثة جميلة شلغوم في دراستها مسألة النخبة في علم الاجتماع، وإسقاط هذين المفهومين على الواقع الاجتماعي، لمعرفة علاقتهما ببعضهما من خلال البحث عن أدوار كل منهما، ودورهما معا في المجتمع الجزائري.

فالدراسة كانت محاولة للتحقق من بعض المسائل المرهونة بعلم الاجتماع في الجزائر، ومعرفة واقع الحقل السوسيولوجي، انطلاقا من معرفة عناصره ومكوناته. ولقد انطلقت الدراسة من خلال التساؤل التالي:

ماهي طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع والنخبة في الجزائر؟

ترجمت هذه الاشكالية من خلال مجموعة من فروض كانت كمايلي:

• المشتغلون بالحقل السوسيولوجي في الجزائر، لا يمتلكون نخبة بناء على المقومات الخاصة بالنخبة.

• المشتغلون بالحقل السوسيولوجي في الجزائر مجرد موظفين ومدرسين جامعيين.

• الخدمة المقدمة من قبل المشتغلين بعلم الاجتماع، تقتصر على تلقين المعارف دون تجديدها أو الإضافة فيها.

• لمكانة علم الاجتماع والمشتغلين به، علاقة بالمنتج السوسيولوجي في الجزائر.

أسفرت الدراسة على النتائج التالية:

الفرضية الاولى: المشتغلون بالحقل السوسيولوجي في الجزائر، يمتلكون نخبة بناء على المقومات الخاصة بالنخبة، توصلت الباحثة الى ما يلي:

- أن هناك تنوعا كبيرا في الفئات التي التحقت بعلم الاجتماع في الفترة الاخيرة، تسوده سيطرة الاناث على جميع التخصصات بنسبة 51.72 بالمائة، وبالتالي ظهور جيل جديد له خصوصية تابعة من الخصوصية التي يعطيها المجتمع الجزائري للمرأة الجزائرية.

1 جميلة شلغوم، السوسيولوجيا والنخبة في الجزائر، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، (غير منشورة) جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، جامعة ورقلة، 2011-2012.

- يعاني الحقل السوسيولوجي في الجزائر، من عملية تعبئة المشتغلين به مواقع التعليم والتدريس.

- تدني مستوى التظاهرات العلمية، كالدورات والملتقيات في أدائها للأدوار المنوطة بها علميا ، فهي لا تشجع على تخريج عناصر قادرة على الاجتهاد الفكري و المعرفي الخاص، مما يؤدي إلى تضيق الخناق على الممارسة السوسيولوجية، ليبقى دور المشتغلين في معظم الأحوال لا ينحصر إلا على التدريس و التلقين والتأطير.

- الرأسمال العلمي في الحقل السوسيولوجي في الجزائر، يوظف لتحقيق مطالب اجتماعية، سياسية و اقتصادية، بغض النظر عن محتوى الأهداف التي أسس من أجلها، فلا يوظف من أجل تحقيق مطالب عملية معرفية، تسعى للكشف عن الوضعية المزرية لعلم الاجتماع، وبذلك تصبح السوسيولوجيا أداة طيعة لخدمة المصالح الخاصة لا أداة للعلم و المعرفة.

ومن خلال المؤشرات المتحصل عليها من خلال النتائج السابقة، توصلت الباحثة إلى القول أن المشتغلين في الحقل السوسيولوجي بالجزائر لا يمثلون نخبة. الفرضية الثانية: المشتغلون بالحقل السوسيولوجي في الجزائر مجرد موظفين ومدرسين جامعيين.

توصلت الباحثة الى النتائج التالية:

- عدم وجود علاقة بين المنهاج التعليمي والواقع الاجتماعي حسب الدراسات بنسبة 78.85 بالمائة ، مما يجعل من عملية نقل المعارف دون تطبيقها ميدانيا ، عملية روتينية ، اي القيام بعملية التدريس فقط ، لكونها تابعة عن عملية نسخ ممارسة سوسيولوجية غريبة، و لا تصلح أن تطبق على الظواهر و القضايا المتعلقة بالمجتمع الجزائري، فطور التعليم هنا يساهم في توعية الإنسان و ترقية نظرته إلى العلم من حوله.

- توصلت الباحثة أيضا إلى نتيجة مفادها، أن علاقة المشتغلين بالحقل السوسيولوجي في الجزائر، تقتصر على كون علم الاجتماع مجرد وسيلة لتحقيق مصالح خاصة بالدرجة

الأولى بنسبة 32.69 بالمائة، مما يعني انعدام التوجيه السوسولوجي سواء بالنسبة للمجتمع أو بالنسبة للسلطة والمؤسسات الرسمية، الشيء الذي يؤدي إلى انعدام مصداقية علم الاجتماع وواقعيته.

- استنتجت الباحثة أيضا وجود قطيعة بين المشتغلين بعلم الاجتماع كمثلتي الجامعة الجزائرية، وباقي القطاعات والمؤسسات الخدمائية بنسبة 46.15 بالمائة، يحكمها تموقع وتوقع المشتغلين دون السعي إلى المبادرة منهم، وسعي القطاعات إلى أداة تأهيل دورهم في التفكير والمساهمة.

ومن خلال المؤشرات المتحصل عليها من طرف الباحثة و تفكيك النتائج السابقة، أمكن القول أن المشتغلين في الحقل السوسولوجي في الجزائر هم بالدرجة الأولى مجرد موظفين ومدرسين.

الفرضية الثالثة: الخدمة المقدمة من قبل المشتغلين بعلم الاجتماع، تقتصر على تلقين المعارف دون تجديدها أو الإضافة فيها.

توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- أغلب المبحوثين يرون أن الممارسة السوسولوجية في الجزائر، غير مقبولة بنسبة 73.07 بالمائة و التي تقيدها جدران الجامعة.

- أغلب المبحوثين يرون أنه لا تضطلع طرائق التدريس بالسوسولوجيا في الجزائر بالممارسة الفعلية، بل شكلية غير قادرة على نقد أساليب استغلالها البيداغوجية الهشة التي سيطر عليها الإلقاء والنقل.

- عجز المشتغلين بعلم الاجتماع في الجزائر عن الخروج عن دائرة التخلف والقهر السياسي، الأمر الذي دفع دراساتهم إلى الإبتعاد إلى المجالات الوصفية، والدفع بهم إلى تقديم تصور عن قضيتهم الأساسية، المتمثلة في دورهم كسوسولوجيين، قادرين على تغيير وضعهم ووضعية عملهم، فأغلب مبحوثي العينة يرون ان المشتغلين بعلم الاجتماع غير واعين بوضعية عملهم بنسبة 40.38 بالمائة.

وخلصت الباحثة أنها وجدت أن الخدمة المقدمة من قبل المشتغلين بعلم الاجتماع في الجزائر، لا تتعدى عمليات نسخ ونقل المعارف السوسولوجيا الغربية دون مراعاة للواقع الاجتماعي الجزائري.

الفرضية الرابعة: لمكانة علم الاجتماع والمشتغلين به، علاقة بالمنتج السوسولوجي في الجزائر.

توصلت الباحثة الى الإستنتاجات التالية:

- يصنف علم الاجتماع أكاديميا واجتماعيا في أسفل قائمة العلوم في الجزائر، بسبب ضعف الإنتاج السوسولوجي الذي تتحكم فيه ضعف الممارسة السوسولوجية.

- يتحكم بتصنيف علم الاجتماع لكونه علم غير منتج في الجزائر، غياب الدور الفعلي والجاد لأغلب المشتغلين به، الذين لديهم صلة في ضعف الإنتاج، بسبب تقصيرهم وعدم تمكنهم من فهم دورهم الاجتماعي، الذي يهدف علم الاجتماع لترسيخه.

- تنعكس الأوضاع الاجتماعية المهترئة على طبيعة المنتج العلمي الخاص بالسوسولوجيا، الذي جاء يحمل العديد من السمات المرتبطة باهتراء الواقع المعيشي فلم يشكل هذا المنتج في الكثير من الأحيان، إضافة حقيقية لفهم الواقع الاجتماعي المحلي بتجلياته وتحولاته المختلفة، حيث جاء إما استنساخا كاملا من بحوث سابقة، أو تقليدا باهتا لمناهج ونظريات غربية، وعلى ما يبدو تقول الباحثة أن حالة الضعف الإنتاجي على المستوى المادي، لا تنفصل بدرجة أو بأخرى عن حالة الضعف الفكري، فكلاهما مرتبطان ببعض، فمعركة الاستقلال العلمي داخل المؤسسات العلمية والأكاديمية غير كاف ، بل هي بحاجة إلى تضافر جهود وتنسيق عمليات وخطوات كثيرة على مستويات تعليمية وإعلامية وثقافية وسياسية.

وفي الأخير خلصت الباحثة إلى القول، أن ضعف الإنتاج السوسولوجي يؤثر على مكانة السوسولوجيا، فكلما كان الإنتاج جيدا، كلما حظي علم الاجتماع والمشتغلين به، بالمكانة المرموقة التي تخولهم للتأثير على المجتمع.

فرضيات الباحثة الأربعة كلها تحققت.

وتوصلت لإستنتاجات عامة أهمها أن علم الاجتماع في الجزائر يواجه عوائق متداخلة كثيرة، تمنعه من الوصول الى مبتغاه الفكري، لكن هذا لا يمنع أن تكون وضعية السوسيولوجيا في الجزائر أحسن بعض الشيء، عن مثيلاتها في الوطن العربي، لاحتوائها على مقومات فكرية وحضارية قادرة على تغيير نمطها، النابع من المجتمع الغربي إلى نمط نابع من المجتمع الجزائري.

وختمت الباحثة دراستها أن علم الاجتماع، هو أكثر العلوم رفضا في المجتمع، و تصنيفه يبقى عشوائيا اعتباريا دون معرفة قدراته كعلم، تعطى له الأولويات في أوروبا وعالم الغرب، لأنه وحسب بيير بورديو هو العلم الذي يزعج.

- دراسة "تأثير سياسة التعليم العالي على علاقة الجامعة بالمجتمع الجزائري - دراسة تحليلية تقييمية لنظام التعليم العالي في المجتمع الجزائري" للباحثة أمينة مساك⁽¹⁾.

تناولت الباحثة في دراستها، دور الجامعة الجزائرية في المجال السياسي والاقتصادي الجديد، وبصورة عامة ضمن مشروع المجتمع الذي ترسم معالمه، إضافة إلى مدى مساهمة البحث العلمي من خلالها، في سيرورة التنمية الشاملة للمجتمع الجزائري.

وسعت الباحثة إلى ترجمة هذه الإشكالية إلى مجموعة من الفروض كانت كما يلي:

الفرضية الأولى: عدم وضوح سياسة التعليم العالي من المنظور الرسمي لدور الجامعة، ينعكس على مسيرتها للمحيط الخارجي، مما يؤثر في تمثل المجتمع لها.

الفرضية الثانية: يحدد النمط البيروقراطي للنظام الجامعي، مدى فعالية وظيفة البحث

العلمي في علاقة الجامعة مع محيطها.

1- مساك أمينة، تأثير سياسة التعليم العالي على علاقة الجامعة بالمجتمع الجزائري، دراسة تحليلية تقييمية لنظام التعليم العالي في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي (غير منشورة)، جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، الجزائر، 2007-2008.

الفرضية الثالثة: ينعكس عدم إدراج التغيير الخارجي للجامعة، في سياسة التعليم العالي، على مدى استجابتها لسوق العمل.

الفرضية الرابعة: تأثر الجامعة الجزائرية بالتغيرات الخارجية العالمية، يحدد نمطا جديدا ينعكس على مشروعها التكويني والعلمي.

توصلت الباحثة من خلال استخدام الاستبيان والمنحنيات البيانية إلى النتائج التالية:

- أن الجامعات تتنوع وظائفها حسب اهتماماتها بما يوافق طبيعة المجتمعات التي تنتمي إليها، ونوعية سياساتها التعليمية والاقتصادية والسياسية، فالجامعات في الغرب لم تعد جامعات يقتصر فيها التدريس فقط، بل اعتبرت كمراكز للبحث العلمي والتحديث.
- أن طبيعة العلاقة بين الجامعة والمحيط الذي تنتمي إليه، يعبر في الوقت ذاته عن طبيعة الجامعة وذلك المحيط.

تلخص الباحثة أنه في إطار علاقة الجامعة بالمجتمع، أن الجامعة تساهم في تنمية مجتمعه وتعمل على حل مشاكله، فلا ينبغي أن ينحصر دورها داخل جدرانها بل ينبغي أن يمتد ليشمل المحيط التي توجد ضمنه.

ووضحت الباحثة من خلال النتائج، وجود تمثل اجتماعي للجامعة مبني بشدة من طرف الأساتذة، المبحوثين والمستجوبين حول النواة المركزية ذات الأربعة أبعاد وهم:

1. مستوى علمي متدني.

2. غياب البحث العلمي.

3. عدم ربط البرامج الأكاديمية بالواقع الاجتماعي ومتطلباته.

4. غياب علاقة الجامعة مع المحيط.

وختمت الباحثة دراستها إلى مفارقة ملفتة للنظر، وهي أنه في الوقت الذي تحافظ فيه الأنظمة التعليمية، على تقاليد النظم السائدة في المجتمع وتدافع عنه، نجد تقول الباحثة أنها تهيء هذا الأخير للتكيف مع المتغيرات الجديدة، وتنتج أحيانا فيها مخالفة لما كان موجود فيها، حيث يتعين على أي نظام تعليمي أن يعكس خصائص مجتمعه، وتعتبر الجامعة

نظاما خاصا من أنظمة التفاعل الاجتماعي، وحتى تصبح الجامعة منتجة عليها أن تربط بين البحث العلمي في إطارها، وخدمة المجتمع التي تنتمي إليه.

تعرض الباحثة في خاتمتها بعد الدراسة الميدانية، مشاكل الجامعة والمتعلقة بالتسيير البيداغوجي وأخرى متعلقة بالتسيير الإداري وأيضا بمخرجات الجامعة، ومشاكل تتعلق بغياب التقييم، وغياب العلاقة والتوازن بين مدخلات ومخرجات الجامعة، وتقتصر الباحثة ضرورة الإصلاح العقلاني والرشيد الذي يأخذ في الحسبان للواقع المعاش، من خلال الربط بين الجامعة والمجتمع، وانسجامها من حيث التنظيم واختيار التخصصات اللائقة للمستقبل.

وإعادة النظر في قطاع التعليم العالي على أساس أنه استثمار استراتيجي وتخصيص إمكانيات مادية للبحث العلمي، والانتقال من اقتصاد علم الكم للتفكير في النوعية.

تشير أيضا في خاتمة دراستها، إلى إعادة الاعتبار المعنوي والمادي للأستاذ، وإعطاء الأولوية البيداغوجية (للأستاذ) وعدم هيمنة الجانب الإداري.

وإعادة النظر في التسيير العام لنسق التعليم العالي، من خلال تصور قانون أساسي لمؤسسات التعليم والبحث وما يتبعه من قانون خاص بالأستاذ الباحث.

- دراسة تحت عنوان "في مفهوم النخبة"، للباحث الأكاديمي علي وطفة، احتوت على مقدمة بين فيها الباحث أهمية التطرق إلى:

دراسة البروفيسور الكويتي علي أسعد وطفة تحت عنوان في مفهوم النخبة- وهي مقالة إلكترونية، عرض فيها الباحث مقدمة ثم إشكالية الدراسة، ثم يطرح أفكار الدراسة في عناوين متسلسلة، فمن تعريف النخبة لغة، إلى إعطاء لمحة تاريخية عن النخبة، إلى منطري النخبة، وكيف تناولوا النخبة بالدراسة والتعريف، على حسب تخصصه في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتتنوع وتعدد نظريات النخبة، نتج عنه، اتجاهات فكرية في تناولهم التنظيري.

ثم ينتقل إلى توضيح خصائص النخبة، ثم يستعرض نماذج نخبوية، من هذه النماذج يتطرق، إلى النخبة السياسية، النخبة الدينية، النخبة الثقافية.

ويختم هذه الدراسة بأن أكد على أن مفهوم النخبة يبقى واحدا من المفاهيم الدينامية، التي تميز بطابع الانفتاح الشامل والدائم، على مختلف المحاولات العلمية، التي كرس وتكرس.

فقد حاول البروفيسور وطفة عبر هذه الدراسة، أن يكشف اللثام عن أبعد مفهوم النخبة بمفرده وجمعه، وقدم رؤية لهذا المفهوم عبر التاريخ الإنساني، وقد رسم حدود وأبعاد التعريفات اللغوية للمفهوم.

دراسات سابقة عن "الاغتراب":

- كتاب صدر عن النشر " كنوز الحكمة "، تحت عنوان "الإغتراب عند كارل ماركس"⁽¹⁾، من تأليف الباحثة الأستاذة وابل نعيمة وهي دراسة تحليلية نقدية.

المؤلف يحتوي على مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة.

تستعرض الباحثة في المقدمة الجذور الأولى لكلمة الاغتراب، وأن وجود هذه الظاهرة يمتد إلى عهد المجتمعات القديمة.

لكن تبين الباحثة أن غايتها الأولى في هذا البحث، تتعلق بمحاولة التحديد مفهوم الاغتراب.

كما ورد لدى كارل ماركس، وقبلها تذكر تفسير معنى الاغتراب لدى بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع الغرب، ابتداء بالفيلسوف الألماني هيغل، مروراً بتلميذه فيورباخ وتطرح الإشكالية كيف حاول كارل ماركس تحديد مفهوم الاغتراب، من خلال بحثه عن الأسباب الرئيسية المسؤولة عن ظهور الاغتراب في مياه الإنسان، والمحطة الفكرية الهامة التي شكلت فلسفة ماركس، وهو مصدر المد الفلسفي الرئيسين الذي استقى منه هذا الأخير مفهومه للاغتراب، أنهما معاصراه الألمانين: جورج فريدريك فيلهم هيغل، ولودفيغ فيورباخ.

1- وابل نعيمة، الإغتراب عند كارل ماركس- دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، 151 صفحة.

وهو ما دفع الباحثة إلى طرح هذه الإشكالية: ما الذي يميز مفهوم الاغتراب عند ماركس، عن مفهومي كل من هيغل وفيورباخ؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار طرحه طرحا جديدا مقارنة مع سابقه؟ وللإجابة الباحثة على هذه الإشكالية الفلسفية، تبنت المنهج المقارن والمنهج التحليلي استنتاجي ولعرض إشكالياتها والأفكار التي طرحتها، قسمت بحثها إلى ثلاثة فصول رئيسية، الفصل الأول يشتمل على ثلاثة مباحث، وهو بعنوان "السياق الفلسفي لفكرة الاغتراب". ولقد جاء فصلا تمهيديا، تطرقت من خلاله الباحثة، إلى إبراز الأصول النظرية لفكرة الاغتراب، لدى ماركس، كما وردت في فلسفة كل من هيغل (المثالية)، وفيورباخ (المادية). مبرزين في الوقت نفسه، صياغة ماركس الجديدة للفكرة والاعتراب، على ضوء نقده للفلسفتين السابقتين.

أما الفصل الثاني، فقد جاء بعنوان "أشكال الاغتراب عند ماركس"، وقد اشتمل هو الآخر على ثلاثة مباحث، حاولت الباحثة من خلالها التطرق إلى أهم الأشكال، التي تتجلى فيها ظاهرة الاغتراب، في حياة الأفراد. مستهلة المبحث الأول بالحديث عن الاغتراب الديني، على اعتبار أنه يمثل - بالنسبة إلى ماركس - النظرية العامة المبطنة، لكل النظريات الأخرى الموجودة في المجتمع، انتقالا إلى الاغتراب السياسي (المبحث الثاني)، وختاما بالاغتراب الاقتصادي، أساس الاغتراب كله (المبحث الثالث).

وفي الفصل الثالث، حاولت الباحثة، والذي جاء بعنوان "طرق تجاوز الاغتراب عند ماركس"، وهو يشتمل على مبحثين، التطرق إلى الحلول التي يراها ماركس كفيلة، بتجاوز ظاهرة الاغتراب، في المجتمع بكل تجلياتها. بدءا بالثورة الاشتراكية (المبحث الأول)، وهي المرحلة الأولى من النضال، الذي تقوده البروليتاريا ضد الرأسماليين.

وأخيرا، الثورة الشيوعية (المبحث الثاني)، وهي المرحلة الثانية والأخيرة لتحرير البشري الكامل، من كل مظاهر الاستعباد (الاعتراب).

وأنهت الباحثة بخاتمة خصصتها، لإبراز الاستنتاجات ومن أهمها: أن فكرة ماركس حول ماركس، لم تكن في شكلها ولا في مضمونها مجرد اجترار لفكرة سابقة مستهلكة فلسفياً

إنما كانت بمثابة اكتشاف فلسفي (الأسباب)، وعلمي (القوانين)، أثريا فلسفة الاغتراب بشكل عام، وطورها في اتجاه جديد.

ماركس كان له أيضا الفضل في اكتشاف، ذلك البعد المادي (أصل الاغتراب)، لظاهرة الصراع الاجتماعي التي عاشها الإنسان، عبر مراحل مختلفة من تاريخه. أفادتنا هذه الدراسة في تحليلنا لخلفيات وعمق.

- مؤلف لنوارة حسين تحت عنوان "المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير - سنوات من الجمر لسنوات من النار - من بداية القرن العشرين لغاية الاستقلال"⁽¹⁾

مقدمة الكتاب من البروفيسور المؤرخ محفوظ قداش.

المؤلف يحتوي على مقدمة، جزءان و خلاصة عامة.

فالأشكال التي اعتمدها واسعة جداً، حيث انطلقت المؤلفة من تعاريف متعددة لكلمة "مثقف" في التاريخ، وفي كل الدوائر الثقافية، حتى تتوصل إلى وضع الكلمة ودلالاتها في محلها، ضمن الدائرة الاجتماعية الثقافية الجزائرية.

حاولت المؤلفة إبراز في إشكالياتها ما يحمل المثقف على التحرك: فتساءلت: هل يدافع عن مبادئ المجموعة التي ينتمي إليها أو منطقته أو بلده؟ أو يدافع عن قيم تنطبق على جميع البشر، ولها بالتالي طابع كلي جامع؟

المؤلفة تجيب على كل تلك الأسئلة في الجزء الأول الذي يحمل عنوان: "المفهوم الثقافي تكوينه وخصائصه: معالم فلسفية". تتطرق دراسة النخب كمجموعات حضت بالرقى، لأنها تمثل خيرة المجتمع، خاصة في الأوساط السياسية والمهنية فهي تشير إلى تنوعها مقدمة عدة أمثلة، لتتطرق بعد ذلك إلى مختلف تعاريف مفردة "مثقف" وتبدلاتها، إنطلاقاً من جملة من المعطيات الفلسفية، المسمدة من قواميس ودوائر للمعارف؛ فرنسية؛

1 - نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير - سنوات من الجمر لسنوات من النار - من بداية القرن العشرين لغاية الاستقلال، ترجمة: سعيدي فتحي، دحلب، موفم للنشر، الجزائر، 2013، 438 صفحة.

كما تذكر المؤلفة فترات انكماش الثقافة العربية بعد التوسع العظيم بين القرنين الرابع والعاشر والصعوبات التي واجهت المثقفين العرب إبان الحقبة الاستعمارية، وأكثر من ذلك، الفوارق الكبيرة بين حدة المواضيع التي تعالج، الأصالة العربية الإسلامية، والقيم التقليدية، والهوية، والاحتشام، الذي ميز المواضيع الناقدة لأشكال السلطة، والمجتمع المدني.

المؤلفة تعرف المثقف، بأنه هو الذي يتصل بالإلزام بالمبادئ الكونية للعدل والحرية والمساواة، وتأكيدهما والدفاع عنها. فتلجأ في هذا الجانب الباحثة إلى أسماء كبيرة في علم الاجتماع والتاريخ والأدب، لتبين الحركية والتحويلات التاريخية للمثقفين، وتعرض مرتبتهم الإجتماعية، فهي تركز خاصة فصلا، معبراً للتحليلات البنوية والابستمولوجية الحالية التي عالجت هذه الإشكالية، وخاصة منها الدراسات الماركسية.

توصلت الباحثة في هذا الجزء الأول إلى نتيجة، تقدم عدة تعريفات للنخب الثقافية، تاركة إياها التقدير للقراء، وتواصل الباحث بتحليل حالة المثقفين الجزائريين.

في الجزء الثاني من هذه الدراسة تحت عنوان: " تعريف موقعي للمثقف، في السياق الاجتماعي التاريخي الجزائري "، تميز الباحثة، على حق، بين المتعلمين التقليديين، الذين ينتمون إلى ماضي، و المثقفين الحاليين، الذين واجهوا الاستعمار و عاشوا الاستقلال والعصرنة، والذين كانوا أمام اختيار عسير وخطير، يتعلق بالإلتزام؛ وبالتالي بالإختيار. أبرزت في الوقت نفسه، ضعف انتشار التعليم، والعدد القليل الزهيد من الطلبة، الذين كانوا يقبلون آنذاك بالجامعات الفرنسية، وقلة حاملي الشهادات ومن ثم قلة المثقفين الجزائريين.

فنتساءل الباحثة في هذا السياق وهذا الذي دفعنا على الاهتمام بهذه الدراسة، والتي كانت تعني في جوانبها، بعض الأفكار التي ساعدتنا في استنباط بعض المعاني عن النخبة المثقفة أثناء الحقبة الاستعمارية - والدور الذي لعبه هؤلاء القليلون من حاملي الشهادات، وهؤلاء الطلبة الثانويون، من خلال فترة نمو الحركة الوطنية الجزائرية.

تجيب الباحثة على سؤال دور هذه النخبة، بإشارتها إلى مشاركة بعض منهم في إعادة هيكلة المجتمع، بالمشاركة النشيطة في بعض منهم في إعادة هيكلة المجتمع، بالمشاركة

النشطة في " المدرسات " والنوادي والصحافة. نجد مثقفين في الأحزاب وجمعيات الحركة الوطنية، ولكن بعددٍ قليل، يمكن ذكر أسماء نادرة أصبحت شهيرة، مثل أسماء قادة الأحزاب السياسية ورجال نددوا في كتاباتهم وبعلمهم السياسي بالظلم الاستعماري، كلهم يمثلون طلائع التكتلات الإصلاحية، أكثر منه عند الاستقاليين.

إستفدنا من هذه الدراسة في هذا الجزء، عند بعض المسائل التي استقطبت المناقشات، بشأن مواقف المثقفين من حرب التحرير الوطنية.

نجد أيضا عدة نصوص أدرجت في هذه الدراسة، منها استجابات حول كتابة التاريخ عامة، وتاريخ حرب التحرير الوطنية خصوصا،

إن الخاتمة العامة لهذه الدراسة، تكشف بوضوح العدد القليل من المثقفين الجزائريين، مع مميزات سلبيتين: عددهم القليل من جهة، وضعف الالتزام من جهة أخرى، نجد هذا الضعف الكمي تفسيره في السياسة الاستعمارية، انعدام القدرة على تكوين مجموعة من المثقفين الناقدين، وإنتاج فكر حول المسألة الوطنية، يؤدي إلى تفهم عدم التزامهم في الحركة الوطنية الثورية وحرب التحرير الوطنية.

وتخلص الباحثة في القول، أن المثقفين الجزائريين، الأسطورة التحولات الزينغ، إثارة لتاريخ المثقفين بصورة عامة، ولتاريخ المثقفين الجزائريين بصفة خاصة، بالنظر لإضاءتها بتحليل اجتماعية دقيقة، تعتمد على العديد من المراجع.

- دراسة واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي لـ جمال معتوق⁽¹⁾:

تناول الدكتور الباحث جمال معتوق في دراسته مختلف الآراء حول موضوع علم الاجتماع ومجالات تطبيقه ومكانته في المجتمعات العربية، حيث تعتبر دراساته حول علم الاجتماع الواقع والأفاق من أكثر الدراسات العميقة والدقيقة في هذا المجال.

فيرجع سبب وجود الدراسات الاجتماعية أو دراسات علم الاجتماع في الأوطان العربية إلى الاستعمار الغربي للمجتمعات العربية من أجل معرفة ثقافتها وتاريخها للتحكم بها، كما تطرق إلى فكرة اغتراب العلم مع نفسه كعلم، وتطرق أيضا إلى التحيز الأيديولوجي للمشتغلين بعلم الاجتماع من حيث إعادة إنتاج النظريات الغربية على حساب واقع مجتمعاتهم. ولقد إنطلق في دراسته من التساؤل المحوري التالي:

- هل هناك علم اجتماع عربي عامة مغاربي خاصة؟ وإذا كان هناك علم اجتماع مغاربي، ماهي حدوده والإنجازات التي حققها داخل هذه المنطقة؟ وفي حال غيابه فلاي سبب يرجع ذلك؟

وترجمت هذه الإشكالية إلى مجموعة من الفروض كانت كما يلي:

- تتأثر وضعية علم الاجتماع داخل البلدان المغاربية بظروف المعيشة للمشتغلين.

- تفسر وضعية هذا العلم داخل هذه الدول بغياب الأنساق المعرفية القادرة على بناء

التركيبة العلمية الفعالة لفهم واقع وطموحات هذه المنطقة.

- لكل من المضايقات والانحصار الديمقراطي وغياب حرية التعبير، والتحيز

الأيديولوجي للمشتغلين بهذا العلم، علاقة بالوضعية داخل هذه البلدان.

- تتأثر وضعية هذا العلم داخل البلدان المغاربية، بالقيمة والمكانة التي يمتاز بهما

لدى المشتغلين به.

1 - جمال معتوق، واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي - دراسة ميدانية بالجزائر، تونس والمغرب، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي، (غير منشورة)، جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع، الجزائر، 1998-1999.

- تفسر وضعية علم الاجتماع والمشتغلين به داخل البلدان المغربية بغياب الاتصال وتبادل الخبرات بين الإجماعين المغربية والاكتفاء بالاستيراد الكلي للمنتوج الغربي.
- يعود غياب الطلب على الخدمة السوسيولوجية داخل البلدان المغربية إلى انعدام العرض من قبل المشتغلين بهذا العلم.

ومن خلال استخدام الاستبيان حيث تضمن 53 سؤال موزعا على 07 محاور، فأسفرت الدراسة الميدانية على النتائج التالية:

الفرضية الأولى: تتأثر وضعية علم الاجتماع بظروف المشتغلين به:

توصل الباحث إلى ما يلي:

- وجد أن أغلبية المشتغلين بالحقل السوسيولوجي وفي البلدان الثلاثة، ذكور بنسبة 81 بالمائة بالمقابل 19 بالمائة من العينة هم من الإناث.

- أثبتت الدراسة أن الأساتذة المكلفون بالدروس أعلى نسبة في الجزائر، وأن النسبة تقل في المغرب وتونس وهذا ما أرجعه الباحث إلى أنه في هذه البلدان تتم سيطرة الجيل الأول على الساحة السوسيولوجية مع صعوبة التوظيف.

- من خلال الدراسة وجد الباحث أن نسبة 42 بالمائة، من العينة تفوق خبرتها 10 سنوات.

- لاحظ أن هناك علاقة بين آراء المبحوثين ونوعية السكن، فالمبحوثين الجزائريين لا يملكون مكاتب خاصة وهي بنسبة 64.82 بالمائة، وهي أكبر نسبة للمبحوثين ككل. إضافة إلى ضعف الدخل بنسبة 57 بالمائة في الجزائر والمغرب، وتقل في تونس ولاحظ الباحث أن المبحوثين يتأثرون بضعف الدخل، وعدم وجود مكاتب خاصة بغياب الراحة النفسية.

الفرضية الثانية: تفسر وضعية هذا العلم داخل هذه الدول، بغياب الأنساق المعرفية

القادرة على بناء التركيبة العلمية الفعالة، لفهم واقع وطموحات هذه المنطقة.

توصل الباحث إلى ما يلي:

- لاحظ أن هناك 03 نماذج لعلم الاجتماع في البلدان الثلاث، ففي الجزائر علم الاجتماع إيديولوجي بنسبة 63.64 بالمائة، في تونس علم الاجتماع يبحث عن نفسه وليس حاسمان، اتجاه تقييم الممارسة السوسيولوجية العربية عموماً، والمغربية على وجه الخصوص بنسبة 71.42 بالمائة؛ أما في المغرب فهو علم تفنوقي لا يتعدى مجال الجامعة والمكتبات.

- كما استنتج الباحث أن اهتمامات المشتغلين تختلف من بلد إلى آخر، فهناك ترتيب الاهتمام بالقضايا في الجزائر يظهر بالشكل التالي:

أولاً: القضايا التنموية. ثانياً: القضايا الاجتماعية، ثالثاً: القضايا السياسية وهي آخر إهتماماتهم على عكس تونس والمغرب، وهو ما يدل على نوع السوسيولوجيا وتوسعها في الجزائر.

- كما استنتج أن غياب علم الاجتماع في البلدان العربية والمغربية خاصة، يعود إلى ظروف سياسية أو على التقصير من قبل المشتغلين، أو أنه لم يفرض نفسه كعلم حيث إتفق المبحوثين على أنه إرث كولونيالي.

- فيما يخص النظريات المعتمدة وجد الباحث، أن نسبة 58 بالمائة ترفض الاعتماد على التعامل مع الظواهر ومشاكل البلدان العربية، أما الباقي لا يعتمدون عليها.

الفرضية الثالثة: لكل من المضايقات والانحصار الديمقراطي، وغياب حرية التعبير، والتحيز الإيديولوجي للمشتغلين بهذا العلم، علاقة بالوضعية داخل هذه البلدان.

وجد الباحث أن المضايقات التي يتعرض لها الباحث (شتم، توقيف عن العمل...) تمثل نسبة 45.45 بالمائة مقابل 27.28 بالمائة، لم يجيبوا بسبب عدم الشعور بالراحة وفقدان حرية التعبير... وبالتالي فإن هذه المضايقات تؤثر سلباً على علم الاجتماع في هذه البلدان.

الفرضية الرابعة: تتأثر وضعية هذا العلم داخل البلدان المغربية، بالقيمة والمكانة التي يمتاز بهما هذا العلم لدى المشتغلين به.

وجد الباحث نسبة 65 بالمائة من مجموع الباحثين غير راضين عن مهنة التدريس، ونسبة 44 بالمائة سياترك المهنة؛ فاستنتج الباحث من مختلف النسب أن وضعية علم الاجتماع، مرتبطة بالمعنى والقيمة التي يكتسبها المشتغلين به، ونظرات لأن أغلبيتهم لم يمارسوا هذه المهنة عن قناعة، وبالتالي أثر ذلك سلبا على وضعيته.

الفرضية الخامسة: تفسر وضعية علم الاجتماع والمشتغلين به داخل البلدان المغربية بغياب الاتصال، وتبادل الخبرات بين الاجتماعيين المغربية، والاكتفاء بالاستيراد الكلي للمنتوج الغربي.

- وجد أن 68 بالمائة من المبحوثين لم يشاركوا في الندوات واللقاءات العلمية، وكذا المؤتمرات داخل البلدان المغربية؛ ووجد نسبة 32 بالمائة ممن قاموا بذلك؛ وهي إحدى عوائق عملية الاتصال وتبادل الخبرات والآراء.

- أيضا وجد نسبة 73 بالمائة لم يقيم بمطالع الإنتاج السوسيولوجي المغربي، ونسبة 27 بالمائة ممن قاموا بذلك. وأرجع ذلك إلى العقدة الدونية لكل ما هو محلي، القطيعة مع دور النشر، المواضيع المتناولة غير مهمة، غلاء الكتب.

الفرضية السادسة: يعود غياب الطلب على الخدمة السوسيولوجية داخل البلدان المغربية، إلى انعدام العرض من قبل المشتغلين بهذا العلم.

- وجد الباحث أن نسبة 68 بالمائة ليس لديهم إنتاج سوسيولوجي في مجال الكتب والدراسات العلمية، و14 بالمائة ممن لديهم إنتاج وحسبه فإن السبب يعود، إما لدور النشر وطابعها التجاري، أو يرجع للسوسيولوجيين أنفسهم، أو يرجع للسلطة والمجتمع.

وفي الأخير استنتج الباحث من كل هذه الدراسة، أنه لا وجود لعلم اجتماع مغربي، بل هناك علم لا يرتبط بواقع وطموحات المنطقة، فهذا العلم هو علم وليد مجتمعات غربية، تختلف كل الاختلاف عن المجتمعات المغربية التي لها ثقافتها وخصوصيتها.

- دراسة حول أزمة أم غياب علم الاجتماع لـ العياشي عنصر⁽¹⁾:

إن القول بان هذا العلم يواجه ويعيش أزمة أمر يوحي مباشرة بأنه عرف أياما وأوقات أفضل وأحسن، عرف فيها الازدهار والفعالية والتقدم النسبي، غير أن الواقع يثبت عكس ذلك، فعلم الاجتماع لم يعرف مثل هذه الأوقات إطلاقا ماعدا مدة محدودة....⁽²⁾.

يرى الباحث أن علم الاجتماع تتحكم به عدة عوامل وأسباب هي:

أولها: السيطرة السياسية على المجال العلمي: حيث يعيد هذه السيطرة إلى دور النخبة الحاكمة في تقييد علم الاجتماع، وهي أكبر مشكلة يتعرض لها علم الاجتماع في العصر الحالي.

ثانيها: ضعف التكوين في المجال السوسولوجي: حيث يرى أن ضعف وهشاشة التكوين قضية عامة وليست مقصورة على علم الاجتماع، ويعود هذا الأمر إلى مجموعة من الأسباب:

- ضحالة التكوين متمثلة في الذخيرة التي يتحصل عليها الطلبة من معارف ومعلومات، تتعلق بالجوانب المختلفة بتخصصهم، سواء تعلق ذلك بالجوانب النظرية أم المنهجية.

- مستوى التحكم في المفاهيم والمصطلحات واستخدام لغة متخصصة.

- من مظاهر ضعف التكوين أيضا، تدني وتقلص المهارات والقدرات التطبيقية، المتعلقة بإنجاز البحث أو الدراسة أو أي عمل شخصي.

- ضعف التكوين له تأثير مباشرة على التحصيل ونوعيته، حيث أن العديد من الطلبة لم يكتسب خلال سنوات المطالعة، والدراسة، والقراءة، الاقتباس إلا القليل.

من العوامل التي أدت على تدهور وضعية علم الاجتماع في الجزائر ما يلي:

- التزايد الهائل لأعداد الطلبة، ففي أواخر التسعينيات أصبح العدد حوالي مائة ألف

طالب وطالبة.

1 - العياشي عنصر، نحو علم اجتماع نقدي، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص. 63-81.

2 - المرجع السابق، ص 63.

- ضعف الموارد منها فقر المكتبات الجامعية، وافتقادها لأحدث كتب علم الاجتماع والمجلات العلمية المتخصصة، إضافة إلى انعدام فرص التدريب العلمي والميداني.

- ضعف المنظومة التعليمية لمرحلة ما قبل التعليم الجامعي.

- فقدان الجامعة والتعليم المصدقية التي كانت لهما في المجتمع سابقا.

- نقص تأهيل بعض الأساتذة وهيئة التدريس، سواء من حيث الكفاءة التربوية أو من

حيث الكفاءة التربوية، أو من حيث المعارف المتخصصة.

ثالثا: إنغلاق المجتمع وعدوانيته: وهو عامل يمثل حاجزا أمام ظهور علم الاجتماع

وتطوره في الجزائر، وهو الموقف العدائي الذي يتخذه المجتمع، والرفض الذي تقابل به كل محاولة جادة، لتفسير أغواره وفهم آليات سيره.

رابعا: إهمال البحث وتهميشه: حيث يرجع إهمال البحث في الجزائر إلى

الأسباب التالية:

- إنعدام سياسة واضحة في ميدان البحث العلمي عموما، وعلم الاجتماع خصوصا.

- ضعف الوسائل والإمكانات المتخصصة للبحث وانعدامها في بعض الأحيان،

وغياب هياكل بحث مرنة ومستقلة، وانعدام المنشورات والمجلات المتخصصة.

- إنعدام حرية التعبير وممارسة الرقابة بأشكال متعددة، فكثير ما رفضت مشاريع بحث

وأعمال ذات مستوى علمي عالي، لا لشيء سوى لأنها اعتمدت المقاربة النقدية.

فالباحث الجزائري العياشي عنصر يرى أنّ أصعب ما يتعرّض له علم الاجتماع

الجزائري اليوم، إنّما يتمثل في سيطرة السلطة السياسية، التي سعت تحت شعار " تأسيس

علم إجتماعي ملتزم بقضايا المجتمع " إلى بسط نفوذها على هذا الفرع الهام من فروع

المعرفة؛ وقد قَبِلَ علم الاجتماع هذا الدور الإمتثالي، مكتفياً يلعب دور الصدى للقراءات

والإجراءات السياسيّة، وتبرير سيطرة القوى الاجتماعية التي بيدها الحكم.

"لقد أدى الخلل بين الإلتزام والامتثالية، إلى فقدان علم الاجتماع في الجزائر، لكل مصداقية"⁽¹⁾.

- أقام ناصر جابي دراسة حول النخب السياسية في الجزائر، بعنوان: "الجزائر: الدولة والنخب"⁽²⁾، في مقدمة وثمانية محاور.

حلل فيها النشاط السياسي في الجزائر، منذ ظهوره خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وصولاً إلى الوقت الحاضر المتميز بالاحتقان، الذي أدى إلى المجابهة المسلحة بين الجزائريين؛ كما قدم الكاتب في هذا الكتاب "مفهومين" بارزين، كمفتاح لفهم الواقع السياسي وهما: 1- إنقسامية النخبة، والمفهوم الثاني: قطاعية الدولة؛ وهي إشارة إلى قضية الإزدواجية اللغوية، المترتبة عن عهد الاستعمار، التي قسمت المثقفين الجزائريين إلى معربين، متعلمين باللغة الفرنسية. ثم سرعان ما تجلت آثار هذا الوضع غير الطبيعي، على تسيير ثورة نوفمبر التحريرية (الجيش والحكومة المؤقتة)، لتنتقل تداعياتها إلى تسيير هياكل الدولة الجزائرية.

- دراسة محفوظ سماتي المعنونة: "النخب الجزائرية أثناء الاستعمار"⁽³⁾.

هي دراسة سوسيو تاريخية لمجموعة من النخب الجزائرية في الفترة الاستعمارية. ولقد حدد الكاتب ثلاثة نخب هي: النخبة الإرسقراطية أو الجواد "l'élite Aristocratique" النخبة البرجوازية (الحضر) "l'élite Bourgeoise" والنخبة المرابطية "l'élite Maraboutique".

ليتكلم في الأخير عما سماه " النخبة الجديدة "، والتي كانت نتاج جهود الشباب الجزائري، خريج المدارس الفرنسية؛ أما في ما يخص النخبة الدينية التي تطرق لها الأستاذ

1 - العياشي عنصر، أزمة علم الاجتماع، مجلة المستقبل العربي، السنة 13، العدد 137، 1990، ص. 41.

2 - ناصر جابي، الجزائر: الدولة والنخب، منشورات الشهاب، الجزائر، 2008.

3 - Mahfoud Smati, les élites algériennes sous le colonisation, Ed Dahlab, Réghaia, Algérie, 2009.

سماتي، والمتمثلة كما أسلفنا في نخبة المرابطين وشيوخ الزوايا؛ فإن الباحث قد تطرق إلى التعريف بأصول ونوعية المرابط، والتعريف بالمفهوم، الشخصية، عوامل القوة...)، وسلم التراتب والزوايا. كما عرض كلا الموقفين الذين عرفت بها الزوايا، من خلال زعمائها وشيوخها من الاستعمار الفرنسي (المقاومة/المساندة). ليقوم في الأخير بوضع تصنيف لهذه الفئة (المرابطين)، من النخب الدينية الجزائرية كالتالي: المرابط المحارب، المرابط المربي، المرابط الإصلاحية.

- دراسة عبد الرحيم العطري حول: "صناعة النخبة في المغرب"⁽¹⁾.

والنخبة التي يحدثنا عنها الكاتب، هي الأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات الطلابية، والمصالح الخاصة والأسر الكبرى، والقبائل، والضباط، والعلماء والشرفاء، التي غالبا ما يكون قادتها من الموظفين السامين في الحكومة أو الوزراء. يخصص الكاتب فصله السادس والأخير للنخبة العسكرية، لا يكفي الباحث بتناول النخبة السياسية، والحزبية، والثقافية، بالمغرب، ولكنه يخصص فصلا للنخبة الدينية، وسعي المخزن لترويضها.

وضع المؤلف تحت العنوان الرئيسي عنوانا، يفسر فيه مؤلف باللغة الفرنسية وهي دراسة سوسيو تاريخية مشتركة⁽²⁾، تحت عنوان " النخبة الجزائرية - تاريخ ووعي الطبقات، من حرب Des Tranchées إلى حرب الرمال- ظهور و Dissolutions النخب السياسية 1926-1947، الشعبوية الثورية من 1949 إلى 1962.

وهو كتاب من 263 صفحة، مؤلف من جزئين: الجزء الأول يتعرض للمتقنين الجمعيين من سنة 1926 إلى غاية 1936. وفي هذا الجزء يستعرض الباحثون تاريخ الفكر النضالي الثوري، ممثلا في نجم شمال إفريقيا ومناضليه، الذين فكروا وأسسوا لأرضية فكرية.

1 - عبد الرحيم العطري، صناعة النخبة بالمغرب: دفاتر وجهة نظر، الرباط، المغرب، 2006، 272 صفحة.

2 - Said - Nacer Boudiaf, Aicha Kassoul, Mohamed Lakhdar Maougel, Elites Algérienne Hisévé et Conscience de Caste - De la Guerre des tranchées, la Guerre des Sables- Emergence et Dissolution des élites politiques 1926-1947, Le Populisme révolutionnaire 1949-1962, les Editions APIC, Alger, 2004, 263 Pages.

- هي دراسة أكاديمية عبارة عن رسالة ماجستير في علم الإجتماع الاتصال، للباحثة حليمة النايلي، تحت عنوان: "الحقول الاجتماعية ودورها في اغتراب العاملين، والمؤسسات البترولية"⁽¹⁾.

كان الهدف من الدراسة هو كشف عن المعاناة الحقيقية، للعمال الذين يعملون بعيدا عن مكان سكنهم الأصلي، خاصة تلك المعاناة المترتبة عن اختلاف الفوارق الثقافية، بين المجتمعات، والتي تحول دون الاندماج الكلي للعامل بالمجتمع الذي يعمل فيه. الباحثة تطرح التساؤل التالي إذا كان التمايز بين الحقول الاجتماعية، يؤدي فعلا إلى الإغتراب الاجتماعي، للعمال بالمؤسسات البترولية؟

إحتوت الدراسة على ستة فصول، بالإضافة إلى الاستنتاجات العامة، والآفاق المستقبلية للدراسة.

أهم الفصول بالنسبة لنا، وحسب اهتماماتنا التي تخص دراستنا هو الفصل الأول، التي من ضمن ما عرضت فيه الباحثة، هو الدراسات السابقة.

والفصل الثاني الذي كان استعراض التتبع التاريخي لمفهوم الاغتراب، أبعاده، أنواعه ومراحل حصوله لدى الفرد.

- دراسة بعنوان "في مفهوم النخبة"، وهي مقالة إلكترونية للباحث الأكاديمي أسعد وطفة. إحتوت الدراسة على مقدمة، مبينا أهمية التطرق إلى موضوع النخبة، وهو واحد من المفاهيم الدينامية التي تتيح بطابع الانفتاح الشامل والدائم، على المحاولات العلمية، التي كرّست وتكرّس لرصده.

1 - حليمة النايلي، الحقول الاجتماعية ودورها في اغتراب العاملين بالمؤسسات البترولية- دراسة ميدانية بمؤسسة سيوناظراك بحاسي مسعود،

وقد رسم حدود وأبعاد التعريفات اللغوية للمفهوم، ومن ثمّ عمل على استجلاء أهمّ النظريات الفكرية الكبرى في هذا المجال، عند ماركس، باريتو، ميلز وسان سيمون، وغيرهم من المنظرين.

قدّم الباحث الأستاذ وطفة، رؤية ومقارنة بين منظري النخبة، فتمّ الكشف عن أوجه التباين والاتفاق، وبين رؤاهم الفكرية ونظرياتهم النخبوية؛ وفي ظل هذه المقاربة، قدّم رؤية بنائية لمفهوم النخب، منطلقاً من الاعتبارات التاريخية، السياسية، والاجتماعية، لولادة المفهوم وتطوره ونمائه، في ظل الحياة السياسية للمجتمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة؛ وقد توخى إبراز أهمية العوامل الاجتماعية والسيكولوجية، ضمن دائرة التفاعل والتكامل في مفهوم النخبة.

ومن منطلق النظريات حول مفهوم النخبة، التي أوردها الباحث، استطاع أن يسقط دلالات هذا المفهوم، على ثلاثة نماذج للنخب، في مجالات الثقافة والسياسة والدين، وهي النخب الأكثر أهمية، في توجيه الحياة السياسية، والاجتماعية، في المجتمعات العربية المعاصرة حسب رأي المؤلف.

استطاع المؤلف الباحث حسب رأينا، الإجابة على الأسئلة التي طرحها في إشكاليته، وقدم إجابات مناسبة على هذه الأسئلة الحيوية، التي شكّلت محور هذا العمل وإطاره العام.

9- صعوبات البحث:

إن ما يميز العلوم الاجتماعية أنها علوم نسبية النتائج، وبالتالي وجب على الباحث الوصول إلى أكثر درجة من الصدق والثبات في النتائج، ولتحقيق ذلك فإنه يواجه الكثير من الصعوبات؛ إضافة إلى أن مجال العلوم الاجتماعية كما هو معروف، وعلم الاجتماع بصفة خاصة، تملأه الكثير من الصعوبة، وهذا يعود إلى طبيعة الظواهر الاجتماعية المتناولة، لأنه لا يمكن التحكم فيها ولا التنبؤ بها. لم نكن نعتزم الحديث حول الصعوبات التي يواجهها

الباحث، لأنه ليس من المنطق العلمي الحديث عنها، كيف يتسنى لنا الحديث عن ذلك، والباحث أصلا ي مرحلة البحث، فلا يمكن أن يتوقع عكس ذلك.

كان العلماء من الرعيل الأول يسير راجلا، مئات بل الألاف من الكيلومترات، من أجل التأكد من رواية أو التثبت من سند؛ فكيف لنا نحن الآن، ويحق لنا الحديث عن الصعوبات؟ لكن هناك وضع جعلنا نكتب هذا المبحث ونحن مكرهون على ذلك، حيث صدمنا لأشياء لم نكن نتوقعها أصلا من البداية، حيث كانت الصورة أمانا، أننا ربّما كنا محظوظين نوعا ما، وكيف لا ونحن سنقوم بالدراسة الميدانية، مع النخبة السوسولوجية الجامعية، فالنتيجة واضحة أمانا، ستكون هناك مرونة وسهولة في الدراسة الميدانية، وتواصلنا معهم سيكون سلسا ومرنا، لكن تفاجئنا أن الأمور كانت عكس ما توقعناها، ولم نعرف سبب ذلك، وتساءلنا في أنفسنا، ربما يعود هذا إلى طبيعة الموضوع؟

الصعوبات التي يمكن حصرها في النقاط التالية:

- ندرة الدراسات حول النخبة السوسولوجية بصفة خاصة الأكاديمية منها، إلا أن هذا لا يعني أننا لم نستفد من مقالات خاصة، الإلكترونيات منها والندوات الوطنية والدولية.
- حساسية الموضوع، فطبيعة مجتمعنا الأكاديمي يرفض تناول المواضيع، التي يمكن القول بأنها كشف لما هو خفي.
- ليس من السهل التعامل مع عينة البحث، بسبب الانشغال اليومي، أثناء القيام بالمهام الأكاديمية والتدريسية من ناحية، ومن ناحية أخرى كان على الباحث تحديد الأسئلة الموجهة لهذه الفئة تحديدا دقيقا، لأنها تختلف عن غيرها من الفئات كالطلبة والعمال.
- من الصعوبات الرئيسية عدوانية مجتمع البحث، والمتمثل خاصة في أساتذة هذا الاختصاص، حيث صعب الحصول على الإجابات من طرفهم، وهذا عند القيام بتوزيع الاستمارات، والتي لم يرجعها أصحابها، مما كلفنا الكثير من الوقت والجهد - وذلك لعدم إيمان هؤلاء الأساتذة بهذا العلم، ومن التفكير في كونه فقط وسيلة من بين المئات من الوسائل الأخرى، التي تسمح بضمان لقمة العيش لا أقل ولا أكثر.

- كذلك أثناء بحثنا الميداني في قسبي علم الاجتماع بالجزائر العاصمة وعنابة، بعض من الأساتذة رفضوا ودون أي مبرر، الإجابة على أسئلة الاستمارة أو إجراء المقابلة معنا.

صعوبات ميدانية:

تقترن الصعوبات الميدانية بالشق الميداني من الدراسة، والتي عادة ما ترتبط بما يلي:

- تتعلق بقضية جمع الاستمارات بعد توزيعها على عينة الدراسة، والصعوبة المتعلقة بها تكمن في الانشغال الدائم للأساتذة، أي المبحوثين بسبب التزامات التدريس، والإشراف على الطلبة الباحثين في الدراسات العليا، وكذا مشاركتهم في الملتقيات الوطنية والدولية، وبالتالي أسفارهم الدائمة، وأيضاً بعضاً من المبحوثين الأساتذة الذين لديهم مسؤوليات في إدارات الجامعات والمعاهد والكليات. وبالتالي الاستمارة بالمقابلة كانت العملية مضنية، والتي تستدعي تخصيص وقت من زمن المبحوث، وهذا أخذ منا جهداً أكبر ومصاريف أكثر ووقت أطول.

الفصل الثاني:

مدخل إلى سوسيولوجية النخب

تمهيد:

نلقي الضوء في هذا الفصل على الفئة، التي تعمل على ترسيخ مبادئ علم الاجتماع في المجتمع، سواء على المستوى الاجتماعي، أو على المستوى الأكاديمي؛ فالمشتغلون في هذا العلم غالبا ما نجدهم في الجامعات، يقومون بعملية التدريس والتدريب، أو نجد أن الكثير ما يختارون، أن تُوجّه أبحاثهم وأعمالهم إلى الجمهور العام، وهم فئة الباحثين والكتاب والمحللين الاجتماعيين والمفكرين؟ فمن خلال هذا نجد أن هناك ظهورا لما يسمّى بالنخبة، مقرونا بفئة جادة من المشتغلين بالحقل السوسيولوجي؛ وعليه يحتوي هذا الفصل على سبعة مباحث تعرض مفهوم النخبة، أنواعها، أدوارها ووظائفها؛ ديناميات النخبة وآليات إنتاجها، وكذا خصائصها، وأيضا نظرياتها.

المبحث الأول: مدخل للتعريف بالنخبة:

المطلب الأول: مفهوم النخبة:

1- لغويا: تشتق كلمة النخبة في اللغة العربية من الفعل الثلاث المتعدي نخب، ويعرفها ابن منظور في معجمه (لسان العرب) بقوله: "نخب: انتخب الشيء: إختاره، والنخبة: ما إختاره منه، ونخبة القوم ونخبتهم: خيارهم. قال الأصمعي: يقال هم نخبة القوم، بضم النون وفتح الخاء. قال ابن منصور وغيره: يقال نخبة، بإسكان الخاء، واللغة الجيدة ما إختاره الأصمعي، ويقال: جاء في نخب أصحابه أي في خيارهم. ونخبته أنخبه إذا نزعته، والنخب: النزع، والانتخاب: الإنتزاع؛ والانتخاب: الاختيار والإنتقاء، ومنه النخبة؛ وهم الجماعة تختار من الرجال، فتنزع منهم. وفي حديث علي- رضي الله عنه - وقيل عمر: وخرجنا في النخبة؛ النخبة بالضم: المنتخبون من الناس المنتقون؛ وفي حديث ابن الأكوغ: إنتخب من القوم مائة رجل، ونخبة المتاع: المختار ينتزع منه؛ وأنخب الرجل: جاء بولد جبان، وأنجب: جاء بولد شجاع، فالأول من المنخوب، والثاني من النخبة. الليث: يقال انتخبتم أفضلهم نخبة... (1).

يتبين لنا من خلال هذه التفسيرات اللغوية- المعجمية، أنّ كلمة النخبة تدل على الإختيار والانتقاء والإصطفاء والإنتزاع، واختيار أفضل الناس وأنقاهم وأكثرهم شجاعة.

2- اصطلاحا: يشير مفهوم النخبة إلى أنها التي تقوم بدور الوسيط في عملية التكوين والتفكير، وتنوب عن الباقيين في ذلك (2)، أو تلك الفئة الراقية المالكة للنفوذ والقوة، والمؤهلات والامتيازات الصعبة والمكتسبة. ويعني هذا أنها صفوة من الناس المتعلمين، والمتقنين، والناجحين، والأذكياء، والعباقرة، والموهوبين، ورجال الدين والمتفوقين؛ الذين وصلوا إلى مناصب مهمّة في الحكم والرئاسة والإدارة، ومن ثم فالنخبة هي طبقة من الناس المصطافين

1 - ابن منظور، "لسان العرب، حرف النون، مادة نخب"، الجزء الرابع عشر، بيروت لبنان، دار صادر، الطبعة الثانية، 2003.

2 - سعيد شبار، "قضايا إسلامية معاصرة - النخبة والأبيولوجيا والحدائثة"، لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص13.

الأخيار، الذين يتولّون أعلى المناصب في الدولة؛ بفضل قدراتهم العقلية والذهنية والكفائية، وبالأخذ بمقولة غيتانو موسكا (Getano Moska)، يجب النظر إلى أي نخبة باعتبارها تتألّف من أولئك الذين يشغلون، في قمة المواقع في الترتيب الهرمي للقيادة⁽¹⁾.

ويعني هذا، النخبة هي التي تسيطر على أعلى المناصب في هرم الدولة، بفضل مؤهلاتها العلمية والفكرية والعقلية، أو بسبب تضحياتها الجسيمة في سبيل مصلحة الدولة والأمة⁽²⁾. كما أنّها الطبقة التي تملك القوة والنفوذ والسلطة والقرار، في أعلى إدارات الدولة الحاكمة ووزارتها؛ وتتميز بالوعي والتواطؤ والتماسك⁽³⁾؛ ومن هنا فالنخبة هي التي تتحكّم في السلطة ليس فقط في مجالها الخاص، بل كذلك في مجال الشؤون العامة⁽⁴⁾.

يعتبر المفهوم الإصطلاحي للنخبة مفهوما حديثا، يرتبط بتطور علم الاجتماع السياسي، ونظرياته الحديثة؛ ونعتقد أنّ هناك اختلافا باديا في تعريفات النخبة، ودورها ووظائفها السياسية والاجتماعية، نظرا لطبيعة المدارس واتجاهاتها، واختلاف النظم السياسية ومرجعياتها الفكرية؛ حيث تقوم النخبة بأدوار متباينة، تبعا لتباين كل حالة عن الأخرى، وبالانسجام مع منطق الخصوصيات⁽⁵⁾.

ومنه، فإن النخبة هي تلك الجماعات، التي لها القدرة على التفكير والتغيير والتأثير، في كل ما يتعلّق بالأمور التي تشغل حياة الناس، والتي قد تشكّل مسار حياتهم.

وعليه، فإن هناك جمعان يختلفان فيما بينهما، حيث يرى الجمع الأول أن النخبة هي فئة تختصّ بالانشغال بالآخرين، وتسعى إلى تحقيق مصالحهم؛ والجمع الثاني يرى أنّ دور

1 - جون سكوت، "علم الاجتماع المفاهيم الأساسية"، ترجمة: محمد عثمان، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013، ص 362.

2 - نفس المرجع، ص 362.

3 - عبد الرحمن شحشي، "النخبة مقارنة في المفهوم، نخب مغاربية: الخلفيات، المسارات والتأثير"، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، الدار البيضاء المغرب، منشورات مدى، الطبعة 2، 2012، ص 26.

4 - جون واثر بوري، "أمير المؤمنين: الملكية والنخبة السياسية المغربية"، ترجمة: عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الرباط المغرب، مؤسسة الغنى، الطبعة الأولى، 2004، ص 134.

5 - عبد الله أبو رمان، "البحث عن النخبة"، نشر في يومية، الرأي، الأردن، 04 نوفمبر 2011.

أنظر أيضا الموقع الإلكتروني: [http:// www.alrai.com/indx.php](http://www.alrai.com/indx.php).

هذه الفئة هو العكس، حيث أنها تقوم بمصادرة حق الآخرين الثقافي والمعرفي، من خلال هيمنتها وتأثيرها، عن طريق استغلال نقاط ضعف العوام وتحقيق مصالحها الخاصة.

المطلب الثاني: النخبة بمفهوم الصفوة:

تشير الصفوة إلى الخلاصة، فاصطفى الشيء أي اختاره أو استخلصه أو انتقاه بين الكثير من الخيارات، فظهر مفهوم الصفوة في أوروبا، حيث استخدمت كلمة " صفوة " في القرن السابع عشر (17)، لوصف السلع ذات النوعية الممتازة، وما لبث هذا الاستخدام أن اتسع للإشارة إلى الجماعات الاجتماعية العليا، كبعض الوحدات العسكرية أو المراتب العليا من النبالة⁽¹⁾؛ وظهر هذا المفهوم في الدراسات السوسيولوجية، عن العالم الإيطالي فيلفريدو باريتو (Vilfredo Pareto)، حيث أكد أن مفهوم النخبة ما هو في الحقيقة، إلا صفوة من الأفراد الفاعلين في المجتمع، ويرى أنه يمكننا أن نتصور طبقة من الناس، لديها أعلى المؤشرات المتعلقة بنشاطها، وأنّ هذه الطبقة يمكن أن نطلق عليها الصفوة⁽²⁾.

يحدّد "غي روشيه" (Guy Rocher) مفهوم النخبة، اعتماداً على التحليلات المتعددة لعلماء، اهتموا بتحديد مفهومها على النحو التالي: "الصفوة تضم أشخاصاً وجماعات، والذين بواسطة القوة التي يمتلكونها، أو بواسطة التأثير الذي يمارسونه، يشاركون في صياغة تاريخ الجماعة، سواء أكان ذلك عن طريق اتخاذ القرارات، أو الأفكار والإحساسات والمشاعر، التي يبديونها والتي يتخذونها شعاراً لهم"⁽³⁾.

فالصفوة إذن هي جماعات ذات مكانة عالية، تأخذ مكانتها من خلال أعمالها الموجهة للآخرين، والتي تؤثر فيهم، وهذا ما يخولها لأن تكون نخبة.

1 - توم بوتومور، "الصفوة والمجتمع"، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، الإسكندرية، ب ط، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص 25.

2 - سعيد شبار، مرجع سبق ذكره، ص 4.

3 - توم بوتومور، "النخبة والمجتمع"، ترجمة: جورج حجا، بيروت، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972، ص 14.

ولقد استخدم "بوتومور" (Tom Bottomore)، مفهوم النخبة السياسية، في موضع أدنى من الطبقة السياسية، فإذا كانت النخبة السياسية تعتبر امتداداً، لأعضاء الحكومة والإدارة العليا والقادة العسكريين، بالإضافة إلى العائلات المتنفذة، والأرستقراطيات وقادة المؤسسات الاقتصادية العملاقة؛ فإنّ الطبقة السياسية تضمّ النخبة السياسية، التي أمكن التعرف عليها بسهولة، "كالنخب المضادة" من قادة أحزاب سياسية ليست في الحكم، وممثلي مصالح أو طبقات اجتماعية جديدة (كقادة النقابات)، وفئات من رجال الأعمال والفكر، ممّن هم فاعلين في حقل السياسة⁽¹⁾.

أمّا بالنسبة "لكارل ماركس" (Karl Marx)، فهو يرى أن النخبة تتمثّل في الطبقة الكادحة وهي البروليتاريا، التي تقود الثورة من أجل التغيير؛ على عكس الرأسمالية التي ترى أن النخبة تتمثّل في الطبقة، ذات السلطة والتي تملك وسائل الإنتاج، وهي المحددة في الطبقة المسيطرة، التي تسعى على بقائها، مالكة لوسائل الإنتاج من أجل الحفاظ على مصالحها⁽²⁾.

ونحن في اعتقادنا نرى أن مصطلح النخبة، يرتبط بالمجموعات البشرية التي تفكر للمجتمع، وتضع الخطط للمشاريع الكبرى، في المجالات المشكّلة لعصب التنمية، بكلّ أنواعها وفروعها، والتي تقرّر مصير الدولة ومؤسساتها؛ أمّا السياسيون فيها فهم مجرد مسهّلين ومنفّذين للمهامّ المدنية الحاسمة.

1 - نور الدين زمام، " النخبة المثقفة يعيون أخرى"، جريدة الجزائر نيوز، الجزائر، استرجعت من الموقع الإلكتروني بتاريخ 15 أوت 2015.

2 - نفس المرجع، نفس الموقع، نفس تاريخ التّصفح. Http://www.djazairress.com/djazairesnews ، تاريخ تصفح الموقع: 15/06/2015 ، على الساعة 09ساو10د.

المبحث الثاني: تاريخ النخب في المجتمعات الإنسانية:

المفكرون يعتبرون بشكل إجمالي من يؤلفون الفئة الصغرى، التي تسهم إسهاما مباشرا في خلق الأفكار، وانتقالها ونقدها؛ وهذه الفئة تشمل الكتّاب والفنانين والعلماء والفلاسفة، والمفكرين الدينيين، وأصحاب النظريات الإجتماعية، والمعلقين السياسيين"، فعلى مرّ العصور كانت النخب في المجتمعات، تتشكل إجمالا من الطبقة المثقفة، والمفكرة، والعلماء، وغيرهم من ولّاة العقل؛ ففي كل مجتمع وحتى المجتمعات البدائية، كانت تتطوي على فئة من العارفين بأمر العبادات والعادات، الذين يمثلون المرجعية الأساسية، لكل الجماعات الإنسانية في التجمعات البشرية؛ ومن خلال هذا نأخذ لمحة عن تاريخ النخب في المجتمعات الإنسانية وفي التجمّعات البشرية، والحضارات المختلفة.

المطلب الأول: في الحضارات القديمة:

لم تخل الحضارات القديمة من طوائف، من الحكماء، والفلاسفة، والمفكرين وغيرهم من أهل العلم والفكر؛ الذين يعالجون ويصلحون أمور مجتمعاتهم، استنادا لما توصلوا له من معارف وعلوم؛ ففي مجتمعات الحضارة المصرية القديمة، نجد أن المجتمع قد قسّم إلى طبقتين أساسيتين، الأولى الطبقة المقدّسة التي تشمل الفرعون، والذي كان يمثل الآلهة على سطح الأرض، وحاشيته من أهله وكهنة المعابد؛ واختصّت هذه الفئة لنفسها العلم والفكر والدين، فمثّلت نخبة دينية مقدّسة، تسنّ وتشرع القوانين وتتحكّم في الطبقة الثانية، وهي طبقة العامّة من الشعب، التي كانت موالية طوعا للفرعون الذي يفكر ويقرّر عنها⁽¹⁾.

وفي الحضارة الهندية غالبا ما ربط الهنود مصيرهم، بشخصيات دينية أسست لهم طرق وتشريعات عباداتهم؛ ويبدو أنّ هذه التشريعات كانت من صنع جماعة البراهمة،⁽²⁾ التي استوحت عبادتها من إله صغير، تلقى الوحي عن براهمة نفسه؛ وعليه، فإنّ سلّة حكام الهند

1 - عبد الله الدايم، التربية عبر التاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، 1984، ص47.

2 - سامي محمد نصّار، حمان عبد المنعم أحمد، مدخل إلى تطور الفكر التربوي، الكويت، ذات السلاسل، 2000، ص 28-30.

كانت سلطة دكتاتورية لا يحدّها، إلا تدخل طبقة رجال الدين من البراهمة، نظرا لما يستحقّونه من مركز اجتماعي عال⁽¹⁾.

أمّا في الحضارة اليونانية فارتبطت النخب، بالمفكرين والفلاسفة وعلماء المنطق، شكّلوا وصاغوا مسارات الحياة وطبعوا أفكارهم، من خلال ربطهم بين الواقع وأعمالهم الفكرية، فمن بين نوابغ اليونانيين سقراط، أفلاطون وأرسطو⁽²⁾، وعلى غرار جميع الحضارات السابقة، كان المجتمع العربي أيضا، من بين المجتمعات التي انطوت على نخب، تمثّلت في العصر الجاهلي، في طبقات الشعراء والعلماء والأدباء...، والتي كان لها التأثير الأكبر في توجيه الحياة، فهذا شاعر يتغنّى بمشكلة من الواقع، ويحاول من خلال شعره البحث عن حلول، وهذا معلّم دفع الناس إلى التعلّم، وغيرها من شواهد على حضارة العرب سابقا.

ولكن بظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، تشكّلت أكبر نخبة علم رأتها البشرية، وعلى رأسها الإمام الرسول محمّد "صلعم"، حيث تلقّت هذه الفئة علومها ومعارفها، عن طريق القرآن الكريم، الذي كان شاملا جامعا للعلوم⁽³⁾، والذي من خلاله تلقّى الناس، كيفية تسيير دنياهم انطلاقا من دينهم، كما ضمّت هذه الفئة الصحابة الأجلّاء، الذين كانوا خير خلف لخير سلف، فمثّلوا فئة علمية دينية وأدبية، هامة في المجتمع الإسلامي الأول، إضافة إلى علماء الدين من المفسّرين والفقهاء والمحدثين...

لم تكن المقاييس نفسها في المجتمعات الأوروبية القديمة، التي كانت تعيش في عصر الظلم والظلام؛ فكانت السيطرة الدينية والدنيوية، في يد طبقة من الملوك ورجال الكنيسة،

1 - سامي محمد نصار وعبد المنعم احمد حمان، مرجع سابق الذكر، ص 32.

2 - لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص 139.

3 - سليمان أبو خضر، "طبقات المجتمع الإسلامي، مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي:
<http://artes.Google.com/site/tarekrahab/halmojtmaa>.

الذين مثلوا النخبة في ذلك العصر؛ حيث عملوا على تخصيص العلم والمعرفة، في طبقات محدودة من النبلاء المالكين، وبذلك قطعوا سبل المعرفة أمام العوام من الأوربيين⁽¹⁾.

المطلب الثاني: في المجتمعات الحديثة:

ارتبطت النخبة في المجتمعات الحديثة بطبقة المفكرين من المثقفين، الذين يتهافتون على موائد العلم، فالمثقف يجسد النخبة في هذه المجتمعات؛ إن صفة المثقف تختلف عن غيرها من الصفات، التي نطلقها على أفراد معينين، فلا تعني أن هؤلاء الأفراد ينتمون إلى طبقة معينة أو مهنة أو عمل، فالعمال والموظفون والمزارعون ينتمون إلى عالم "العمل"، كما تسلل الأطباء والصحفيون والمحامون، وأصبحوا جزءا من عالم الوظائف؛ أما وظيفة المثقف فلا تعتبر وظيفة، فهي ليست شكلا من أشكال العمل ولا هي مهنة⁽²⁾.

ظهرت لأول مرة كلمة "أنتليجانسيا"⁽³⁾ في حدود عام 1865 في روسيا، حيث ظهر نوع من التفريق بين نخبة، من المتعلمين - وأغلبهم من الطبقة الأرستقراطية -، وبين عامة الشعب الذين كانوا لا يتكلمون سوى اللغة الروسية، فعملت الفئة المثقفة وعلى مدى القرن الثامن عشر (18)، وهي فئة فكرية وإدارية لصالح الدولة والتي تسعى لتحقيق أهدافها، وحاولت التوفيق بين الإخلاص للسلطة، والميول لنصرة الطبقة العامة من الشعب؛ حيث قامت على اعتناق أفكار ومعتقدات جديدة، تدور حول حريات المعتقد، فتشكّلت هذه الطبقة من الأذكى، الذين يعرفون مشاكل الشعب، ويحسنون عرضها على الرأي العام، والذين يعتبرون أنفسهم ممثلي الشعب؛ ومن أبرز رجال ذلك الحين، رجال العلم والأدب كآباء ومثقفين، بالمعنى الذي كان عليه الهيجيليون والسان سيمونيون؛ في وقت ظهر في روسيا

1 - أحمد عز، الثورة الفرنسية العظيمة ملحمة قلبت وجه التاريخ (الجزء الأول)، مصر، مركز الدراسة الاشتراكية، نوفمبر، 2003، ص 87.

2 - جيرار بيلكرك، ترجمة: جورج كتورة، سوسيولوجيا المثقفين، بيروت، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2008، ص 12.

3 - نفس المرجع، ص 52.

إبان القرن التاسع عشر (19)، أيديولوجيات كبرى تحوي أنصار أفكار معينة من أهمها، العدمية والفوضوية والاشتراكية الثورية⁽¹⁾.

أما في فرنسا فظهرت النخبة مقترنة بقضية ضابط فرنسي⁽²⁾، بدأ يذيع صيت هذا الإسم على يد الخصوم، المطالبين بإعادة محاكمة هذا الضابط "ألفريد دريفوس"، الذين أدين عام 1894 بتهمة التجسس لصالح ألمانيا؛ سببت هذه القضية نقاشات حادة، بين أوساط الجمهورية الثالثة الفرنسية آنذاك؛ فظهرت مجموعة من المؤيدين لدريفوس (Dreyfus)، والتي تطالب ببراءته، وتتكون هذه المجموعة من أفراد، مهمين في المجتمع الفرنسي، من المتعلمين الحائزين على درجات الأستاذية في الجامعات الفرنسية، إضافة إلى المئات من الشخصيات الأدبية والعلمية والفنية، أطلق أول مرة مصطلح المثقفين على هذه الفئة، وأطلقت جريدة "كليمنصو" (Clémenceau)، وصفت العريضة التي دافعت على براءة دريفوس ببيان المثقفين.

وهكذا، لم تعد النخبة في ثقافتنا المعاصرة، مرتبطة بحسبها ونسبها وأصلها الديني أو بخدمتها للسلطان، بل أصبحت النخبة تمارس دورها التأثيري، بما تملكه من قدرات ومؤهلات معرفية، وعلمية وسياسية واقتصادية وعسكرية، ومن ثم فالنخبة " ليست مجموعة من الفئات التي تسير وفق إرادة أو توجيه السلطان، أو تعمل على وضع قراراته موضع التنفيذ؛ بل هي عبارة عن أقطاب تنتمي، إلى قطاعات متعددة أو تتمتع سلطة رمزية موازية، قد تتقاطع مصالحها مع الحكم أحيانا، وقد تتعارض معه في أحيان أخرى؛ وهي تسعى بذلك إلى حماية وتطوير مصالحها الخاصة، التي قد تتأرجح نحو هذا الاتجاه أو ذاك، بحسب إعتبارات متعددة⁽³⁾.

1 - جبرار بيلكر، المرجع السابق الذكر، ص 54.

2 - نفس المرجع، ص 56.

3 - المختار بن عبد اللاوي، " إنتاج النخب وتنويرها في المغرب، نخب مغاربية: الخلفيات، المسارات والتأثير، أعمال المنتدى المغربي الثاني"، الدار البيضاء المغرب، منشورات مدى، الطبعة الأولى، سنة 2012، ص 11.

وتاريخيا أيضا، لم يطرح موضوع النخبة في الساحة الثقافية والسياسية بشكل صريح وواضح، إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، على أساس أن النخبة تتعارض مع توجيهات، المجتمعات الديمقراطية التي تؤمن بحكم الشعب لنفسه، في حين ترفض الحكومات الاشتراكية وجود النخبة، على أساس وجود طبقة بروليتارية تسيطر على الحكم؛ وفي هذا السياق، يقول الباحث المغربي حسن قرنفل في كتابه (المجتمع المدني والنخبة السياسية): "يُعتبر موضوع النخبة السياسية من المواضيع، التي أصبحت تحظى باهتمام كبير من طرف الباحثين، سواء في السوسيولوجيا أو في العلوم السياسية، مع أن هذا الموضوع ظل مسكوت عنه لمدة طويلة، من طرف الباحثين السوسيولوجيين الأمريكيين، لكونه يتعارض مع المبدأ الديمقراطي، التي تقوم عليه المجتمعات الغربية وهو (حكم الشعب من طرف الشعب)؛ مسكوت عنه أيضا من طرف الباحثين السوفييت، لأن المجتمعات الاشتراكية في نظرهم، قائمة على دكتاتورية البروليتاريا، وهي الطبقة التي تمثل مصالح أغلبية السكان.

وقد خرق الصمت حول هذا الموضوع العالم السوسيولوجي "رايت ميلز"، في الولايات المتحدة الأمريكية في كتابه (النخبة الحاكمة)⁽¹⁾، حيث أكد وجود طبقة حاكمة مستقلة، وبأن الشعب مبعّد عن كل القضايا السياسية والقرارات المهمة، وخرق نفس الصمت في المعسكر الاشتراكي الباحث التشيكي "ميلوفاند حيلاس"، في كتاباته حول النخبة الحاكمة في الإتحاد السوفيتي، التي أظهر فيها الامتيازات الكبرى التي تحظى بها الأطر العليا للحزب والدولة، الشيء الذي يجعل منها طبقة مستقلة، عن باقي الطبقات والفئات الإجتماعية الأخرى. تبنى فيما بعد الباحث الفرنسي "ريمون أرون" (Raymond Aron)، الذي خصّص مجموعة من الدراسات والمقالات، لتحليل النخبة السياسية خصوصا في الدول الاشتراكية⁽²⁾.

1 - حسن قرنفل، المجتمع المدني والنخبة السياسية إقصاء أم تكامل؟، الدار البيضاء المغرب، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1997، ص 145.

2 - حسن قرنفل، المرجع السابق الذكر، ص 146.

وهكذا وبعد هذا التتبع التاريخي للنخبة نصل إلى أن النخبة هي فئة متميزة من الناس، وصلت إلى مناصب الحكم والقرار، بفضل علمها أو نسبها أو حسبها أو ثروتها أو مكانتها في الجيش، أو قربها من القصر الحاكم؛ ولا تقتصر النخبة على مجتمع معين، بل هي ظاهرة كونية، تعرفها جميع الشعوب حتى البدائية منها، التي تهيمن عليها نخبة من رؤساء القبائل ومساعدتهم، ونخبة الكهنة والسحرة والمشعوذين، ونخبة رجال الدين، ونخبة المصارعين.

المبحث الثالث: أنواع النخبة:

يمكن الحديث عن أنواع عديدة من النخبة، فهناك النخبة السياسية، والنخبة الإدارية، والنخبة العسكرية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العلمية، والنخبة التربوية، والنخبة الفنية، والنخبة الدينية، والنخبة التجارية والنخبة المقاولاتية، والنخبة التقليدية والنخبة المهنية، إلخ..(1).

بمعنى أن كل مجتمع توجد فئات متفوقة في مختلف الميادين: الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وتشكل كل فئة في ميدانها، الفئة المتفوقة، ويستند هذا التفوق إلى عوامل متعددة، قد تكون الثروة، أو السلطة، أو العقل، أو المكانة الاجتماعية؛ من خلالها تحقق هذه الفئة، تفوقاً وامتيازاً على باقي مكونات ميدانها.

وتبعاً لذلك، يمكن القول إن في كل ميدان توجد نخبة، مما يعني أن المجتمع يتألف من عدة نخب، ويمكن أن تحتوي النخبة في كل ميدان نخبة فرعية، على سبيل المثال في إطار النخبة السياسية، يمكن الحديث عن النخبة الوزارية، والنخبة البرلمانية، والنخبة الدبلوماسية، والنخبة الحزبية (2).

ويمكن لمجموع من النخب أن تفرز لنا نخبة قوية، تسمى بالنخبة الحاكمة، ويعطيها ميلز (Mills) اسم نخبة القوة.

المطلب الأول: حسب تقسيم " توم بوتومور ":

1- النخبة الوظيفية: تتكون من أعضاء لهم وظائف مهنية، عالية وراقية وسامية في المجتمع، كأن يدير مدير مؤسسة اقتصادية كبرى، أو رئيس جامعة، أو مسؤول عن منظمة، أو مؤسسة وطنية أو دولية معروفة.

1 - جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب - النخبة المغربية أنموذجاً - ، الطبعة الأولى، 2015 ، ص ص 87-88 مسترجع من العنوان الإلكتروني التالي: www.alukah.net.

تاريخ تصفح الموقع: 2015 04/11، على الساعة 22 سا 43

2 - محمد الرضواني، مدخل إلى علم السياسة، سلسلة بدائل قانونية وسياسية، رقم 3، الطبعة الأولى، سنة 2014، ص ص 87-88.

2- **الطبقة السياسية:** هي الجماعات التي تمارس السلطة والتأثير السياسي، وتدخل في صراع وتنافس مباشر مع القيادة السياسية.

3- **النخبة السياسية:** هي أقلية من الأفراد ينتمون إلى الطبقة السياسية، ويمارسون السلطة في المجتمع (1).

المطلب الثاني: حسب التقسيم المعياري:

1- **المعيار القطاعي:** نخبة سياسية، ونخبة عسكرية، ونخبة تقنية، ونخبة مالية.

2- **المعيار الموضوعاتي:** نخبة الثروة، ونخبة القوة، ونخب المعرفة، ونخب الإستحقاق، ونخب الوراثة، ونخب السلطة.

3- **المعيار المكاني:** نخبة مركزية، ونخبة جهوية، ونخبة محلية، ونخبة وطنية، ونخبة دولية، إلخ.... (2).

ومن جهة أخرى، لا يمكن الحديث عن نخبة واحدة ضمن الطبقة الحاكمة، فثمة نخب متعددة ومتنوعة ومختلفة، من حيث المشارب الثقافية، والأوضاع الطبقية والاجتماعية، والأصول العرقية والإثنية؛ ويعني هذا أن النخب متعددة بتعدد الخلفيات الاجتماعية والطبقية؛ ويجب أن ننظر إلى النخب باعتبارها ترتبط، بتوزيع وممارسة القوة والنفوذ في هياكل القيادة (3).

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية، تسيطر عليها ثلاث نخب أساسية هي النخبة السياسية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العسكرية؛ فإن روسيا تهيمن عليه نخبة الحزب من جهة، والنخبة التقنوقراطية من جهة أخرى؛ وينطبق هذا على معظم البلدان الاشتراكية. وإذا

1 - توم بوتومور، المرجع السابق الذكر، ص 41.

2 - طالب بو ماء العينين، " النخب المغربية بين الإخفاقات البروز وآليات البناء - نخب مغربية: الخلفيات، المسارات والتأثير "، الملتقى المغربي الثاني، الدار البيضاء المغرب، منشورات مدى، الطبعة الأولى، سنة 2012م، ص 58-76.

3 - جون سكوت، المرجع سابق الذكر، ص 364.

أخذنا الجزائر نموذجاً، فمازالت نخبة الحزب (حزب جبهة التحرير الوطني العتيد)، والنخبة المحلية - الجهوية، تسيطران على السلطة والقرار.

وعليه، تحمل النخب المجتمعية الأنواع التالية: النخبة السياسية؛ النخبة الاقتصادية؛ النخبة العسكرية؛ النخبة المثقفة؛ النخبة التقنية؛ النخبة الحاكمة؛ النخبة العلمية؛ النخبة الرياضية؛ النخبة الفنية؛ النخبة الدينية؛ النخبة الحزبية؛ النخبة الإدارية؛ النخبة القضائية، النخبة الجموعية؛ النخبة الإعلامية؛ النخبة الموظفة؛ النخبة القائمة؛ النخبة المدبرة؛ النخبة الصناعية، النخبة المالية، النخبة الدبلوماسية، النخبة الوزارية، النخبة التربوية، النخبة الحقوقية؛ النخبة الصحفية، النخبة المالكة، النخبة البرلمانية...⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أدوار النخبة ووظائفها:

للنخب أدوار ووظائف مهمة في النسق المجتمعي والحكومي، منها الأدوار والوظائف الإدارية، والوظائف السياسية، والوظائف الاقتصادية، والوظائف الإجتماعية، والوظائف الدينية، والوظائف التنويرية، والوظائف التوعوية والتأطيرية. وبتعبير آخر تقوم النخبة بتأطير المواطنين سياسياً ونقابياً، وتوعيتهم أيديولوجياً، بشرح برامجها السياسية والحزبية والنقابية، واستعراض تطلعاتها المستقبلية، من أجل التأثير في الجماهير. وعندما تظفر النخبة السياسية بالسلطة، تقوم بأدوارها الإدارية الرئيسية كالخطيط، والتدبير، وتوزيع المسؤوليات والمهام، وتنظيم المرافق العمومية. علاوة على أدوار إدارية أخرى، مثل: الإشراف والتوجيه، والتقويم والمتابعة، والمواكبة، وتصحيح الأخطاء وإصلاحها وتجاوزها⁽²⁾.

ومن الناحية السياسية تتجلى توجهاتها، السياسية المحلية والجهوية والوطنية والدولية، بشكل عملي وواقعي؛ ثم تحضر أمام نواب الأمة، في أثناء الجلسات البرلمانية، لمساءلتها واستنطاقها وتقويمها ومحاسبتها وإسقاطها.

1 - حسن قرنفل، المرجع السابق الذكر، ص 154.

2 - جميل حمداوي، المرجع سابق الذكر، ص 62.

وعلى الصعيد الاقتصادي: تبحث النخبة عن الحلول الناجعة لإدارة المؤسسات الاقتصادية⁽¹⁾ ، والبحث عن أحسن السبل لتشجيع الإنتاج الوطني، وتحفيز الشباب على الإبداع والابتكار والتطوير والمنافسة، والبحث عن الأسواق الداخلية والخارجية للرفع من الصادرات، والتخفيض من الواردات، وجلب الاستثمارات بغية الرفع من الدخل الفردي وتنمية المجتمع ماديا ومعنويا.

وعليه، فإن الدور الأساسي للنخبة، هو التوجيه والتخطيط والتنفيذ، من خلال مراجعة نقد الذاتي، لكل مشروعات وقضايا تهمّ المجتمع بالدرجة الأولى، والتي تراها النخبة مهمة في حياة الناس، ومن خلالها يحدّد مصيرهم. فقد يرى البعض أن الدور الأساسي للنخبة، هو جمع أكبر قدر ممكن من الناس، للالتفاف حولها وإرباك أفراد الجماعات، التي تتادي باستقرار الأوضاع الراهنة، وتغيير الوضع الاجتماعي في المجتمع، مهما كانت مستوياته وأشكاله⁽²⁾.

لقد وصل الأمر في بعض الحالات فعلا، إلى وضع تصنيف يمكّن من التمييز بين النخبة الرمزية والأيدولوجية، والكاريزماتية والتقليدية، والتقنوقراطية، والاقتصادية⁽³⁾؛ وأقرّت الدراسات المنجزة في هذا الموضوع ، خاصة التي أجراها الغربيون: " بأنّ التعاون والائتلاف بين جميع تلك النخب، كانا يمثلان دائما قاعدة للأنظمة الأوليغارشية، لانطلاق سيرورة التحديث..."⁽⁴⁾. فالطرح الذي يقول أن الدور الأساسي للنخبة، يتمثّل في إطلاق التحديث والشروع في المسارات السياسية والاقتصادية؛ أصبح لا يطرح المشكل بنفس الطريقة في المجتمعات، ذات المستوى التنموي القوي، وفي المجتمعات الصناعية؛ ففي هذه الأخيرة، النخب موجودة والميكانيزمات التي تنتجها مروّضة، والعلامات التي تسمح بالتعرّف عليها وتتمينها معروفة، ومقبولة وواضحة.

1 - نفس المرجع، ص 62.

2 - مولود سعادة، " النخبة والمجتمع "، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، سبتمبر، 2010، ص 102.

3- Jean Jacques Salomon, Le Destin Technologique , Balland, Paris, 1992, p.103.

4- Giovanni Businno, Elite et Elitisme , Presse universitaire de Paris, France, 1996, p. 04 .

أمّا في المجتمعات المتخلّفة، فيجب بالعكس استحداث نخب، إمّا عن طريق التحالف أو التصادم، مع إتباع بنيات تقليدية، لهذه المجتمعات التي تتميّز بالتنقل من الثبوتية الاقتصادية والاجتماعية، إلى مسار التغيير المستمر؛ لذا فإن المسألة المركزية تبقى تدور حول الصراع، بين دعاة التقاليد ودعاة الحداثة؛ وبين نخب لها توجّهات متناقضة جذريا؛ وكثيرا ما تكون ناقصة التكوين الثقافي ومتباينة ومتنافرة، فتكون الصدمات من الحدة، بحيث تعرقل تكوّن المجموعات، التي من شأنها أن تعكف على وضع مسار التغيير الاجتماعي، وتزيد من تعميق الهوة الاجتماعية بين النخبة وكتلة الجماهير.

إن مثل هذه النخب تنتهي إلى التسبب في الجمود، لأنها منشغلة بالتصادم، وتعيش توتّرا وبعيدة عن الأجواء السائدة، تحركها وتتجاذبها توجّهات متناقضة، ومنفصلة تماما الانفصال عن الحاجيات الحقيقية لسكان؛ تصبح الحلول الوحيدة فيها الممكنة هي اللجوء إلى الجيش؛ حيث الحزب الواحد المهيمن أو النظام (المستبد " التوتاليتاري " (Totalitaire) يقضيان على التضامن القبلي، ويضعفان الشعور بالانتماء إلى المجموعات المحليّة،⁽¹⁾ لا ليسرّعا تبلور الضمير الوطني، ولكن بالأحرى، للقضاء على الخصوم وتصفية المعارضين، وعرقلة محاولات البقاء، التي تقوم بها النخبة المتناقضة أو المتنافسة، ومن ثمة منع ظهور نخب مضادة⁽²⁾.

يمكن تلخيص دور النخب في التالي، أنّ دورها مرتبط بمشاكل الاندماج الاجتماعي، وبالمشاركة السياسية، والتنمية الاقتصادية، والتوزيع المنصف للدخل الوطني، وبدور السلطات العمومة، وإقامة الديمقراطية كنظام قائم على الوزن والوزن المضاد. وعليه، فالنخبة تلعب دورا أساسيا ومحوريا، في ضمان الثبات والتوازن والاستقرار الاجتماعي، والسهر على تطبيق العدالة الاجتماعية بين الأفراد.

1- **Ibid**, p 121.

2 - **Ibid**, p 122.

المبحث الرابع: ديناميات وآليات إنتاج النخبة:

تخضع عملية إنتاج النخبة إلى معايير تتحكم بها ظروف التجمّع النخبوي، فلطالما كان المحيط أحد مصادر، ظهور النخبة على الساحة الاجتماعية؛ ففي مجتمعات الحضارات القديمة كانت النخب ضرورة اجتماعية، عن طريق العبقرية التأملية (الفلاسفة اليونانيون)، أو عن طريق الوحي (الديانات السماوية)، أو عن طريق الكاريزما المتمثلة، في الشخصيات القيادية والزعامات في المجتمع، أو عن طريق العصبية التي تنشأ في المجتمعات الصينية واليابانية والعربية (1).

أمّا في القرن العشرين فيرى " بوتومور " ، أنه ظهرت ثلاث نخب: المفكّرون، مديرو الصناعات، وكبار الموظفين الحكوميين (2). من خلال هذا التصنيف وجد بوتومور أن إنتاج النخب، يكون لظروف فكرية علمية، أو ظروف اقتصادية صناعية، أو لظروف سياسية؛ حيث أنّ هذه النخب هي النخب الحاكمة في المجتمع؛ وغالبا ما يرتبط ظهور النخبة بالمؤسسات التي لها دور في المجتمع، على رأسها المؤسسات التعليمية كالجامعة مثلا، والتي تعتبر منشأ العديد من النخب ومهدّها، بالإضافة إلى الاتحادات، الجمعيات وغيرها، من التكتلات الاجتماعية بمختلف مشاربها.

وفي هذا الصدد يمكن تصنيف إنتاج النخب كما يلي:

- حسب مجال التخصص:

يختلف إنتاج النخب حسب الظروف العديدة والمحيطة، التي نجمت عنها هذه النخب؛ فالمجال الاقتصادي يخلق نخبة صناعية، متمثلة في طبقة مالكة لوسائل الإنتاج، أو طبقة مسيرة لهذه الوسائل؛ والتي تستقي هذا التسيير من خلال رصيدها العلمي، وبالتالي تشكّل طبقة مفكّرة؛ كما نجد أيضا تلك الفئة التي تأخذ، الأوضاع الاقتصادية بالدراسة النقدية، والمتمثلة في المحلّلين الماليين أو الاقتصاديين.

1 - مولود سعادة، مرجع سبق ذكره، ص 103.

2 - توم بوتومور، المجتمع والنخبة، مرجع سبق ذكره، ص 72.

توجد أيضا نخبا سياسية ممثلة، في قادة وأعضاء الأحزاب السياسية، المحللين السياسيين، الناقدون السياسيين، المعارضة، وغيرها. وتوجد أيضا نخبا دينية متمثلة في طبقة العلماء، رجال الدين، الأئمة، المصلحين والدعاة؛ بالإضافة إلى النخب التعليمية، والنخب الرياضية... إلخ.

المطلب الأول: إنتاج داخلي وإنتاج خارجي (1):

بالنسبة للإنتاج الداخلي فعادة، ما يرتبط بالمجتمع الخاص بالنخبة، حيث تولد النخبة في إطار ذاتية مجتمعها، دون أي تدخل خارجي؛ أي أنّ النخبة تنتج بصورة طبيعية كضرورة، لظروف اجتماعية خاصة بمجتمع دون سواه. وعلى العكس من ذلك فإن الإنتاج الخارجي غالبا ما ينشأ عن تدخل قوى خارجية، في خلق النخبة داخل المجتمع، ويكون هذا الإنتاج إما عن طريق أطراف اجتماعية، جديدة عن المجتمع مثلا المستعمر، أو عن طريق وسائل التكنولوجيا والإعلام الحديثة، أو عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي لـ "تويتر" أو الفايسبوك "Facebook"؛ حيث يتمّ حشد جموع من المتواصلين لموقع ما، للتكاتف حول قضية اجتماعية، أثارت الكثير من الجدل في المجتمعات المختلفة.

المطلب الثاني: إنتاج تلقائي وإنتاج منظم:

يظهر الإنتاج التلقائي للنخب من خلال، المواقف العفوية التي تؤدي بالأفراد إلى تشكيل تجمع نخبوي، إثر حادثة أو ظاهرة آنية، حتمت عليهم الضرورة اتخاذ موقف إزاءها. فمثلا تنتج نخب سياسية تلقائية نتيجة، حدوث أزمات سياسية غير متوقعة؛ وعلى العكس من ذلك يكون الإنتاج المنظم، ذلك الإنتاج المدبر والمخطط له سلفا، والقائم على أسس علمية، والذي يدوم فيه امتداد النخبة إلى مدة أطول.

1 - مولود سعادة، مرجع سابق الذكر، ص 106.

ومن خلال هذه التصنيفات تنشأ لنا النخب التالية (1):

المطلب الثالث: نخب منتجة ونخب عقيمة:

ترتبط هذه النخب بالمرودية والإنتاج القائم، على النقد البناء والمساءلة والتأثير؛ فإن لم تتوفر فيها هذه الشروط، أمست نخباً عقيمة صورية لا فائدة عملية منها.

المطلب الرابع: نخب ظاهرة ونخب كامنة:

هنا نفرق بين النخب التي تعمل في الخفاء، والتي تعمل في العلن.

المطلب الخامس: نخب مسيطرة ونخب مسيطرة عليها:

الأولى هي النخب المستقلة في مطالبها، مبادئها وأهدافها؛ أما الثانية فهي النخب التابعة لغيرها في الاسم، الهدف، والظاهر والمضمون؛ حيث أن هذه الأخيرة أكثر هشاشة وأقل صموداً في المجتمع.

1 - نفس المرجع، ص 107.

المبحث الخامس: خصائص النخبة:

تتميز النخب بالحركية، على غرار الديناميكية التي تحدثها؛ تماما كالأفكار والأعمال التي أنتجتها؛ لكن هذه الخصوصية لا تنفي، وجود مراحل استقرار متفاوتة التناقض؛ فهذا النوع من مفهوم تنقل النخبة، يقوم على انعدام الانفصال عن الجسم الاجتماعي، لكل مجموعة وقع عليها الاختيار، أو كل قائد؛ لأن تلك المجموعة الاجتماعية ستبين من خلال تلك السيرورة، التنقلات المحتملة للأفراد في الحقل الاجتماعي، وكذا مختلف المتغيرات، وسبل تحولات النسيج الاجتماعي برمته. يمكن تسجيل أربع حالات لحركية هذه النخبة وديناميتها، وهي كالتالي: وهذا تصنيف ترتيبي من النموذج الكلاسيكي، وهو تصنيف مثالي (1).

المطلب الأول: الحالة الأولى: نموذج الاستقرار:

ظهر الاستقرار للنخبة مثلا في جمهورية القضاة بالبندقية، فبعد المسيرات التي قام بها المجلس الأعظم في 1297م، ورغم مؤامرتين مجهزتين (تيلولو، ليبرالية عام 1310، وفالبيرو، ملكية عام 1355م)، فإن القادة يُجَبِّدون حصريا من طبقة التجار الأشراف الوراثية، التي ترفض التوسع عن طريق علاقات خارجية؛ وأدى ازدهار مدينة القضاة إلى قبول هذا النظام؛ وكانت النخبة المتوسطة محل ثناء، وتتقاضى رواتب عالية، لكنها مبعدة دائما؛ فالأرستقراطية الاقتصادية والسياسية والإدارية، مكوّنة في مدرسة (سان ماركو)، وغالبا بتزكية رجال الدين. أما المثقفون فتجدهم بالجامعة، الواقعة بمدينة داخلية: "بادو". واستمرّ

1 - نواره حسين، " المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير سنوات من الجمر سنوات من النار من بداية القرن العشرين لغاية الاستقلال"، ترجمة: سعدي فتحي، الجزائر، دحلب- موفم للنشر، 2013، ص 48.

هذا النموذج رغم اختراقات خارجية، والطابع المركنتيلي إلى حدّ ما، للحياة السياسية في القرن السابع عشر (17)، إلى أن جاء بونابرت (1) ليضع حدًا له سنة 1797م.

المطلب الثاني: الحالة الثانية: نموذج التنقل دون التحرك:

هذا النموذج متناقض مع نفسه ظاهرياً، يبرز خاصة عندما يجد فريقين نفسيهما مجبرين على الإشتراك، ويطراً عليهما تغيير، لتمكين التقارب؛ مثلاً نخبة المحاربين المنتمية إلى " الفرانك "، التي كانت وراء تأسيس المملكة الميروفنجينية (2)، قبلت هيمنة الديانة الكاثوليكية التي كانت أوسع انتشاراً، وفي الوقت نفسه، تخلى المونسيور الغالو رومانو، على وظائفهم الإدارية، وانسحبوا إلى مزارعهم، محتفظين بمكتسباتهم في مجال الثروة والثقافة.

1 - منذ أن هاجر لوي نابليون بونابرت إلى لندن سنة 1839، أَلَفَ " الأفكار النابليونية "، يَلَحُّ في هذا الكتاب المستوحى من كتاب " مذكرات سانت هيلان ديلاكازان "، أكد على ضرورة إقامة توازن سياسي بأوروبا بتطبيق معايير، تضمن احترام المصالح الوطنية، وتحافظ على وجود الإمبراطوريات. تموقع رمزيًا على مسار نابليون الأول، واضعا نفسه وريثًا للحرية الثورية، مما يجعله يرفض النموذج السياسي الإقليمي، الذي وضع بفيينا سنة 1815م، فقدّم نفسه على أنه الرجل الذي سيتم اللجوء إليه، واقترح مراجعة التوازنات الأوروبية، مؤكداً أن مصلحة فرنسا ومصلحة الشعوب الأوروبية كفيلة بالتعاقد.

2 - بعد عمليات الإجتياح التي عرفها القرن الخامس، قسّم الجزء الأكبر من الغول، بين أربعة شعوب جرمانية: البيرغاند، الفيزيغوث، الألمانس والفرانك، هذه الشعوب مقسّمة على فريقين: السالين، والراينيين، كان الفرانك يسيطرون على مملكة صغيرة، أشهرها مملكتا تورني وكولونيا. شيلديريك المنحدر من ملك ميروفي القوي الذي تقع مملكته بناحية " تورني "، قاد شعبه إلى " لا سوم"، حارب الفيزيغوث. ترك الحكم إلى ابنه كلوفيس سنة 481 على الأراضي الواقعة بين " لا سوم" و" الأنوار"، التي كانت إلى ذلك الحين بيد سياغريس ممثلي السلطة الرومانية "بالغول". إنتصر في معركة سواسون ثم سحب الألمانس في معركة كوليبياك عام 496، ووسّع أراضيه إلى غاية "الراين" وسهل "المين". تزوج عام 493 من "كلوتيلدا"، هي أميرة بورغاندية كاثوليكية، فتحصّل على دعم الأساقفة واعتنق المسيحية، ثم تصالح مع الغالورومانيين. وبتأثير من زوجته ومن الأسقفين "أفيت" و"ريمي"، أعلن نصرانيته "بريمز"، رفقة آلاف المحاربين التابعين له. وأصبح إذن الملك "الباربار" الشرعي الوحيد. واعتماداً على الدعم الذي استفاد منه، واصل كلوفيس غزواته. فأجبر البيرغاند على دفع الخراج، وأخضع الفيزيغو الذين طردتهم إسبانيا إثر معركة "قويي" سنة 207. وضمّ في نفس الوقت مملكة الفرانك التي ظلّت مستقلة، وسهر على إبعاد القادة الفرانك الآخرين، وأصبح كلوفيس سيداً على جزء كبير من منطقة "الغول"، ويمكن اعتباره كأول ملك لفرنسا، وجعل باريس عاصمة لها.

تقدّم العلاقات بين الملك كلوميس وسان سيدوان أبولينار⁽¹⁾، مثالا بليغا على الوضع، حيث لا يفقد الغالو شيئا من إمكانيات النفوذ، بل يستزيد منها. ففي بداية المنازعات حول عمليات المبايعة، أصبح أعوان الإمبراطورية من البيزنطيين، الذين عوّضوا التقاليد الجرمانية القديمة بالقانون الروماني⁽²⁾. في الحالتين، كان لإعادة الهيكلة الداخلية انعكاسات حاسمة.

المطلب الثالث: الحالة الثالثة: نموذج التحرك دون التنقل⁽³⁾:

يبدو هذا النموذج صعب التصور، لطريقة التعبير عن مفهومه، لكنه موجود كلما تصبو مجموعة، إلى التوسيع الجدلي لأهدافها، ومفاهيمها، وهياكلها الإجتماعية؛ والتوسّع العددي في مضمونها البشري. فهي عبارة عن أخوة تدريبية تقليدية في جوهرها، تشبه الماسونية⁽⁴⁾، وبمجرد أن تبدأ في التوسع، يأخذ عدد قادتها في الزيادة، وتجتهد من أجل البقاء هي في الوقت نفسه.

يشاهد سلك المعلمين الذي لا يفكر، إلا في تكوين معلّمين بوسائل أصلية، عدد نخبه تتضاعف بمجرد أن يسمح، مستوى المعيشة وانتشار وسائل التسلية، بتتمية دراسة ثرية متنوعة وبجودة عالية.

الباحثة في أطروحتها للدكتوراه " نواره حسين " ⁽⁵⁾ تستدلّ بالتالي:

- 1 - سيدوان أبو لينار (403 أو 430 - 487)، أسقف كلارمون، قديس وكاتب اشتهر بأشعاره، ومعروف عند المؤرخين خاصة برسائله الواقعة في تسعة مجلدات، التي جاءت تقليدا " لبليين "، شهادة على الحياة الثقافية والسياسية في " لاغول".
للمزيد: أنظر: نواره حسين، المثقفون الجزائريون...، نفس المرجع، ص 48.
- 2 - نواره حسين، المثقفون الجزائريون...، المرجع السابق الذكر، ص 49.
- 3 - نفس المرجع، ص 49.
- 4 - من الأعضاء المشهورين للتنظيم الماسوني، ينكر وولفانغ مادووس موزارت (الذي يحمل الأوبرا الذي ألفها بعنوان الناي السحري)، تأثير الطقوس الماسونية، ليون تولستوي الذي تمدح روايته " الحرب والسلم "، المثل العليا للأخوة، وكذا "أوسكار وايلد بنجامين فرانكلان"، و"فرانكلان روزلت"؛ يفوق عدد الماسونيين اليوم في العالم الستة (6) ملايين.
- 5 - نواره حسين، مرجع سابق الذكر، ص 50.

تقول: "... سياسيو الجمهورية الثالثة، بالطابع المحافظ والأرثوذكسي في الميدان الإجتماعي، والمذهب الوضعي والعلمي على الصعيد الثقافي، قد وجدوا أنفسهم أمام مشكلة عويصة نتيجة لهزيمة 1870م، فلجأوا إلى تلك الخاصة، لاستمالة شرائح جديدة أكثر سمواً؛ فطبّقوا مثلاً نظاماً معقداً من المنح والمسابقات، ممّا سمح لابن ساعي البريد بأن يصبح معلّماً، ولابن المعلم أن يصبح أستاذاً، ولابن الأستاذ أن تكون له حياة مهنية في الجامعة، أو كموظف سام في الوظيفة العمومية أو المهن الحرة.

المطلب الرابع: الحالة الرابعة أو النموذج الرابع: الحركة والتنقل مجتمعان:

هذا النموذج يتميز بالتغير الجذري للبنيات - التنقل وتغير الأشخاص، يتمثل فوق ذلك ثورة شعبية أو ثورة موجّهة، من أعلى على حدّ سواء؛ مثل التي يريد " ميكيافيلي " (1) إحداثها نظرياً، بمبادرة من الأمير، الذي ينزع التيجان من على الرؤوس المتوجّهة، ويرفع المتواضعين، ويشبع الجائعين ويلقي الميسورين في البؤس. هل يوجد نموذجاً خاصاً بالبلدان الصاعدة، يمكن اعتقاد ذلك بالنظر لأهمية المؤلفات التي تطرقت إلى ذلك.

في الواقع توجد نماذج نخبوية، شديدة الاختلاف عن النماذج الغربية؛ كالمقاطعة، الجمعيات الدينية المقدّسة، المرابطية..، أو في المستعمرات القديمة بأمريكا، كبار ملاك المزارع الضخمة. أدى انسحاب "الكولون" بعد تصفية الاستعمار، والذين استنزفوا قواعد قارات خلال القرن العشرين، أدّى ذلك الانسحاب القسري، إلى تلاقي النخب التقليدية وجهاً لوجه، مع النخب التقنية والعلمية، التي تكوّنت ما وراء البحار. التنقل بلا حركة يظهر كلما

1 - الأمير: تمّ تحريره سنة 1513م، وإهداؤه إلى (لوران لومانيفيك) وبعد أشهر مؤلف لميكيافيلي، رجل الدولة، المؤرخ الإيطالي الذي كان يرغب في الاستعادة من عطف ميديسيس، قام بالقطيعة مع المفاهيم السياسية للقرون الوسطى، مبرزاً عمل الأمير بالنظر للفعالية وليس للأخلاق؛ وكثيراً ما ينظر إليه على أنه مؤلفاً صلفاً، وهو الذي فرض فكر الدولة اللاتينية.

كان هناك تعاون بين المجموعات التقليدية، والمجموعات الحديثة، أو حتى تطابق، مثال ذلك كوت ديفوار "Cote d'Ivoire"¹.

أما النزاع بينهما فيؤدي إلى عدم الاستقرار، وتقدّم كوبا وجنوب إفريقيا وفلسطين وحتى الجزائر، وهو النموذج الثوري؛ لكن قد يحدث أن تؤدي إقامة ديمقراطية شعبية، إلى عودة السلطة بين أيدي النخب القديمة⁽²⁾.

1 - كوت ديفوار هو بلد إفريقي، كان تحت الحماية الفرنسية في 1893، وأصبح مستقلا في 1960/08/07. كان نظام الحكم فيه دائما عسكريا توتاليتاريا ، شهد عديد من الانقلابات العسكرية مشابهة لنظام الحكم في الجزائر، أدت انتخابات 2010 إلى حرب أهلية عام 2011، وكان نزاعا مسلحا بين الحكومة (المتركزة في الجنوب) وقوات المقاومة (التي تسيطر على الكثير من أجزاء البلاد وخاصة الشمال)، وهذا لسنوات عديدة. تمّ التوصل إلى اتفاق سياسي بين الحكومة الجديدة والمتمردون ، أدى إلى عودة السلام. مسترجع من الموقع الإلكتروني الآتي:

تاريخ الاطلاع على الموقع: 2016/09/07 على الساعة 10سا 55د countries/world-
<https://www.interpol.int/member>

2 - نفس المرجع، ص 51.

المبحث السادس: تصورات نظرية حول النخبة:

من أجل تقديم تصور أفضل لمفهوم النخبة، يتوجب علينا أن نستعرض أهم الاتجاهات الأساسية، التي عالجت المفهوم ونحددها على النحو التالي:

المطلب الأول: الاتجاه السيكلوجي: فيلفيدو باريتو* (1848-1923م):

يعدّ فيلفيدو باريتو من أهم علماء الاجتماع السياسي، الذين اهتموا بدراسة النخبة في إرتباط وثيق، بمسألة اختلال المجتمع وتوازنه؛ بل يمكن القول إنه أول من اهتم بهذا المصطلح، في المجالين الاجتماعي والسياسي. وفي هذا الصدد يقول "جون سكوت": "قدم باريتو الكثير من المساهمات الجديرة بالذكر، إلى علم الاقتصاد وعلم الاجتماع السياسي، ويعتقد علماء الاقتصاد بأنه ليبرالي كلاسيكي، وله ريابة في تطبيق نظرية، الاختيار العقلاني على اقتصاديات الرفاهية. وعلى العكس من ذلك، فعلى الرغم من كونه مؤسس علم الإجماع السياسي، وبالأخص نظرية النخبة؛ فقد عرف عنه في هذا المجال، أنّه ذلك المتعصب والمناهض للديمقراطية، ويبحث في اللاعقلانية في السياسة؛ وفي الحقيقة ظلّ باريتو إلى حدّ ما مخلصاً لمثله القديمة، ولكنه عزی عدم تحقيقها، إلى فشل السياسات الديمقراطية"⁽¹⁾.

* فيلفيدو باريتو هو اسمه الكامل وفريد فريتز باريتو: ولد في باريس عام 1848، وهو عام الثورة الليبرالية، لأب راديكالي إيطالي منفي مؤقتاً. سلك درب والده في الهندسة، وتخرج في عام 1869، ومن تم انتقل للعمل في شركة روما للسكك الحديدية، فرع فلورنسا خلال هذه الفترة أصبح باريتو منغمساً في المناقشات السياسية ومن المتحمسين لحق الاقتراع العام، والحكم الجمهوري، والتجارة الحرة، ونزع السلاح، وأصبح من المعجبين بهزيرت سينسر، وجون ستوارت ميل. عين سنة 1893 أستاذاً جامعياً لعلوم الاقتصاد السياسي في جامعة لوزان بسويسرا، هو صاحب المبدأ المعروف بقاعدة 80-20 في علم الإدارة؛ وهو صاحب النظريتين الاقتصاديّتين: أمثلية باريتو، وأفضلية باريتو؛ وله مدرج إحصائي عرف باسم مخطط باريتو الاحتمالي، هو أيضاً صاحب المقولة الشهيرة: التاريخ هو مقبرة من الطبقات. توفي عام 1923. للاستزادة أنظر المرجع التالي: جون سكوت، خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً، مرجع سبق ذكره، ص 59-64.

1 - جون سكوت، "خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً"، ترجمة. رشا جمال، بيروت لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية، 2013، ص 59.

يعطي "باريتو" تعريفين للنخبة أحدهما واسع والثاني ضيق. فالنخبة - بالمفهوم الواسع-: هي تلك الفئة القليلة من المجتمع، التي حققت نجاحا في أنشطتها المهنية والوظيفية، فوصلت إلى أعلى مراتب الهرم الاجتماعي، مثل: رجل الأعمال الناجح، والصانع الماهر، والأستاذ البارِع، والفنان المشهور...⁽¹⁾، ويعني هذا أن النخب غير حاكمة.

أما المفهوم الضيق: فالنخبة هي تلك الفئة أو الأقلية الحاكمة التي تملك السلطة والنفوذ والقرار، وتمارس تأثيرها في باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى؛ قصد إقناعها بتوجهاتها السياسية والإيديولوجية، وقد تتكوّن هذه النخب من الوزراء، وأمناء الأحزاب، والمعارضين السياسيين، والمسؤولين النقابيين، وكبار العسكر، ورجال المقاولات الصناعية النافذين...

وعليه، فالنخبة هي تلك الفئة التي تمتلك صفات استثنائية، يقول في هذا الشأن باريتو: "...لنفرض أن نعطي لكل فرد في جميع حقول النشاط الإنساني، علامة تدلّ على مهاراته بالطريقة نفسها تقريبا، التي تعطى فيه العلامات في الامتحانات؛ وعلى سبيل المثال، تعطي من يبرز في مهنته عشرة، ونعطي من لا ينجح في الحصول على زبون واحد علامة واحدة، بشكل نستطيع معه إعطاء صفر، لمن يكن غبيا حقا، ونعطي عشرة لمن عرف أن يربح الملايين، سواء كان جديًا أم سيئًا؛ ومن يربح ألوف الليرات نعطيهِ ست علامات، ومن يتوصّل إلى عدم الموت جوعا فقط، نعطيهِ علامة واحدة، ومن يعالج في مأوى المعوزين نعطيهِ صفرا... و هكذا دواليك...، بالنسبة لجميع حقول النشاط الإنساني... ولننشأ - إذا- طبقة من هؤلاء الذين ينالون أعلى العلامات، في الحقل الذي يبذلون فيه نشاطهم، ولنعطي لهذه الطبقة اسم النخبة⁽²⁾. ومن هنا يميز " باريتو" بين، الطبقة الشعبية العامة والنخبة الخاصة، إذ تنجذب العامة على المستوى النفسي، إلى الأفكار غير المنطقية وغير العقلانية؛ وهذا ما يجعل النخبة المتميّزة بالدهاء والقوة والأيديولوجيا، قادرة على استغلالهم للفوز بالسلطة السياسية، والظفر بها.

1 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

2- Vilfredo Pareto, Traité de la Sociologie Générale, 1919, pp.1296-1297.

وبعد ذلك، يميز " باريتو " بين النخبة الحاكمة وغير الحاكمة، وفي هذا يقول: "... بالنسبة للدراسة التي نقوم بها، هي دراسة التوازن الاجتماعي من المستحسن أيضا، تقسيم هذه الطبقة إلى اثنين: نضع على حدا هؤلاء الذين، يمثلون مباشرة أو غير مباشرة، دورا بارزاً في الحكومة، فهم يشكلون النخبة الحكومية، والباقيون يشكلون النخبة غير الحكومية..، وتكون لدينا- إذا- فئتان من السكان، الأولى: وهي الفئة الدنيا أو الطبقة الغربية عن النخبة، ولن نبحت حالياً التأثير الذي يمكن أن يمارسه في الحكومة، الثانية وهي الفئة العليا أو النخبة التي تقسم إلى قسمين: أ- النخبة الحكومية؛ ب- النخبة غير الحكومية⁽¹⁾.

ويعني هذا أن المجتمع ينقسم إلى فئتين كبيرتين، الفئة الدنيا من الجماهير الشعبية، وهي فئة لا تحكم، والفئة العليا التي تشكل ما يسمّى بالنخبة، وهي قسمان: نخبة حاكمة ونخبة غير حاكمة. ويشير مصطلح النخبة الحاكمة أو الحكومية، إلى ما يسميه "رايت ميلز" (Wright Mills) ⁽²⁾ بنخبة السلطة، و"موسكا" (Mosca) بالنخبة السياسية.

وعليه، فقد رفض باريتو التصورات الماركسية، التي تؤمن بوجود النخب السياسية أو الاقتصادية؛ بل يعطي الأهمية القصوى للطبقة الدنيا، ويعتبرها هي الأحق في امتلاك السلطات، بعد القضاء على الطبقة البرجوازية، والإستيلاء على وسائل الإنتاج. في حين، يرى باريتو أن النخبة هي البديل الحقيقي، لضمان استقرار المجتمع، وتحقيق التوازن المؤسساتي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي؛⁽³⁾ فالعامّة من الناس مندفعة وجدانيا تؤمن بالأفكار الوهمية، في حين تتميز النخبة بقدرات ومؤهلات فائقة، يسمح لها بالسيطرة على الحكم وقيادة المجتمع. وقد قسم باريتو النخب السياسية - على غرار تقسيم ميكيافيلي - إلى نخبة الثعالب ونخبة الأسود، فالأولى تتكوّن من فئة الشيوخ، استولت على الحكم بالدهاء والخديعة، والثانية تتكوّن من فئة الشباب التي تنتمي، إلى الطبقة الدنيا من عموم المجتمع.

1- Ibid , p 1304.

2- C. Wrght, Mills, L'élite du Pouvoir, Editions Agnon, Coll « L'ordre des choses », France, 2012, p 26.

3-Vilfredo Pareto, Op.Cit, p 1298.

وتدخل هاتين النخبتين في صراع وضغط، والتي تنتصر تستولي على الحكم، وبعد فشلها واضمحلالها، تستولي النخبة المعارضة على الحكم بشكل تناوبي دوري. وبهذا تتحقق الديمقراطية، والتوازن الاجتماعي. وغالبا ما تقوم الحروب والأزمات الاقتصادية في تغيير النخب بشكل تناوبي، بعد اشتداد الصراع بين الثعالب والأسود. يقول في هذا الشأن جون سكوت: ".وهذان الاثنان من النخب السياسية، استطاعتا الحصول على السلطة، عن طريق الاستفادة من دعم ائتلاف، من مجموعات اجتماعية واقتصادية غير متجانسة، تتمتع بصفات متوازية ومرتبطة بمضاربين وأصحاب الدخل"⁽¹⁾.

وأكد باريتو بأنه كان هناك تداول دوري بين النخبة، تتناسب مع الدورات الاجتماعية والاقتصادية؛ وبالتالي يتوحد الثعالب إلى المضاربين إما ضمنا، أو بمساعدتهم بشكل إيجابي في سلب ذوي الدخل، يجعلهم مدّخرين من صغار البرجوازية، أو من المساهم بين الأساسيين؛ ومع ذلك يمكن أن يقع كل من الحكومة والشعب، في ربكة الديون، بسبب الإفراط في الاستهلاك اعتمادا على الديون؛ في حين إن ندرة رأس المال ونقص الاستثمارات المنتجة، يمكن أن يؤدي إلى حدوث حالة انكماش اقتصادي، ومن المفترض أن تكون الحاجة إلى ضبط النفس والتوفير جليا، وأن تحتل حكومة الأسود الصدارة بدعم من ذوي أصحاب الدخل، وعلى الرغم من ذلك، ففي النهاية سيبدأ الاقتصاد في الدخول في حالة ركود، ومن ثمّ سيسأم الناس من نظام الأسود، ما يمهد إلى بروز الثعالب والمضاربين مرة أخرى، وتبدأ حينها دورة جديدة"⁽²⁾. وكما أشرنا في بداية شرحنا لنظرية باريتو، حيث يقسم النخب ضمن مقترَب نفسي أو سيكولوجي، وأيضا في ضوء مفهوم الرواسب. التي تتمثل في العواطف والحالات العقلية، المتصلة بالغرائز البشرية، لتفسير سيطرة نخبة واختفاء أخرى وظهور نخبة أخرى، وقسمها إلى مجموعتين"⁽³⁾:

1 - جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 62.

2 - نفس المرجع، ص 63.

3 - محمد الرضواني، المرجع سابق الذكر، ص ص 93-94.

المجموعة الأولى: تضمّ رواسب تعكس الميل إلى التأمل والتفكير.

المجموعة الثانية: تضمّ رواسب تعكس الميل إلى البقاء والاستقرار، وتعزيز المراكز التي يتم الوصول إليها.

ويدافع باريتو عن النخبة البرجوازية، القادرة على تحقيق توازن المجتمع، وتماسكه ورفاهيته بطريقة تناوبية دورية؛ وفي هذا تقول الباحثة وسيلة خزار: "وتتنمي الصفوة بالضرورة إلى الطبقة البورجوازية، لأنها هي الطبقة الوحيدة المتوازنة بطبيعتها، أي التي تحتفظ بأكثر قدر من الالتزام الخلقى ومراعاة السلوك⁽¹⁾. بمعنى أن باريتو قد حكم على الطبقة الدنيا في المجتمع بأن تظل دنيا دائماً، وبأن كل مجتمع لابد أن تكون فيه صفوة حاكمة تضمن توازنه، ولذلك فليس ثمة مكان لجماهير الشعب في الحكم.

ويقرر "باريتو" أن أي مجتمع، لا يؤمن بالتغيير أو الحركية الاجتماعية، وتناوب النخب وتداولها على السلطة، سيكون مصيره الانهيار، ومن جهة أخرى لاحظ باريتو أن النخبة قد تضم أفراد لا يستحقون أن ينتموا إليها. ويجد كذلك في الطبقات الدنيا أفراد يستحقون أن ينتموا إلى النخبة. وهكذا، تدخل النخبة الحاكمة (الشيوخ الثعالب) في صراع مع نخبة شباب الأسود، التي تنتمي إلى الطبقة الدنيا، فيحدث صراع القوى والضغط، يكون الهدف منه هو سحق النخبة المنافسة، وعندما تنتصر نخبة الأسود - مثلاً - تسيطر على الحكم، وعندما تفشل تتولى النخبة المقابلة، وهكذا دواليك...

وهكذا يمكن القول بأن تناوب، النخب السياسية ودورانها حول السلطة والحكم، من أهم عوامل تحقيق التوازن الاجتماعي وانسجامه. وفي هذا الشأن يقول موريس دوفيرجيه: "تعتبر فكرة دوران النخبة، النقطة المركزية في نظرية النخب، وبما أن الانتماء إلى النخبة قائم على الصفات الفردية، فهو ليس وراثياً من الناحية المبدئية، باعتبار أن الأولاد لا تكون لديهم بالضرورة صفات أهلهم. يتم - إذا - استبدال مستمر للنخب القديمة، بالنخب الجديدة

1 - وسيلة خزار، الأيدولوجيا وعلم الاجتماع، جدلية الانفصال والاتصال، بيروت لبنان، منتدى المعارف، الطبعة الأولى، 2013، ص ص 149-158.

التي تأتي من الفئات الدنيا من السكان. يقول باريتو: "إن ذلك هو دوران الأفراد بين مجموعتين، والنخبة وسائر السكان"⁽¹⁾.

إن الدوران الفردي للنخب هو عامل أساسي في التوازن الاجتماعي، وإذا لم يحصل ذلك بصورة منتظمة وكافية، يعمل المجتمع بشكل سيء، ينمو فيه حالة ثورية، ستستبدل الدوران الفردي بالدوران الجماعي للنخب"⁽²⁾.

إن تأخرا بسيطا في هذه الدورة، يمكن أن يؤدي إلى زيادة مهمة في عدد العناصر، المنحطة التي تحتويها الطبقات، التي ما تزال تملك السلطة، ومن جهة أخرى إلى زيادة عدد العناصر ذات الصفة العالية، التي تحتويها الطبقات الخاضعة، وفي هذا الحال، يصبح التوازن الاجتماعي غير مستقر وأقل صدمة... تدمره، ويأتي اجتياح أو تأتي ثورة لتقلب كل شيء، فتحمل إلى السلطة نخبة جديدة، وتقييم توازنا جديدا"⁽³⁾.

ويضيف موريس دوفيرجيه التالي: "... وتبين الدراسات المقارنة التي قام بها "س.م. ميلر" S.M. Miller عام 1960، في أربعة عشرة بلدا، أن الحركية الاجتماعية شديدة بصورة عامة، بين الفئات الدنيا والمتوسطة، وبالتحديد بين المهن اليدوية والمهن غير اليدوية (موظفون، الخ). يتم ذلك في الاتجاهين، مع حالات تفاوت كبير، فمثلا في فرنسا ثمة حركية صاعدة قوية، وحركية تنازلية ضعيفة بالنسبة للولايات المتحدة، والحركية أضعف بكثير بين الطبقات الوسطى، والنخبة بالمعنى الذي يقصده باريتو، مع فوراق محسوسة بين البلدان، فالأبحاث السوسولوجية لا تدعم - إذا - نظرية دوران النخب، إلا بصورة ضعيفة جدا"⁽⁴⁾.

ومن هنا فإن نظرية دوران النخب عند باريتو، قد يصعب تحقيقها أو الأخذ بها؛ لأن نخبة الطبقات الدنيا يصعب عليها، أن تصل إلى مقاليد الحكم، ويسهل عليها بسرعة أن

1 - موريس دوفيرجيه، علم اجتماع السياسة، ترجمة: سليم حداد، بيروت لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2001، ص 163.

2 - نفس المرجع، ص 163.

3 - نفس المرجع، ص 164.

4 - موريس دوفيرجيه، المرجع سابق الذكر، ص 165.

تنزل منها؛ لأن الصعود إلى مرتبة النخبة يحتاج إلى مجهود كبير ومشقة عويصة؛ في حين، يصل إليها المحظوظون اقتصاديا ووراثيا بسهولة؛ وفي هذا يقول دوفيرجيه: "أن الأفراد الموهوبين بشكل خاص من الطبقات الدنيا، يمكن الخروج منها، لقاء جهد كبير جدا، لكنهم لا يستطيعون الصعود عاليا جدا في السلم الاجتماعي، فالصعود نحو القمة، يحتاج بصورة عامة إلى عدة أجيال، ويبقى استثنائيا إلى حد كبير، والهبوط من الطبقات العليا نحو الطبقات الدنيا، ليس مستحيلا هو كذلك، لكنه كذلك أكثر ندرة وأكثر حصرًا. يمكننا أن نجد بعض آثار قانون الأجيال الثلاثة، الذي لمح إليه ابن خلدون، يرتفع الإنسان بقوة قبضته⁽¹⁾.

فيستفيد ابنه من الوضع دون تحسينه أبدا؛ أما حفيده الذي تربى في حال من اليسر، فيعود ليهبط درجات السلم. إن تاريخ بعض السلالات الصناعية أو التجارية، يقترب من هذه الصورة، فضلا عن ذلك يكون السقوط أكثر بطئا، ويبقى محدودا بصورة عامة⁽²⁾.

وإذا كان "باريتو" و"موسكا" و"رايت" يقولون بوحدة النخبة، فإن "روبيل دال" و"ريمون أرون"⁽³⁾ يقولان بعدد النخب؛ بمعنى أن المجتمع يتكوّن من عدد كبير، من النخب المختلفة والمتنوعة، والمندمجة، والمتنافسة أحيانا، والمتضامنة أحيانا أخرى⁽⁴⁾.

في حين يقول الماركسيون الجدد (بولانتراس - مثلا)، بوجود طبقة اقتصادية هي التي تحكم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مادام الاقتصاد يتحكم في السياسة؛ ويعني هذا أن

1 - عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، قسم الدراسات في دار جويليس، الطبعة الأولى، 2005، ص، 325.

2 - موريس دوفيرجيه، نفس المرجع، ص 165.

3 - ريمون أرون هو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ولد في 14 أذار 1905 بباريس، وتوفي سنة 1983. ركز في فكره على نفي ما هو خارج الوجود المادي. وما يقع خارج نطاق الخبرة والمعرفة. اهتم كذلك بالمجتمع الصناعي الحديث، وأن العامل الأساسي في حركة المجتمعات، ليس هو الصراع الطبقي فحسب، بل هناك صراع النظم السياسية، الذي رأى تأثيره أعظم بكثير من الصراع الطبقي. كما تطرق إلى ذلك في كتاباته، إلى العلاقات الدولية والتناقضات الفلسفية، في الديمقراطية الغربية. من مؤلفاته: -مدخل إلى فلسفة التاريخ،

-أفيون المثقفين (1955) - ثمانية عشر درسًا في المجتمع الصناعي (1963)؛ مراحل الفكر السوسيولوجي (1967)؛ الثورة المفتقدة (1968). مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي : <http://data.bnf.fr/ark:/121up/cb11889201d> بتاريخ

الاطلاع: 2017/04/25، على الساعة : 16 سا 45.

4 - عبد الرحمن شحشي، المرجع سابق الذكر، ص 29.

نخبة الظل أو النخبة الاقتصادية، هي التي تستحوذ على مراكز الهيمنة والقرار، وهي التي تسيّر باقي النخب الأخرى، على الرغم من تعددها واختلاف سحناتها، وقسماتها السياسية والاجتماعية.

المطلب الثاني: الاتجاه المؤسّساتي "شارل رايت ميلز" (Charles Wright Mills):

يعدّ رايت ميلز (1916-1962) من أهم السوسيولوجيين الأمريكيين، ومن أهم المنظرين للنخبة، في ضوء المقترّب المؤسّساتي. إذ كرّس كلّ اهتماماته لدراسة النخبة في الولايات المتحدة الأمريكية. طوّر نظرياته السياسية والاجتماعية، حول النخبة في كتابيه: (نخبة السلطة)⁽¹⁾ سنة 1956م، و(الطوق الأبيض) سنة 1951م. ومن ثم فهو ينتمي إلى المدرسة السوسيولوجية النقدية، المعارضة لمدرسة "تالكوت بارسونز" (Talcot Parsons).

تعرف النخبة عند رايت ميلز: "بأنها مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون السلطة، ومشروعية إصدار القرارات، ويحتلّون أعلى المناصب في المؤسسات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية؛ تتميز السلطة عند ميلز بطابعها المؤسّساتي، وينتج عن تحصيل السلطة المؤسّساتية امتلاك الثروة، والمجد، والشهرة، والقوة.

وعليه يثبت "ميلز" أن النخبة الأمريكية "إن بدت متعددة من الخارج، إلا أنّها مندمجة ومتراصة من الداخل، بسبب ترابط مصالحها؛ وعلى الرغم من تعدّد النخب الأمريكية، وتوزّعها بين الجيش والسلطة السياسية والأعمال، فإن خلفيتها واحدة، لأنها تنحدر من الفئات الاجتماعية نفسها، ولها المصالح نفسها"⁽²⁾.

أيضا لا تكتسب النخب قوتها بالرواسب السيكولوجية، ولا بالوجاهة الاجتماعية، والقوة الاقتصادية، والقوة العسكرية والقوة الإدراكية...، يفضّل رايت ميلز مصطلح أو مفهوم "نخبة

1 - Wright Mills, **The Power Elite**, (L 'Elite du pouvoir) Traduction en Français Chez Agone, en 2012 Sous le titre **L'élite au** pouvoir, 1956, p. 99.

2 - المختار بن عبد اللاوي، مرجع سابق الذكر، ص ص 12-13.

السلطة"، على "الطبقة المهيمنة" بالمفهوم الماركسي، لأنه يرفض الفكرة الماركسية التي تنطلق، من أن السلطة تنتج من نمط وسائل الإنتاج، ولأن "ميلز" يشكّ في العقيدة الليبرالية، والحكم الذاتي وفي أولوية السياسي؛ لأنه لا يعتقد أيضا بأن القيادة العليا تنتمي أو تخضع، إلى طبقة كانت من الطبقات المهيمنة في هرم السلطة؛ لأن هرم السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية- قام بدراسة أكاديمية معمّقة، على فترة زمنية طويلة حول النخبة المهيمنة في السلطة- نُخبة مترابطة ومرتدة، برغم نوع وظائفها فهناك إذا في هرم السلطة الأمريكية، إتحادا وتراصًا بين النخب، مثل النخبة العسكرية و النخبة الاقتصادية والنخبة الإعلامية (1). من الواضح أن "ميلز" اعتمد على المنهجية الامبريقية في دراسته للنخب في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وقد شكّلت هذه الدراسات معين في الكشف، عن الآليات والكيفيات التي تتخذ فيه النخبة، مع القوة والحكم، في اتّخاذ القرارات السياسية والاجتماعية في المجتمع. يقدم لنا "ميلز" تحليلا سوسيلوجيا معمّقا، عن الكيفية التي تتداخل فيها مصالح الأفراد، على نحو متكامل، في دائرة النخبة التي ينتسبون إليها، ويشكّلون عناصر وجودها. فالنخبة وفق "ميلز" تشكّل مركبا معقّدا، من العلاقات والمصالح الاقتصادية والاجتماعية المعقّدة، وتشكّل في جوهرها قوة تتفرد بالسلطة.

1- Giovanni Bussino, **Elite et Elitisme**, Casbah Editions, Alger, 1998, Presse Universitaire de France, 1996, p 56.

المطلب الثالث: الإتجاه التنظيمي "غيتانو موسكا" * (Gaetano Mosca):

يعدّ غيتانو موسكا (1858-1941م) من أهم المفكرين الإيطاليين، الذين اهتموا بدراسة النخبة، وبصفة خاصة النخبة السياسية؛ ألف كتباً عديدة في هذا المجال منها: (نظريات الحكومات والحكومات البرلمانية) عام 1884م، و(عناصر العلوم السياسية) عام 1890م، و(تاريخ النظريات السياسية) عام 1936.

تأثر موسكا كثيراً "بفيلفريدو باريتو" وبالكتابات الماركسية؛ وقد طوّر موسكا نظرية النخبة والطبقة السياسية، ونجد أفكاره مبثوثة في كتابات كل من "روبرت ميتشلز" Robert Michels و"جوزيف شومبيتر" (Joseph Schumpeter)، و"سيمون مارتان" (Symon Martin) و"ليبسيت" (Lipset).

يتحدّث موسكا عن النخبة في ضوء المقترح التنظيمي ويعني هذا: "أن صغر حجم الصفوة، ووضوح وسائل الإتصال المتوفرة لديها، وسهولة تدفق المعلومات ما بين أعضائها؛ يمنحها هذه القدرة التنظيمية العائلية، لذلك تستطيع وضع السياسات واتخاذ القرارات بسرعة، والاستجابة الفورية للظروف المتغيرة، والظهور بمظهر التضامن الكامل في أقوالها وأفعالها؛ أما الأغلبية فهي غير منظمّة، ويطلق على هذه الفئة النخبة الحاكمة⁽¹⁾.

هذا وتعرّف النخبة عند موسكا بتلك الفئة، التي تتميز بحصولها على أعلى مكانة في هرم السلطة أو التنظيم، وتتمتع بقدرات كفائية هائلة، تسمح لها بالحصول على السلطة في المجتمع البيروقراطي المعاصر.

* جيتانو موسكا: هو رائد علم الاجتماع السياسي، ولد في باليرمو الإيطالية عام 1858 لأسرة مهنية من الطبقة الوسطى، ودرس القانون في جامعة محلية، وتخرج في العام 1882. وقد أثرت كل تلك العوامل الحياتية - دعا من مولده في جنوب إيطاليا حتى تدريبه القانوني - على أفكاره في علم الاجتماع. للاستزادة: أنظر: جون سكوت، خمسون عاماً اجتماعياً أساسياً، مرجع سبق ذكره، ص 387.

-Schumpeter (Joseph.), Aufsätze Zur Soziologie, Germany, J. C. B. Mohr, Tubingen, 1953, pp 131-132.

1 - كمال المنوفي، أصول النظم السياسية المقارنة، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1987، ص 75.

تتميز نظرية النخبة عند "موسكا" بأنها أكثر ديمقراطية من عند باريتو⁽¹⁾، على أساس أن النخبة ليست وراثية كما يقول باريتو؛ بل يمكن لأي فرد تتوفر فيه القدرات، المتميزة والاستثنائية وذات الكفاءة العالية أن يصل إلى السلطة؛ وهذا ما يؤكد باريتو الذي يقول بتداول السلطة بين النخب المتنافسة، وبصفة خاصة نخبة الأسود ونخبة الثعالب.

وعليه، فقد اعتبر موسكا "أن من بين الحقائق والميول الدائمة، التي يمكن أن توجد في كل بنية سياسية، ظاهرة بيّنة إلى درجة أنها واضحة لأقل العيون تدقيقا، وهي أنه في كل المجتمعات... تنشأ طبقتان من الناس، طبقة حاكمة وطبقة محكومة؛ فالطبقة الحاكمة هي دائما أقل عددا من الطبقة المحكومة، وهي التي تقوم بكل الوظائف السياسية وتحتكر السلطة، كما تتمتع بالفوائد التي تكون حصيلة تلك السلطة؛ بينما الثانية، وهي الأكثر عدداً، تُسَيِّر الطبقة الأولى وتدير شؤونها، توصف حيناً بالشرعية وحيناً آخر بغير الشرعية، حين تفرط في استعمال القوة، والضعف، والقهر، والإقصاء عبر الضغط والتزوير"⁽²⁾.

ميّز "موسكا" أيضا بين المجتمعات الجامدة والمجتمعات المتحركة؛ فالمجتمعات الأولى لا تتناوب فيها النخب، أو يتم فيها الدوران بطريقة سيئة؛ بينما المجتمعات الثانية فتعرف تناوبا جيدا للنخب، وخاصة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة؛ وفي هذا السياق يقول "موسكا": "بقيت صفوف الطبقات الحاكمة مفتوحة، والحواجز التي لا تمتع أفراد الطبقات الدنيا من الدخول إليها، تمّ إلغاؤها أو خفّضت على الأقل، وسمح تحويل الدولة الاستبدادية القديمة إلى دول تمثيلية حديثة، لجميع القوى السياسية تقريبا، ولجميع القيم الاجتماعية بالمشاركة في الإدارة السياسية للمجتمع"⁽³⁾.

لكن "موسكا" تعرّض هو أيضا للانتقادات مثل "باريتو"، على أساس أنه "قدّم مفهوما مطّاطا للنخبة، إلى درجة أن جعلت البعض يشير، إلى أن مفهومه ينسحب فقط على الطبقة

1- Puppo Alberto, Gaetano Moska et la Théorie de la classe politique, Revue Française de L'Histoire des idées politique, 2005, CN ; 22, pp 17-31.

2- Ibid, p32.

3- Gaetano Moska, Elementi di Scienza politica, Tome 2, 1923, p 211.

الوسطى، أو أصحاب الممتلكات أو المثقفين؛ لكن مع ذلك يظل من أبرز المؤسسين، للنقاش السوسيولوجي حول دوران النخب"⁽¹⁾.

المطلب الرابع: الاتجاه الأدائي: روبرت ميتشلز (1876م - 1936م):

يعدّ روبرت ميتشلز (Robert Michels) من أهم أعضاء مدرسة النخبة الإيطالية، إلى جانب باريتو وموسكا، وهو سوسيولوجي من أصل ألماني درس بإنجلترا، فرنسا وألمانيا. إنصبّ اهتمام "ميتشلز" على سلوكيات النخبة المثقفة، في ضوء مفاهيم مدرسة النخبة الإيطالية؛ ويعرّف بكتابه حول (الأحزاب السياسية)⁽²⁾ الذي أصدره عام 1911م، الذي تتضمن فكرته حول القانون الحديدي للأوليغارشية، ومفاده "أن القائد الذي يحصل على السلطة السياسية ويعتاد على ممارستها، يصعب عليه التخلي عنها، فيستخدم بذلك السلطة من أجل البقاء والاستمرار فيها"⁽³⁾.

يرى "ميتشلز" أن التنظيمات الاجتماعية مثل الأحزاب والنقابات، تتطلب وجود نخبة أو قيادة لعدة أسباب أهمها: ضرورة تقسيم العمل، وتعدد الأعمال الإدارية، والحاجة إلى المعرفة المتخصصة، وأخذ بعين الاعتبار أسباب بينية مثل حجم التنظيم، وصعوبة الاتصال بين الرؤساء والمرؤوسين، والحاجة إلى سرعة اتخاذ القرار؛ وهذه العوامل بمختلف تجلياتها، أدت إلى تمركز القوة تنظيمياً، في أيدي نخبة من القادة والمنظمين والإداريين، بوصفهم يمتلكون صفات ذاتية استثنائية، تعزز سلطتهم داخل التنظيم.

بيّن ميتشل عبر نظريته النخبوية - أن النشأة الديمقراطية للأحزاب، تتحول مع مرور الزمن إلى تنظيمات، خاضعة، إلى حكم قلة من الأفراد أو نخبة مميزة، وذلك لأن التنظيم يحتاج إلى أقلية نخبوية منظمة، تمتلك المهارات الضرورية لممارسة الحكم، وينتهي الأمران

1 - عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا الأعيان، الرباط، القاهرة، دفاثر العلوم الإنسانية، الطبعة الثالثة، 2013، ص 16.

2- Robert Michels, Les Partis politiques essai sur les tendances oligarchiques des démocraties, Traduit par S. Jankévitch, Publisted, 1914, Topics Political Parties Democracy, p 98.

3 - محمد الرضواني، مرجع سيق نكره، ص 95.

أن تقوم هذه النخبة لاحقاً بالاستحواذ على السلطة، والإنفراد بالهيمنة السياسية من خلال موقعها السياسي في مركز اتخاذ القرار⁽¹⁾.

يرى "ميتشلز" - وهو يجاري في ذلك أستاذه موسكا و باريتو- ، بأنه لا بدّ من وجود أقلية حاكمة، وأكثريّة محكومة في المجتمعات الإنسانية؛ ولكنه يستخدم على خلافهما مصطلح "الأوليغارشية" (أي الأقلية) (Oligarchie)، بدلا من كلمة (Elite)، في معالجته لقضية الأحزاب والحياة السياسية في المجتمع؛ ويؤكد حتمية أيضا وجود نخبة، أو أقلية حاكمة في أي مجتمع، واعتبرها ضرورية من أجل الاستمرار، في الوجود الاجتماعي والسياسي، للأحزاب والدولة وللمجتمع. فالنخب تمتلك مختلف القدرات والكفاءات والمعارف الضرورية، لتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية وتوجيهها؛ وهذا يعني أن النخبة تفرض نفسها بما تمتلكه من هذه القدرات، الضرورية للحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع.

وتمخّضت نظرية ميتشلز عن "القانون الحديدي للأوليغارشية"، الذي عرضه في مؤلفه المذكور آنفا، وهو القانون الذي يعمّمه على مستوى المجتمع، وفي مختلف التنظيمات الاجتماعية والسياسية الصغرى والكبرى. يرى ميتشل دائما وفقا لهذا القانون أن التنظيمات السياسية، في رأيه، قد تنشأ نشأة ديمقراطية قائمة على المساواة، ولكنها تتحول مع مرور الزمن ووفقا لقانونه الحديث، إلى تنظيمات خاضعة لحكم قلة من الأفراد، يتحكمون في مواردها لخدمة مصالحهم الشخصية أو الطبقية، وبحسب هذا القانون يرى ميتشل أن أي قيادة - ولو كانت ديمقراطية - لا بدّ أن تتحول في نهاية الأمر إلى قيادة أوليغارشية، تتمثل في نخبة قلة من الأفراد، الذين يحكمون ويهيمنون ويوجهون السلطة، إلى خدمة مآربهم الخاصة⁽²⁾.

1- Robert Michels ,**Op.Cit**, p. 98.

2 - إمام عبد الفتاح، "القانون الحديدي للأوليغارشية"، **مجلة العربي**، العدد 482، بيروت، يناير 1992. مسترجع من: <http://www.alarabimag.com/Article.asp?ART=7582&CID=193>.

يرى "ميتشل" أيضا أن مشاركة الفرد في حكم نفسه ديمقراطيا، لا يتم اليوم بواسطة الاقتراع المباشر، الذي عرفته أثينا في العصر الإغريقي القديم، فالعملية الديمقراطية تتم عبر الممثلين النيابيين أو البرلمانين؛ وفي أثناء الممارسة الديمقراطية للحكم، تظهر أقلية نخبة في داخل المجالس البرلمانية، لتنفرد بالسلطة وتمارس ضربا من الهيمنة، على عموم أعضاء المحلي، وهي تستمر بممارسة هذا للتفرد بالسلطة، تحت عنوان سلطة الشعب والديمقراطية السياسية⁽¹⁾، ولكن هذه النخبة تستمر أيضا في المحافظة على سلطتها وهيمنتها، وإعادة إنتاج نفسها بطرق مختلفة، ولاسيما طريقة التداول في السلطة. ويبدو هذا الأمر واضحا في الممارسة السياسية لبلدين مهمين في روسيا وتركيا اليوم؛ ففي روسيا تم تواتر السلطة بين بوتين⁽²⁾ - ديمتري ميدفيديف⁽³⁾ لمرتين أو أكثر؛ ففي الوقت الذي يكون

1 - إمام عبد الفتاح إمام، **نفس الموقع**، نفس تاريخ التصفح.

2 فلاديمير بوتين هو: الرئيس الحالي لجمهورية روسيا الاتحادية، ولد في 07 أكتوبر 1952 في سان بطرسبورغ، خريج كلية الحقوق جامعة لينينغراد في عام 1975. أدى خدمته العسكرية في جهاز أمن الدولة، وعمل في جمهورية ألمانيا الشرقية بالفترة من 1985 إلى 1990. تولى منصب مساعد رئيس جامعة لينينغراد للشؤون الخارجية منذ عام 1990؛ ثم أصبح مستشارا لرئيس مجلس مدينة لينينغراد. تولى منصب لجنة الاتصالات الخارجية في بلدية سان بطرسبورغ، منذ جوان 1991، وفي الوقت نفسه تولى منصب النائب الأول لرئيس حكومة مدينة سانت بطرسبورغ منذ عام 1994. في أوت 1999 أصبح رئيسا لحكومة روسيا الاتحادية، وذلك باختيار من الرئيس الراحل بوريس يلتسين؛ انتخب رئيسا لروسيا الاتحادية في 26 مارس 2000، وأعيد انتخابه للرئاسة في 14 مارس 2004، وشغل منذ 08 ماي 2008 منصب رئيس وزراء روسيا؛ أعيد انتخابه رئيسا لجمهورية روسيا الاتحادية في 08 مارس 2012. حصل على المركز الأول في قائمة مجلة فوربس لأكثر الشخصيات العالمية تأثيرا عام 2013، وعام 2014، وعام 2015 على التوالي. ترشح لانتخابات الرئاسة في 18/03/2018 وفاز بها. يتقن الألمانية والإنجليزية. حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية.

أنظر الموقعين الإلكترونيين التاليين:

<http://www.aif.ru/dossier/1369> و <http://data.bnf.fr/ark/12/48/cb136071802>. تاريخ الإطلاع: 2017/04/28،

على الساعة 16 سا 30.

3 - ديمتري ميدفيديف هو: أناتولي فيتش ميدفيديف ولد في سان بطرسبورغ بتاريخ 14/09/1965، هو رئيس الوزراء العاشر لروسيا الاتحادية، استلم المنصب منذ عام 2012، شغل سابقا منصب الرئيس الثالث لروسيا من 2008 إلى 2012. ولد في عائلة أكاديميين، تخرج في كلية الحقوق في جامعة لينينغراد الحكومي في عام 1987. ودافع على أطروحته في عام 1990. عمل كمحاضر في جامعته يدرس القانون المدني والروماني إلى غاية 1999. بدأت حياته السياسية كمدير للحملات الانتخابية، والذي أصبح أثناءها صديقا لفلاديمير بوتين. في نوفمبر 1999 تم التعاقد مع ميدفيديف، من قبل إدارة الرئاسة الروسية، حيث يعمل نائبا لرئيس هيئة الأركان. كان ميدفيديف مدير حملة بوتين، في الانتخابات الرئاسية

أحدهما رئيساً، يكون الآخر رئيساً لمجلس الوزراء. ونفس هذه الحالة في تركيا بين عبد الله جول و أردوغان في اليوم. و هذا يعني فعليا أن السلطة تبقى في يد نخبة، مع أنها تجري وفق معايير ديمقراطية، شكلية في جوهرها (1).

لا يقف " ميتشلز " عند حدود وصف الظاهرة النخبوية في المجتمع، بل اجتهد في تفسير وضعيات التحول إلى النخبوية؛ وفي هذا السياق بيّن ميتشلز أن التنظيمات السياسية المعاصرة، تبلغ درجة كبيرة من التعقيد، وترتسم حاجاتها إلى وظائف متخصصة، مثل الخطابة، والتخطيط، والتنظيم، والقدرة على التحليل السياسي؛ ويبدو من الصعوبة بمكان توفر هذه الكفاءات والمهارات والخبرات، لدى الأعضاء العاديين أو أفراد الشعب، في حالة الديمقراطية، وهنا تبرز هذه النخبة من السياسيين، الذين يمتلكون القدرة على تأدية هذه الوظائف المتخصصة والمعقدة أيضاً.

ومن ثمّ فإن النخبة أي نخبة كانت، تنزع إلى التفرد بالسلطة وتسعى إلى امتلاكها؛ ومن أجل هذه الغاية تستخدم هذه النخبة، دهاءها السياسي من أجل الاستمرار في الحكم، والسيطرة على مقاليد الحياة، السياسية والاجتماعية بوسائل مختلفة، ظاهرها ديمقراطي ولكنها أوليغارشية في جوهرها وبنيتها؛ وفي هذا الصدد يقول "ميتشلز" (2): "أنّ الناس لديهم حاجة سيكولوجية داخلية، تدفعهم إلى أن يصبحوا منقادين بواسطة قائد.."، وهكذا نراه ينظر إلى جماهير الشعب على أنها درّات غير منتظمة، عاجزة عن الفعل الجمعي ما لم تقدها الأقلية

لعام 2000؛ في 14/11/2005 تمّ تعيين ميدفيديف النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، وكلف بالإشراف على المشاريع ذات الأولوية الوطنية، كما عمل رئيساً لمجلس إدارة شركة غاز بروم. هذا المنصب الذي ظل يشغله حتى عام 2008. في 10/12/2007 نال ميدفيديف تأييداً غير رسمي لمرشح الانتخابات الرئاسية المقبلة، وذلك من قبل أربعة أحزاب سياسية. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=ميتشلي ميديفيديف>. تاريخ الإطلاع: 26/03/2017 على الساعة 16 سا 45د.

1 - إمام عبد الفتاح إمام، نفس الموقع الإلكتروني.

2- Robert Michels, Ibid, p 139.

النشطة؛ وهو بذلك لا يصف جماهير الناس، بالفثور واللامبالاة فحسب، بل أيضا بالميل إلى الانضواء تحت لواء قائد قوي وتوقيره، بل إضفاء القدسية عليه أحيانا (1). وهكذا تصبح الأوليغارشية " محصنة ومنيعة بل و " حديدية "، والتغيرات التي تحدث في القيادة عن طريق إزاحة النخبة أو الصفوة واستبدالها، تصبح أقل من التغيرات التي تحدث، نتيجة لامتناس أعضاء جدد في الأوليغارشية القائمة (2).

المطلب الخامس: **توم بوتومور "Tom Bottomore"** * (1920م - 1992م):

يعدّ الإنجليزي " توماس بورتون بوتومور "، من أهمّ السوسيولوجيين الماركسيين، ويعرف أيضا بتوم بوتومور (Tome Bottomore)، ألف مجموعة من الكتب أهمّها: (الطبقات في المجتمع المعاصر) و(كارل ماركس)، و(سوسيولوجيا نقد اجتماعي)، و(علم الاجتماع

1 - إمام عبد الفتاح، **نفس الموقع الإلكتروني**، نفس تاريخ التصفح.

2 - **نفس الموقع الإلكتروني**، نفس تاريخ التصفح.

* توم بوتومور هو سوسيولوجي ماركسي بريطاني ولد في 1920/04/08 ومات في 1992/11/9، كان الأمين العام للجمعية الدولية للسوسيولوجيا من سنة 1953 إلى غاية 1959، كان ناشر و مترجم للأعمال الماركسية، خاصة أعمال ماركس في السوسيولوجيا والفلسفة الاجتماعية.

له عدة مؤلفات منه التالي: 2017/2/1 ، على الساعة 23 سا.30د.

- كارل ماركس عام 1969.

- السوسيولوجيا منقذ اجتماعي عام 1979.

- السوسيولوجيا الماركسية عام 1975.

- قاموس الفكر الماركسي سنة وقاموس بلاك ويل للفكر السوسيولوجي في القرن العشرين اعيد نشره كطبعة خاصة في سنة 1983، وأعيد طبعه عام 1993.

- تاريخ التحليل السوسيولوجي عام 1979 بالمشاركة مع مع الناشر روبير نيسبت (Robert Nisbet).

- السوسيولوجيا والاشتراكية عام 1984.

- نظريات الليبرالية الحديثة عام 1985.

- مدرسة فرانكفورت عام 1995.

- جورج سيما مترجم فلسفة النقود عام 1982.

مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/thom_bottomore، تاريخ دخول الموقع: 2017/0/04، على الساعة 21 سا.05د.

والإشتركية)، و(نظريات الرأسمالية المعاصرة)، و(النخبة والمجتمع)⁽¹⁾. ويعدّ كتاب (النخبة والمجتمع)، من أهمّ الكتب التي تعرضت لمفهوم النخبة بالتأريخ، والدراسة والتحليل والتقويم؛ حيث يستعرض في مؤلفه، تاريخ المصطلح ودلالاته المعجمية والإصلاحية؛ ويستكشف تاريخ النخب في الثقافة الغربية، مع استجلاء مختلف النظريات التي كتبت حول النخبة، بالتوقف عند باريتو، وموسكا، وميلز، وماكس فيبر، وكارل مانهايم، وريمون أرون.

اهتم بوتومور من جهة أخرى، بتحديد أدوار النخبة البنيوية والوظيفية، وتبيان دلالاتها السياسية والاجتماعية، في علاقة وطيدة بالطبقات الاجتماعية وبنياتها، وكان ميدان الدراسة هو الدول المتقدمة والصناعية.

وبعد ذلك، استعرض "بوتومور" مختلف الانتقادات الموجهة إلى النخبة، من قبل المفكرين والديمقراطيين والإشتركيين⁽²⁾.

يتساءل " بوتومور " حول تعريفه للنخبة قائلاً: هل هي طبقة أو فئة أو أقلية؟ وهل نحن أمام نخبة واحدة أم نخب متعددة؟ وكيف يمكن الانتقال من اللانخبة إلى النخبة؟ وما التأثيرات التي تمارسها النخبة، في باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى؟⁽³⁾.

ومن هنا، وضع بوتومور هرما افتراضيا لتوزيع النخب، وقد وضع في أعلى الهرم النخبة السياسية، وفي قاعدته وضع النخبة الاجتماعية، وفي الوسط توجد ظلال هاتين النخبتين: السياسية والاجتماعية.

1- Tome Bottomore, **Op.cit**, p.198.

2 - توم برتومور، **مرجع سبق ذكره**، ص 178.

3 - **نفس المرجع**، ص 179.

المطلب السادس: أورس ياغي* (23 جوان 1931م):

يُعدّ أورس ياغي (Urs. Jaeggi) من أهم الباحثين السويسريين، الذين درسوا النخبة، بالتوقف عند ثلاثة تصنيفات ومعايير أساسية هي⁽¹⁾.

1- المنظرون الذين يحدّدون النخبة على أساس القوة أو السلطة:

على أساس أن المجتمعات الإنسانية، تعرف مجموعة من الصراعات والتطاحنات حول السلطة؛ ومن يفوز في تلك الصراعات يظفر بالسلطة، ويشكّل ما يسمى بالنخبة الحاكمة. وهنا يمكن التمثيل بالنظريات الميكيافلية الجديدة (روبرت ميتشلز مثلا)، ونظرية الباحث الأمريكي " رايت ميلز "، ويعني هذا أن النظرية تقسّم المجتمع إلى نخبة حاكمة، وهي قليلة العدد، وعامة المجتمع المحكومة من قبل النخبة، سواء أكانت نخبة سياسية أم عسكرية أم اقتصادية.

2- المنظرون الذين يحدّدون النخبة على أساس القيم:

تتخذ هذه النظرية طابعا فلسفيا أخلاقيا؛ إذ تنظر إلى النخبة من خلال أحكام الواقع وأحكام القيمة، بمعنى التركيز على المزايا والصفات، التي تسمح لصاحبها بممارسة الحكم أو السلطة. ومن أمثلة هذا التصور النظرية الأفلاطونية والأرسطية، ثم النظريات المحافظة، التي ظهرت مع الثورة الفرنسية.

* أورس ياغي هو: من أهم الباحثين السويسريين الذين درسوا مفهوم النخبة. لم نجد أثرا لسيرته الذاتية رغم البحوث التي قمنا بها في المكتبات الجامعية، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وفي الانترنت.

1 - جميل حمداوي، المرجع سابق الذكر، ص 56.

كما عند تين (Taine)⁽¹⁾، ورينان (Renane)⁽²⁾،

1 - إيبوليت تين Hippolyte Taine هو فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي وفني ومسرحي فرنسي، ولد في 1928/04/21 وتوفي بتاريخ 1893/03/08. هو عضو أكاديمية اللغة الفرنسية، والأكاديمية الهنغارية للعلوم، والأكاديمية البابارية للعلوم والإنسانية. في عام 1853 قدّم أطروحة دكتوراه حول روايات الحديقة المائية والتي طبعت ونشرت في عام 1861. بعد الدكتوراه استقر تين بباريس، وسجّل في مدرسة الطب، تابع بعدها علاجاً طبياً في جبال البيريني . وفي سنة 1871 تحصل مرة ثانية على الدكتوراه في القانون. من مؤلفاته: -النبع المائي و حكابات على لسان الحيوانات وذلك في عام 1861؛ أصول فرنسا المعاصرة في عام 1876؛ - مذكرات سنة 1829. في ما يخص التفكير التاريخاني فتميز بتقديمه لتاريخ الأدب الإنجليزي في شكل مؤلف ضخم وكان ذلك عام 1863. و اللافت للإنتباه في هذا المؤلف أنه يعرض ويشرح كيفية فهم علم التاريخ هو أنه يجب أن يخضع لحقل التجربة مثله مثل الفيزياء ، وتطبيق نفس المناهج التي تتبعها العلوم الطبيعية، ويقترح انتهاج أربعة مراحل لدراسة الظاهرة التاريخية، ويحيلنا هنا إلى فكر العلامة ومؤسس علم الاجتماع ابن خلدون والذي خصّص مجلدات عدة تحت عنوان المقدمة، يستعرض فيه بالدقة العلمية المتناهية دراسة الظاهرة التاريخية وكانها مستنسخة من مقدمة ابن خلدون .مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: <https://ar.wikipedia.org/wiki/> ايبوليت تين. بتاريخ 2018/02/14. على الساعة: 10سا 26د.

2 - أرنيست رينان " Ernest Renan " : هو مؤرخ و كاتب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع، التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدا تاريخيا علميا، والى التمييز بين العناصر التاريخية، و العناصر الأسطورية، الموجودة في الكتاب المقدس ما أدى إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية بمعارضته. كان رينان يؤمن بترتيب الأعراف. نظرتة إلى الإسلام: يعبّر في طيات ترجمته ليسوع وأعماله الأخرى، عن احتقاره للإسلام، ففي اعتقاده أن الإسلام هو تعصب، لم تكذ تعرف مثله إسبانيا، في زمن فيليب الثاني، وإيطاليا في زمان ليبي الخامس، الإسلام هو الإستخفاف بالعلم، هو إزالة المجتمع المدني، هو بساطة العقل السامي الفطية، التي تقلص دماغ الإنسان، وتغلقه دون أية فكرة لطيفة، و دون كل حماس رقيق، ثم دون كل بحث عقلائي، ليواجه بالتحصيل الحاصل الأزلي: الإله هو الإله". مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: http://fr.wikipedia.org/wiki/Ernest_Renan: تاريخ التصفح: 2017/10/18 على الساعة: 14سا 1د.

3- كارل مانهايم من مشاهير علماء الاجتماع المشهورين، لمساهماتهم الأصيلة والمؤثرة في نظرية أو منهج التحقيق الاجتماعي، ولد مانهايم في بودابست في المجر في العام 1893، ومات في لندن في إنجلترا في العام 1947؛ عاش في ألمانيا بعد فراره اضطرارا، عندما تمّت الإطاحة بالحكم السوفييتي الوجيه في المجر، وهذا بين سنوات 1920 و1932، حيث قام بالتدريس في جامعة فرانكفورت؛ وفي ربيع العام 1933، فقد مانهايم وظيفته كأستاذ جامعي ونفي لأنه كان يهوديا وأجنبيا، وهذا بعد تولي هتلر الحكم.

يعدّ مانهايم مؤسس علم الاجتماع المعرفة، وسعى بسوسولوجيا المعرفة الخاصة به إلى توضيح - والمساعدة في التغلب على - ثلاثة أنواع، على الأقل، من التجارب المقلقة، وكلها تجارب مشتركة في الزمن الحاضر كما كانت في زمانه هو؛ فسوسولوجيا المعرفة عنده هي شكل من أشكال العلاج " الأساس، إنها استراتيجية جعل المعرفة الاجتماعية متاحة، لإتخاذ شكل يعزز الإدارة المنطقية للشؤون البشرية. من أشهر كتبه " الأيديولوجيا والبيوتوبيا "، وهو يتناول العودة إلى الأسئلة حول حدود ومسؤوليات العلم الاجتماعي. للمزيد أنظر مؤلف جون سكوت، ترجمة: رشا جمال، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013، ص ص 361-371.

ثم تصوّر كارل مانهايم (Karl Mannheim)⁽¹⁾.

3- المنظرّون الذين يحدّدون مختلف النخب على أساس وظائفها وأدوارها⁽²⁾:

تعدّ المدرسة الايطالية خير من يمثّل هذه النظرية، كما يبدو ذلك جلياً عند باريتو وموسكا، ومن ثم، يثبت هذين السوسيولوجيين أن الأوليغارشية، هي التي تهيمن على الحكم في جميع المجتمعات؛ بمعنى أن النخبة هي التي تصدر القرار، وتملك السلطة السياسية، وتتولّى الحكم. في حين تكون الجماهير تابعة لتلك النخبة. بل حتى الأنظمة الديمقراطية التي يحكم فيها الشعب، تقرّ بوجود نخب تمثيلية، تتولى الحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ ويعني هذا اعتراف صريح و ضمني، بأهمية النخبة داخل الدولة، ومدى قدرتها على تسيير دواليب الحكومة، على جميع الأصعدة والمستويات. وفي هذا الشأن يقول حسن قرنفل⁽³⁾ "أما النظرية الأخيرة التي يتحدث عنها أورش ياغي، فهي النظرية الوظيفية التي ترى أنه، كي يمكن فاعل اجتماعي معيّن، من أن يلعب دورا داخل النخبة، أي ينتمي إليها، لا بدّ أن يوجد في الوضعية المؤسساتية الملائمة، وأن يتوفر على الخصائص والمقدّرات الضرورية؛ ومن هنا ينصح أن الأمر، لا يتعلق بالنخبة السياسية فقط، بل بمجموع النخب الموجودة داخل المجتمع، فالانتماء إلى نخبة معيّنة مشروط، بالانتماء إلى الحقل العام، التي توجد فيه النخبة (بمعنى أنه لا يمكن مثلا أن ينتمي شخص، بعيد في مجال الفكر والثقافة، إلى النخبة الفكرية).

1 - جميل حمداوي، **نفس المرجع**، ص 57.

2 - **نفس المرجع**، ص 57.

3 - حسن قرنفل، **مرجع سبق ذكره**، ص 151.

وتبعاً لهذا التحليل، فإن النخبة السياسية تعتبر بمثابة، نخبة إلى جانب النخب الأخرى، تقوم بوظيفة الوساطة بين السلطات العليا ومجموع الشعب. وهذا يُظهر - إذا - أن العمل السياسي، هو مجرد وظيفة عادية، إلى جانب باقي الوظائف الممارسة داخل المجتمع⁽¹⁾. نرى أن أصحاب هذه النظرية، يميلون إلى القول، بأن المكانة التي أصبحت تحظى بها النخبة السياسية داخل المجتمع؛ راجع للحجم الكبير، الذي أصبح للبيروقراطية داخل المجتمعات الحديثة؛ فكما أن الماركسيين كانوا يرون، بأن المجتمع الصناعي المتشكل في أغابيته من الطبقة العامة، يقتضي أن يسلم الحكم لهذه الطبقة؛ وهذا تبرير لمقولة دكتاتورية البروليتاريا، فإن سيادة البيروقراطية وازدياد حجم الموظفين داخل المجتمعات الحديثة، يقتضي أن يُمارس الحكم من طرف النخبة البيروقراطية " (2).

نلاحظ أن هذا التصنيف غير دقيق، وأكثر شكلية، وغير قادر على استيعاب تعدد نظريات النخب وتعددها، وما أثير حولها من نقاش وجدال ونقد وانتقاد محتدم.

1 - حسن قرنفل، مرجع سابق الذكر، ص 152.

2 - نفس المرجع، ص 152.

المبحث السابع: نماذج نخبوية:

في كل ميدان اجتماعي أو قطاع إنتاجي في المجتمع، تنهض نخبة تعبر عنه وترسم حركته وتحدد مساره؛ وتشكل هذه النخب مجتمعة ما يمكن أن نسميه مجتمع النخبة. حيث تتضافر جهود هذه النخب، في تحقيق التوازن الاجتماعي والحضاري في المجتمع؛ وتعمل على تجديد حركته ونشاطه في أفضل الأحوال. ولا يمكن لدراسة واحدة أن تشمل مجتمع النخبة بمختلف تجلياته.

ولكننا في بحثنا هذا سنعمل على تقديم نموذجين، لنوع من أنواع النخبة ذات الأهمية الكبرى في توجيهه، ولأسيما في مجتمعاتنا العربية بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة؛ سنعمل على تقديم توضيحات سريعة، لنمطين من أنماط النخب وهي: النخبة السياسية والنخبة الثقافية.

المطلب الأول: النخبة السياسية:

النخبة السياسية تتمثل في الجماعة التي تسيطر على مقاليد الحكم، وهو مفهوم يعبر عن تمركز السلطة والقوة والنفوذ داخل المجتمع، بيد مجموعة من السياسيين الذين يحكمون المجتمع ويوجهون حركته السياسية⁽¹⁾، وذلك هو التعريف الذي ورد "جينكن ميتشل"، في قاموس علم الاجتماع معرّفا إياها بأنها: "جماعة من الأشخاص يتم الاعتراف، بعظمة تأثيرها وسيطرتها في شؤون المجتمع؛ حيث تؤلف فيه هذه الجماعة، أقلية حاكمة يمكن تمييزها عن الطبقة المحكومة، وفقا لمعيار القوة والسلطة والنفوذ والتأثير في المجتمع (...)"،

1 - محمد شطب عيدان المجمع، " النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية "، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العراق، السنة 1، المجلد 1، العدد 4، 2009، ص ص 132-157.

وذلك لما تمتلكه هذه الأقلية من مميزات القوة والخبرة، في ممارسة السلطة والتنظيم داخل المجتمع، الأمر الذي يؤهلها لقيادته (1).

وتشكّل النخبة السياسية النواة الأساسية، لمختلف التجليات النخبوية في المجتمعات الإنسانية، وتأخذ مكانة الدور المركزي والحيوي، في توجيه الحياة الاجتماعية وإدارتها. وضمن هذا التصور يرى كثير من المفكرين، منذ أفلاطون حتى اليوم، أن الحكّام يشكّلون العقل المدبّر، لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية.

هناك من الباحثين من يميّز اليوم بين مفهوم " النخبة السياسية "، وبين مفهوم " الطبقة السياسية "، ويرون أن النخبة السياسية تضمّ أعضاء الحكومة، وأعضاء الإدارة العليا، والقادة العسكريين، وفي أحيان الأسر ذات النفوذ السياسي؛ من أرستقراطية أو من البيت المالِك، وقادة المؤسسات الاقتصادية القوية؛ أمّا الثانية أي الطبقة السياسية فتضم: النخبة السياسية، لكنها تضم أيضا النخب المضادة، المؤلّفة من قادة أحزاب سياسية ليست في الحكم، وممثلي مصالح أو طبقات اجتماعية جديدة، كالثقافات مثلا، وفئات رجال الأعمال، ورجال الفكر ممّن هم فاعلون في الحقل السياسي.

في هذا الشأن، يرى "بوتومور" أن النخبة السياسية في تلك المجموعة، التي تضم أفرادا يمارسون السلطة السياسية، داخل المجتمع خلال فترة زمنية محدّدة، وضمن هذا الإطار تضم هذه النخبة أعضاء الحكومة، وكبار الموظفين الإداريين، والقادة العسكريين، والاقتصاديين الكبار، وبعض العائلات النافذة سياسيا (2).

ويكمن الفرق الأساسي بين النخبة السياسية وباقي النخب، في كون الأولى تتمتع بالصلاحيات التي تمكّنها، من تحديد مسار توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، مما يجعل سلطاتها واسعة وتأثيرها كبير جدا؛ أما النخب الأخرى فإنها تمارس

1 - دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد حسن، بغداد العراق، دار الرشيد للنشر، 1980، ص ص 117-118.

2 - إدريس لكريني، " النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية "، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام بمصر، العدد 25، جانفي 2007، ص 155.

نفوذها وسلطتها، ضمن مجالاتها الخاصة، دون أن تكون قادرة على التأثير مباشرة، في التوجهات السياسية للمجتمع بشكل مباشر. (1)

ومن هذا المنطلق تأخذ النخبة السياسية، مركزا متميزا بين النخب الأخرى، باعتبارها تملك القوة والقدرة داخل النظام السياسي للدولة، وتسهم بشكل محوري في صناعة القرارات (2). هناك باحثون آخرون يحدّدون النخبة، بشخصيات سياسية كبيرة، مثل رؤساء الجمهورية، ورؤساء الوزارات، والأحزاب والمجالس البرلمانية؛ ويرون أن هذه النخبة تستطيع، أن تحدث الإصلاحات والتغيير داخل المجتمع والدولي؛ وذلك أن استمرارية الديمقراطية على استمرار فترات زمنية طويلة، يتطلّب العديد من التغيرات، تستطيع النخبة من خلالها، - النخبة والتي تقدّر الديمقراطية وتستجيب للإهتمامات المختلفة، وتعمل على دمجها - أن تقوم باستمرار بإصلاح الديمقراطية وإعادة تشكيلها (3).

ومن خلال المعطيات السابقة، يمكن القول: أن النخبة السياسية هي أقلية داخل المجتمع، تتوفر على خصائص وقدرات ذاتية، وإمكانيات أخرى موضوعية، تمكّنها من قيادة المجتمع والتأثير في مساره، من خلال قدرتها على صناعة القرارات السياسية (4). لكن نجاح دور النخبة السياسية، في أداء دورها الحيوي والهام في المجتمع، مرتبط بمدى قوّتها ومصداقيتها وتجديدها.

المطلب الثاني: النخبة الثقافية:

عندما نأخذ بمفهوم " فيلفريدو باريتو" للنخبة، بوصفهم الأفراد الأكثر تميزا وتأثيرا في مجال اختصاصاتهم؛ عندها نستطيع أن نبني على هذه الرؤية، لتحديد مفهوم النخبة

1 - حسن قرنفل، مرجع سابق الذكر، ص 154.

2 - إدريس لكريني، نفس المرجع، ص 155.

3 - مجموعة من الباحثين، " مصادر الديمقراطية: ثقافة المجموع أم دور النخبة "، إعداد: لاري دايموند، ترجمة: سميرة فلو عبود، لبنان، دار الساقى، الطبعة الأولى، 1994، ص 222.

4 - إدريس لكريني، مرجع سابق الذكر، ص 96.

الثقافية. وضمن هذا القصور يمكن القول بأن مفهوم النخبة الثقافية، يدلّ في أبسط تعريفاته على هؤلاء الذين يمارسون تأثيراً أكبر، في مجال الإنتاج الثقافي والرمزي، في مجتمعاتهم وحقول تخصصاتهم الفكرية، خاصة الكتاب والمنظرون والأدباء والشعراء والمفكرون والإعلاميون. ويتميز هؤلاء بطاقتهم الإنتاجية، في مجال الفكر والثقافة، كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم.

غالبا ما يميّز الباحثون بين النخبة الثقافية والمتقنين، فالمتقنون يشكّلون طبقة واسعة، من العاملين في حقل الثقافة، ولكن هل النخبة ترمز إلى أكثرهم، تميّزا وتأثيرا وحضورا في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع؟ وهذا يعني أن النخبة الثقافية تتشكل، من كبار الأدباء وكبار المؤرخين، والشعراء، والفنانين؛ الذين يلعبون دورا مميّزا وحيويا، في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعرفية. وللتعبير عن النخبة الثقافية، استعمل المفكرون عادة عددا من المصطلحات أبرزها: مصطلح "الأنتليجنسيا" بصيغته الماركسية، ومصطلح "المتقف العضوي" وفقا لنظرية "غرامشي"⁽¹⁾، ومصطلح "المفكر الرسولي" صاحب الرسالة وفقا لمصطلح "إدوارد سعيد"، ومصطلح "المفكر النقدي" وفقا لمنظور " نيتشه"⁽²⁾ و"سارتر"⁽³⁾.

1 - فريدرش فيلهلم نيتشه، (ولد 15 أكتوبر 1844 - 25 أوت 1900) فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممّهدين لـ "علم النفس"، وكان عالم لغويات متميزا، كتب نصوصا وكتبا نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحدائثة؛ عموما بلغة بارعة، يُعدّ من الفلاسفة الأكثر شيوعا وتداولاً بين القراء. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://ar.wikipedia.org/wiki/> فريدرش_ نيتشه، بتاريخ: 2018/04/15، على الساعة 11 سا. 59 د.

2 - أنطونيو غرامشي هو فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، ولد عام 1891 وتوفي عام 1937، ناقد مسرحي، صاحب فكر سياسي مبدع، صاحب فلسفة البراكسيس (النشاط العملي والنقدي- الممارسة الإنسانية والمحسوسة) إنها فلسفة سياسية، هو مؤسس مفهوم " الهيمنة على الثقافة"، كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي. مستخرج من الرابط الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org/wiki/> أنطونيو_غرامشي ؛ بتاريخ 2017/02/12 على الساعة 15 سا. 49 د.

3 - جان بول سارتر (ولد 21 جوان 1905 وتوفي 15 أفريل 1980)، هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي، بدأ حياته العملية أستاذا درّس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، أثر بفلسفته الوجودية على معظم أدباء تلك الفترة، منح جائزة نوبل عام 1964، لكنه رفضها لأسباب غامضة. للإستزادة أُنظر المرجع التالي:

ومن هذه الزاوية ينظر "جوليان بندا" إلى النخبة من المثقفين، باعتبارهم نخبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة، من ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة، الذين يشكّلون ضمير البشرية (...). إن المثقفين الحقيقيين يشكّلون، طبقة العلماء والمتعلّمين بالغني الندرة، لأن ما ينادون به، هي المعايير الخالدة للحق والعدل⁽¹⁾؛ والمثقفون الحقيقيون كما قال "بندا"، هم الذين يجدون متعتهم، في ممارسة الفن أو العلم أو المتأمل الميتافيزيقي، وليس في السعي وراء الغايات المادية العملية. والمثقف الحقيقي هو الذي يعارض الفساد ويدافع عن المستضعفين، ويقف في وجه السلطة القامعة والفاصلة؛ وفي هذا الجانب الأخلاقي من الثقافة، يقول جوليان بندا عن المثقفين الحقيقيين بأنهم: "أقرب ما يكونون إلى الصدق مع أنفسهم، حين تدفعهم المشاعر الميتافيزيقية الجياشة، والمبادئ السامية، أي مبادئ العدل والحق إلى فضح، الفساد والدفاع عن الضعفاء، وتحدي السلطة المعيبة الغاشمة"⁽²⁾.

وفي السياق نفسه يقول "تشومسكي": "إن من مسؤولية المثقفين أن يقولوا الحقيقة ويفضحوا الأكاذيب، وأن المثقف هو من يحمل الحقيقة في وجه القوة"⁽³⁾.

جون سكوت، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا- المنظرون المعاصرون-، ترجمة: رشا جمال، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ص 191.

1 - إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، ترجمة: محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر ولتوزيع، 2006، ص ص 34-35.

2- Julien Benda, **La Tradition des Clercs**, Editions Grasset, Paris, p 75.

3-نعوم تشومسكي ولد في 07 كانون الاول عام 1928 بفيلاذلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، والد مهاجر يهودي روسي، له كتب عن اللغة العبرية. التحق بجامعة بنسلفانيا عام 1945، وتخصص في دراسة اللغويات عام 1947، وتخرج بدرجة مشرف عام 1949. نال درجة الماجستير عام 1951، والدكتوراه عام 1955، أستاذ كامل العضوية عام 1961.

ألّف ما يزيد عن 33 منشورا وكتابا في علم اللغويات، ونظريته اللغوية والنحو التوليدي. من مؤلفاته في اللغويات: - اللغة والعقل، اللغة والمسؤولية، مشاكل المعرفة والحرية. مستخرج من الرابط الالكتروني التالي:

www.kutubpdfcafee.com/kutubcafe1/bodsstream_K33_bookMH6MH6.PDF بتاريخ 2017/10/22، على الساعة: 13سا 01د.

-التحق بجامعة بنسلفانيا عام 1945، وتخصص في دراسة اللغويات عام 1947، وتخرّج بدرجة الشرف عام 1949. نال درجة الماجستير عام 1951، والدكتوراه عام 1955. أصبح عضو الهيئة التدريسية في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا عام 1955، وأستاذ كامل العضوية عام 1961. ألّف ما يزيد عن ثلاث وثلاثين منشورا وكتابا في علم اللغويات، ونظريته اللغوية والنحو التوليدي.

ومن خلال تعريفاتنا العديدة للنخبة، فإن الذين يشكّلون نخبة ما، غالبا ما يكونون الأفضل بين أقرانهم، والأكثر تأثيرا في مجال اختصاصاتهم؛ ومن هذا المنطلق فإن نخبة المثقفين تتمثل في أكثرهم إنتاجا، وفعلا، وتأثيرا، وحضورا، وممارسة، وإبداعا، في مجال الفكر والثقافة والإبداع الثقافي؛ وهذا يشمل مختلف القطاعات الثقافية، في الأدب، والشعر، والفن، والموسيقى، والرسم، والنحت والتصوير، وفي شتى العلوم الإنسانية.

يعرّف "طارق مخنان" النخبة المثقفة بقوله: "هي مجموعة من الأشخاص المتجانسين، يمثلون رصيда معرفيا ولهم تكوين عالي، ويتمتعون بسلطة رمزية، تخولهم التفكير في قضايا المجتمع، كما أن مفردة النخبة تحيلنا إلى نوع من الانتخاب الاجتماعي، بمجرد امتلاك كفاءات نظرية وفكرية، في المعارف والعلوم والتقنيات، ومفردة الثقافة تشمل قطاعات واسعة، الأدب والفلسفة والعلوم الاجتماعية، وحتى التقنية والبحثية، فالمثقف هو من يتعدى حدود اختصاصه، للتكلم في قضايا تشمله كعضو في مجتمع، يرتبط مصيريا بالانتماء إليه".⁽¹⁾

ويعرّف "محمد عابد الجابري" نخبة المثقفين، بأنهم يشكّلون الفئة الواعية، التي اكتسبت بحكم ثقافتها، موضوعية التفكير ووضوح الرؤية، والقدرة على التحليل، والمحاكمة المنطقية؛ مما يجعلهم في حصن من أن تتطلي عليهم أساليب البرجوازية، ومن أن يخيفهم تحكّم

- له كتب ما يزيد عن الأربعين كتابا، في السياسة. ألقى الكثير من المحاضرات وأجرى مقابلات متنوعة، يعتبر من أشد نقاد السياسة الأمريكية. من مؤلفاته: اللغة والعقل؛ مشاكل المعرفة والحرية؛ اللغة والمسؤولية... .مستخرج من الرابط

الإلكتروني التالي: www.kutubpdfcafe.com/kutubcafe1/booksstreamk33_bockMH6MH6.pdf

تاريخ الاطلاع: 2017/10/22 على الساعة 13سا 01د.

- نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قيلان، الدار البيضاء، توبقال، الطبعة 1، 1990، ص 58.

1- طارق مخنان، أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، مدرسة الدكتوراه، السنة الجامعية 2011-2012، ص 20.

المتسلطين. إن المثقفين هؤلاء، هم وحدهم القادرون، على تصحيح تلك الصورة في الوعي الجماهيري، ورسم الطريق الصحيح، لتحقيقها في حيز الواقع الملموس⁽¹⁾.

ويشمل تعريف النخب الثقافية هؤلاء الأكثر تأثيراً، في مجال الإنتاج الثقافي والرمزي في المجتمع، وخاصة الكتاب والمنظرّون، وأساتذة الجامعات، والأدباء، والشعراء، والمفكرّون والإعلاميون...

ويتميز هؤلاء بطاقتهم الإنتاجية، في مجال الفكر والثقافة، كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم؛ غالباً ما يميز الباحثون بين النخبة الثقافية والمثقفين، فالمثقفون يشكّلون طبقة واسعة، من العاملين في حقل الثقافة، ولكن النخبة منهم ترمز إلى أكثرهم تميّزاً وتأثيراً وحضوراً، في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع. وهذا يعني أن النخبة الثقافية تتشكل من كبار الأدباء، والكتّاب، والمؤرّخين، والشعراء، والفنانين، الذين يلعبون دوراً مميزاً وحيوياً، في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعرفية.

1 - محمد عابد الجابري، مفهوم الثقافة... وقاموس الخطاب العربي المعاصر، 11 ديسمبر 2007، مركز دمشق للدراسات النظرية وحقوق الإنسان، ص 111.

مسترجع من الموقع الإلكتروني: www.mokabarat.com/s3011.html، تاريخ تصفّح الموقع: 2016/02/12، ص 30-31.
_ محمد عابد الجابري ولد في 1935/12/27 بفكيك وتوفي في 03 ماي 2010 بالدار البيضاء، هو مفكّر مغربي له ثلاثون مؤلفاً في قضايا الفكر العربي. من أهم أعماله: نحن والتراث، وهي قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (1980).

- العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي (1971).
- تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي 1) (1982)؛ - بنية العقل العربي (نقد العقل العربي 2) (1986)؛ - العقل السياسي العربي (نقد العقل العربي 3) (1990)؛ - العقل الأخلاقي العربي (نقد العقل العربي 4). كما صدرت له سلسلة من المؤلفات:

- مدخل إلى القرآن في ثلاثة مجلدات. - مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي.
- فهم القرآن الحكيم " التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، في ثلاثة أجزاء.
- أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب (1973). مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: Wikipedia.org/wiki/محمد_الجابري بتاريخ 2017/10/31 على الساعة 14:30.

وهناك أيضا النخبة التي تتمثل في طبقة " المثقفين المحترفين "، حسب تعبير " كارل مانهايم"،⁽¹⁾ أي هؤلاء الذين يكرسون كل وقتهم، لمهنة الكتابة والتأليف والإنتاج المعرفي. وقصد التعبير عن النخبة الثقافية، غالبا ما يستخدم المفكرون عددا من المصطلحات، أبرزها مصطلح "الأنثليجنسيا" بصبغته الماركسية⁽²⁾، ومصطلح "المفكر العضوي"، وفقا لنظرية غرامشي⁽³⁾ ومصطلح "المفكر الرسولي" أي صاحب الرسالة وفق إدوارد سعيد⁽⁴⁾، ومصطلح "المفكر النقدي" وفقا لمنظور نيتشه وسارتر⁽⁵⁾.

يشير بعض الباحثين إلى التداخل بين النخب، خاصة النخبة السياسية والنخبة الثقافية؛ حيث يرى "أسعد محمد رحيم" في دراسته "نخب سياسية - نخب ثقافية"⁽⁶⁾ إجرائيا: "يغدو من الصعب فك الارتباط بين السياسي والمثقف، ولاسيما في بلدان العالم الثالث، فالسياسة والثقافة تخترق إحدهما الأخرى بقوة وعمق، ولأجل التمييز بين السياسي والمثقف في إطار هذه الدراسة، نلجأ إلى العنصر الوظيفي؛ فالسياسي هو من يكون شاغله السياسة والموقع السياسي، أما المثقف فهو من ينشغل بالمعضلة الثقافية، بإنتاج القيم الثقافية، ونشرها معتمدا وسائل التأثير في العقليات والقيم والسلوك.

يدخل المثقف منطقة السياسي، حين ينتج خطابا موجّها للآخرين؛ فهو بدءا من هذه اللحظة أيضا تأخذ العلاقة بين المثقف والسياسي، منحى إشكاليا بحلول السياسي، أحيانا إستعارة أو حتى سرقة دور المثقف؛ وعمل مؤسسات سياسية من أجل تحقيق مشروعها السياسي، في مجتمع ما سيؤول في النهاية بلا أدنى ريب، إلى تبدلات في النسيج الثقافي

1- Karl Mannheim, **Idéologie et utopie (une introduction a la sociologie de la connaissance** , traduit sur l'édition anglaise par Pauline Robert. Une édition électrique réalisée à partir du livre de Karl Mannheim (1929), Idéologie et utopie (une introduction réelle sociologie de la connaissance, paris, librairie marcel Rivers et Cie, 1956, 233 pages, collection petite bibliothèque sociologique internationale sérié B : les classiques de la sociologie .

2 - عمار بلحسن، أنثليجنسيا أم مثقفون في الجزائر، بيروت لبنان، دار الحداثة، الطبعة الأولى، 1986، ص 62.

3 - أنطونيو غرامشي، " كراسات السجن "، ص ص 24-28.

4 - إدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، بيروت، النهار للنشر ش م ل، 1996، ص ص 27-28.

5 - جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، الترجمة العربية، بيروت، دار الآداب، 1973، ص 11.

6 - أسعد محمد رحيم، نخب سياسية - نخب ثقافية، نفس الموقع، نفس التاريخ.

لذلك المجتمع؛ كما يحاول المثقف في أغلب الأحيان، وخاصة في مناطق الاضطراب السياسي، أو الحراك السياسي العنيف؛ الدخول إلى منطقة السياسي، ومزاحمته في التأثير على مسار الحدث، وعلى قناعات المجتمع، وفي هذه الأثناء تشرع السلطة أية سلطة، ومنها السلطة السياسية باللعب في علاقتها بالمثقفين، بألتي الإقصاء والإدماج، كي تفرز العصا على الاحتواء من ذلك، والذي من الممكن أن يتمثل رغبة أو رهبة.

القدرة على الإنتاج والتأثير والتغيير: يرى "يورغن هابرماس" ⁽¹⁾ أن النخبة المثقفة هي تلك الفئة القادرة، على الإنتاج الفكري والتأثير في الآخرين، عن طريق هذا الإنتاج، حيث يكون هذا الأخير قائماً على رفض الوضع القائم. ويرى "هابرماس" ⁽²⁾ أن "الإنسان كائن إيجابي بإمكانه إحداث التغيير، وليس الكل يمكنه ذلك إلا الطبقة المثقفة؛ فيرى أن المثقف هو واعي حقيقي وليس زائفاً، فيرى بذلك أن النخبة هي التي تستطيع، خلق معاني وأفكار مناهضة للرأسمالية، وأن الفعل التواصلي للمثقف ينطلق من نقطتين أساسيتين، ويتمثل في القدرة على الإنتاج، وأن يؤثر في الآخرين بأرائه.

1 - محاضرات الأستاذ محمد المهدي بن عيسى، " التغيير الاجتماعي عند هابرماس، مقياس التغيير الاجتماعي "، لطلبة السنة الأولى مدرسة الدكتوراه، بتاريخ 24 ماي 2010، قسم علم الاجتماع، الجزائر.

2 - يورغن هابرماس هو عالم اجتماع وفيلسوف ألماني ولد في 18 جوان 1929، من منظري مدرسة فرنكفورت، له أزيد من خمسين " 50 " مؤلفاً في الفلسفة وعلم الاجتماع، صاحب نظرية الفعل التواصلي.

مستخرج من الرابط الإلكتروني: يورغن - هابرماس/ https://ar.Wikipedia.org/wiki/يورغن_هابرماس

المبحث الثامن: النخبة السوسيولوجية:

المطلب الأول: لمحة عن النخبة السوسيولوجية:

توصف النخبة أنها كل مجموعة مستقلة نسبيا، تنحو لأخذ شكل هرمي والشريحة العليا، التي تتمتع بأكبر قدر من التمثيلات الرمزية، والكفاءات التنظيمية تشكّل النخب⁽¹⁾. يظهر من هذا أن النخبة السوسيولوجية، هي جماعات ذات مكانة اجتماعية عالية، أساس هذه المكانة درجتها الثقافية في المجال السوسيولوجي، أي أنها تلك الفئة السامية من المشتغلين بعلم الاجتماع، والتي لها مبادئها وأعمالها الخاصة، والتي تهدف إلى تغيير الأوضاع الراهنة المتعلقة بهذا العلم، عن طريق ما تتادي به من أفكار وآراء، والتي تحمل مميزات خاصة بها.

المطلب الثاني: دور النخبة السوسيولوجية:

1- وظيفتها في المجتمع:

ذكرنا سابقا أن النخبة المثقفة، هي طبقة اجتماعية بامتياز، وهي طبقة من المتفوقين في مجالاتهم، والقادرين على التأثير في مجتمعاتهم، ومنه فإن النخبة السوسيولوجية هي تلك الطبقة المثقفة، التي تقدم رؤية شاملة، تهدف إلى تغيير المجتمع، وهي التي تنزل إلى القاع الاجتماعي، وتكون لها القدرة على النقد والمساءلة، بحيث يعتبر "محمد عابد الجابري" بأن المثقف يتحدد، بالدور الذي يقوم به في المجتمع كمشرع؛ ومعترض ومبشر بمشروع، أو على الأقل كصاحب رأي وقضية؛ لا بنوع علاقته بالفكر والثقافة. يعتقد الكاتب أن الوظيفة الجوهرية للمثقف، ما هي إلا صناعة المعرفة والنقد والتطوير؛ فالمثقف يكون دائما على إستعداد للتضحية من أجل قضية أو مشروع ما، وبالتالي يصبح المثقف يمتلك سلطة فوق

1 - العياشي عنصر، نحو علم اجتماع نقدي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة 1، 1999، ص 67.

السلطات⁽¹⁾، فالالتزام المثقف أو العالم لا يتجلى مطلقاً في تقديم الدروس للآخرين، باسم مبادئ و شعارات وأيديولوجيات معدة سلفاً، بل يتجلى بالدرجة الأولى، في تقديم أسلحة النقد، ولهذا يقول "محمود أمين العالم": "بأنه لا سبيل للمثقفين غير الإنخراط في النضال السياسي، بالإنغراس في رحم المجتمع المدني، وتجسيد المثقف الجماعي؛ وهذه المهام التغييرية لن تكون بدون شرط النقد والمساءلة. المثقف ملتحم بال جماهير، مناضل عن آمال الطبقات الكادحة، يضحي بحياته من أجل فكرة- وإن أعمال الفكر النقدي، وخلخلة الجاهز من الطروحات، وهدم اليقينيات واعتماد الشك المنهجي، ومساءلة الواقع، والمراهنة الدائمة على تغييره، في الاتجاه الذي يخدم مصالح الذين هم تحت.⁽²⁾

وعليه، كان على النخبة المثقفة السوسيولوجية الإنتاج المستمر للسؤال، ومواجهة المجتمع السوسيولوجي بالأخص بالحقيقة، التي ما فتئ يخفيها، إلا أنها تظهر للعيان بشكل واضح؛ فدورها هنا هو أن تزيل هذه الحواجز، فالكثير لا يتقبل الأفكار التي يناهز بها هؤلاء، والسبب في ذلك هو ظهور كما يشير "سارتر"⁽³⁾ إلى أن العدو المباشر الألد للمثقف هو المثقف المزيف، الذي يعمل على ترسيخ، أفكار وقيم واهية، تزرع ثقة الجمهور بهذه الفئة، والذي يزعم أنه من النخبة التي تنفع المجتمع لا تضره.

2- المبادئ والأسس التي يقوم عليها دور النخبة السوسيولوجية:

هناك مجموعة من المبادئ التي يقوم على أساسها، عمل النخبة المثقفة السوسيولوجية، والتي يمكن اعتبارها كشرط، وجب توفرها في المثقفين واعتبارهم نخبة، من أهم هذه المبادئ ما يلي:

1 - طارق العاطفي، تلخيص الفصل الرابع من كتاب "صناعة النخبة"، لعبد الحريم عطري، الحوار المتمدن، العدد 2897، 24جانفي 2010

مسترجع من الموقع الإلكتروني: www.alhewar.com/ بتاريخ 2015/01/10 على الساعة 20 سا 46 .

2 - عبد الحريم العطري، "النخبة المثقفة بالمغرب من سنوات الحمر إلى التدجين والتخيس"، الحوار المتمدن، العدد 1271، 30 جويلية 2005.

مسترجع من الموقع الإلكتروني www.alhewar.com/، بتاريخ 2015/03/22 على الساعة 16 سا 45.

3 - جان بول سارتر، المرجع سابق الذكر، ص 43.

1-2 القطيعة الإبتيمولوجية: هي أولى المبادئ لهيكله وترتيب الدور النخبوي في الحقل السوسيولوجي، فالإبتيمولوجيا لغة هي علم العلوم، الدراسة النقدية للعلم، ومعناها إذن: نظرية العلوم وفلسفة العلوم.

تُعنى الإبتيمولوجيا بدراسة مبادئ العلوم وفرضياتها، ومناهجها، ونتائجها، دراسة نقدية ترمي إلى إبراز بناها ومنطقها وقيمها الموضوعية⁽¹⁾.

تدرّس الإبتيمولوجيا أيضا وسائل إنتاج المعرفة، كما تهتم بالشكوك حول ادعاءات المعرفة المختلفة. بمعنى آخر تحاول الإبتيمولوجيا أن تجيب عن هذه الأسئلة: ماهي المعرفة؟ كيف يتم الحصول على المعرفة؟

ومع أن طرق الإجابة عن هذه الأسئلة، يتم باستخدام نظريات مترابطة، فإنه يمكن عمليا فحص كل هذه النظريات على حدة⁽²⁾.

وعليه، يصبح من بين أهم مبادئ، العمل العلمي النقدي لدى النخبة السوسيولوجية، هو امتهان الإبتيمولوجيا عن طريق عرض كل قضايا، الحقل السوسيولوجي إلى النقد والفحص، فمعظم الجدل والنقاش الإبتيمولوجي للنخبة السوسيولوجية، يدور حول تحليل طبيعة المعرفة السوسيولوجية تحليلا نقديا، وطرح الشكوك حول إدعاءاتها المختلفة، وكذا المدّعين للمعرفة السوسيولوجية، والذين ينتهزون الفرص لتضليلها.

2-2 الوعي الإبتيمولوجي: يقصد بالوعي أنه: "... شكل عالي من انعكاس الواقع الموضوعي، الذي يرثه الإنسان بمفرده، وهو المجموع الكلي للعمليات العقلية، والأنشطة التي يشارك بها، في فهم العالم الواقعي واحتياجاته الشخصية"⁽³⁾.

فعلى النخبة المثقفة أن تكون واعية، بشروط المعرفة العلمية، وأن تكون واعية بكل ما يحيط بها في الواقع؛ فلحظة الوعي عند الرجل العادي، هي بداية لفترة من الحس

1 - دلال أعواج، "مفهوم القطيعة الإبتيمولوجية عند غاستون باشلار"، ج 1، 17 جويلية 2010، 49 : 12 سا، مجلة العلوم الإجتماعية. مسترجع من الموقع الإلكتروني <http://www.wikipediaorg/wiki.2.09/12/2007>؛

2 - طه نجم، علم الاجتماع المعرفة، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2001، ص 175.

الإبستيمولوجي الذي قد لا يدركه؛ ولكن السوسيولوجي يعلم هذا جيدا، ويعلمه أكثر من أنهم نخبة، لأنهم يتمتعون بوعي لا يتوفر في غيرهم، بسبب ما توصلوا له من معرفة، وهذا هو الشرط الأساسي في كل رجل علم ومعرفة. ويتربّب على ذلك أن عالم الاجتماع لابد أن يهتم أساسا، ببحث الدوافع والأفعال، والأنماط المعقّدة للعلاقات الإنسانية، التي يمكن أن تكون غير ملاحظة، أو ظاهرة تطمسها التفسيرات الرسمية (1).

وعليه، تصبح النخبة السوسيولوجية وجهة نظرهم الخاصة، التي ينظرون بها إلى الحقيقة الاجتماعية.

3-2 النقد الإبستيمولوجي: يفترض العمل الفكري تجاوز التقليد القائم، إلا أنه بإمكانه

بل عليه أن يصبح نقطة انطلاق، لتقليد جديد قد يندرج الأثر وسط التقليد القائم، من خلال تعديل مساره بشكل نهائي⁽²⁾. ويقصد بالنقد هنا هو التخلي عن التقليد، من خلال فحص العمل الفكري، لتجاوز الأخطاء وتجنّبها، وبشكل خاص في المعرفة السوسيولوجية. فالنقد الإبستيمولوجي "يهدف إلى الأخذ على عاتقه نقد الانتاج العلمي، أي وضعية علم جديد، ويهدف إلى إبراز معرفة الأسس الإبستيمولوجية، التي ينطلق منها هذا الأخير، وإلى إبراز عوائق تقدّمه في مسيرته التطورية"⁽³⁾، ولذلك فإن أغلب الباحثين المعاصرين يدعون لاعتماد منهج النقد، وعليه تبنى "كارل بوبر"⁽⁴⁾ النقد، منهجا لعمل العقل وتقدم المعرفة. حيث يرى أن عقلانية البحث تكمن، في قدرة الباحث على نقد المعرفة، فمارس النقد على كل التوجيهات، العلمية والفلسفية القائمة في عصره؛ كما يعتمد على معيار الكذب الذي يطبّقه، لمعرفة ما هو علم أو لا علم؛ بالإضافة إلى ما سمّاه بدحض النظريات كطريقة للنقد. ولمّا

1 - سناء الخولي، مدخل إلى علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص 09.

2 - جيارار بيلكرك، المرجع سابق الذكر، ص. 26.

3 - يوسف حنطابلي، إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر - الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر

الأخر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 43.

4 - يوسف حنطابلي، المرجع سابق الذكر، ص 44.

كان للنقد هذه الأهمية الكبيرة، وجب على الباحثين الاجتماعيين أن يعملوا، بمبدأ النقد، لأنه شرط من شروط المعرفة الحقّة.

القدرة على الإنتاج والتأثير والتغيير: يرى "يورغن هابرماس"⁽¹⁾ أن النخبة المثقفة هي تلك الفئة القادرة، على الإنتاج الفكري والتأثير في الآخرين، عن طريق هذا الإنتاج، حيث يكون هذا الأخير قائماً على رفض الوضع القائم، ويرى "هابرماس"⁽²⁾ "الإنسان كائن إيجابي بإمكانه إحداث التغيير، وليس الكل يمكنه ذلك إلا الطبقة المثقفة، فيرى أن المثقف هو واعي حقيقي وليس زائفاً، فيرى بذلك أن النخبة هي التي تستطيع، خلق معاني وأفكار مناهضة للرأسمالية، وأن الفعل التواصلي للمثقف ينطلق من نقطتين أساسيتين، ويتمثل في القدرة على الإنتاج، التأثير عليه، أن يؤثر في الآخرين بآرائه.

المطلب الثالث النخبة السوسولوجية العربية:

1- ظهور النخبة العربية:

في أدبيات التراث العربي، هناك حضوراً جلياً لمفهوم النخبة، لكن دون استخدام للمصطلح نفسه، حيث تمّ إطلاق اسم السُرّة، على هذه الفئة الاجتماعية المتميزة، والتي تلعب دوراً تنويرياً في المجتمع؛ وهي مكوّنة بالضرورة من أشخاص، يمتلكون قوة التأثير المعنوي، للتدخل القوي الفاعل، ويشاركون في صياغة تاريخ جماعة ما. أول ذكر صريح للمفهوم، هو في نص جاهلي للشاعر الأفوه الأودي، والنص الذي كثر الاستشهاد به لاحقاً، في عدد من كتب التراث، عند الحديث عن أهمية هذه الفئة من المجتمع⁽³⁾، فإذا كان ظهور

1 - محاضرات الأستاذ محمد المهدي بن عيسى، "التغيير الاجتماعي عند هابرماس، مقياس التغيير الاجتماعي"، لطلبة السنة الأولى مدرسة الدكتوراه، بتاريخ 24 ماي 2010، قسم علم الاجتماع، الجزائر.

2 - يورغن هابرماس هو عالم اجتماع وفيلسوف ألماني ولد في 18 جوان 1929، من منظري مدرسة فرانكفورت، له أزيد من خمسين "50" مؤلفاً في الفلسفة وعلم الاجتماع، صاحب نظرية الفعل التواصلي. مستخرج من الرابط الإلكتروني:

يورغن - هابرماس/https://ar.Wikipedia.org/wiki/يورغن

3 - عبد الله أبو رمان، "البحث عن النخبة"، يومية الرأي، الأردن، 04 جوان 2011.

النخبة في المجتمع الأوروبي مرتبط، بظهور عصور التنوير والثقافة الإجتماعية؛ فإن النخبة الثقافية العربية ظهرت قبل ذلك، إلى ما يعود للعصور القديمة، فظهرت النخبة عند العرب لكل من فئة الشعراء وفقهاء اللغة، والخاصة من المتعلمين وأبناء الجاه والحسب؛ إلا أن هذه الفئة لا يمكن مقارنتها مع التي تلتها، مع ظهور الدين الإسلامي وخروجه للعلن، فكانت طبقة من أصحاب الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- ، والذين تفقّهُوا في الدين واللغة والعلم، وهذا وفقا لما جاءت به رسالة الوحي، فكان القرآن مصدر هذه المعرفة الإلهية، التي يتسنى لبشر مثلها، وأطلقت صفة الصفوة لفئة من المشتغلين بالعلم، والمتفوقين في الزهد وحبّ الله، والأكثر تقوى وحال أهل الشهادة. فساد عهد النبي الكريم كثير من المبادئ الإجتماعية الحسنة، وكذا القيم والقواعد التي نظّمت حياة الناس آنذاك، وحافظت على أملاكهم وأعراضهم.

أما أثناء عصر النهضة الإسلامية، فظهرت العديد من النخب العلمية والسياسية والدينية، واتّجهت اهتمامات هذه النخب الثقافية، في مجالات حضارية وأممّية، طالت اختصاصات متنوعة وسابقة لعصرها؛ كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة...⁽¹⁾، أي أنها لم تقتصر في أوجهها، على المجال الشرعي الديني؛ واستمر هذا العطاء الثقافي إلى قرون عديدة، إلا أنه لم يستمر بهذه الوتيرة، فراحت الحروب والفتن والاضطرابات تقسم المجتمعات، وتدبّ الإنكسار في نفوس العلماء والمشتغلين بالعلم، فتوارى أهل العلم والمعرفة، وراحت النخبة ومجموعات العلم، تتهاوى في طي النسيان والتهميش والقهر. لتأتي مرحلة الاستعمار الغربي للبلدان العربية، وتمحي معظم آثار الحضارة، وبدأت تزرع زرا غريبا، لازلنا نحصد ثماره إلى يومنا هذا، وأصبح المثقفون والعلماء يهجرون الأوطان، سعيا نحو بيئة للعلم؛ ممّا أخذ روح العلم والبحث في مجتمعاتنا العربية، وعندما تخلّصنا من

مسترجع من الموقع الإلكتروني . www.alrai.com/index.php

1 - عبد الله أبو رمان، ، **نفس الموقع** ، نفس تاريخ التصفح.

الاستعمار ودخلنا مرحلة الاستقلال والحرية، لوحظ أن هناك حركة فكرية تبحث عن التجديد والتغيير، وتدعم نظرة التفاؤل نحو غد أفضل.

أما فيما يخص النظرة إلى الفرد العربي، والنخبة العربية، وعلاقتها بالمجتمع العربي، فقامت على النظر إلى الإنسان والمجتمع العربي، على أنها كمّ مهملاً، وبالتالي اعتبارهما قاصرين وباجة إلى دليل ومرشد، وبدل أن تكون النخبة هي إنتاج مجتمعي، أصبحت إنتاج ما فوق مجتمعي - إذا جاز التعبير-، وبدل أن تسعى النخب إلى نشر الوعي في المجتمع العربي، سعت إلى تأطير الشعوب بأطرٍ أيديولوجية متعددة، وبما يتناسب مع السلطة السياسية حيناً، ومع توجّهات النخب أحياناً أخرى، فتحوّلت الأفكار والمفاهيم، إلى شعارات خالية من أي محتوى حقيقي.

لقد وضعت النخب أفكارها ومفاهيمها، كحاجز يفصلها على الواقع وتجلياته السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، عوضاً أن تكوّن بنية فكرية تساعد في فهم الواقع (1).

2- النخبة السوسولوجية العربية بين أصالة الأنا واستلاب الآخر:

عاشت النخبة السوسولوجية العربية المعاصرة متناقضات عديدة، تمثّلت في مواقفها ومشاربها المتنوعة. الواقع الاجتماعي العربي، بحاجة ماسة إلى مدّ الجسور الثقافية، بين الخاصة والعامة والحاكم والمحكوم، والباحث والمبحوث؛ وحسب المسؤولية المرتبطة بوظيفة وعمل كل فرد من المجتمع؛ ولأننا بصفة خاصة في علم الاجتماع، نحتاج إلى مدّ هذه الجسور لتدعيم هذا العلم، كان هذا دور النخبة السوسولوجية، التي تبحث عن نفسها، بين ثنائيات متناقضة أضفت الصعوبات على مهامها.

تعتبر ثنائية أصالة- استلاب من أهم المفاهيم، في المدخل الثقافي السوسولوجي، فإذا كان المجتمع العربي كله يعيش هذه الحالة، فكيف يكون حال المثقفين وغيرهم، في وقت أنهم يجب عليهم أن يجتهدوا، دون الوقوع في هذه الحالة المزدوجة، فلم يعد هناك اهتمام

1 - أسامة الأخرس، "النخب العربية إلى أين؟"، مسترجع من الموقع الإلكتروني التالي:

http://knoll.com/k/-/3 qdz qgsc 9c46 ve/49 view بتاريخ 2018/03/21، على الساعة 22:50.

بثقافات المجتمعات العربية من طرف الفئة المثقفة، فكل ما يهّمها هو الظواهر المعاصرة وخاصة الغربية منها، التي توفد لنا عن طريق تكنولوجيات الاتصال، والتي يسعى الكل الاجتهاد فيها، في حين أن واقعنا المجتمعي مليء بظواهر مختلفة، وتختلف على غيرها عند الغرب.⁽¹⁾

والواقع أن اهتمامنا لمطالعة تراث الأسلاف، واقتباس ما يفيدنا ويساعدنا في صنع جيد والأجود منه، وهو عدم الركون إلى هذا التراث، والجمود عند ضفافه، بل جعله كأرضية صلبة للانطلاق، في دروب الإبداع والعطاء الفكري، حتى نوقر لهذا التراث روح الاستمرار والتوهج، يبرز التجديد والإضافة والخلق والابتكار؛ وإلى أن يشعر السوسيولوجي بالقدرة الفعلية، على تغيير هذا العالم الإجتماعي، تبقى مهمته مقاومة التيارات المتدفقة، التي تعجل بتهميش الهوية الثقافية السوسيولوجية العربية.

ففي الوقت الذي لم يغادر فيه قسم من المثقفين، عاداتهم في اقتناص مواسم الهجرة إلى الشمال، قصد إشباع النزوات باسم حداثة واهمة، أو في انتظار مواسم الهجرة إلى السماء، لدفن البذور في التربة المقدسة، انتظارا للوارد البعيد أو تطلّعا للعطاء الرغيد، من دون جهد حقيقي على الأرض؛ ففي هذا الوقت نجد أن القوى المنبثقة، من قطاع المجتمع ومن أرصفة المدن، ومن خلف المكاتب البالية، التي تمتلك قدرا لا بأس به من الأدوات الفكرية والوسائل الثقافية، لا تتوانى في استعمال ما لديها من مواد فكرية⁽²⁾، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا يحاول أغلب المشتغلين، أن يفهم حضارتنا الاجتماعية وواقعنا، كما حاولنا فهم حضارة "الأخر"، وعلومه وفكره وحتى نقده؛ وحتى عندما يُوجّه النقد إلى الفكر الأجنبي في الوسط العلمي، ينقل هذا النقد حرفيا، وهذا ما يسمّى بالتبعية في النقد؛ وهو ما يخفي في الوقت نفسه، الضعف المعرفي والفكري، للمشتغلين بعلم الاجتماع في العالم

1 - سلطان بالغيث، "الثقافة العربية الإسلامية من الإقليمية على العالمية".

مسترجع من الموقع الإلكتروني: 19 ديسمبر 2007، 44: 07 سا.

<http://www.shatharat.net/vb/archive/index.php/f.21>

2 - نورالدين زمام، المرجع سابق الذكر، نفس الموقع، نفس تاريخ التصفح.

العربي⁽¹⁾، امتد هذا الضعف إلى أكثر من ذلك، فلم يعد من اهتمام هذه الفئة البحث عن أسباب هذا الضعف، بل نزحت واستسلمت بتنازلها الطوعي عن مكانتها، كضير يقظ وقلب نابض للأمة...، وتضييعها التدريجي لاستقلالها وسلطتها المعنوية، وتراجعها إلى أدنى مراتب النخب الاجتماعية، واحتمائها المُذَل، جعلها تفقد دورها القيادي التنويري في المجتمع، وتعجز عن تقديم أبسط الخدمات " المعنوية " لأبناء مجتمعها؛ وبسبب تراجع ونكوص هذه النخبة عن مراكزها، برزت أطراف جديدة جاءت من التخوم، لتحتل ساحة الثقافة كطرف مستهلك واع. وكمتفاعل جريء؛ فضلا عن احتلالها لموقع آخر كقوة حركية موجهة⁽²⁾، فعلم الاجتماع العربي لم يعد مقصورا، على نخبة سوسيولوجية مثقفة موصولة بالغرب أو بالشرق، بل الواقع يظهر أنه إذا كانت الترجمات السوسيولوجية، تحتل الواجهة في المكتبة الاجتماعية العربية، وفي الجامعات العربية، وإذا كان هناك اعتماد نسبي على الخبرات الأجنبية، فهناك في المقابل جهودا عربية، أكاديمية وبحثية قادرة على الإبداع العلمي.

1 - مناقشات ندوة، " علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي "، المرجع السابق الذكر، ص 129.

2 - نورالدين زمام، نفس المرجع، نفس الموقع، نفس تاريخ التصفّح.

خلاصة

نستنتج أن النخبة هي فئة أو أقلية من الناس، التي تتمتع بمواصفات طبيعية أو مكتسبة، وتتصف النخبة بصفات استثنائية على مستوى الذكاء، والقدرات العقلية والمنطقية، والكياسة الأخلاقية والإجتماعية، وامتلاكها لحسن التدبير الجيد، وقدرتها على إدارة المرفق العمومي وفق المصلحة العامة، تحدثنا عن أنواع عديدة من النخب، ومن أبرزها النخبة السياسية، والعسكرية والاقتصادية؛ لكن ركّزنا على النخبة المثقفة والأكاديمية العالمة، تطرّقنا أيضا إلى مجموعة من النظريات السياسية والإجتماعية حول النخبة: مثل نظرية باريتو ونظرية جيتانو موسكا وروبرت ميتشل ونظرية رايت ميلز، وتوم بوتومور، وغيرها من النظريات التي انصبّت على تحليل النخبة فهما وتفسيرا وتأويلا.

عرضنا أيضا في هذا الفصل أدوار ووظائف النخبة، فهي التي تحقق التوازن الاجتماعي، وتحافظ على نظام المجتمع وسلامته ونظامه.

سنحاول في الفصل التالي، الغوص في أعماق تاريخ الجزائر السوسيوثقافي، واستخراج منه نماذج من النخب المتعلمة المثقفة بما تحتويه من أفكار وتوجهات وايدولوجيات متعددة ومتنوعة.

الفصل الثالث

النخبة الجزائرية أثناء الإحتلال الفرنسي

(1830م-1962م)

تمهيد

يهتم هذا الفصل بإلقاء الضوء على الفئة التي تعمل على تنوير المجتمع، سواء على المستوى الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي؛ وهي النخبة المثقفة الجزائرية، وأدوارها الفاعلة أثناء الفترة الكولونيالية الطويلة؛ وسنعرض نماذج نخبوية عند كل مرحلة من مراحل التاريخ السوسيوسياسي للجزائر المستعمرة.

كما سنتطرق وعلى وجه الخصوص، إلى النخبة الجزائرية وكيفيات نشأتها وتطورها. وعليه، يحتوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول عبارة عن مدخل للتعريف بالنخبة الجزائرية المثقفة، وأدوارها، وإنتاجها المعرفي، أثناء الحقبة الاستعمارية؛ في المبحث الثاني تطرقنا إلى نماذج من النخبة التقليدية المحافظة، أما في المبحث الثالث فتناولنا فيه نماذج من النخبة المثقفة في فترة الحركة الوطنية، أما المبحث الرابع فكان يخص بعض النماذج من النخب أثناء ثورة التحرير، وخصصنا مبحثًا كاملاً لبراديغم مالك بن نبي.

المبحث الأول: تعريف النخبة الجزائرية وظروف نشأتها

المطلب الأول: تعريف النخبة الجزائرية

عرّف الشريف بن حبيليس (Cherif Benhabilles)⁽¹⁾ جماعة النخبة: "أنّها ثرّيات الشبان المتخرجين في الجامعات الفرنسية، والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين"⁽²⁾؛ وقد ميّز الأغلبية من الشواش، والكتّاب العاديين، ومساعدى الصيدليين الفتيان؛ وبين الأقلية من الشبان الجزائريين الذين حصلوا على تعليم جاد، والذين كانوا يحتلّون مناصب في الخدمة الوطنية، والجنديّة والتعليم والقضاء الإسلامي.

بينما لم يتفق جورج مارسى (Georges Marçais)⁽³⁾ مع هذا، فهو لا يعتبر النخبة الجزائرية تلك الأقلية، من الموظفين، والمحامين، والصحفيين، والمعلّمين؛ ولكن أولئك

1 - الشريف بن حبيليس: هو من مواليد سنة 1885 في ولاية قسنطينة (شرق الجزائر العاصمة)، توفي في أوت 1959 . وهو أحد الأعضاء البارزين والأكثر تأثيرا ضمن حركة الشبان الجزائريين، وقد كان قاضيا وعضوا بارزا في نادي "صالح باي" بقسنطينة، هو أول كاتب جزائري يكتب باللغة الفرنسية.

تدرّج في المدارس الفرنسية النظامية: الابتدائي- المتوسط والثانوي، دون أن يهمل الحلقات التي كانت تقدمها مدارس جمعية العلماء المسلمين، إلى غاية دخوله جامعة الجزائر، لدراسة الحقوق، ليحصل على شهادة الدكتوراه لينضم بعدها إلى حركة الشبان؛ اعتقل عدة مرات، ويعتبر من المدافعين عن الشعب الجزائري واستقلاله مع المساواة مع المعمّرين، له عشرات المؤلفات من بينها:

- L'Algérie Française vu Par un Indigène 1914. Edition Fantana.

- La Protection des mineures indigènes en Algérie, 1924.

اغتيال في أوت 1959 بفرنسا أيّما بعد لقائه بفرحات عباس في سويسرا، حيث اتهمت فرنسا جبهة التحرير باغتياله، لأنه يمثل الخط المعتدل الراض للعنف والداعي للحوار في الجزائر.

أنظر: الموقع الإلكتروني الشريف بن حبيليس: <https://ar.wikipedia.org/wiki/> بتاريخ 2016/4/19، على الساعة 22سأ9د.

2 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، الجزائر، عالم المعرفة، 2015، ص 153.

3 - جورج مارسى: هو مستشرق فرنسي، ولد في 11 مارس 1876، وتوفي بباريس في 20 ماي 1928، هو مستعرب وعالم آثار، درس بقسنطينة، حصل على الدكتوراه في الآثار في كلية الجزائر العاصمة عام 1929، أعطى مارسى للتاريخ والفن وحضارة المغرب العربي دراسات هامة جدا من مؤلفاته:

- البربر المسلمين والشرق في القرون الوسطى، مونتيني 1946.

- المدن والأرياف في الجزائر، المحافظة العامة المطبعة الوطنية باريس، 1958.

للإستزادة، أنظر الموقع الإلكتروني 9188= 98= www.aswat.elchamal. com/ar// ? = 9188.

الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية؛ وهم أيضا من الأناس الضائعين بين الحضارة العربية والأوروبية..، ويضيف: "إننا مرّقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين، وسرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم، ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة، لقد كانوا يشعرون بعقدة الكمال بالنظر إلى المجتمع الجزائري، ولكن كانوا يشعرون بعقدة النقص بالنظر للمجتمع الفرنسي، ونتيجة لذلك ضاعوا" (1).

وقد وافق علي مرّاد (2) ما ذهب إليه جورج مارسي، حيث قال: "بأنّها جماعة يحسنون اللغتين، وينتمون إلى الطبقة؛ أي تلك الجماعة التي درست كلاً من الحضارة العربية والفرنسية"، ويضيف قائلاً: ".. كان الفتيان الجزائريين مع تصريحهم، بأنهم الناطقين باسم الجماعة الإسلامية، يحسّون في الواقع بالراحة أكثر في المجتمع الفرنسي" (3).

غير أن أبو القاسم سعد الله يرى بأن النخبة الجزائرية، التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر (19)، أقلية من الشباب الجزائريين الذين تبوّأوا أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل، وثقافته وتعليمه؛ و أرادوا تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي؛ في حين كان لهم ميولا وروابط، للدين الإسلامي وتقاليد المجتمع الجزائري؛ فهم اشترطوا على فرنسا، أن لا تطلب منهم التخلّي، عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، وطالبوا بإلغاء

تاريخ تصفّح الموقع: 2016/11/15 - 14 سا - 45 د

آخر تعديل للصفحة يوم: 2016/1//08 - 22 سا - 18 د.

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع سابق الذكر، ص 161.

2 - علي مرّاد هو من مواليد مدينة الأغواط عام 1930، أستاذ أكاديمي حيث تحصّل على شهادة الدكتوراه بالسوربون بباريس عام 1968، له عدة مؤلفات في الإسلاميات منها:

- La Tradition Musulmane.

- L'Exégèse Coranique.

توفي بفرنسا يوم 23 ماي 2015 بمدينة ليون، عن عمر ناهز الستة وثمانون (86) سنة .

3 - علي مرّاد، " الحركة اصلاحية في الجزائر - بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940 "، ترجمة:

محمد يحياتن، الجزائر، د ط، 2007، ص 53.

مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي:

<https://www.la-croix.com/urbi-et-arbi/Actualité/Carnet>

L'islamologue – Ali- Merad- Mort- 2015-05-24-12000849817

تاريخ تصفّح الموقع: 2016/11/20 - 16 سا - 01 د

قانون الجنسية سيناتوس كونسلت (Senatus Consult 1865) ، ورغم هذا المطلب الرمزي في نظر البعض، لكنه يمثّل رمز تمسّكهم بوطنيتهم⁽¹⁾.

ويرى باحثون آخرون بأنّ النخبة الجزائرية، تتحدّر أساسا من الطبقة الوسطى، التي تعتبر المنطلق الحقيقي لها؛ حيث درسوا وتعلّموا في الثانويات والمعاهد الفرنسية، بشقيها العسكري والمدني.⁽²⁾

غير أنه من خلال تتبعنا لما ورد في دراسة خمري الجمعي، لاحظنا أنه قسّم النخبة إلى نوعين: النخبة المثقفة ثقافة مزدوجة، مثل محمد بن رحّال، ومحمد بن العربي، والمجاوي، وبن سّماية، وثقافة فرنسية أمثال: خليل قايد العيون، الدكتور مورسلي، وإبراهيم فخار⁽³⁾.

المطلب الثاني: ظروف نشأة النخبة الجزائرية

يتفق معظم الكتاب على أنّ النخبة الجزائرية، كانت بطيئة في الظهور، وصغيرة في العدد، ولم يكن تكوين جماعة النخبة، محلّ اتفاق بين هؤلاء الكتاب؛ فأعضاء هذه الطبقة كانوا يعتبرون أنفسهم، أقلية ممتازة منفصلة عن أغلبية ناقصة؛ تتكوّن من فلاحين، ومرابطين، وخرافيين، وعلماء رجعيين، وأعيان مستسلمين؛ وهناك بعض الكتاب حاولوا توسيع عدد النخبة، ليشمل المترجمين والأطباء والمعلّمين، القضاة، الصحفيين، وبعض التجار، العمّال والطلبة⁽⁴⁾.

ويجمع المؤرخون على أنّ بداية ظهور الفكر الإدماجي في الجزائر، مرتبط بحركة هؤلاء الشبان الجزائريين المسمّون بالنخبة. وتعود هذه التسمية إلى ذلك النموذج من الحركات السياسية، التي عرفت القوميات العربية؛ فعلى موضة تلك الفترة، التي كان يتحدث فيها عن

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع سابق الذكر، ص ص 161-163.

2 - الجمعي خمري، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 1، جامعة منتوري قسنطينة، 2002-2003، ص 78.

3 - الجمعي خمري، المرجع سابق الذكر، ص 44.

4 - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 164.

الشبان الأتراك، والشبان المصريين، والشبان التونسيين، أطلق على أفراد هذه الحركة تسمية الشبان الجزائريين⁽¹⁾.

في حين فضّل أبو القاسم سعد الله تسميتها النخبة والجزائر الفتاة؛ وهناك من أطلق عليها تسمية العمائم الشابة، تميّزا عن العمامات⁽²⁾ القديمة؛ وهناك من سمّاها أنتيلجنسيا، وفي مراجع عديدة مصطلح الليبراليين؛ ويرتبط هذا الاختلاف في التسمية بالنظر إلى المرجعيات، التي بنيت عليها هذه الفئة المثقفة، سواء الاجتماعية أو الثقافية⁽³⁾.

وبالعودة إلى المصدر الذي استمدّ منه هؤلاء المتخرجين، في المعاهد الفرنسية اسم الشبان الجزائريين، فيرجع أجيرون (Ageron) مصدرها، إلى كونها استعملت للدلالة على اليهود المتطورين، والمثقفين ثقافة فرنسية، وعارضوا اليهود المتخلفين، الذين يرتدون اللباس التقليدي ويتكلمون العربية؛ وهذا يوضّح جليا تأثير اليهود الجزائريين المثقفين، على النخبة الجزائرية المتمدرسة في المدارس الفرنسية، فالمدرسة كان لها دور هام، في تطور فكر هؤلاء الشبان، وهي مفتاح أفكارهم الليبرالية؛ لذلك نجدهم يختلفون اختلافا كبيرا ومتميزا، عن المجتمع الجزائري، وقد استعملوا خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، مصطلح المساواة مع الأوروبيين، في جميع الحقوق والواجبات، وكان هذا المسعى بدون شك وسيلة للوصول، إلى تكوين فكر سياسي سمح لهم في ما بعد بممارسة السياسة⁽⁴⁾.

كان ظهور النخبة الجزائرية بطيئا ومؤلما، في نفس الوقت متخلفا عن النهضة الفكرية، مقارنة مع البلدان العربية؛ ويعود ذلك إلى عاملين اثنين الأول: عدم توفر الأطر الثقافية، فلا وجود مثلا لمجمّعات كبيرة كالأزهر بمصر، أو الزيتونة في تونس، أو القرويين في المغرب الأقصى؛ بل اقتصرت على المراكز الثقافية التقليدية، كالزوايا والكتاتيب القرآنية، ولم

1 - نفس المرجع، ص 161.

2 - ذوو العمامات هم:

3 - الجمعي خمري، المرجع سابق الذكر، ص 121.

4 - عزالدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004، ص 06.

تقدّم فرنسا تعليماً جاداً إلا في نطاق محدود؛ أمّا العامل الثاني فيعود إلى السياسة التعسفية الفرنسية، والتي نصّت على مجموعة من القوانين، منها نزع الملكية العقارية الإسلامية من الجزائريين، والتي كانت الدعم والممول الرئيسي للتعليم، حيث دعمتها بقوانين العقوبات الجماعية وقانون الأهالي⁽¹⁾.

وتعتبر نهاية القرن التاسع عشر (19)، بدايات الإرهابات الأولى في الجزائر، على شكل عمل فردي في غالبه، أو جماعي محلي بظهور بعض المثقفين، وتدوين عرائض فئوية وإقليمية، على غرار العريضة التي أرسلت في سنة 1860، كاحتجاج ضد مشروع إنشاء حكم مدني في الجزائر، وتوالت العرائض في عهد نابليون الثالث⁽²⁾.

وعريضة 1886 التي احتوت على المطالب التالية:

- تنظيم المدارس العربية، ونشر التعليم بالعربية بين الجزائريين.

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والفرنسيين، في المجالس البلدية والعمالة.

1- قانون الأهالي يسمّى أيضاً بلائحة كريميو أو الأنديجينا، فبمقتضى القانون الذي صدر في 24/10/1870، اكتسبت السلطة الإدارية، اختصاصات وصلاحيات السلطة القضائية. هذا وسقطت بذلك الضمانات المألوفة لحرية الأفراد، بحجة المحافظة على السلطة وإقرار النظام، وهذه الاختصاصات يمكن إجمالها فيما يلي:

- الأخذ بمبدأ المسؤولية الجماعية، فالفرد وحدهم لا يعينهم، إذا ارتكب جريمة أو حريق، بل سكان المكان مسؤولين.

- سلطة المتصرفين الإداريين ورؤساء البلديات، يحبس الأشخاص، ومصادرة أملاكهم دون حكم قضائي.

وهكذا اكتسب المتصرفون الإداريون وعمال العمالات وكذا لجان التأديب، بموجب قانون الأهالي صفة الشرعية المطلقة في التطبيق والتنفيذ، وهذا القانون هو عبارة عن نصوص، وضعت بقصد فرض النظام والانضباط في صف المسلمين؛ بحيث يتعين عليهم إظهار الطاعة العمياء للأوروبيين. حدّد القانون عند صدوره 41 مخالفة، يعاقب عليها الجزائريون، وخفّض إلى 21 مخالفة عام 1891، واستقرت عند 27 مخالفة في قانون 1898/12/21؛ ورغم أن الإدارة الفرنسية حدّدت مدة سريان مفعول هذا القانون بسبع سنوات، ولكنها ستمدده لنفس المدة عند نهاية كل أجل، وذلك حتى سنة 1930، وقد أجبرت سكان الجزائر بالتقيد بهذا القانون الجائر وقانون آخر وهو التجنيد الإجباري. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=> قانون الأهالي. تاريخ تصفح الموقع يوم 2017/04/27 على الساعة 15 سا 58 د.

آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 2017/01/29. الساعة 16 سا 58 د.

1 - الجمعي خمري، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 89-90.

2 - أبو القاسم سعد الله، **المرجع سابق الذكر**، ص 160.

- استرجاع العمل بالقضاء الإسلامي الذي كان قد ألغي بقرار 1866⁽¹⁾.

ونستنتج من هذه المحاولات الأولى أن النخبة تقدمت ببرنامج محدد، هو الإبقاء على الشخصية الجزائرية والإسلامية، والحفاظ على مقوماتها الحضارية.

إن الحديث عن النخبة يتطلب منّا، دراسة علاقة هذا الاتجاه مع المحافظين، الذين يعتبرهم سعد الله من المثقفين التقليديين؛ رغم أن بعضهم ينادي بالتقدم والتعليم؛ فتميزت العلاقة بينهما بالتناقض، فلا طالما اعتبرت النخبة هؤلاء المحافظين، عائقا أمام التقدم واتهموهم بالعداوة للوطنية، ومعارضة الإسلام الحقيقي؛ وأطلقوا عليهم اسم أصحاب العمائم القديمة، أو البورجوازية المتعجرفة.. التي ليس لأعضائها أية قيمة، وكانوا يرون فيهم الفساد والجهل وابتعادهم عن الشرف بالرجعية والتعصب.

ورغم ميول النخبة للثقافة الفرنسية والحضارة الأوروبية، إلا أن فرنسا لم تقبل بهم، واتّهمتهم بأنهم فتيان أترك، لهم علاقة بالجامعة الإسلامية⁽²⁾.

إن التطرق في تشكل النخب الجزائرية في بداياتها آليا، ومن منطلق الظروف التي أوجدتها، ومرحلة الخضرمة (عثماني- فرنسي)، والانتقال القسري من نظام حكم إلى سلطة إستعمارية جديدة؛ يجعل إسقاط التعريفات الغربية (رواد علم الاجتماع السياسي)، بالشكل الاصطلاحي المقترح على النخبة الجزائرية يبقى نسبيا.

ونستنتج من كل ما سبق، أن حركة النخبة لازالت إلى غاية العقد الأول من القرن العشرين ضعيفة، وواجهت منذ ظهورها عراقيل، سواء من قبل السلطة الاستعمارية أو المعمّرون (الكولون)⁽³⁾، ورفضوا منطقتهم في الجزائر؛ فقد كانوا يريدون تحقيق فكرة المجتمع الجزائري الجديد، القائم على التقدم والمساواة؛ ولم يكن تناقض النخبة أو عدم اهتمامها

1 - نفس المرجع، ص 174.

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع سابق الذكر، ص 171.

3- الكولون أو المعمّرون هم حثالة المجتمع الفرنسي والأوروبي، جيء بهم إلى الجزائر، فمَنحوا أخصب الأراضي، وقدمت لهم الحماية اللازمة، فأصبحوا يمثلون طبقة مميزة في الجزائر. للمزيد أنظر مؤلف أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص 198.

بالإسلام، نابعا من تخليها عن دينها، وإنما كانت نتيجة للظروف السائدة، في ظل التعسف الكولونيالي.

المطلب الثالث: قراءة سوسولوجية تاريخية في علاقة النخبة الجزائرية بالمجتمع:

ثمة حقيقة تاريخية تؤكدتها معظم الكتابات السوسولوجية، المهتمة بالتاريخ الجزائري إبان هذه الفترة " الكولونيالية "؛ وهي أن المجتمع الجزائري قد تعرّض إلى عملية اجتثاث بنياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية؛ ونقصد بالاجتثاث، ذلك التفكير المتصاعد للبنى التي ذكرناها؛ فالظاهرة الاستعمارية في الجزائر والتي دامت أكثر من قرن ونيف، كانت أعمق وأعنف وأرسخ؛ وذلك لسببين اثنين: السبب الأول ويتعلق بالفترة الطويلة جدا، التي قضاها الاستعمار الفرنسي في الجزائر؛ أمّا السبب الثاني ويتعلق بطبيعة الاستعمار الاستيطاني، الذي كان يهدف إلى تغيير البنية الديموغرافية للجزائر⁽¹⁾؛ وهذا بغرس عنصر بشري جديد داخل المجتمع والمتمثل في المعمّرين، بحيث وإن كانت الممارسات الاستعمارية الخاصة بعملية الاجتثاث قد تنوعت كما تم ذكره سابقا، فإن ما يخدم قراءتنا السوسيو تاريخية، لواقع النخبة المثقفة الجزائرية، إبان هذه الفترة، هو الاجتثاث الخاص بالبنى الثقافية العملية على وجه التحديد؛ كما أن فكرتي التحطيم والبناء، وهي خاصية استعمارية شائعة بهدف تغيير المنظومة الثقافية، بكل بنياتها الكلاسيكية للأهالي وطابعها العلائقي؛ واحتلال مكانها منظومة عصرية حديثة البنى، تستجيب مباشرة للأهداف، الأيديولوجية الاستعمارية حاملة لشعار: "إشاعة نَعَم العلم والعقل، التي يحملها العرق الأسمى، في أوساط العرقيات الدنيا والمتوحّشة"⁽²⁾.

1 - الطاهر عمري، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها - من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، الجزائر، الدار الوطنية للكتاب، 2014، ص 23.

2 - فلاديمير ماكسيمكو، الأنثولوجيا المغاربية - المثقفون أفكار ونزاعات، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، الجزائر، دار الحكمة، 1994، ص 23.

وهذا كلّه في إطار متروبول نقل المعرفة، والتحضر إلى هذه المجتمعات؛ فالتجربة العسكرية لسياسة فرنسا الاستعمارية، عبر أصقاع كثيرة في أفريقيا وآسيا، لم تعد وحدها ناجعة بالقدر الكافي، لذا لابدّ من البحث عن بدائل أخرى، إلى جانب الحل العسكري؛ لذا نجدها تحثّ على السيطرة الحضارية، وهذا بإيجاد قوى اجتماعية داخلية متعاونة، وكان السبيل إلى ذلك هو تأسيس "مدرسة الأهالي" سنة 1833؛ فهذه الأخيرة كقيلة بخلق نخب من الأهالي، تلعب أدواراً وسيطة بين المستعمر وفئات المجتمع.

وإذا نحن استلهمنا من غرامشي بعض تحليلاته، فإننا نقول أن الاستعمار كمجتمع سياسي، عندما شعر أن جهاز الهيمنة والسيطرة مهدداً لديه، لجأ إلى إنشاء مثل هذه المؤسسات، الكفيلة بإنتاج بعض النخب، التي سيعمل على توظيفها المباشر، للترويج والدفاع عن أيديولوجياته؛ ولكن دون أن يستهونوا هذا الإجراء، وهذه الإستراتيجية الاستعمارية، لابدّ من التأكيد أن المواقع الديلية والنظرة الدونية، سوف لن تزول اتجاه هذه القوى والنخب، رغم الأدوار والمكانات داخل النسق الاستعماري، فهذه فاني كولونا (Fanny Colonna)، وهي إحدى تلامذة السوسيولوجي الفرنسي بيير بورديو (Pierre Bourdieu)، تقول في مؤلّفها "المدرسون الجزائريون" "Les Instituteurs Algériens"، معلقة على الأهداف والأبعاد الإيديولوجية، التي تقف وراء تأسيس ما يسمّى "بمدرسة الأهالي": "الاستقلال بين المدرسة والسلطة (الاستعمارية)، يوفر أدلة لعملية التدرّج التي تحدث في المجتمع الجزائري، نتيجة الهيمنة الاستعمارية، التي تعمل على تحديد اختيار مبرمج للنخب المتوسطة، التي تشتغل ضمن المنظومة التعليمية"⁽¹⁾.

إن تعنيف الواقع الاجتماعي في الجزائر، عن طريق تفكيك بنياته الثقافية، وتعطيل وظائفه الكلاسيكية، التي كانت تعدّ بحق أحد ميكانيزمات التثقيف، وإنتاج النخب الاجتماعية، وصناعة الإنسان الجزائري؛ ولعلّ الإحصائيات التي أوردتها الكثير من المراجع

1 - Fanny Colonna, **Les Instituteurs Algériens 1939-1983**, les Presses Des Sciences politiques, Paris, 1975, p 58.

المهتمة بالموضوع، والتي سوف نورد البعض منها، للتدليل على صدق هذا التوجه؛ هي بحق أكثر مثال على أنّ هذه المؤسسات، كانت فعلا مؤسسات تمارس الفعل الثقافي، وهذا قبل تدميرها طبعاً. فهذه فاني كولونا "Fanny Colonna"⁽¹⁾، تذكر في مؤلفها السابق الذكر أنه كانت في الجزائر: "منظومة تعليمية مستقلة تماماً عن الأتراك، وفعالة ومتفوقة؛ وكانت تشتغل بفضل الحبوس؛ وكان نحو 40% من سكان الجزائر، يحسنون القراءة والكتابة، لكن عدد المدارس القرآنية في الجزائر، وعدد الطلاب الدارسين بها، قد انخفض إلى النصف في السنوات العشرين الأولى من السيطرة الاستعمارية"⁽²⁾.

هذا وهناك حقيقة أخرى، تضاف إلى إستراتيجية إعاقة الفعل الثقافي الجزائري، وهي أن المؤسسة الثقافية قد فككت ودمّرت، مع ممارسة الرقابة، والسهر على عدم قيامها، وإنتاجها من جديد؛ وذلك بمحاصرة فاعليها وإطاراتها المسيّرة لها، بالقتل تارة، وبالنفى والتهجير تارة أخرى؛ فالأستاذ الجامعي والسوسيولوجي عبد ناصر جابي في مؤلفه: "الجزائر: الدولة والنخب..." يتكلم عن حالة الانكفاء الاجتماعي والتفوق، الذي أصاب التنظيمات الثقافية ورجالها فيقول: "... كانت مرحلة الانكفاء للمجتمع الجزائري حول ذاته، رجاله ومؤسساته التقليدية وقيمتها وحول ماضيه؛ كما عرفت أشكال هجرة نحو البلدان العربية، زيادة على عمليات النفي التي تعرّض لها، قيادات المقاومة الشعبية"⁽³⁾.

1 - فاني كولونا: ولدت سنة 1934 بالجزائر "ثنية الحد"، وهي مختصة في شؤون الجزائر وشمال إفريقيا. عاشت في الجزائر إلى غاية 1993؛ وكانت المديرية السابقة للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا. مختصة في علم الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، وباحثة في الإسلام. في رصيدها العديد من الأعمال والمطبوعات المرجعية، ومساهمات لا سيما: "الأوراس 1916-1945، حالة المعارف من علم الآثار إلى الصورة"، و"مدرسيون جزائريون 1883-1939"، و"آيات الصمود الثوابت والمتغيرات الدينية في الجزائر المعاصرة"، و"صاحب المطحنة والرهبان واللص"، و"حياة يومية في الأوراس القرن العشرين" و"الجزائر 1830-1962". توفيت في 2014/11/19 عن عمر يناهز ثمانين "80" سنة، أتبها المؤرخ الجزائري محمد حربي في مقبرة قسنطينة (حسب وصيتها الأخيرة) مسترجع من الرابط الإلكتروني التالي: https://fr.wikipedia.org/wiki/Fanny_Colonna بتاريخ: 2018/04/05 على الساعة 19سا. 58 د.

2 - Ibid, p. 30.

باتنة - عبد الناصر جابي، الجزائر الدولة والنخب: دراسات في النخب الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، 3. الجزائر منشورات الشهاب، 2008، ص26.

وفي واقع الأمر، لم تكن قيادات المقاومة الشعبية، من شيوخ زوايا ورجال دين، في غالب الأحيان وهم ممّن يعتدّ بهم في ترسيخ الفعل الثقافي؛ باعتبارهم أنهم يمثلون من وجهة نظر سوسيولوجية نخب اجتماعية؛ تساهم في الحفاظ على ديمومة هذا الفعل من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ فعل المقاومة الشعبية، كان يجد في هذه المؤسسات والنخب، خزّانا هامًا لكسب وعيه بذاته؛ هذا إذا أضفنا إلى هذه الخصائص، فإنّ هذه النخب والزعامات تمثل كذلك، رموزا إجتماعية في أوساطها الاجتماعية، تلقى القبول والطاعة خاصة في الأمور المصيرية التي تهّم الجماعة (1).

ودائما في إطار تقديم وإعطاء نماذج، عن الترسانة الثقافية الجزائرية قبل التفكيك، يقول الأستاذ والباحث الجزائري بلقاسم بوقرة في مؤلّفه "سوسيولوجيا الجزائر": "... في بداية القرن التاسع عشر كانت هناك، حوالي أربع مائة (400) مؤسسة تابعة للحبوس، من بينها مائتي (200) مؤسسة، كانت موجودة في الجزائر العاصمة وأحوازها..." (2).

وعلى الرغم من أن هذه المؤسسات، التي كانت تعمل تحت وصاية جمعيات دولية، كما يذكر الأستاذ سعد الله كالمؤسسات الخيرية المسماة "جمعية مكة"، "جمعية المدينة"، "جمعية الأندلس"، التي كانت تنشط في المجال الخيري والأعمال التطوعية، كمساعدة المسلمين الجزائريين، خاصة الفقراء منهم والحجاج والنازحين من الأندلس؛ وكذا دفع الفدية عن البعض منهم، ممّن يقع في أسر الطوائف المسيحية، وغيرها...، إلا أنّ الشيء الذي يشدّ الإنتباه على الإطلاق، هو أننا نحن بالفعل أمام حالة، لا يمكن أن توصف إلا بكونها حالة حضرية حقيقية، وربما يندر أن نجد لها مثيلا في وقتنا الراهن، وعند الكثيرين ممن يتبجحون بشعارات المجتمع المدني، وكانت تلکم بعض الحقائق، عن وقائع المؤسسة الثقافية ونخبها، قبل أن تلحق بها عملية التدمير والهدم.

1 - محفوظ سماتي، النخب الجزائرية تحت الاحتلال الفرنسي، ج 1، الجزائر، منشورات دحلب، دون سنة، ص 30.

2 - بلقاسم بوقرة، سوسيولوجيا الجزائر - دراسة تحليلية نقدية للتاريخ الاجتماعي، ج 1، باتنة الجزائر، باتتيا للمعلوماتية والخدمات المكتبة، 2000، ص 70.

وهذه الحقائق تبين واقع الحقل الثقافي النخبوي الجزائري، وهي وحدها كافية لدحض الفرضية الاستعمارية، القائلة بـبكر الحقل الثقافي الجزائري، أي بعاقته وكلاسيكته وخلوّه من أي نشاط يذكر.

نعود ونتكلّم مرة أخرى عن المدرسة الجزائرية، واستراتيجية التحطيم والبناء؛ قصد توطين الجهاز المدرسي الاستعماري؛ لتتساءل بداية: هل حقق هذا الجهاز أهدافه المسطرة والمرجوة؟ خاصة تلك المتعلقة بخلق نخبة ثقافية، وسيطة من الأهالي أنفسهم، تساهم في تكريس الهيمنة الاستعمارية، كما جهر بذلك الاستعمار الفرنسي صراحة؟⁽¹⁾.

في واقع الأمر إن هذه الإستراتيجية، وإن نجحت في إلحاق العطب الذاتي، بالمؤسسة الثقافية الجزائرية ونخبها ومتفقيها، وساهمت في تكريس كثير من الثنائيات الانقسامية، داخل النخب الجزائرية؛ سيستمر مفعولها وتبعاتها في فترة، ما بعد الاستقلال على وجه الخصوص؛ إلا أنه في اعتقادنا أن هذا الجهاز الاستعماري، لم يحقق على الأقل أهدافه المعلنة، كتلك التي كان يرفع شعاراتها، والخاصة بتحضير الجزائريين، أمّا الأهداف المبطنة والخفية، فذلك أمر يعيه الجميع، وهذا ما يمكن أن نلخصه في السببين التاليين:

- الطابع الشفوي لهذا الجهاز المدرسي الكولونيالي، فهو لم يكن فعلا يسعى إلى تعليم، فئات واسعة من أفراد المجتمع؛ وإنما كان يهدف إلى استقطاب فئات معينة؛ حتى تسهل عليه عملية السيطرة، وعليه فقد جاءت نتائج هذا الجهاز هزيلة، ساهمت وكما يقول الباحث "عبد القادر جغلول" في مؤلفه "تاريخ الجزائر الحديث"، وعلى لسان "محمد بن رّحال" (1886-1925)، وهو شخصية سياسية وثقافية جزائرية في إنتاج النخب: "...فئة هزيلة من المفرنسين... وعدد كبير من الأميين مزدوجي اللغات"⁽²⁾.

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع سابق الذكر، ص 180.

2 - عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث - دراسة سوسولوجية، بيروت، دار الحدّثة، الطبعة الثالثة، 1983، ص 80.

وفي الواقع إن أخطر نتيجة لهذا الجهاز، هو أنه عمق الشرخ الاجتماعي، الذي سيظهر بعد فترة الاستقلال، على شكل ازدواجية الفكر واللغة⁽¹⁾.

- أما السبب الثاني والمتعلق بفشل هذا الجهاز، فيمكن إيعازه إلى الأيديولوجية الاستعمارية ذاتها، والمتعلقة بمنهج التحطيم والبناء؛ حيث أن الكثير من فئات المجتمع رفضت التمدرس في هذا الجهاز، باعتباره مهددًا لكيانها؛ يقول الأستاذ عبد القادر جغلول ودائمًا على لسان محمد بن رخال: "إن الجزائريين في مجموعهم على الأقل، لم يطلبوا التعليم حتى الحرب العالمية الأولى، فهم لم يطلبوه لأنه يعتبر تهديدًا ضمنيًا، للقيم الثقافية التي مازالوا يحملونها، ولأنه يبدو غير مجد أيضا، فهو فعلا لم يؤد إلى إمكانية الترقية الاجتماعية"⁽²⁾.

- فبالإضافة إلى الطابع التهجمي لهذا الجهاز، وابتذاله لكل ما هو محلي، فإن رفض الجزائريين له كذلك، لديه ما يبرره من ناحية أخرى؛ وخاصة عندما نعلم أن هذا الجهاز، قد كشف عن ديماغوجية مقبولة، وازدواجية مفضوحة في خطابه؛ فهو لا يسمح بالترقية الاجتماعية للجزائريين، وإن أثبتوا جدارتهم، بل همّه هو خلق نخب فكرية من الجزائريين: "في الحدود التي تساعد على تنفيذ مهام الوساطة المفروضة عليها..."⁽³⁾.

فيظهر جليًا ذهنية الاستعمار القهرية اتجاه الجزائريين، حتى مع تلك التي يسميها نخبة، إذ ليس هناك شيء يقدم مجانًا في سياسة المستعمر؛ ولربما تكون الفاتورة مزدوجة، طالما وكما رأينا، أن الجزائري المستنجد به في هذه السياسة، لا هو حافظ على هويته وانتمائه، ولا هو حقق مكاسب اجتماعية بواسطة هذا الجهاز، تتعلق ببناء مكانته وترقيتها.

1 - عبد القادر جغلول، مرجع سابق الذكر، ص 81.

2 - عبد القادر جغلول، المرجع سابق الذكر، ص 81.

3 - فلاديمير ماكسيمكو، المرجع سابق الذكر، ص 33.

المبحث الثاني: نماذج من النخبة التقليدية المحافظة:
المطلب الأول: الأنموذج 1: عبد القادر المجاوي (1848-1913):
المولد والنشأة:

ولد عبد القادر المجاوي بمدينة تلمسان (غرب الجزائر) سنة 1848، حيث لم يتمكن من متابعة دراسته بصفة عادية، فاضطر لمغادرة مدينة مسقط رأسه رفقة جده القاضي، وسافر إلى فاس بالمغرب الأقصى؛ أين تابع عبد القادر دراسته هناك، وكانت البداية من مدينة طنجة، ثم فاس بجامع القرويين⁽¹⁾، أشرف عليه أساتذة كانوا قد تتلمذوا على يد جده محمد العلوي، قاضي فاس (المغرب)، وبعض العلماء منهم محمد بن سواد وجعفر الكتاني، ومحمد الفنون...؛ هؤلاء العلماء الذين تربى على أيديهم "عبد القادر"، منحوه التحصيل العلمي، بعد أن رضوا بمستواه الجيد، وأخلاقه الحسنة وفصاحة لسانه.

العودة من المهجر والمهنة البارعة:

دخل الجزائر سنة 1870 وسنّه اثنان وعشرون (22) عاما؛ مكث بقسنطينة التي سقطت تحت الاحتلال سنة 1837؛ باشر التعليم في مدرسة بئسة، موروثة عن بايلك الشرق، أحبّه جمهور قسنطينة كثيرا، فكانت كلمته مسموعة ورأيه مطاعا.⁽²⁾

كان متابعا بدقّة من طرف إدارة الاحتلال، وقصد تحديد ارتقائه، تم توظيفه سنة 1873 في المسجد الكبير للمدينة كواعظ عام؛ بعدها وظّف في المدرسة الرسمية للمدينة، "مدرسة الكتانية" المتخصصة، في تكوين رجال الدين، وأعوان المحكمة الإسلامية؛ وكان القصد من هذه الترقية، عزل الشيخ بكيفية ذكية عن المستمعين، وتعيينه نهائيا في سلك التعليم

1 - جمال بلفريدي، " حول نخب الحركة الوطنية 1838-1954"، مجلة المصادر، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، العدد 27، السداسي الأول 2016، (108-169)، ص 147.

2 - جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ترجمة: عمر المعراجي، الجزائر، منشورات ANEP، 2007، ص 34.

الرسمي، كي تتسنى مراقبته بسهولة⁽¹⁾، ثم درّس في الثعالبية وحصل على تشريفات منه 1903 و 1906، متّوجاً بذلك حياة مهنية مميزة، كرّم كذلك سنة 1910 بالوسام التونسي.

إنتاجه الفكري:

في ما يخص أعماله فإنّ جلّها نشرت بالعاصمة، من طرف فونطانا، وهي تتناول مواضيع مختلفة، أهم موضوع كان التعليم، كما تناول ميادين الاقتصاد إلى جانب الاعتناء بالتراث الثقافي⁽²⁾. إذا، فإنّ أحد رواد المدارس الثلاث، عبد القادر مجاوي الذي كانت له مكانة مرموقة، كما كان له الفضل في القيام بالمهمة النبيلة، في مواجهة تحديات ذلك العصر.

في البداية كانت الانطلاقة من خلال إيصال الإرث القديم، طوال تلك المرحلة الحاسمة؛ ولأكثر من أربعة عقود متوالية في التعليم، حاول فيها الاستجابة لمتطلبات ذلك العهد، بتكوين الأجيال التي ستأخذ مسؤوليتها، في إرجاع التراث الثقافي للهوية الجزائرية. في الحقيقة أنه فتح ورشات واسعة أمام الأجيال الصاعدة، التي ستبقى سبيلا مضمونا يجب إتباعه من دون كلل، لتغيير الدهنيات، والتصرفات؛ الشرط الذي لا بدّ منه للانفتاح على العالم الخارجي والتطور.

مؤلفاته⁽³⁾:

- "شرح ابن هشام"، هو كتاب في اللغة والنحو والبلاغة، طبع في قسنطينة.

- "نصيحة المريدين": رسالة توجيهية، نشر بتونس.

- "إرشاد المتعلمين": كتاب في اللغة والنحو والبلاغة طبع في مصر.

في ما يخص الاقتصاد فإنّ المحاولة التي نشرت سنة 1904 من طرف فونطانا، والمتعلقة بالاقتصاد السياسي، كانت حقا محاولة ناجحة، وفي متناول الجمهور العريض؛

1 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 36.

2 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 42.

3 - مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: عبد القادر مجاوي <https://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ دخول الموقع:

20/11/2016، 15 سا، 30 د.

على أي حال فإن هذه المنشورات، تظهر المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها آخر المجاويين، وهو من العلماء الذين وقّوا في الربط، بين فترات انقضت وفترات جديدة، تبحث عن سبيل التفتح والإصلاح⁽¹⁾، وهو أحد رواد المدارس الثلاث، وكان له الفضل في القيام بمهمة نبيلة في مواجهة تحديات ذلك العصر.

قراءة في فكر المجاوي ودوره التنويري التوعوي الوطني:

في بدايات انطلاقته الفكرية كان المرّبي المبدع، في مجالي التعليم والبيداغوجيا؛ حيث كان ينوّع ويفصل ما بين الدروس، والهدف منه هو ترفيه التلاميذ، وتعليمهم التركيز والفتانة؛ ابتعد عن التعليم الديني الذي ينحصر في التوحيد، الذي من الممكن أن يجرّ إلى التطرف فقط في هذا الجانب، لتختفي هذه المادة، بصفة ذكية ومفاجئة من المدارس منذ العام 1864، ليوضع محلّها درس ثاني في الفقه الإسلامي⁽²⁾.

كان يرى أنه من الضروري تكثيف الجهود في تعليم التلاميذ، قصد تحريرهم من ثقل قرون التقهقر والتأخر، ببطء ولكن بثقة وثبات وعبر طرق غير مملّة؛ حيث أعاد اقتباس اللغة والمواد التي تبعث على الانفتاح والفتح على العالم الخارجي؛ بعد قرون من الجمود والتقليد. فقام بالتالي:

أولاً: وفي سنة 1864 تمّ إدخال اللغة الفرنسية، ومواد جديدة كالتاريخ والجغرافيا، لمباشرة هذا الانفتاح والتثقيف؛ ليكون سابقة أكثر من أي وقت مضى. نرى أن تلقين الحياثات العصرية المتبّعة في المدارس العمومية، يحفظ الأجيال الصغيرة من الأخطار، التي تهدّد الثوابت والهوية، خاصة بعد بث وظهور ثلاثة أخطار محدقة: وهي الاندماج، التجنيس والردّة؛ وقد تناولها بالعرض والتحليل واقتراح الحلول، في الصحافة مزدوجة اللغة، وتطرّق إلى مواضيع أخرى تهّم الشباب المثقف المتمكّن من لغة واحدة العربية، الفرنسية أو مزدوج اللغة.

1 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 39.

2 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 42.

في اعتقادنا إن المجاوي مثل السلسلة المجيدة من العلماء، الذين ربطوا بين فترة انقضت، وفترة جديدة، تبحث عن سبل التفتح والإصلاح؛ وهذا هو الشرط الذي لا بدّ منه، لإحداث تحولات اجتماعية ثقافية خصبة. وهذا ما قيّمه جيلالي صاري فكتب يقول في هذا السياق، نقلا عن المؤرخ شعشوع ما يلي: "كان وضع رجال الدين المسلمين يتمثل، في نوع من الحياد السياسي، والتوجه نحو العصرية...".

ما كان يصدر ويظهر من التعليم المبذول، من طرف عبد القادر مجاوي، والمؤكد دائما في منشوراته؛ والتي تشمل أعماله عدّة محاور بحث، تتعلّق بكل الميادين التي تمسّ التراث العربي المغربي، مع اهتمامه الخاص والكبير بمفكرين أجلاء أمثال: ابن خلدون، والفارابي؛ مع الإشارة في بعض الأحيان، إلى ابن تيمية والمتصوّف ابن العربي⁽¹⁾. كما كان يتطرق إلى العديد من المشاكل التي تتعلق بالميتافيزيقا؛ والمشاكل المسبّبة للانحطاط العام للمجتمع.

فيمكن الإحاطة من خلال غاية تعاليمه وأعماله الفكرية عموما، والاهتمام بالتعليم عامة، وتعليم الفتيات خاصة؛ فلا مجال للشك إذا ما عدنا إلى أواخر سنوات القرن التاسع عشر، قبل قدوم المصلح محمد عبده إلى الجزائر؛ ونظرا لما جاء به أحد أساتذة عبد الحميد ابن باديس وتلميذ المجاوي حمدان لونييسي⁽²⁾ من جهة أخرى؛ فلا ننسى دور المفتي مولود

1- Merrad, **Le réformisme Musulman En Algérie De 1925 à 1940**, Paris, Monton et Cie, 1967, p 87.

2 - حمدان لونييسي القسنطيني ولد سنة 1856 وتوفي مهاجرا (لاجئا) بالمدينة المنورة عام 1920. هو فقيه ومجتهد، حضر كمستمع لدروس عبد القادر المجاوي، عين مدرّسا بالجامع الكبير بقسنطينة في جانفي 1881، كان يدرّس النحو والحساب والأدب والفقه والتوحيد سنة 1910؛ بعد ثلاثون سنة من العمل، ولأسباب غير معروفة، قد تكون من مكائد الإستعمار الفرنسي، فهاجر إلى الحجاز، واستقر بالمدينة المنورة، وظل مدرّسا للحديث إلى حين وفاته. وقد قال عنه الأستاذ المصري أحمد لطفي السيد أثناء أدائه لفريضة الحج سنة 1911 التالي: "أما نحن فقد كُنّا نغشى الوقت بعد الوقت... مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: http://ar.wikipedia.org/wiki/حمدان_الونييسي_القسنطيني. بتاريخ 2018/04/05 على الساعة 14سا 14 د.

بن موهوب القسنطيني⁽¹⁾، الذي تتلمذ أيضا على يد المعلم عبد القادر المجاوي، وهؤلاء مثقفون مهّدوا الطريق للشيخ ابن باديس وكل مدرسة الشهاب.

إذ، فالمجاوي له كبير التأثير في رسم نهج جمعية العلماء المسلمين، التي كان يرأسها ابن باديس. ففي سنة وفاة المجاوي عام 1913، بدأ ابن باديس التدريس بقسنطينة⁽²⁾.

"كان وضع رجال الدين المسلمين، يتمثل في نوع من الحياد السياسي، والتوجه نحو العصرية، حسب ما أوحته نظرة وتعاليم المجاوي، الذي بدأ التعليم في المدرسة العربية الإسلامية الجديدة العهد بقسنطينة. حسب رأينا فإن هذا الأخير هو المؤسس لهذه اللمسة، التي طبعت كل تاريخ الإصلاح الجزائري، حتى قبل العهد الاستعماري. كان يعني ذلك حياد المدرسة وتوجيهها نحو الدراسة والتعليم"⁽³⁾.

في رأينا إن أفكار المجاوي، لم تقتصر على تعليم وتنوير جيل زمنه وعصره، بل كان لها التأثير على المدى الطويل؛ فالمعرفة تراكمية، تظهر نتائجها مع الزمن؛ وفي ذلك مثال مدرسة الشهاب الباديسية، فرجالها الذين واكبوا ابن باديس منذ الوهلة الأولى، وأدباؤها الذين كانوا بجريدة الشهاب⁽⁴⁾ أولا، ثم ضمن جمعية العلماء المسلمين؛ هم جيل ثمره الجهود المتداولة سابقا؛ كما أنهم نتيجة القوات الخلافة، التي بذلت في القرن العشرين، ونبعت من جهود المدارس الثلاث؛ وكذا هياكل وحركات أخرى، مثل: الصحافة، نوادي الشباب، وطلبة

1 - مولود بن موهوب القسنطيني هو: المولود بن محمد بن الشيخ المدني بن الموهوب ولد وقضى حياته وتوفي في مدينة قسنطينة درس في مسقط رأسه وكان من أساتذته عبد القادر المجاوي أحد رجال النهضة. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/مولود_بن_موهوب_القسنطيني. بتاريخ 2018/01/02، على الساعة 16 سا 54د.

2 - طالب عمار، **ابن باديس حياته وآثاره**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 48.

3 - جيلالي صاري، **المرجع سابق الذكر**، ص 43.

4 - جريدة الشهاب: هي جريدة اسبوعية تصدر باللغة العربية أنشأها العلامة عبد الحميد ابن باديس، سنة ميلادها الإصلاح الديني و الدنيوي؛ وبعد ان بلغت من الأعداد مائة وثمانية وسبعون (178) في أربع سنوات، أي حتى سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرون (1928)، حوّلت إلى مجلة شهرية واستمرت كذلك الى غاية ألف وتسعمائة وتسع وثلاثون (1939)، فقد تقرر توقيفها لأجل الحرب العالمية الثانية، ثم أوقفت نهائيا بسبب وفاة منشئها ابن باديس؛ أما عن طبعها فكانت تطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية في ذلك الوقت، التي هي أيضا من إنشاء العلامة. للاستزادة انظر الرابط الإلكتروني التالي:

http://ar.wikipedia.org/wiki/جريدة_الشهاب. مستخرج بتاريخ 2017/01/15، على الساعة 20 سا 17 د.

العناصر الأولى من النخبة المعاصرة، أحادية اللغة، أو مزدوجة اللغة؛ والمجاوي ساهم في الصحافة مساهمة ثرية وإيجابية، أثرت على أجيال من بعده؛ فهو فتح ورشات واسعة أمام هذه الأجيال الصاعدة. تلك الأجيال التي بقيت تتبّع هذا السبيل الضامن، ودون كلل، بهدف تغيير الدهنيات والتصرفات، وهذا هو الشرط الذي لا بدّ منه للانفتاح على العالم الخارجي. فعبد القادر المجاوي كوّن أجيال على مدى أربعة عقود، ستأخذ مسؤولياتها في إرجاع التراث الثقافي للهوية الجزائرية، ومن بينهم العلامة ابن باديس، الذي سنتطرق إليه في مطلب لاحق.

المطلب الثاني: الأنموذج 2: عبد الحليم بن سّماية (1866-1933): المولد والنشأة:

ولد سنة 1866 في قلب مدينة عبد الرحمان الثعالبي، المدينة التي لازالت تحتضن آخر وأشرف العلماء المتمسكين بتراثهم. عند طفولته كان يتردد على " مسيد " وسط الأحياء القديمة للجزائر العاصمة؛ تتلمذ على يد الشيخ أبو شاشية⁽¹⁾، حيث حفظ القرآن الكريم بسهولة، ثم واصل متابعته للمواد الدينية بالتلقين، وتدعيمة بالقواعد اللغوية الأساسية؛ أمّا الشيخ قطّوش فقد تكفّل بتلقينه علم المنطق والبلاغة؛ كما أخذ الحساب والمواد التقليدية على يد شخصية أخرى، وهو زوج أخته الشيخ بن حمّودة. مساهمة الأب في تنشئة الابن الإجتماعية والتعليمية كانت حاسمة، لأنها كانت مطابقة للطرق العصرية المجربة في مصر. حيث وضع بين يدي ابنه مكتبته الثرية، وهو ما أحيا في نفس التلميذ، حبّ الاطلاع على الأشياء⁽²⁾.

1 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 48.

2 - نفس المرجع، ص 51.

مسار مهني لامع، رجل مخضرم ما بين القرنين، قام بدور مزدوج في التعليم، الأول أصله تقليدي تابعه، عبر سبل ومناهج تذكر بالعهود الغابرة، والآخر يميل إلى العصرية، ولكن يتمحور حول الحقائق المعاشة.

في سن مبكرة وفي العشرين من عمره، بدأ تلقين الدروس في الجامع الجديد، ويتعلق الأمر بدروس اللغة العربية، والعلوم الدينية والشرعية؛ أمّا دروس الوعظ فكانت تلقى، للتحسيس بالأمراض الاجتماعية، منها الأخلاق السيئة، والتشرد الشبابي، والانحرافات الأخرى⁽¹⁾، التي تعود إلى الانحلال الناجم عن وفود الفرنسيين، الذين كانوا يقدمون إلى الجزائر العاصمة ويحتنون بالعامّة.

عين كمعلم في التعليم الرسمي بدرجة عالية، في المؤسسة التي تكوّن الإطارات العالية، للدين والمحكمة الإسلامية⁽²⁾.

شهادة اميل مسكراي⁽³⁾ سنة 1914 فيما يخص تعلمه اللغة العربية على يد والد عبد الحليم بن سمّاية:

"أمضيت بعض الدقائق الجميلة في ذكر معلّمي الشيخ، أول من أظهر لي سرّ التصوف، والذي كان من دون شك أكرم وأطيب الرجال، اسمه ابن سمّاية؛ وكان يسكن في أعالي مدينة الجزائر، في منزل ناصع البياض...، تعرّفنا على بعضنا في يوم كان يخال فيه النور قليل اللّمعان...، أعجب بي عندما ترجمت له بعض السطور من كتاب "حي الإله" لسان "أوغستين"، فلمّا أغلقت الكتاب قال لي: "لابدّ أن الرجل الذي كتب هذا كان مسلماً"...

1 - نفس المرجع، ص 53.

2 - نفس المرجع، ص 54.

3 - إميل مسكراي: هو مستشرق فرنسي ولد في 20 مارس 1943، وتوفي في 19 أوت 1994، عني بالدراسات الاجتماعية لقبائل البربر في الجزائر، وهو أيضا أركيولوجي (عالم آثار)، مؤرخ، مختص في اللسانيات، أنثو- سوسولوجي، من آثاره كتاب "تكوين المدن عند السكان المقيمين في الجزائر"، ومؤلف آخر تحت عنوان "تحقيق تاريخ أبي زكريا Chronique D'Abou Zakaria"، والذي نشر في الجزائر عام 1878.

للاستزادة أنظر الموقع الإلكتروني: أميل مسكراي <https://ar.wikipedia.org/wiki>. تاريخ تصفح الموقع: 2016/11/15-

09 سا 15 د.

كان يأتي عندي ثلاث مرات في الأسبوع، مرتديا برنوسا خفيفا، ويحمل قفة صغيرة بيده للتسوق...، كان يكلف نفسه مشقة كبيرة ليشرح لي، كتاب "الذهب الخالص" للشيخ عبد العزيز، كان أعلم بقواعد النحو وبالتشريع الإسلامي، من أي أستاذ ب Collège فرنسا⁽¹⁾. من مرة إلى أخرى كنت أوقفه ليحدثني عن حياته، كان كثير التلاوة للقرآن في المسجد المجاور، الذي كان يتردد عليه كل يوم، مقابل 600 فرنك سنويا. إثنان من أبنائه كانا يبيعان التبغ ومتزوجين. كان يشكر الله على الحال، التي كان عليها في هذه الدنيا. كان لا يخاف الآخرة، لأنه يعيش في اطمئنان مع الناس، ومع كل الأرواح"⁽²⁾.

إنتاجه وإشعاعه:

خارج تحركاته الفياضة داخل المسجد، أو بالثعالبية⁽³⁾ القسم الأعلى، تعاطي عبد الحليم بن سماية، مع الصحافة والشعر ومنشورات ثرية؛ وإعادة التراث الأصيل. أقيم المنتدى الرابع عشر الدولي للمستشرقين، وأثناءه قدم بن سماية أعمالا قيّمة تخص "فلسفة الإسلام"، إلا أنه ولظروف غير معروفة، لم تنشر تلك الأعمال إلى حدّ الآن؛ لكن منذ هذه اللحظة، بدأت فترة جديدة تميزت بفتح نواذٍ للشباب، والتي من بينها "نادي التقدم" بمدينة الجزائر، الذي كان يحيي نشاطات وتظاهرات عديدة، لترقية أفكار جديدة من بينها - الإصلاح -، منبر مطلوب من طرف زعماء الحركة الوطنية، حسب الكاتبة ماري بوقاجة "Marie Bougeja"، وهي من القلائل المحبين للتداخل الثقافي⁽⁴⁾.

1 - Masqueray E, Souvenirs Et Visions D'Afrique, respectivement Paris, Alger et Paris, 1894, 1915, 1989, pp 113-114.

2- من دون شك فإن الأحوال التي تابع بها مسكراي دروس بن سماية، كانت تضيف شهادة أخرى على تقانيه وعدالته وتحاليه الكاملة للمادة، "في السنة الماضية طلبت منكم مبلغا يفوق مرتبي، كان عليّ أن أزوج ابنتي الصغيرة وكنت محتاجا... ولقد تمّ الزواج، والآن أطلب منك عدم دفع راتبي طيلة هذه السنة؛ أرجوك أن لا ترفض طلبي من فضلك، وأكون متأسفا إن فعلت". للاطلاع أكثر أنظر: جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 55.

3- الثعالبية هي مدرسة تعليمية مشهورة، موجودة بجوار مقام الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، والي الجزائر.

4- جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 59.

من الأعمال التي قام بها "بن سماية" نخص بالذكر "فلسفة الإسلام"، التي قدّمت أثناء المنتدى السالف الذكر، والذي أقيم عام 1905، نشرت بعض الأعمال، القليل منها تعالج المشاكل الاجتماعية في الصحافة العربية، الصادرة في مدينة الجزائر؛ وذلك في مجلة "كوكب إفريقيا" تحت إشراف محمد كحول، و"الإقدام" تحت إشراف الأمير خالد⁽¹⁾.

- مواقف ابن سماية من القضايا الوطنية:

في ما يخص العقيدة الدينية: بقي "بن سماية" غير قابل لأية محاولة، تمسّ بالشخصية العربية الإسلامية، الجزائر مازالت تحت نير الاستعمار؛ وأظهر ذلك في مناسبات عديدة، ترجمت أحيانا في غيابه المقصود، أثناء زيارة سلطان المغرب مولاي عبد العزيز، إلى مدينة الجزائر عام 1902. وحدث عكس هذا أثناء الزيارة التاريخية، التي قام بها الشيخ العلامة "محمد عبده" إلى الجزائر؛ حيث رافقه في كل النشاطات الفكرية التي كانت مبرمجة، وهذا الحدث الذي لم يكن منتظرا من طرف الجميع⁽²⁾.

- في ما يخص التجنيد: أحسّ ممثل أرسنقراطية مدينة الجزائر القوي، الارتباط بالقيم والمبادئ المرسومة في الوسط العائلي، وأحد رواد الإصلاح؛ حيث بقي موقفه عدائيا لأحد المشاكل العويصة، ألا وهو التجنيد، خصوصا وأن هذه القضية وقعت عليها، نقاشات حادة كثيرة، قسّمت الرأي العام إلى أقلية تشجّع المشروع، وأغلبية مكوّنة من الأتقياء وأعوان السلك الدينيّ؛ والأعيان والمحافظين الراضين لهذا المشروع، الذي يفكك عرى الإسلام⁽³⁾.

فكان الإعلان الرسمي لابن سماية أثناء اجتماع، وقع في بلدية الجزائر في 09 سبتمبر 1911، لا يترك مجالا للشك يقول فيه: "إن الحرية والحقوق السياسية المهداة

1 - نفس المرجع، ص 60.

2 - نفس المرجع، ص 57.

3- Charles, Robert Ageron, **Les Algériens Musulmans et la France de 1871 à 1919**, Paris, PUF, 1T, p 1070.

للمسلمين، صارت ضربة قاضية لرابطةكم الروحية الراهنة، حيث أن المستفيدين سيصبحون منذ الحين تماما في الشعب الفرنسي"⁽¹⁾.

ووضعية كهذه غير مفاجئة نظرا للإجراءات التي اتخذها، من قبل عبد الحليم بن سماية، كما أوضح ذلك الشيخ عبد الرحمان الجيلالي⁽²⁾.

وكرّد فعل على هذا المشروع قرّر بن سماية الهجرة، مثل عدد من سكان تلمسان ونواحيها، كان قراره هذا بعد أن ورّع كل كتب مكتبته الغنية، ولم يحتفظ منها إلا بالقليل؛ ومن بينها نسخة من المصحف الشريف؛ وبعد أن باع منزله، تراجع أخيرا عن قراره بعد إلحاح شديد من أصدقائه ومحبيه⁽³⁾.

هكذا كرّس عبد الحليم بن سماية، أكثر من ثلاثة عقود من التدريس في الثعالبية، ووهب نفسه كليّة للإبداع والتجديد، في تعليم يستجيب لمتطلبات القرن، مدة عقود من النشاط المكثف في الميدان؛ والمتصلة مباشرة مع هذا المجتمع، الذي يطمح كثيرا وبحرقة إلى التغيير، والذي بقي دائما متمسكا بقيمه العالمية وجذوره، رغم قيود النظام الاستعماري⁽⁴⁾؛ بذل جهودا متواصلة ومدعمة للصحافة، ومراسلات ثمينة مع شخصيات مرموقة، داخل وخارج الجزائر، كما تشهد على ذلك العلاقات، الجيدة والمتواصلة مع الشيخ محمد عبده خاصة⁽⁵⁾.

أمّا الجيل الثاني فتمثله النخبة الجزائرية، والتي استفادت من النظام المدرسي الكولونيالي؛ والذين كانوا ينعنون بالمتطوّرين (Les Evolués)، في مقابل التقليديين من الجيل الأول، وهم بالإضافة إلى استفادتهم من المنظومة التعليمية الفرنسية (مدرسة الأهالي

1- **Ibid.**, p 1072.

2 - عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب**، الجزائر، فونطانا، 1983، ص 181.

3 - جيلالي صاري، **المرجع سابق الذكر**، ص 64.

4 - Charles , Robert Ageron, **Op.cit**, p 1072.

5- عبد الحليم بن سماية، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي : www. Aljazeera .net/encyclopedia/2015/3115/ تاريخ تصفح الموقع الإلكتروني : 2016/11/08 - الساعة 11 سا، 45 د

بالجزائر)، فإنهم استفادوا كذلك من التعليم بالجامعات الفرنسية؛ ونخص بالذكر هنا فئة الجزائريين التي هاجرت بعد سياسة التجويع والتفجير. وهؤلاء هم الذين جعلوا من اللغة الفرنسية ومن الاندماج، قيماً للتموقع السياسي والاجتماعي؛ ولكن يجب الإشارة إلى أن هذه الملاحظة كانت عامة حول ما هو شائع، لدى هاتين الفئتين من النخبة المثقفة؛⁽¹⁾ فلا ننفي أن نجد البعض من الجيل الأول، يؤمن مثلاً بقيم الجيل الثاني والعكس صحيح؛ أن هذه الحقيقة يؤكدتها الباحثة والمؤرخة سعد الله في مؤلفه "تاريخ الجزائر الثقافي": "... سنلاحظ أن حماسهم للاندماج، كان متفاوتاً (يقصد النخبة المثقفة)، وأن بعضاً من أعيانهم كان في صف الإنتماء الوطني، مثل محمد بن رحّال⁽²⁾ والحكيم ابن العربي، وابن علي فخار⁽³⁾؛ كما سنلاحظ أن أمثال المجاوي وابن السادات والزقاوي، ومحمود بن الشيخ، وعلي بن الحاج حمّو، لم يكونوا من النخبة الاندماجية، ولكنهم استعملوا من قبل الإدارة لنفس الغرض أحياناً..."⁽⁴⁾؛ ولقد تعمّدنا اقتباس هذه الفقرة حتى نبين مرة أخرى، أن المقام ليس مقاما للحكم على جيل أو طائفة أو جماعة اجتماعية، لكن حتى نتوخّى الحذر، ولا نتسرّع في الحكم والتعميم.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج5، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1998، ص 144.

2 - امحمد بن رحال الندرومي: ولد بندرومة في 16 ماي 1858 و توفي عام 1928، وهو أول جزائري حاز على شهادة البكالوريا في القرن التاسع عشر، عاش في وسط عائلي مثقف، حيث كان أبوه آغا ندرومة. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: محمد بن رحال، www.altahrironline.com/ara/articles/33094، مستخرج بتاريخ 2017/10/26، على الساعة 23 سا 15 د.

3 - ابن علي فخار: أبو علي فخار بن معد بن فخار بن معد بن أحمد الموسوي. (تاريخ الوفاة 603 هجرية/1207 م)، هو رجل دين وفقهه ومتمكلم وأديب ونسابة ومؤرخ شيعي عراقي، من مؤلفاته: - الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب؛ - الروة في الفضائل والمعجزات. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://ar.Wikipedia.org/wiki/> فخار بن معد الموسوي، بتاريخ 2016/11/28، على الساعة 22 سا 43 د.

4 - أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 145.

بعد ما قدّمنا أنموذجان من فئة النخبة التقليديين، نتكلم الآن عن أهم التوجّهات لدى كل من هاتين الفئتين؛ مع التساؤل كذلك عن حدود الفعل والمساهمة والإنتاج، والأدوار التي لعبتها كل فئة داخل الحركة الوطنية.

ولنبداً الحديث عن النخبة التي استهدفها الاستعمار، بالتكوين والتأهيل (جيل الفئة الثانية)، يقول أبو القاسم سعد الله مرة أخرى: "... عمل الفرنسيون على إنشاء نواة، كون هي الوسيلة للفتنة.. الإجتماعية اللغوية، على أن تتولى هذه الفئة، المناداة بالاندماج والإغتراب في الوقت المناسب..."⁽¹⁾.

وعليه، يمكن الجزم والأمر غير قابل للتعميم على بعض الحالات، أن الإستعمار قد نجح إلى حدّ كبير في إيجاد قنوات، وعبر هذه النخبة من الجزائريين، يمكنه تمرير أفكار الاندماج، ورسالة فرنسا "الحضارية"؛ فكان البعض منهم مشتلة حقيقية للأفكار الاستعمارية. وقد حوّلت هذه النخب ما آمنت به، إلى أفعال ومطالب ترفعها؛ وتشهد جريدة "المبشر" التي أسّسها هؤلاء على كل هذه الدعاوى: "ظّلت هذه الجريدة تصدر إلى غاية 1939، وطيلة هذه الفترة كتب على صفحاتها ثلاث مائة وسبعة وستون شخصاً (367)، إذا حسبنا فقط من أمكن التأكد من تواجيعهم، وكانت مقالات "صوت المتواضعين" متشعبة باللائكية، وتقديس أفكار "فيوليت" والثورة الفرنسية، وكانت تدعو إلى مبادئ الاندماج..."⁽²⁾.

إضافة إلى هذا هناك ممارسات ذات طابع وأثر سيكولوجي، كان يقوم بها الإستعمار كجزء من عملية التدجين، التي باشرها اتجاه هذه النخب؛ كتنظيم الزيارات لهؤلاء اتجاه باريس بالمناسبات أو غيرها؛ وقد كان يباشر الكثير منهم (العائدون من فرنسا)، بنشر الإفتتان الحضاري الفرنسي في الأوساط الاجتماعية، في محاولة منهم دفع الجماهير، إلى إستيعاب سريع للمظاهر الخارجية للثقافة الغربية⁽³⁾.

1 - سعد الله، نفس المرجع، ص 145.

2 - نفس المرجع، ص 146.

3 - فلاديمير ماكسيمكو، المرجع سابق الذكر، ص 68.

لقد تمثلت لهذه النخب الأفعال المطلوبة، كما تعلموها واستوعبوها في المدرسة الفرنسية، بشعاراتها الكلاسيكية (الحرية، المساواة، الإخاء)؛ لذا جاءت مطالبهم متأثرة بما تعلموه؛ وعليه كانت هذه الدعاوى تعبر عن مطلب فئة، لا عن مطالب شرائح اجتماعية: "إن صوت المتواضعين (يقصد ممّن يكتبون بجريدة المبشر): لم تكن تدافع بتاتا، عن مصالح المعوزين والمتواضعين، فباعترابها في المقام الأول لسان حال فئة أنتيليجنسيا المعلمين، كانت تعكس في الوقت نفسه آمال البرنامج الاجتماعي، لكل الفئات الوسطى التي درست في المدرسة الفرنسية؛ والذين كانوا يسمّون بلغة ذلك العصر بالمتطوّرين...".⁽¹⁾

وهذا هو وجه الاغتراب الاجتماعي الذي أشرنا إليه سابقا، فعدم استبطان قيم الجماعة الاجتماعية، التي تدافع عنها هذه النخب أو تتجاهلها، يؤدي إلى انحرافات ولا يثمر إلا بنتائج عكسية.

أما الفئة الأخرى والتي يمثّلها المثقفين التقليديين، أو كما ينعّتهم الكثير من الباحثين والمؤرخين بـ "التراثيين، التقليديين أو السلفيين"؛ لقد ربّ هذا النوع من المثقفين أولويات، في التعاطي مع الظاهرة الاستعمارية؛ انطلاقا من المفهوم الذي كوّنه حول الاستعمار؛ فهذا الأخير في نظرهم هو استعمار حضاري في المقام الأول، إنّه توسّع ديني تحت لواء الكنيسة، وعليه فإن آليات وإستراتيجية المواجهة، سوف تتوزع في نظر هذه النخب المثقفة وتترتب كما يلي:

- تقوية النسق الديني عن طريق بعث الوظائف، والأدوار التقليدية، للمؤسسة الدينية؛ خاصة في جانبها التربوي، وهذا بعد عملية التعطيل والشلل، الذي طال أبنيتها ووظائفها.

- كان لابدّ وبعد عملية التغيب الفكري اتجاه الجزائريين، من إعادة بناء الفاعلين الاجتماعيين، عن طريق تثوير قيمهم وتأصيلها بنزاهة؛ والاهتمام بتصحيح الكثير من المعتقدات الدينية، التي كانت تعاني من سطوة الأعراف والتقاليد والأساطير؛ أو ما يمكن أن

1 - نفس المرجع، ص 68.

نطلق عليه أسلمة التقاليد؛ بالإضافة إلى الاهتمام كذلك بجانب اللغة، وهي في مجموعها تعكس فرضية الإستعمار الحضاري، التي كوَّنتها هذه النخب اتجاه الاحتلال، والتي كان لابد من مواجهتها بواسطة هذه الآليات. إن هذا الوضع القائم يعبر عنه، المفكر الجزائري مالك بن نبي في مؤلّفه " شروط النهضة " بقوله:

"... إن الفكرة الإصلاحية التي ظهرت في عام 1925، حرّكت المشكلة الجزائرية، وبدأت تشق الفكرة صفوفها، وتتغلغل داخل الأوساط (الشعبية)؛ التي كانت في أغلبها أسيرة الأوضاع المزرية والجهل المطبق..."⁽¹⁾.

وانطلاقاً من فرضيتها التي بنتها اتجاه الإستعمار، فإن توجهات هذه النخب ضمن الحركة الوطنية، لن تكون معزولة عن هذا التصور؛ فالنضال السياسي والعسكري لا يمكن أن يعزل، فرنسا عن محيطها الديني المسيحي، والأمر ينطبق كذلك على الجزائر؛ فلا يمكن عزلها عن محيطها العربي الإسلامي؛ بمعنى آخر تدعو هذه النخب المثقفة، وتؤمن بقومية النضال ضد الاحتلال، طالما أنه احتلال حضاري هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن اعتبار فشل المدرسة الفرنسية في تشكيل نخب، تؤدي أدواراً وسيطة لعقلنة المجتمع، وفق أيديولوجية الاستعمار، وبالترتيبات التي صاغها.

إن هذا الفشل ولو على المدى المتوسط، والقريب؛ يمكن اعتباره حافزاً بالنسبة لهذا النوع من المثقفين، الذين حاولوا بعث الفعل الثقافي من جديد؛ خاصة وأنّ التحولات البنوية والهيكلية الموازية، ضمن المحيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي، قد أفرزت عدداً من التغيرات، التي تخدم منطق هذه الفئة في النضال؛ لعلّ أهمّها هو اصطدام رسائل فرنسا الحضارية (التنويرية)، بعدد من الحقائق الميدانية، كدخول الميتروبول الاستعماري، خاصة في شقيه الاقتصادي والثقافي التربوي، ضمن تناقضات صارخة، بحيث تحوّل: "أغلبية الجزائريين الذين نزعّت منهم أراضيهم الفلاحية الجماعية، والذين التحقوا بصفوف عمال

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عمر مسقاوي وآخرون، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1969، ص 29.

الأرض، والخمّاسين، وجيوش البطالين، الذين لم يبق لهم حلاً أمامهم إلا الهجرة، نحو المدن أو الخارج...، مقابل هذه الفئات، برزت إذن، قوة الفئات المالكة الصغيرة والمتوسطة، وهي الفئات التي كان لها دور كبير جداً، ليس على المستوى السياسي فقط، بل وحتى في المجالات الثقافية والفكرية...".⁽¹⁾

فبالإضافة إلى ازدواجية نمط الإنتاج الرأسمالي، التي ذكرنا بعضاً منه، والمتمثلة برأسمالية دول المركز (الاستعمار)، ورأسمالية دول الهامش (المستعمرات)؛ والتي تتجسد في تنمية المدن والحوضر الجزائرية؛ التي تخدم منطق الإنتاج الكولونيالي، ناهيك عن سياسة الإفقار والتجوع. هناك وجه آخر للازدواجية والتناقض، كرّسه التعليم المدرسي الفرنسي؛ يتمثل أساساً في غلق المجال أمام الكثير من الجزائريين، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتوظيف في مختلف الأنشطة الاقتصادية الكولونيالية، وهو ما فوّت على الجزائريين فرصة التراكم المعرفي، واكتساب قيم خاصة بمجال العمل.

إن هذه التناقضات والثنائيات، في الممارسات الاقتصادية والثقافية الفرنسية، كانت وعياً إضافياً لكثير من الفئات؛ لردّ أطروحات الاندماج، والتمسك والدفاع عن مجموعة القيم وثوابت الشخصية الجزائرية؛ إلا أنه يجب التأكيد على أن جهود الإصلاح، كانت تقوم بها هذه الفئة، قبل الحرب العالمية الأولى، مع الشيخ "صالح بن مهنا"⁽²⁾، أو قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها، مع أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ فكانت تصطدم بمجموعة من المعوقات الوظيفية أهمّها:

- عمق الضرر الذي أصاب البنية الثقافية؛

- والتشويه العميق الذي أصاب الفهم الصحيح للدين؛ كان يحمل جهوداً كبيرة

وإمكانيات أكبر؛ ممّا جعل الكثير من البنيات التي لحق بها الضرر والتشويه، تبقى في منأى

1 - عبد الناصر جابي، **المرجع سابق ذكره**، ص 27.

2 - **صالح بن مهنا**: من مؤسسي الحركة الإصلاحية ومن أوائل المصلحين في الجزائر، ولد بين سنة 1840 و1854؛ وتوفي

في 1910/02/11 بقسنطينة. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي:

www.echouroukonline.com/are/articles/51712html، بتاريخ 2016/03/16، على الساعة: 13 سا - 50 د

عن فعل الإصلاح هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فلا ننسى أن بعض ممّن كان يعوّل عليهم في إحداث التغيير الاجتماعي، من خريجي المدارس التقليدية والإسلامية، قد استهوتهم السياسة الاستعمارية كذلك، فانخرطوا ضمنها، فهذا أحدهم ينشر مقالا بعنوان "النصيحة الدرية في تأديب الذرية"⁽¹⁾؛ يشرح فيه انبهاره بفرنسا الأنوار على كل المستويات، مع محاولة تقزيم الفعل والفكر الثقافي المحلي؛ وتأكيد مقولة فقر الحياة الفكرية، وارتباك بناها في الجزائر قبل الاستعمار؛ اللهم إلا تحفيظ بعض آيات من القرآن الكريم عن ظهر قلب⁽²⁾.
لكن يجمع المؤرخون في تاريخ الحركة الوطنية، على الدور الكبير التي لعبته النخبة؛ رغم أنه لم يكن حاسما، في إيقاظ الوعي السياسي لإخوانهم في الدين؛ وكذا نشاطهم في تحسين الظروف المادية والمعنوية للمجتمع الجزائري؛ غير أن ضعفهم الرئيسي يتمثل، في عدم وجود قيادة فعالة ومنظمة؛ تقود مطالبهم وعرائضهم وبلورتها، في شكل برنامج لحركة وطنية جزائرية جديدة.

1- النخبة والحركة الوطنية: الخصائص.. والأدوار:

توطئة:

لقد ورث الوسط السوسيو- ثقافي في الجزائر، في الفترة ما بين الحربين العالميتين، على وجه الخصوص وما بعدها - بعد إستراتيجية التحطيم والبناء الاستعمارية- شريحة من المثقفين، على الرغم من عددهم القليل، تعاني من ظاهرة الانشطار العميقة، المكرّسة خصوصا في الثنائية اللغوية والقيمية، هذه الثنائية التي سوف تعمق من اغتراب النخبة المثقفة، بسبب عضوانيتها المتأكلة مع شرائح وفئات مجتمعا، يمثّل ظاهرة الانشطار هذه والمتجسدة في الثنائية التي نكرناها، جيلين من النخبة المثقفة، يتزعم الجيل الأول التيار التقليدي المحافظ، والذي يجعل من الدين (الإسلام)، واللغة (العربية) مأوى وخلفية، في

1 - عاطف أحمد فؤاد، الحرية والفكر السياسي المصري، دراسة تحليلية علم الاجتماع السياسي، القاهرة، دار المعارف، 1982، ص 27.

2 - خالد بوهند، النخب الجزائرية - دراسة تاريخية وإجتماعية 1892-1942، وهران، دار القدس العربي، 2015، ص 285.

عملية التموقع الاجتماعي والسياسي؛ وهو ممّن تخرّج (أي هذا جيل) في مدارس التعليم القرآني والأهلي، وكذلك ممّن استفادوا من التعليم في بعض الدول العربية، كتونس (جامع الزيتونة)، ومصر (الأزهر)، والمغرب (القيروان و فاس).

لكن لعبت شخصيات هذا التيار التقليدي دورا بارزا وهامًا، في إثبات الشخصية الوطنية ومقومات الهوية الجزائرية.

نتطرّق الآن ونعرض نموذجين من النخبة المثقفة، أثناء فترة الحركة الوطنية، وكانا من ضمن مجموعة من النخبة المثقفة، التي ساهمت في التأثير في المجتمع الجزائري، وهو أنموذج العلامة عبد الحميد ابن باديس، والأنموذج الثاني هو المفكر السياسي فرحات عباس.

المبحث الثالث: نماذج من النخبة المثقفة في فترة الحركة الوطنية: بين الإصلاح والاستلاب

المطلب الأول: الأنموذج 1: عبد الحميد ابن باديس (1889-1940): من الاندماج إلى الإصلاح

مولده: ولد بمدينة قسنطينة (1) عاصمة الشرق الجزائري، في 04 ديسمبر 1889.

والده هو السيد محمد المصطفى بن مكي بن باديس، حافظ للقرآن، كان يشتغل بالتجارة والفلاحة، يعدّ من أعيان مدينة قسنطينة⁽²⁾، عرف بدفاعه عن حقوق المسلمين في الجزائر...، توفي سنة 1951، أمّا أمّه فهي السيدة زهيرة بنت علي ابن جلول، من أسرة اشتهرت بالعلم والتدين⁽³⁾.

أسرته: أسرة ابن باديس مشهورة في شمال أفريقيا، نبغ فيها عظماء الرجال، وكانت تجمع بين العلم والجاه.. تنحدر من العائلة الصنهاجية، التي سطع نجمها في ميدان الإمارة والملك، بالمغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري، كان منها الأمير زيري بن مناد ابن منقوش، أمير صنهاجة التلية، والمعز لدين الله بن باديس⁽⁴⁾، الذي قاوم البدع ودحرها فأزال مذهب الشيعة الباطنية، وأعلى مذهب السنّة والجماعة مذهباً للدولة، وبالتالي انفصل عن الدولة الفاطمية في مصر، وكان ذلك في حدود سنة 404 هـ.

1 - قسنطينة تقع جنوب شرق العاصمة الجزائر، كانت تسمى في عصر الوندال "سيرتا" وفي عهد الرومان سميت قسنطينة، وأثناء الخلافة العثمانية أصبحت عاصمة الشرق الجزائري، وعين عليها حاكماً تركيا يسمى "الباي"، كان آخرهم الحاج أحمد باي رحمه الله، وتمتاز المدينة بآثارها الرومانية القديمة وجسورها المعلقة.

2 - أنظر: الترجمة المفصلة في كتاب الأصالة- ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر بالجزائر-1/248، للشيخ أحمد حماني، وكذا المعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، ص 29.

3 - زيري بن مناد توفي سنة 971م، وكانت مدة ملكه واحد وعشرون (21) سنة. أنظر: معجم أعلام الجزائر، ص 174.

4 - قال ابن الوردي في تاريخه عند ذكر سنة ستة وأربعمئة (604) وفيها توفي ابن باديس بن منصور بن يوسف بلكين بن زيري، أمير أفريقيا ووليها، بعده ابنه المعز وعمره ثمان، تاريخ ابن وردى، 1/ 552، الطبعة الأولى، دار المعارف، بيروت، 1975.

نشأته: نشأ ابن باديس في أحضان تلك الأسرة العريقة في العلم والجاه، حرص على تربيته تربية إسلامية خاصة، فلم يدخله إلى المدارس الفرنسية، كبقية أبناء العائلات المشهورة؛ بل أرسله إلى الشيخ المقرئ محمد بن مدّاسي⁽¹⁾، فحفظ عليه القرآن وتجوّده، وعمره لم يتجاوز الثالثة عشر سنة؛ ثم وجّه إلى المرّي الكبير والعالم الشيخ حمدان الونيسي⁽²⁾، فتلقّى منه العلوم العربية والإسلامية. سافر الشيخ الونيسي إلى المدينة المنورة، تاركا تلميذه الذي لم يكمل تعليمه بعد، فاتجه هذا الأخير إلى الزيتونة⁽³⁾ عام 1908، وعمره حينذاك تسعة عشر عاما، ليدرس هناك ثلاثة أعوام، نال بعدها شهادة التطويح، ومكث سنة رابعة للتدريس في الزيتونة، كما هو معمول به في مثل هذه المعاهد والجامعات⁽⁴⁾.

1 - محمد بن مداسي من مشاهير القراء بقسنطينة في تلك الفترة (لم أعثر على ترجمته).

2 - حمدان الونيسي: عالم من زعماء الحركة الإسلامية في الجزائر، ولد سنة ألف وثمان مائة وستة وخمسون (1856) وتوفي مهاجرا لاجئا بالمدينة المنورة سنة ألف وتسعمائة وعشرون (1920) من أهل قسنطينة، درس فيها، وحضر كاستم لروس عبد القادر المجاوي، عين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة في جانفي ألف وثمان مائة وواحد وثمانون (1881)، كان يدرّس النحو والحساب والأدب والفقه والتوحيد سنة ألف وتسع مائة وعشرة ثم هاجر إلى الديار المقدسة، بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908 لأسباب ظروف الاستعمار الفرنسي ومكائده، ظل مدرسا للحديث النبوي في المدينة المنورة إلى ان وافته المنية بها سنة 1912. وقد قال عنه الأستاذ احمد لطفي السيد عند أدائه لفريضة الحج سنة ألف وتسع مائة وإحدى عشر التالي عندما كان يؤدي فريضة الحج كنا نحن نغشى الوقت بعد الوقت مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: أنظر: أحمد حماني، " صراع بين السنة والبدعة " قسنطينة، دار البعث، الجزء الثاني، 1984، ص 231.

3 - جامع الزيتونة: هو المسجد الجامع الرئيسي في مدينة تونس العتيقة في تونس العاصمة، ويرجع للسنة على المذهب المالكي، تأسس في 698م بأمر من حسان بن نعمان وأتمه عبيد الله بن الحجاب في 732م، في رحابه تأسست أول مدرسة فكرية بإفريقيا، تعلم الفقه والتفسير، تخرج العلامة السوسولوجي ابن خلدون، ومنهم من تولوا مشيخة الأزهر القاهري وهو محمد الخضر حسين، وهو أكبر معلم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، ساهم هذا المعلم الحضاري العلمي خلال فترة الاستعمار الفرنسي، في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية. وساهم في تعليم الطلاب الجزائريين، كان لهم هذا الجامع مؤسسة تعليمية وتثقيفية، وحصنا للحفاظ على الهوية الوطنية.

أنظر: الموقع الإلكتروني، جامع الزيتونة ? <https://www.google.fr/search> ، تاريخ تصفح الموقع: 2016/11/15-

16 سا - 11 د، آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 2017/10/28 - 19 سا - 27 د.

4 - محمد صالح الجابري، " المرجع السابق الذكر، ص 61.

ثم سافر مرة أخرى في رحلة علمية، إلى المدينة المنورة عام 1913، لأداء فريضة الحج وزيارة بعض العواصم، للاتصال بعلمائها والإطلاع على ما يجري فيها، والتقى بأستاذه الشيخ الوئيسي هناك⁽¹⁾.

زار ابن باديس بعد مغادرته الحجاز بلاد الشام ومصر، وزار جامع الأزهر واتصل بالشيخ بخيت المطيعي⁽²⁾، حاملا له رسالة من الشيخ الوئيسي.

العودة إلى الجزائر:

عاد ابن باديس إلى الجزائر عام 1913، واستقر بمدينة قسنطينة، وشرع في العمل التربوي؛ فبدأ بتدريس للصغار والكبار، ثم تبادرت إلى ذهنه تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

جهوده العلمية:

التدريس: كما أسلفنا الذكر، فقد درّس بجامع الزيتونة، وعند عودته إلى الجزائر، درّس الكبار بالمساجد، والصغار الناشئة أيضا، حيث يقول: "... جعلت من جملة دروس تعليم صغار الكتاتيب القرآنية، بعد خروجهم منها إلى آخر الصبيحة وآخر العشيّة، فكان ذلك أول عهد الناس بتعليم الصغار..."⁽³⁾.

1 - أحمد بن نيباب، " ابن باديس في نكرى وفاته السادس والثلاثين "، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 32، أبريل، 1976، ص 18.

2 - محمد بخيت المطيعي (1854-1935)، مفسر وفقهه، فيلسوف، محقق ومدقق، ولد في القطيعة، في أسويط بصعيد مصر، من عائلة مالكية لكنه تحنف، فقيه الأزهر الشريف، توظيف في وظائف القضاء في مصر، ثم الإسكندرية، نال شهادة العالمية من الدرجة الأولى، مؤلفاته تزيد على ثمانين (80) مؤلفا، من أهمها: شرح جمع الجوامع مع أصول الفقه، الفتاوى الفقيهية في أربعة مجلدات. للإستزادة: أنظر الموقع الإلكتروني.

3 - مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، الدوحة، قطر، وزارة الشؤون الإسلامية، 1997، ص 78.

الإفتاء: توسع واشتهر في هذا الأمر عند قيام الصحافة الإصلاحية، فكانت الأسئلة الفقهية ترد عليه من كافة عمالات القطر، فيجيب عليها في صفحات الشهاب، والبصائر⁽¹⁾، ومن أشهرها فتاوى التجنيس مثلاً، حيث يقول فيها: "التجنيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكماً واحداً من أحكام الشريعة عدّ مرتدّاً بالإجماع، فالمتجنس مرتدّاً بالإجماع..."⁽²⁾.

آثار ابن باديس العلمية:

- من آثار ابن باديس تفسيره للقرآن: إلقاء على طلبته ومريديه، بدأه في ربيع 1914 وختمه في ربيع 1938، ولكن لم يكتب منه إلا قليلاً.
- شرحه لموطأ الإمام مالك عام 1939، وقد جمع هذا الشرح في كتاب تحت عنوان: "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"⁽³⁾، وقد طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، سنة 1983.
- دروس في العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد جمعت وعلّق عليها تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان⁽⁴⁾.
- كتاب "رجال السلف ونسأوه" وهي مجموعة من المقالات، ترجم فيها ابن باديس لبعض الصحابة، وما لهم من صفات اكتسبوها من الإسلام، نشرت تلك التراجم في مجلة الشهاب⁽⁵⁾.
- كتاب "تراجم أعلام"، وهي ترجمات لأعلام الإسلام من السلف والخلف، في صفحات مجلة الشهاب.

1 - البصائر هي أسبوعية جزائرية كانت تصدر أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تعنى بشؤون الإسلام، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: [https:// ar.wikipedia.org/wiki/البصائر](https://ar.wikipedia.org/wiki/البصائر) (أسبوعية جزائرية)..

2 - مصطفى محمد حميداتو، **نفس المرجع**، ص 78.

3 - مصطفى محمد حميداتو، **مرجع سبق ذكره**، ص 82.

4 - **نفس المرجع**، ص 83.

5 - **نفس المرجع**، ص 84.

وقد قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بجمع كثير مما حوته صحافة الجمعية، من نشاطات ابن باديس في مجالات: التربية والتعليم، والرحلات التي كان يقوم بها داخل الوطن لنشر دعوته الإصلاحية، بالإضافة إلى آثاره العلمية التي ذكرناها سابقا، تحت عنوان "آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس" (1).

وفاته: في مساء يوم الثلاثاء 16 أبريل 1940، توفي ابن باديس إثر مرض عضال (2) دفن في مقبرة آل باديس بقسنطينة.

كان الهدف من سرد وتتبع سيرة وأعمال ومؤلفات الأستاذ الجليل، هو توضيح الدور التربوي والتعليمي والأخلاقي الذي قام به، اتجاه مجتمعه بمختلف فئاته، الشباب والصغار وحتى الكبار؛ فقد وثق صلته بهذا المجتمع، بجماهير المساجد التي كان يخطب فيها خاصة، وبدون شك أن الناس حينما يشعرون بقرب الداعي منهم، ومجاملته ومشاركته لهم في أفراحهم وأحزانهم، يعيش بينهم ويرشدهم، له تأثير مباشر وعميق في نفوس هؤلاء، وعلى حياتهم الخاصة والاجتماعية.

- وضعه أيضا لمناهج التعليم، لم يكن مذهبا مثاليا مبنيا على تصورات نظرية، بل كان واقعيا، أملت متطلبات العصر، أولويات المجتمع ومعتقداته.

واعتبر العلم من الوسائل الفعالة في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، وفي المحافظة على شخصية الأمة وكيانها.

ونلاحظ أن النخبة الدينية والذي يحسب عليها ابن باديس، قد كان لها تأثيرها العميق في بنى المجتمع الجزائري أثناء الفترة الكولونيلية؛ حيث ساهمت في خلق وعي وطني إيجابي، يسمح بمجابهة القوة الاستعمارية الفرنسية آنذاك، التي لم تتوقف آلتها الجهنمية عن طريق الآباء البيض، وبناء الكنائس وهدم المساجد، وتغييب التعليم، واستبعاد الجزائريين عن

1 - مازن صلاح حامد مطبقاني، عبد الحميد بن باديس - العالم الرياني والزعيم السياسي، الجزائر، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، 2015، ص 68.

2 - مازن صلاح حامد مطبقاني، نفس المرجع، ص 71.

القراءة والكتابة؛ فكانت للنخبة الدينية دورا لا يستهان به في إحياء القومية الوطنية، وترسيخ عناصر الهوية الوطنية، بمجهوداتها الميدانية في المساجد، وبناء المدارس، وتكوين المعلمين.

نستطيع اليوم أن نؤكد دون مبالغة، أن الإسلام في الجزائر، يشكل العنصر الأساسي في البناء الاجتماعي، وأي سياسة تريد تجاهله، ولا تأخذ في الحسبان هذا العنصر الأساسي، هي سياسة محكوم عليها بالفشل. وقد أساءت فرنسا تقدير هذا العامل أثناء الفترة الكولونيالية، فحدّدت لنفسها هدفا هو "فرنسة" البلد في مواجهة وضد الكل، وهذا ما فشلت فيه.

في اعتقادنا أن تاريخية الإسلام فهما وممارسة، وكذا سوسيولوجيته في الجزائر المستعمرة خلال هذه المرحلة، كانت تظهر في مفهومين: مفهوم المرابطين ورجال الطرق الصوفية، في الريف خصوصا؛ وهذا الاتجاه هو الذي تحالف مع فرنسا؛ أمّا الإسلام بمفهوم النخبة الإصلاحية من العلماء، فكان يهدف إلى تطهير الدين؛ وهو ينتمي إلى المدن⁽¹⁾ وبدأ المقاومة الثقافية ضد الاستعمار عام 1925.

فابن باديس خلال هذه الفترة "وهو يواصل على النهج الفكري للأمير عبد القادر"،⁽²⁾ كان يتوجه كما يقول مصطفى لشرف: "إلى ما هو مألوف لديه"⁽³⁾، في ثقافته العربية الإسلامية التي تشبّع بها؛ وهذا ما جعل عبد الله شريط يلاحظ: "أن الفكر الديني الوطني للأمير عبد القادر، يتواصل عبر جمعية العلماء من ناحية، وهو مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ ولكنّه من ناحية أخرى فكر يخضع لمقتضيات عصره، لا لمقتضياته عصر الأمير عبد القادر...".⁽⁴⁾

ويمكن أن نستنتج بأن الإسلام كعقيدة متحكمة في الجزائريين، هي الحصن الذي حماهم من الانهزام النفسي الفكري، والدوبان في المجتمع الأوروبي الغازي، بعد أن انهزموا

1 - الطاهر العمري، المرجع سابق الذكر، ص 200.

2 - نفس المرجع، ص 200.

3 - مصطفى لشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، المرجع سابق الذكر، ص 194.

4 - الطاهر العمري، نفس المرجع، ص 200.

عسكريا وسياسيا أمامه، وأن هذه العقيدة هي التي دفعت بالجزائريين إلى المقاومة المسلّحة، وإلى المقاومة السلمية حسب الظروف.

تتقاطع من الدراسات الفرنسية المعاصرة، في إضفاء أهمية كبيرة على الدور الذي لعبه الإسلام، في التأثير على توجهات نخب الحركة الوطنية. ويمكننا اليوم حشد الكثير من القراءات الفرنسية لذلك الدور، تختلف كثيرا عن مثلتها التي كتبت قبل عقد الثمانينيات؛ وبصورة جذرية مع تلك التي كتبت في القرن التاسع عشر، وفي النصف الأول من القرن المنصرم.

ومن النماذج الجيدة في هذا السياق، ما كتبه المؤرخة الاجتماعية الفرنسية فاني كولونا، حول التأثير السياسي لظاهرة النهضة في الجزائر، فقد اعتبرت: "أن حركة النهضة مضمونها من الفكر الديني الإسلامي، تحولت إلى فكر ذي نزعة جدلية مع الغرب، وإلى تيار يسعى لتتقية وتطهير العقيدة؛ ثم انطلق الإصلاح الذي أصبح، تعبيرا جزائريا للنهضة في حركة كبرى، من أجل بعث اللغة العربية، وبناء مدرسة تاريخية وطنية، وفي تنظيم حركية دعوة نشيطة في المناطق البربرية.

ولاحظت " كولونا " أيضا أن حركة الإصلاح في الجزائر: "...كانت أكثر يعقوبية منها في تونس والمغرب، لأنها تحوّلت إلى المصدر الأول للمفاهيم والأفكار الوطنية"⁽¹⁾.

وفي سياق نفس المقالة انتهت الباحثة إلى نتيجة صريحة، لا تمتلك بعض الأقلام الجزائرية على الجهر بها؛ حيث اعتبرت أن رجال سنة 1954، كانوا في الواقع نتاجا لمدارسهم؛ وكانوا يتوجهون إلى مجتمع متأثر بشكل عميق، في الفترة 1931-1954 بالتصور العربي الإسلامي.

وتوصّل جون لوكا " Jean Luca " المؤرخ الفرنسي إلى النتيجة ذاتها، في مقالة له حول انقسام الشخصية الثقافية في الجزائر المستعمرة، فكتب يقول: "إن الإسلام الذي شكّل من

1 - مجموعة أساتذة، "منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954"، مجلة المصادر، العدد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 377.

قبل، تاريخ المجموعة الجزائرية كلّها، أصبح فيما بعد خلال الفترة الفرنسية، البديل المقترح للشرعية السياسية الحديثة، باعتباره رمزا للوحدة والانسجام الوطني"⁽¹⁾.

وقد لاحظ ابن باديس عصارة القيم الإنسانية موجودة في الإسلام، ويتجلى هذا التماهي بين العقيدة الإسلامية والوطنية، في تفكير ابن باديس، من خلال فتواه ضد التجنيس سنة 1938.

وقد لخص المؤرخ الفرنسي جوليان هذا التوجه لدى النخبة الإصلاحية بقوله: "لقد إعتد ابن باديس مثله مثل الثعالبي في تونس، على قوى الإسلام دون سواه لإحياء بلاده والسير نحو الاستقلال..."⁽²⁾.

1 - نفس المرجع، ص 378.

2 - شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، تونس، الدار التونسية للنشر، 1976، ص 135.

* شارل أندري جوليان هو مؤرخ وصحافي فرنسي، ولد بكاين الفرنسية عام 1891 وتوفي عام 1991؛ انتقل على العيش في الجزائر المستعمرة، بعد حصوله على شهادة البكالوريا؛ عمل كاتباً بمحافظة بوهران، صدم خلالها عند دخول على عالم الشغل، بممارسات كبار الملاكين الجزائريين لأراضيهم، ونتيجة صدمته، وبالمعاملة الذي كان يلقاها الجزائريون، انخرط في العمل السياسي باكراً، حيث انتمى إلى اليسار، وتعرّف على مثقفين وسياسيين معارضين للنظام الاستعماري، و من بينهم أندري جيد؛ وكاشتراكي ساند الثورة البلشفية، وأصبح أحد قادة الأُممية الثالثة بالجزائر، بعد نضال مع يساريي الإتحاد السوفييتي سابقاً، انسحب وانضم إلى الجبهة الشعبية في حكومة بلوم فيوليت. كتب عام 1931 كتابه الأول " تاريخ أفريقيا الشمالية"، وفيه فند الأطروحات الاستعمارية، التي تقول بأن تاريخ الجزائر يبدأ من عام 1931. دافع عن المغاربة؛ كان أستاذاً بالصربون الجامعة الفرنسية العريقة؛ من مؤلفاته: - أفريقيا الشمالية تسير: القوميات الاستعمارية والسيادة الفرنسية، وقد وقع تعريبه هو أيضا من قبل كل من المنجي سليم والطيب المهيري والصادق مقدم وآخرون، وصدر بتونس عام 1976، وببيروت عام 1979؛ - تاريخ أفريقيا البيضاء، باريس، 1966، وصدر في إطار سلسلة " ماذا أعرف"، عن المنشورات الجامعية الفرنسية؛ - تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول: الغزو وبدايات الإحتلال 1827-1871، صدر عام 1964. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: https://ar.wikipedia.com/wiki/شارل_أندري_جوليان، تاريخ دخول الموقع: 1018 /01/25، على الساعة 20سا.48.

المطلب الثاني: الأنموذج 2: فرحات عباس: بين الإستلاب والإلتزام (1899-1985):

مولده:

ولد فرحات عباس مكّي يوم الخميس 24 أوت 1899 بدوار الشحنة، الواقعة بمنطقة بني عافر الجبلية، وهي منطقة فقيرة ومعزولة تابعة إداريا، لبلدية الطاهير المختلطة بولاية جيجل (شرق الجزائر).

فتح الطفل فرحات عباس عينيه، في أسرة كثيرة العدد ومحافظة، تتكون من اثني عشر فردا، سبع بنات وخمسة ذكور، وتميزت الأسرة بالتماسك، فالى جانب الأب والأم والإخوة، كانت تضم كذلك الجد والجدّة، وقد شكلا الجد والجدّة حجر الأساس في بناء هرم الأسرة؛ وكان والده سعيد بن أحمد عباس وأمه معزة مسعودة بنت علي⁽¹⁾، وهم من وسط فلاحي متوسط الحال؛ ونستدل في ذلك عند رجوعنا إلى مؤلف فرحات عباس "ليل الاستعمار" حيث يتحدث قائلاً عن طفولته: "... إنني من سلالة فلاحية، لقد ترعرعت في وسط فلاحي، أولئك الفلاحين الذين لا ينال الفقر من شجاعتهم ولا من أنفتهم؛ نشأت في دوار وضيع من بلدية متوحشة جرداء، أين قضيت طفولتي كلها وأنا في نعومة أظفاري، في وسط مجتمع وضيع و ساذج لكنه كريم"⁽²⁾. ويسترس فرحات عباس في حديثه عن أصوله، وكيف كان مصير عائلته من جراء الهجمة الاستعمارية، التي كانت تهدف إلى تفكيك ملكية الأهالي الجزائريين المسلمين، واستبدالها بفئة جديدة أطلق عليها اصطلاح المعمّرون (Les Colons)⁽³⁾.

كان والد فرحات عباس السعيد بن أحمد فقيرا، لكنه استطاع مع مرور الوقت أن ينتقل، من وضعه كفلاح معدوم الحال، إلى تاجر ميسور له مكانة اجتماعية محترمة بمنطقة الشحنة؛ وكان له ذلك بعد تعرّفه على أحد المعمّرين، الذي كان يدعى المستشار العام لمدينة

1 - فرحات عباس، الموقع الإلكتروني <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، تصفح الموقع بتاريخ: 2016/11/08 - 10 سا-30 د.

2 - فرحات عباس، *ليل الاستعمار*، ترجمة: أبو بكر رحال، الجزائر، منشورات المسك، 2009، ص 15.

3 - نواره حسين، *مرجع سيق نكره*، ص 225.

جيجل، والذي اشترك معه في تجارة المواشي، مما مكّن أب فرحات من شراء أراضي زراعية، وتأجير أخرى في منطقة الطاهير⁽¹⁾.

تعليمه:

التحق فرحات عباس بالمدرسة القرآنية في سن الثامنة، ليتلقّى مبادئ القرآن الكريم، تردّد على الكتاب لفترة محدودة، حيث تمكّن من حفظ سور من القرآن، ثم زاول تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، والثانوي في مدينة سكيكدة. وقام بالخدمة العسكرية بين عامي 1921 و1923، ثم انتقل إلى العاصمة لإكمال تعليمه الجامعي، وتخرّج بشهادة عليا في الصيدلة عام 1931⁽²⁾.

بعدها فتح صيدلية في سطيف سنة 1932، وكان خلال فترته الطلابية نشطا؛ حيث ترأّس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر، من سنة 1927 إلى غاية 1931؛ بعد أن كان نائب رئيس الجمعية بين عامي 1926-1927.

العمل السياسي:

في عام 1936 كتب في جريدة " الوفاق " الفرنسية، مقالا شهيرا تحت عنوان "فرنسا هي أنا"، أكّد فيه دعوته إلى الاندماج مع فرنسا، مستكرا وجود الأمة الجزائرية، حيث قال: "لو كنت قد اكتشفت أمة جزائرية، لكنت وطنيا ولم أخجل من جريمتي، فلن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأنّ هذا الوطن غير موجود، لقد بحثت عنه في التاريخ فلم أجده، وسألت عنه الأحياء والأموات وزرت المقابر دون جدوى ..."⁽³⁾.

وكان قبل ذلك قد انضم إلى فيدرالية النواب المسلمين الجزائريين، التي أسّسها الدكتور بن جلّول⁽⁴⁾ عام 1930، والتي كانت تهدف إلى جعل الجزائر مقاطعة فرنسية.

1 - فرحات عباس، مرجع سبق ذكره، ص 15.

2 - نوارة حسين، نفس المرجع، ص 225.

3 - عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر فرنسية إلى الجزائر جزائرية (1927-1963)، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، 2006-2007، ص 32.

4 - نوارة حسين، مرجع سبق ذكره، ص 42.

خلال الحرب العالمية الثانية ودخول الجيش الأمريكي الجزائر، في 08 نوفمبر 1942، إتصل فرحات عباس بـ"روبر ميرفي"⁽¹⁾، المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت (Franklin Delano Roosevelt)⁽²⁾ إلى شمال إفريقيا، ليطلب منه تقرير منطقة المغرب.

في 1942/11/20 أرسل فرحات عباس ومجموعة من الجزائريين، برسالة إلى قوات الحلفاء، يرحّبون بهم، ويعرضون " باسم الشعب الجزائري القيام بتضحيات بشرية ومادية بشروط، لدعم الحلفاء حتى يتحقق النصر الكامل على " دول المحور"⁽³⁾.

بتاريخ 1942/12/22 وجّه فرحات عباس رسالة إلى السلطات الفرنسية، وإلى الحلفاء، طالبا فيها بإدخال إصلاحات جذرية، على الأوضاع العامة التي يعيشها الشعب الجزائري، وصياغة دستور جديد للجزائر، ضمن الإتحاد الفرنسي.

أصدر في 02 فيفري 1943 بيان الشعب الجزائري، وأعلن في مارس 1944، عن تأسيس حزب حركة البيان والحرية، بهدف الدعاية لفكر الأمة الجزائرية.

- إثر مجازر 8 ماي 1945 حلّ حزبه، وألقي عليه القبض، ولم يطلق سراحه إلا في عام 1946، بعد صدور قانون العفو العام على المساجين السياسيين.

1 - روبرت مورفي هو: سياسي محامي من الولايات المتحدة الأمريكية ، ولد في 1836/04/28 ، و توفي في 1896/03/29، درس بكلية وليام و ماري للحقوق بواشنطن. مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki/روبرت_مورفي، تاريخ الدخول للموقع: 2017/11/15؛ على الساعة: 16سا. 05د.

2 - فرانكلين روزفلت هو رجل دولة وزعيم سياسي أميركي، ولد في 1882/01/30، وتوفي في 1945/12/04 ؛ يشغل منصب الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية من عام 1933؛ هو سياسي ديمقراطي، وفاز في أربعة انتخابات رئاسية متتالية، وبروزه كشخصية مركزية في الأحداث العالمية، خلال منتصف القرن العشرين. اعتبر قائدا مهيمنا على الحزب، وقام ببناء تحالف لصفقة جديدة، وإعادة تنظيم السياسة الأمريكية في نظام الحزب الخامس، وأعاد تحديد الليبرالية الأمريكية.

مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: https://wikidz.org/ar/فرانكلين_روزفلت، تاريخ الإطلاع الموقع: 2017/07/24، على الساعة: 21سا 54 د.

3 - نواره حسين، نفس المرجع، ص 43.

- أسس بعد ذلك حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأصدر نداء شديد اللهجة أذان فيه ما اقترفته فرنسا، من مجازر رهيبة في 8 ماي 1945، ولخصّ مبادئ حزبه في تكوين دولة جزائرية مستقلة داخل الاتحاد (1).

- بعد مؤتمر الصومام عيّن عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وقاد وفد الجزائر في مؤتمر طنجة (المغرب)، المنعقد بين 27 و30 أفريل 1958.

- ثم عيّن رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، في 19 ديسمبر 1958 واستمر على رأسها إلى أوت 1961 (2).

- إنتخب رئيسا للمجلس الوطني في 1963، ولكنه استقال بعد شهر تعبيرا عن معارضته لمشروع الدستور، الذي أعدته جبهة التحرير الوطني.

- إستبعده الرئيس الأسبق الراحل بن بلة، وسجنه بأدرار (جنوب الجزائر) ، ولم يطلق سراحه إلا في سنة 1965 (3).

- إنسحب من الحياة السياسية، لكنه أمضى في مارس 1976 على " نداء إلى الشعب الجزائري "، مندّدا بالحكم الفردي وبالميثاق الوطني، الذي صاغه الرئيس الأسبق الراحل هواري بومدين.

- وضع تحت الإقامة الجبرية إلى غاية 13 جوان 1978.

وفاته:

توفي في 24 ديسمبر 1985 بألمانيا، ودفن بمقبرة العاليا بمرّج الشهداء.

الإنتاج الفكري لفرحات عباس:

المؤلفات أثناء الثورة التحريرية باللغة الفرنسية:

- الشاب الجزائري "Le Jeune Algérienne"، وقد صدر عام 1930.

1 - نوارة حسين، مرجع سبق ذكره، ص 55.

2 - نفس المرجع، ص 56.

3 - نفس المرجع، ص 57.

- أتهم فرنسا " J'Accuse La France "، سنة 1944.

- الحرب والثورة- ليل الاستعمار -

"Guerre et Révolution : La Nuit Coloniale" بباريس عام 1962 (1).

مؤلفات زمن التقييم:

حيث جاء السن المتقدم، فكان وقت التقييم، والعودة إلى كل حالات الإنحرافات إلى كل احتراق، وإلى كل مأساة فردية، وإلى اللحظات التي انبعث فيها الوعي الوطني، في السنوات الأخيرة من الحياة، حرّر كتابين اثنين باللغة الفرنسية دائماً.

1- تشريح حرب (Autopsié D'une Guerre) سنة 1980.

2- مصادرة الاستقلال (L'Indépendance Confisquée) (2).

أراد هذا الرجل المعتدل الكشف عن الإمتثالية، والإيديولوجيات المستوردة في تاريخ بلاده، لم يرد تكريس حرية اللهجة التي يتميز بها، للحديث عن ماض بعيد، بل أراد أن يكتب للحاضر أيضا في مؤلفاته.

إنقل فرحات عباس من نكران الجزائر بكل ثقلها التاريخي - المقاوماتي، إلى المطالبة بالهوية الجزائرية، ثم إلى النضال الوطني، إلى طلب الاستقلال، هكذا هي النخبة الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية، تركيبة متناقضة لشخصية الجزائري المتعلم، المثقف، المتكوّن في المدارس الفرنسية خاصة؛ إنه التعليم الذي له التأثير الكبير على تنشئة الإنسان الفردية والاجتماعية، وتكوين شخصيته، ومخياله، وسلوكياته.

ورغم الفترة المضطربة التي عاشها فرحات عباس، فترة الليل الاستعماري، بكل جبروته وقهره، وكنم أنفاس الجزائريين؛ استطاع أن يعيد النظر في أفكاره وتوجهاته، بفضل مستواه التعليمي والوعي المعرفي، جعله يرجع إلى الأصول "مؤقتا"، ويساهم في عملية التحرير بقلمه وفكره، ساهم في الفعل السياسي والممارساتي، مؤيدا أحيانا، ومعارضاً في أحيان كثيرة

1 - نوارة حسين، مرجع سبق ذكره، ص 225.

2 - نفس المرجع، ص 225.

دفع ثمنه، الإبعاد بالإقامة الجبرية؛ وهذا هو المثقف الملتزم عرف كيف يبقى وفيا لأفكاره إلى النهاية، أفكار تتم عن أن شخصية فرحات عباس، هي استلابية بالدرجة الأولى.

فبين الاستلاب والالتزم، ومن خلال مؤلفاته ومن خلال أيضا أدبيات النضال السياسي قبل اندلاع ثورة نوفمبر، وفرحات عباس كان يمثل نموذج التيار الفرنكو- إسلامي، هو رفض التجنس وتمسك بقانون أحوال الشخصية الإسلام؛ وهذا ما بيّنه في موقفه الذي اتخذه، وهو ممثلاً لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في عام 1935، برفضه عضوية الطلبة المتجنسين والمرتدين، والذين أصبحوا مسيحيين كاثوليك. لكن يحسب على فرحات عباس ازدواجية ولأئه للأصل وفرنسا في آن واحد⁽¹⁾؛ فعن الأيديولوجية الفرنكو إسلامية يقول الأستاذ غي برفيلي أنها: "لم تكن دائما نقية، بل غالبا ما تصادفها مرتبطة بتطّلع متناقض، كان يحرك عددا لا بأس به من ردود فعل حركة " الشباب الجزائري "، الذين يريدون أن يكونوا فرنسيين ومسلمين كاملين الحقوق في ذات الوقت...."⁽²⁾. ويعتبر كتاب فرحات عباس الذي سبق ذكره " الشاب بالجزائري " الصادر سنة 1931، من أهم مصادر الأيديولوجية الفرنكو- إسلامية، حيث في هذا السياق يبدو الإنسان الفرنكو- إسلامي كإنسان جديد، لأن الإحتلال الفرنسي، كان بداية لثورة اجتماعية حقيقية، قضت نهائيا على الإنسان الجزائري القديم⁽³⁾. يدعو فرحات عباس من خلال قراءتنا للكتاب المذكور، إلى وحدة روحية مع المجتمع الأوروبي (المستوطن) في مرحلة أولى، تليها في مرحلة ثانية وحدة روحية مع فرنسا ذاتها⁽⁴⁾.

وعلى صعيد مواقف فرحات عباس السياسية ابتداء، فقد تبني غداة الحرب العالمية الثانية، فكرة الاستقلال في إطار الاتحاد مع فرنسا؛ وبقي على هذا الموقف، إلى غاية تغيير

1 - غي برفيلي، النخبة الفرنكفونية 1880-1962، ترجمة: حاج مسعود أكلي وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 215.

2 - نفس المرجع، ص 216.

3 - نفسه، ص 217.

4 - نفسه، ص 218.

موقفه بعد اندلاع الثورة في 1954، و استقواء جبهة التحرير الوطني، حيث انضم وجماعته إلى فكرة الاستقلال التام، وهذا في شهر أفريل 1956؛ وهذا أيضا يعطينا فكرة عن شخصية فرحات عباس وفكره، فهو يعطي الجزائر المستقلة محتوى متميزا، فهو يعني في نظره تحديدا: "الجزائر ليست عربية ولا فرنسية"⁽¹⁾. ونستنتج هنا أن الجزائر الفرنكو- إسلامية، ثقافتها الجديدة أساسها التراث الثقافي الاستعماري، وشخصيتها الأساسية عمادها الإسلام، كشعائر وأحوال شخصية ليس أكثر.

هذا النموذج لا يعتبر إفرازا مباشرا للأيديولوجية الاستعمارية الاندماجية، أو المتأثرة إلى حد كبير كالشيوعية و الفرنكو- إسلامية، والتي تحدثنا عنها سابقا؛ هذا التيار أصبح بدءا من سنة 1958 - 1959، يلتقي مع " وطنية النخبة"، أو الاستقلالية الاندماجية"، حسب ترجمته السياسية الاجتماعية⁽²⁾.

وتبدو لنا هنا وطنية النخبة مقابل وطنية الشعب، كمحصلة للتأثر بالأيديولوجية الاستعمارية، عبر أبعادها الثقافية والحضارية الخاصة من جهة، وبالأيديولوجية الوطنية وموجة التحرر الوطني في العالم من جهة أخرى، فبرز الطابع التوفيقي لهذه المحصلة، فهي انفصالية استقلالية في أهدافها السياسية، لكنها اندماجية في اختياراتها الثقافية الاجتماعية، وبهذه الأزواجية ستحمل "الوطنية النخبوية" نفس الشعار الذي ينسبه الدكتور فرانز فانون "للبرجوازية الوطنية" ألا وهو "لنعوض الأجنبي"⁽³⁾.

من الناحية الثقافية الاجتماعية توّجه فرحات عباس، يجعل من الصعب تحطيم الجسور، التي تربطه ارتباطا وثيقا بالميتروبول؛ فرحات عباس يعيش تناقضا ناجما عن تكوينه الفرنسي، وحاول تجاوز هذا التناقض بالتميز بين الولاء السياسي، الذي يضعه في

1 - ناصر جابي، الجزائر الدولة والنخب - دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية -، منشورات

الشهاب، باتنة، 2008، ص 85.

2 - نفس المرجع، ص 86.

3 - نفسه، ص 87.

صف الوطنيين المطالبين بالاستقلال، والارتباط بالقيم العالمية للثقافة الفرنسية، التي تلحقه بقائمة التيارات الاندماجية.

نجد تحليل هذا التناقض عند المؤرخ الفرنسي المختص في تاريخ الطلبة وبالخصوص الجزائريين، حيث يوضح أبعاده قائلا: " إن هؤلاء الطلبة⁽¹⁾ - وكان من بينهم فرحات عباس - يعمقون إلى أبعد الحدود، التمييز الذي أقامه أسلافهم بين فرنسا " الحقيقية " (الميتروبول)، وبين الاستعمار الفرنسي في الجزائر؛ وهكذا تستمر الفكرة المثالية عن فرنسا، كما لقنهم إياها أساتدتهم، تستمر حية رغم رفض السلطة الزمنية لفرنسا، في حين أن رفض السلطة الزمنية لم ينقذ " فرحات عباس " من الذوبان في الثقافة الفرنسية وفي نمط الحياة الفرنسية.

ولا يمكننا فصل فرحات عباس الشخص عن أنه ابن البيئة التي نشأ فيها، فالتنشئة الاجتماعية ساهمت في تكوين شخصيته، وبلورة أفكاره، بخصوص مبادئه وقيمه الأخلاقية، التي أثرت على اتجاهه السياسي فيما بعد؛ ونقصد في هذا السياق، مواقفه السياسية الأساسية اتجاه الوطن الجزائر، في أصعب فترات عاشتها الجزائر الاستعمارية، ما بين الحريين العالميتين الأولى والثانية.

ما يهمنا في هذا السياق، أن دور النخبة الاندماجية والذي كان يمثلها بقوة فرحات عباس، في حركة النضال الوطني للجزائر، والذي بدأ رسميا مع التضلل بخيمة الاندماج، ليصنع برنامجا سياسيا متكاملًا...

1 - غي برفيلي، المرجع السابق الذكر، ص 220.

المبحث الرابع: النخبة والثورة التحريرية 1954: بين الحضور والمشاركة: المطلب الأول:

يبدو أن الحكم على ثورية النخبة المثقفة من عدمها هي من الصعوبة بمكان، نظرا لأن هناك مجموعة من المتغيرات، التي طرحت على مستوى هذه الفئة. فلا ننسى أنه ومع دخول الحركة الوطنية في أزمة مع نفسها، اختزلت مواقف وأضيفت أخرى من على ساحة الفكر الأنتيليجنسي؛ هذا وإن كان بعض الباحثين يذهبون إلى الحكم، بأن التحاق المثقف الجزائري بالثورة التحريرية والمشاركة فيها، كان يشوبه التردد والمماطلة، وهذا موقف الباحث الجزائري السوسيولوجي علي الكنز، الذي يرى في مؤلفه " حول الأزمة ": " أنه في الوقت الذي دخلت فيه القضية الجزائرية منعطفًا حاسمًا، وبرزت فيه الخيارات العسكرية على السياسية، كانت فئة المثقفين اتجهوا للحركة الوطنية، في سجل خلافي مع نفسها ساعة أزمته"⁽¹⁾.

ولا يقتصر هذا الموقف من المثقفين، اتجاه الحركة الوطنية، بل حسب "علي الكنز"، يرجع إلى مختلف اللحظات الكبرى، في تاريخ الحركة الوطنية. بدايةً من تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا (1926)، ومختلف التسميات التي رافقت تطور هذا الحزب (1926-1936)، نجم شمال أفريقيا (1937-1946)، حزب الشعب الجزائري (1947-1953)، حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وجبهة التحرير الوطني (1954-1962).

بالإضافة إلى الأطياف الأخرى من الحركة الوطنية يقول علي الكنز: "...لا يمكن حضور المثقفين عبر المراحل التاريخية للحركة الوطنية، ولا يمكن اعتبارهم أبدا رفقاء الطريق، إذا ما قورنوا بالثوريين الوطنيين، الذين انطلقوا خلال العشرينيات، في تنظيم صفوف البروليتاريا الجزائرية المهاجرة بفرنسا؛ بل وحتى هذه الأخيرة كانت معروفة بنظرتها السلبية اتجاه المثقفين..."⁽²⁾.

1 - علي الكنز، حول الأزمة، 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي، الجزائر، دار بوشان للنشر، 1990، ص 30.

2 - علي الكنز، مرجع سبق ذكره، ص 31.

وحتى محاولة التكفير عن هذا الذنب، عن طريق الالتحاق المتأخر بالثورة، لم يكن مسوغا كافيا عند الكثير من النخب الثورية؛ لذا كانت فاتورة اندماج المثقف، داخل النسق الثوري مرتفعة جدا، يقول علي الكنز: "... كانت تعتبر توبتهم ناقصة (يقصد المثقفين)، وغير كاملة في نظر أعضاء الحركة الوطنية، الشيء الذي أدى بهذه الأخيرة إلى تصفيتهم جسديا..." (1).

كان هذا موقف الباحث الجزائري علي الكنز؛ لكي يجب أن نرجع للتكلم عن تلك التغيرات البنيوية والهيكلية، التي رافقت تطور الحركة الوطنية الجزائرية ومحيطها. ونعني بالضبط اللحظات الأخيرة من عمر هذه الأزمة، داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD)، وميلاد اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA) سنة 1953، كتعبير عن رفض هذا الخلاف وتجاوزه، وما تلاها من لحظات سيما بعد ترسيم، الخيار العسكري وميلاد جبهة التحرير الوطني (1954)، كتتنظيم تاريخي معبرا عن هذا الخيار. لذا يجب أن نذكر بعض الحقائق التاريخية التي سبقت هذه الأزمة، والتي تزامنت معها وبعدها، وتتعلق بمواقف الحركة الوطنية كنخب مثقفة، اتجه عدد من القضايا على العموم، وموقفها من هذا التنظيم الجديد وخياراته على وجه الخصوص.

فإذا أخذنا مثلا التيار الذي نادى بالاندماج فإنه: "... لم يكن من السهل على بعض النخب العصرية ذات التكوين المفرنس، التي ينتمي أغلبها إلى البرجوازية الصغيرة الحضرية، إلى الانخراط في هذا الاتجاه (يقصد الاتجاه الإصلاحى المناهض للاستقلال)؛ فهي التي تخرّجت في مدارس أنشئت لتكون أداة للهيمنة...، وكان هدفها هو الاستقرار الإجتماعي لا التغيير الاجتماعى" (2).

ومع هذا وإن كانت هذه هي القاعدة، فهناك الكثير من الاستثناءات داخل هذا التيار نفسه؛ فشخصية مثل " فرحات عباس " هي شخصية تنظيمية، معروفة بدفاعها عن أفكار

1 - نفس المرجع، ص 31.

2 - فلاديمير ماكسيمكو، مرجع سابق الذكر، ص 30.

الإندماج والمساواة؛ إلا أنه انتهى في الأخير، أن يكون شخصية قريبة جدا من التيار الإصلاحي، فقد أعلن هذا الأخير في 22 أبريل 1956 من مصر، عن ولائه وانضمامه إلى قيادة الثورة. إن هذا القرار وهذه القناعة ليست وليدة صدفة بل إنه ومع: "... تغيير البنى الاجتماعية والاقتصادية، تغيرت الانتيلجنسيا الجزائرية، واتخذت حركتها المطالبة بعدا أكثر راديكالية..." (1).

وقبل هذا القرار الذي ذكرناه سلفا، هناك تحولات نوعية على مستوى الفعل المطلبي والنضالي؛ فأول مرة أصبح الفضاء السياسي، يتكلم فيه عن التحالفات الحزبية، قصد توحيد وتجميع الفعل الحركي النضالي هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا أخذنا تيار النخب الإصلاحية؛ فلا شك أن هناك ما يدلّ على ثورته، وما الإستراتيجية الاستعمارية المطبقة إتحاه النخبة المثقفة، إلا دليلا على أنه كان يمثل مصدر تشويش على سياسة التنويم العام؛ التي شرع الجهاز الاستعماري في تطبيقها؛ منذ اليوم الأول للاحتلال، فأبرز زعماء هذا التنظيم إماما صودر إرثهم الثقافي، كما حدث مع الشيخ "صالح بن مهنا"، الذي: "...صودرت مكتبته الثمينة" (2)، أو أنهم توفوا أو عاشوا تحت الإقامة الجبرية؛ كما وقع للشيخ "عبد الحميد ابن باديس، أو خليفته على رأس الجمعية " الشيخ البشير الإبراهيمي "؛ ثم إن قراءة سوسيولوجية لبيان أول نوفمبر 1954، تفيد أن هذا التيار أضحى واقعا لا يمكن تجاوزه، فقد روعي في صياغته الكثير من المبادئ والأفكار، التي نادى ودافعت عنها هذه النخب من هذا التيار؛ كما أن أفكار هذه النخب الإصلاحية بدأت هي الأخرى، تبحث عن تقاطعات مع باقي النخب في التيارات الوطنية: " إن الوثيقة التي قدّمها رئيس جمعية العلماء

1 - المنصف وناس، الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر - دراسة في التغير الثقافي والاجتماعي، تونس، المطبعة العربية، بدون سنة، ص 179.

2 - مالك بن نبي، مرجع سبق نكره، ص 30.

المسلمين الجزائريين، إلى فرحات عباس، تتطابق مع محتوى برنامج حركة أحباب البيان والحرية الجزائري، وتثريها في الكثير من الجوانب⁽¹⁾.

وأردنا إضافة إلى هذا كله، أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد أعلن في 14 نوفمبر 1956 من مصر، على حلّ الجمعية، ومباركة هذا التنظيم الجديد جبهة التحرير الوطني، هذه الأخيرة التي ساهمت إلى حدّ كبير في احتواء الخلاف، وتعايش عدد كبير من النخب المثقفة⁽²⁾.

ومع هذا لا يمكن أن نجزم أن ظاهرة الانشطار، التي ميزت النخبة المثقفة الجزائرية، قبل الاستقلال ستزول بعده، فربما ستتعمق وتتجدّر.

سنتناول أنموذجان (لا الحصر)، كانا فاعلان ثقافيا وفكريا، أثناء المرحلة الثورية من تاريخ الجزائر، وكانا من ضمن نخبة ديناميكية أثناء هذه المرحلة؛ وهما المؤرخ مصطفى لشرف، والمفكر الثوري الشهيد دغين بن علي المدعو "العقيد لطفي"، كانا لهما إنتاجا لا بأس به، بالنظر إلى الوضعية الاجتماعية، والثقافية المزرية، التي عاشتها الجزائر، تحت نير احتلال كولونيالي استيطاني.

المطلب الثاني: أنموذج 1 - مصطفى لشرف "بين الهوية والأيدولوجيا": المولد والنشأة:

ولد في 07 مارس 1917 بمدينة شلالة لعدوارة، الواقعة بالهضاب العليا بولاية المدية الجزائر، أبوه كانت موظفا في جهاز العدالة، تابع الطفل قراءة القرآن الكريم في المدرسة القرآنية، وفي المدرسة الابتدائية العمومية، في آن واحد بمثابرة ودأب، يوما بعد يوم وسنة بعد سنة، تعلّم القرآن على يد شيخ أعمى⁽³⁾، وكذا على يد معلم فقير جدا ولكن فطن، يشغل

1 - عمار طالبي، مرجع سابق الذكر، ص 28.

2 - عمار طالبي، المرجع سابق الذكر، ص 29.

3 - جيلالي صاري، المرجع، سابق الذكر، ص 81.

كل أوقات فراغه في مطالعة الكتب والمنشورات المتجددة دائماً، من عند بائع " الخردة " الذي يأتي كل أسبوع من الجزائر العاصمة، إنه المعلم سي أحمد مداوس، يقول عنه لشرف: "... فهو من المعلمين القلائل المثقفين والعصريين"⁽¹⁾. كان " لشرف " يذهب إلى ذلك المحل المتواضع الذي يمثل المدرسة القرآنية لتعليم القرآن الكريم.

المسار التعليمي " لِلأشرف ":

بعد الحصول على الشهادة الابتدائية، وبعد أن تغذى من الميثولوجيا اليونانية. ومن الشعر الجاهلي، هاهو الثانوي الفتى في أكتوبر 1930 ، يدخل إلى ثانوية بن عكنون، ويستفيد من النظام الداخلي، وفي بداية عام 1932 انتقل إلى ثانوية الجزائر ليمتدح بالنظام الخارجي⁽²⁾. بعد تحصيله على الثانوية العامة، التحق بكلية الحقوق بباريس، في جامعة السوربون (Sorbonne)، بعدما مرّ بالمدرسة العليا الوحيدة في الدراسات التقليدية في شمال أفريقيا، وفي باقي العالم العربي، والتي اتخذت منذ نشأتها هذه البيداغوجية لمتابعة ومراقبة المعرفة، والتحكم العقلاني في اللغة والمنهجية، المطابقة للإنشاء والبحث العلمي، وللکلمات والأفعال والبنى الداخلية للجملة، وباستعمال لهجة مثيرة ومناسبة⁽³⁾. وهي مؤطرة (نقصد المدرسة الثعالبية) من طرف مثقفين من أصول وتكوين جزائري فرنسي، مثل "ماكس بول" Max Paul، هو كاتب وناقد كبير في الفنون، وصاحب مجلتين أنشئت في مدينة الجزائر⁽⁴⁾.

- واصل متابعة دروسه لشرف بالحي اللاتيني بباريس (Quartier Latin).

تكوينه السياسي:

بعد تخرجه في السوربون عاد إلى الجزائر، ودرس بثانوية بمستغانم؛ وانضمّ إلى حزب الشعب الجزائري عام 1939، وكانت له مشاركات واسعة و متميزة في الصحافة النضالية،

1 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 83.

2 - نفس المرجع، ص 90.

3 - نفس المرجع، ص 92.

4 - نفس المرجع، ص 93.

مكنته من التنقيب عن العديد من الأصول التاريخية الجزائرية، ومن تكوين رؤية نضالية، مرتبطة أشد الارتباط، بنضال الشعب الجزائري عامة. (1)

إلتحق بعدها بالثورة الجزائرية في أكتوبر 1956، ألقى عليه القبض في حادثة القرصنة الشهيرة (تحويل الطائرة)، رفقة قياديين آخرين (بن بلة⁽²⁾، آيت أحمد⁽³⁾، بوضياف⁽⁴⁾، محمد خيضر) ليقضي عدة سنوات في السجن (5).

اعتناقه للفكر السياسي التحرري:

كانت مظالم الاستعمار بارزة للعيان، إلى درجة أن صار الجزائري يشعر بالغبن والحيف حيثما حلّ، في الشارع والمدرسة، والحقول؛ فحتى الجزائريين المحظوظين الذين نالوا قسطا من التعليم، لم يشفع لهم امتلاكهم لخاصية اللغة الفرنسية؛ عانوا التمييز العرقي في المدارس والجامعات. الاحساس بالظلم، والسخط، والتذمر والمذلة، في عقر دارهم؛ لم يلبث أن لعب دورا لا يستهان به، في بعث الشعور الوطني لدى الجزائريين. لذلك فمن

1 - طاهر أو شيخة، " بعد مرور عامين عن رحيل مصطفى لشرف: مفكر في طي النسيان_"، الخبر الأسبوعي، العدد 109، 24 جويلية 2009.

2 - أحمد بن بلة من مواليد 1916/12/25 بمدينة تلمسان، وتوفي في 2012/04/11 بالجزائر العاصمة. أول رؤساء الجزائر بعد الاستقلال، بتأريخ 1963/10/15 بعد استقلال الجزائر؛ شارك في تأسيس جبهة التحرير الوطني عام 1954، واندلاع الثورة فاعتبر، رمزا وقائدا لثورة أول نوفمبر وزعيمها الروحي. كان له الدور المؤثر في تحيية، يوسف بن خدة عن رئاسة أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، بمساعدة جيش الحدود الجزائري بقيادة الرئيس الراحل هواري بومدين، لكن انقلب بعدها بومدين على رئيسه، وزجّه بالسجن وبقي تحت الإقامة الجبرية مدة ثلاثة عشرة سنة.

3 - هو حسين آيت أحمد هو: من مواليد 1926/08/26 بعين الحمام ولاية تيزي وزو، توفي بتاريخ 2015/12/23، هو سياسي جزائري وأحد قادة الثورة الجزائرية. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: [https:// ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/) حسين آيت أحمد، بتاريخ 2018/01/22، على الساعة 13 سا 51د.

4 - محمد بوضياف هو: من مواليد المسيلة بتاريخ 1919/06/23، اغتيل بمدينة عنابة يوم 1992 /06/29؛ لُقّب بالسي الطيب الوطني، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: [https:// ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/) محمد_بوضياف، بتاريخ: 2019/01/22 ، على الساعة: 14 سا 53د.

5 - مستخرج من الموقع الإلكتروني: <https://www.ar.wikipedia.org/wiki>. مصطفى لشرف، تاريخ تصفح الموقع: 2016/10/15 - 10 سا - 50 د ، الورقة الالكترونية تحت عنوان: .

الطبيعي أن ينجذب مصطفى لشرف، الشاب المتخرج في الجامعة لتوّه نحو الفكر السياسي التحرري، والذي يتبنّاه الشعب الجزائري.

وفي هذا السياق كتب في منابرها الصحيفة السرية، (البرلمان الجزائري) والنجم الجزائري (Etoile Algérienne)⁽¹⁾، المدارة آنذاك من طرف أمحمد يزيد.

- دوره في بناء الدولة الجزائرية:

أمّا بعد استرجاع استقلال الجزائر عام 1962، ساهم في تحرير وصياغة الاختيارات السياسية الكبرى للدولة الجزائرية؛ ففي عام 1965 صدرت له مجموعة مقالات بعنوان: "الجزائر: الأمة والمجتمع"، التي تعتبر أهم محاولة في ذلك الوقت، لإعادة النظر في علم التاريخ الاستعماري⁽²⁾. وفي سنوات الستينيات شغل منصب سفير بالأرجنتين، ثم بعد ذلك في المكسيك، وأصبح مستشارا للرئيس الراحل هواري بومدين في المسائل الثقافية، وأحد المحررين الأساسيين للميثاق الوطني الجزائري سنة 1976؛ أسند إليه عام 1977 منصب وزير التربية الوطنية، وبعد الانفتاح السياسي في سنوات التسعينيات، ساهم في تأسيس حزب (التحالف الوطني الجمهوري)، إلى جانب رفيق نضاله رئيس الحكومة الأسبق رضا مالك⁽³⁾.

إنتاجه الفكري (أو كتاباته):

شغلت الكتابة بمختلف أشكالها حيّزا هاما، في حياة مصطفى لشرف، وكان إنتاجه جد ثري.

بدأ قصته مع الكتابة من خلال الصحافة المكتوبة، ونشر أول نصوصه الأدبية في "La Dépêche Algérienne" و"Le Quotidien D'Alger"، التابعتان لحزب الشعب الجزائري، ونشر روايات في عدة جرائد ومجلات أدبية⁽⁴⁾.

1 - جيلالي صاري، المرجع سابق الذكر، ص 95.

2 - فلاديمير ماكسيمكو، " الأنثولوجيا المغربية - المثقفون أفكار ونزاعات "، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، الجزائر، دار النهضة، 1994، ص 169.

3 - فلاديمير ماكسيمكو، نفس المرجع، ص 170.

4 - جيلالي صاري، مرجع سابق الذكر، ص 96.

أما عن الكتب، فكان أولها عام 1947 وهي مجموعة شعرية تحت عنوان: " Petits Poèmes D'Alger".

في عام 1953 نشر كتابه الثاني بعنوان "Chansons de jeunes Filles Arabes"، وكان أول كتاب له في إطار الفكر الإجتماعي تحت عنوان: "Colonialisme et Féodalité , Indigènes en Algérie"⁽¹⁾.

والذي كان طرحا ومحاولة لشرح كل العناصر للمجتمع الجزائري، التي كانت موجودة في تلك الفترة، نشر الكتاب عام 1954.

وفي عام 1965 ميلاد أهم كتاب له في علم الاجتماع التاريخي، تميّز بعمق التحليل وغزارة الأفكار، والمعلومات الواردة، وقوة المرجعية المعتمدة، والكتاب ذكرناه سابقا، نشر بدار ماسبيرو بفرنسا، وتمّ إعادة نشره في الجزائر عام 1988، بالمؤسسة الوطنية للكتاب وترجمة الدكتور حنفي بن عيسى، إنتاج من 469 صفحة بفهرس أكاديمي علمي، مكّون من إحدى عشر فصلا مقدمة وخاتمة.

-وتواصلت كتاباته، ففي عام 1981 نشر كتاب " التاريخ، الثقافة والمجتمع " عند المركز الثقافي الجزائري⁽²⁾.

وفي عام 1982 أصدر كتابا آخر تحت عنوان "Algérie et Tiers Monde"، وهو عبارة عن جملة تحاليل ونصوص تتناول موقع الجزائر في العالم، وكذا تفاعلها مع الأوضاع السياسية الدولية، والرهانات المعاصرة؛ وبعد قطيعة طويلة يعود عام 1991 مع النصوص الأدبية وذلك من خلال كتاب:

"Littérature de Combat, essais D'introduction"، وكان النص مزيجا من النقد الأدبي والأدب مع ربط الكلّ بالمقاومة.

وفي عام 1998، أصدر مذكراته في كتاب تحت عنوان:

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني: <https://www.ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ التصفح، 2016/03/12، 20-30د.

2 - مستخرج من الرابط الإلكتروني https://data.bhf.fr/ark/2148/cb_12084975_sf، تاريخ تصفح الموقع: 2016/11/10 - 14 سا - 30 د.

" Des Noms et des Lieux, Mémoire d'une Algérie Oublie "

عند دار القصة للنشر⁽¹⁾. وكان عام 2005 آخر ما نشر لمصطفى لشرف تحت عنوان " Les Ruptures et L'oubli " "لقطيعة والنسيان"، وهو عبارة عن دراسة تحليلية للأيديولوجيات التخلفية والرجعية في الجزائر، وذلك خلال العشرية السوداء وتصاعد العنف. وفاته: رحل مصطفى لشرف يوم 13 جانفي 2006، عن عمر ناهز التسعين سنة بالجزائر العاصمة.

قراءة في فكر مصطفى لشرف:

بعد مسيرة أكثر من خمسين سنة في ضيافة، الفكر والتأليف والعمل والجهد المضني، في خدمة القضية الوطنية بكل أبعادها، سواء قبل الاستقلال أو بعده؛ حيث سائر هذا الرجل الوطن في كل مراحل وأوضاعه، وساهم بقلمه في تنوير أبناء جيله.

أولى مصطفى لشرف في كتاباته أهمية لدراسة الثقافة الشفوية الشعبية، والتعليم الإسلامي في الجزائر، قبل الاحتلال ملاحظا انتشارهما الواسع، ويرى لشرف أنه من بين النتائج الدرامية لمائة واثنان وثلاثون (132) سنة من الهيمنة الاستعمارية، التحريف التقليدي لمقاربة الماضي، يقول بورج "Bourges" في هذا الشأن: "أغلبية الجزائريين يكتبون ويقرؤون، قليلا باللغة الفرنسية وبالعربية بصعوبة، ويعلمون انتماءهم إلى ثقافة ماضي خرافي، أصبحت وهمية نتيجة الاستعمار.." (2).

ويشبه مصطفى لشرف مهمة ترقية ثقافة جديدة، في هذه الظروف الصعبة بالعملية الإكلينيكية، التي يجب أن تجرى بدون تردد، وبإتقان محكم، وباتخاذ إجراءات جذرية، لا تسمح بأي تمجيد عاطفي زهوي للماضي.

1 - نفس الموقع، نفس التاريخ.

2 - Henri Bourges, L'Algérie à L'Épreuve du Pouvoir, 1962-1967, P. U. F éditions, 1986, p 30.

فمن خلال كتاباته ومؤلفاته المتنوعة، والذي جسّد فيها مثال المثقف والسياسي المحنّك؛ فبحوثه في مادة التاريخ والثقافة وعلوم النفس للجزائر، كانت متوازنة ومستغلة بروعة في مقارباته مع المشرق العربي.

حاول لشرف إحياء الحقائق الاجتماعية والثقافية والتاريخية، للجزائر الجزائرية والتي كانت حياته وذاته.

فإنّنا نحتاجه المعرفي ساهم به أثناء الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وأثناء عملية التشييد وبناء المجتمع الجزائري.

سجل المفكر والمناضل محند الشريف الساحلي، وهو صديق لشرف بقوله: "...إن هذا الأخير ظل مثقفا عارفا بهوموم مجتمعه، وملتزما بقضايا شعبه، وبقي يكافح دفاعا عن كينونة الجزائر كمجتمع وأمة، مثلما حرص على تحرير التاريخ من ألغام الاستعمار، وكذا تكريس روح الانتماء، والتحلّي بالحدّات بدل الانحراف وراء التقليد...".

يمكن القول أيضا، بأن الجمع بين الوظيفة الرسمية والعمل الفكري، يكاد يكون القاعدة العامة بالنسبة لأهم مثقفي ما بعد الاستقلال. وعليه ينبغي ألا يذهب ذهننا إلى تصور المفكر في الحالة الجزائرية، بوصفه ذلك الشخص المتفرّغ، والذي يكرّس حياته للإشتغال في أمور تتجاوز مجتمعه وزمانه، والذي يمثّل الفيلسوف، كما يؤكد كير كيغارد صورته النموذجية. وعلى أية حال فإنه منذ ماركس، صرنا نعرف بأن الاعتقاد بإمكان المفكر أن يتجرّد من تأثيرات معطيات مجتمعه وعصره، وربما حتى تتجاوز تجربته الفردية كإنسان.

كما يمكن أن نستنتج ذلك من قراءتنا لفرويد، مجرد وهم يقع فيه عدد من الفلاسفة، وعدد كبير من قرائهم؛ وعلى أية حال، فإن هذا النموذج من المفكرين الذين يشتغلون في قضايا تتجاوز حدود زمان ومكان محددين، إن كان ممكن الوجود أصلا، لا يمكننا تطبيقه عندنا، حتى على مالك بن نبي أو محمد أركون.

المهم، أن المفكر أو المثقف الجزائري، ونعني به بالخصوص، ذلك الذي برز بعد الاستقلال، كان أيضا كقاعدة عامة، موظفا ووزيرا أو سفير؛ ذلك كان شأن مصطفى لشرف، والذي جمع بين الاثنين الفكر والوظيفة؛ ويرجع السبب في ذلك إلى ظروف تاريخية متصلة

بتورة التحرير، فطبيعي بعد الاستقلال، أن يؤدي دورا سياسيا، وكان من المفكرين الموظفين أو العضويين، بمفهوم غرامشي؛ مثلما كان عامة جيل المفكرين والمتقنين الجزائريين الذين ارتبطوا بثورة التحرير.

- إن فكر مصطفى لشرف هو فكر " متمركز حول الذات "، بسبب انتمائه إلى بلد يحتاج إلى أن يكون موضوع معرفة، وبناء، وتشكيل وتطوير في جميع الميادين، وهذا ما جعل فكره نموذجا لذلك المفكر الملتزم، الذي ميّز جيلا من المتقنين الجزائريين، الذين ارتبطت حياتهم بثورة التحرير، وبتجربة الاستعمار عامة، وبتحديات ما بعد الاستعمار. إذن مورست تجربة الاستعمار تأثيرها على طبيعة الأسئلة، التي طرحها لشرف؛ فإرضاءه عليه موضوعات دون أخرى. ولعل أبرزها مسألة الهوية والمسألة اللغوية، والجدل حول الحداثة والتراث، والأنا، والآخر.

وهذه الإشكاليات الأخيرة مرتبطة في الحالة الجزائرية بالمسألة اللغوية في الحقيقة؛ وتلقت هذه الإشكالية، يعني إشكالية الحداثة والتراث، أجوبة نوعية لا يمكن تعميمها على بلدان العالم العربي.

وهكذا نجد مصطفى لشرف لا يعالج المسألة اللغوية، بمعزل عن العلاقة بين الأنا والآخر، فالموقف من اللغة يعكس من وجهة نظره الموقف من جدل الحداثة والتراث. يقول لشرف في هذا الصدد: "...ومما لا شك فيه أن أية ثقافة، وحتى لو لم تكن من ثقافات العصر الوسيط، إذا كانت تلتزم طريقها بالالتفاف إلى الوراء، والابتعاد عن الحداثة والمعاصرة، فإنها لن تقيم أي اعتبار لما يجد من جديد في الخارج، ولا تتخذ الثقافات الأخرى لها قدوة؛ لأن الاحتياجات الفكرية مختلفة في كلا الطرفين، نظرا إلى أن هذه الثقافة المتكثرة لمقتضيات الحاضر، تتجاهل الحاجة إلى البحث والتطور، والحاجة إلى التخلص من الاعتقادات الباطلة، وإلى التفتح على الحقائق العلمية... إن هذا التجاهل صادر عن موقف سليم، لأنه يجعل الإنسان تارة يتصور اللغة تصورا سياسيا عاطفيا، فيغلق على نفسه، ويرفض كل عطاء أجنبي، وتارة أخرى يتصورها منفصلة عما هو عليه من كل التفسخ والانحلال؛ وتارة على البقاء سالمة من كل تشويه، بفضل ما لها من خصائص ومن قيم،

فكيف يمكن أن نرضى بهذا الموقف بعدما أصبح العالم الذي نعيش فيه، يتذوق طعم الحرية، وهو طعم مر ولذيذ في نفس الوقت، يتذوق أيضا فوائد الاقتباس من الغير، وما يستلزمه ذلك من انتهاك ما نعتبره مقدّسا "...".

إن من بين ما ينتقده الأشراف في هذا الاستشهاد الطويل، الذي يربط فيه، كما سبق القول بين التفتح على الآخر عامة، والانغلاق على الذات؛ وبالتالي لا انغلاق على اللغة، وبين هذه الأخيرة والمقدّس، أي القرآن، والاعتقاد بأن ذلك يضمن لها نوعا من المناعة والحصانة الداخليتين....

المطلب الثالث: الأنموذج 2: دغين بن علي المدعو "العقيد لطفى" (1934/05/05 - 1960/03/27):

المولد والنشأة:

ولد: بمدينة تلمسان، وهو الإبن البكر لعائلة متواضعة⁽¹⁾.

إلتزامه الثوري:

بداية عام 1955 شارك في السرية، على مستوى الخلايا الأولى لجهة التحرير الوطني، وتميز بنشاط دؤوب وبالترام وجدّية؛ وفي 27 أكتوبر 1955، ترك " بن علي " مقاعد الدراسة للالتحاق بجيش التحرير⁽²⁾.

وما لبثت القيادة الثورية أن اكتشفت فيه، استعداداته النضالية والقتالية، ممّا أهّله لتحمل المسؤولية الأولى بنواحي "تلمسان"؛ تقلّد منصب مسؤول عن المنطقة الأولى للولاية

1 - العقيد لطفى، نظرة العقيد لطفى المستقبلية للتنمية الاقتصادية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2010، ص 01.

- مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي www.univ-bouira بتاريخ على الساعة التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة للكاتب د ابراهيم سعدي مصطفى لشرف نموذجا لجيل من مفكري الجزائر ما بعد الاستقلال، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

2 - العقيد لطفى، نفس المرجع، ص 1.

الخامسة، ثم عيّن مسؤولاً عن المنطقة الثامنة برتبة نقيب؛ وكلف بمهام كبيرة قادته إلى المناطق الداخلية من الوطن.

وفي سنة 1957 رقي إلى عضو قيادة الولاية الخامسة، برتبة رائد في منطقة آفلو، حينها لقب بـ "لطفي" وعين قائدا للولاية الخامسة؛ بعد ذلك رقي إلى رتبة عقيد في جيش التحرير الوطني.

ساهم العقيد لطفي بكفاءة عالية في أعمال المجلس الوطني للثورة، الذي انعقد بطرابلس خلال شتاء 1959-1960؛ وفور انتهاء أشغال المؤتمر، انتقل إلى الحدود الجزائرية المغربية، قصد الذهاب إلى المغرب، رفقة الرائد "الطاهر فراج" (1) وبعض المجاهدين.

ظروف وفاته:

أثناء عبوره الحدود الجزائرية المغربية، كان له العدو الفرنسي بالمرصاد، حيث نصب له كمينا يوم 27 مارس 1960، فخاض معركة غير متكافئة سقط فيها شهيدا.

إنتاجه الفكري:

هناك كتاب واحد ألفه "بن علي"، فهو عمل إبداعي فذ، كان المجاهد عبد الغني عقبي (2) المدعو "عمار"، سلّم هذا المخطوط لوزارة المجاهدين، بمناسبة إحياء الذكرى الثامنة والأربعين لاستشهاد العقيد لطفي، قصد طبعه ونشره، وهي وثيقة نادرة، وجب إبرازها للأجيال الحالية والقادمة.

محتوى هذه المذكرات عبارة عن دراسة شاملة، اقتصادية دقيقة، فيها الخطوط العريضة للوجهة التي يتوجب على الجزائر المستقلة أن تسلكها في هذا المجال (3).

1 - العقيد لطفي، نفس المرجع، ص 04.

2 - العقيد لطفي، المرجع سابق الذكر، ص 04.

3 - نفس المرجع، ص 11.

ملخص الكتاب:

في الجزء الأول من هذه الدراسة يبيّن حصيلة مختصرة ومؤثرة، للأساليب الوحشية التي استعملها المستعمر الفرنسي، خلال مائة وثمانية وعشرون سنة من الاستغلال والهيمنة. في الجزء الثاني: يبيّن " العقيد لطفي " كيفية إعادة بناء الاقتصاد الجزائري، وفق الجرد والإحصاء غير الكامل للثروات الوطنية، ورسم الخطوط الرئيسية للاقتصاد، وإنشاء شكل جديد للزراعة والصناعة.

أمّا الجزء الثالث: فيشتمل على وضع الأسس الأولى، لسياسة اقتصادية متناسقة ومترابطة⁽¹⁾.

مخطوط "العقيد لطفي" يحتوي على ثمانية " 08 " فصول وخاتمة.

يعرض في الفصول آثار انهيار الاقتصاد الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي، ثم يستشرف مستقبل الفلاحة والزراعة، وشبكة المياه، والصيد بكل أنواعه؛ مع استعراض الموارد الباطنية التي تتمتع بها الجزائر من معادن، ومواد أولية كيميائية. ويقترح حلولاً في مجالات الصناعات الخفيفة والثقيلة، وصناعات التجهيز، والمناطق التي يجب إصلاحها مثل "مركب بشار" مثلاً.

إقترح حلولاً في مجال تطهير الرهن العقاري الاقتصادي من الديون، وتخصيص وزارة للاقتصاد الوطني⁽²⁾.

براديجم حزب نجم شمال إفريقيا في تحقيق مشروع عملية التحرير الوطني.

النماذج التي تطرّقنا لها من النخب الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية، ساهمت بفكرها وقلمها، تفاعلاً واندماجاً ذاتياً كلياً، في روح المجتمع ومفصلياته العقيدية والتاريخانية، ببعديها الأمازيغي - العربي والإسلامي، وباقتراح مشاريع للتعليم، وإرساء قيم الهوية الوطنية الجزائرية.

1 - نفس المرجع، ص 11.

2 - العقيد لطفي، المرجع سابق الذكر، ص 31.

المطلب الرابع: مالك بن نبي (1905-1973): النموذج أو "البراديجم" الذي لم يتحقق في الجزائر.

المولد والنشأة:

ولد في الفاتح من جانفي 1905 بمدينة قسنطينة، ابن الحاج بن مصطفى بن نبي، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة؛ فكان والده موظفا بالقضاء الإسلامي، حيث حوّل بحكم وظيفته إلى ولاية تبسة؛ حينها بدأ مالك يتابع دراسته القرآنية والابتدائية بالمدرسة الفرنسية؛ وتخرّج سنة 1925 بعد سنوات الدراسة الأربع كمهندس كهربائي⁽¹⁾.

سافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا، حيث كانت له تجربة فاشلة؛ فعاد مجدداً إلى مسقط رأسه، بعد هذه العودة بدأ تجارب جديدة في الاهتداء إلى عمل، كان أهم أعماله وظيفته في محكمة آفلو، حيث وصلها في مارس 1927؛ احتكّ أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب، فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده، فاستقال من منصبه القضائي بعد سنة 1928، إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية⁽²⁾.

أعاد الكرّة سنة 1930 بالسفر مرة ثانية إلى فرنسا، ولكن هذه المرة كانت رحلة علمية؛ حيث حاول أولاً الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية⁽³⁾، إلا أنه لم يكن يسمح له في ذلك الوقت، للجزائريين أمثاله بمزاولة مثل هذه الدراسات؛ فتركّت هذه الممارسات تأثيراً كبيراً في نفسه، فاضطرّ العدول عن أهدافه وغاياته، والتحق بمدرسة (اللاسلكي) للتخرج كمساعد مهندس كهربائي؛ ممّا جعل موضوعه تقنياً خالصاً، أي بطابعه العلمي الصرف، على العكس من المجال القضائي أو السياسي.

1- مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://ar.wikipedia.org/wiki> ، تاريخ التصفح: 2016/11/08 - 10 سا-

30 د، آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم: 2016/12/29 - 14 سا - 30 د

2 - نفس الموقع، نفس تاريخ التصفح.

3 - معهد الدراسات الشرقية بباريس: هي مؤسسة فكرية تعليمية أكاديمية أنشئت عام 1969، من أجل تكوين تراجمة باللغات العربية والفارسية والتركية، وسفراء قادرين على العمل في الدولة العثمانية.

مستخرج من الرابط الإلكتروني <https://ar.wikipedia.org/wiki> . تاريخ الدخول: 20106/08/25 - 10 سا - 45 د.

آخر تعديل للصفحة، بتاريخ: 2016/10/30، على الساعة: 17 سا - 22 د.

انغمس مالك بن نبي في الدراسة والمطالعة وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية، ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي. إنتقل هاربا من فرنسا إلى القاهرة بمصر، بعد إعلان الثورة الجزائرية عام 1954؛ تاركا وراءه زوجته، التي رفضت مرافقته. حظي في مصر باحترام كبير، وعيّن مستشارا لمنظمة التعاون الإسلامي، هذا المنصب سمح له بمواصلة الكتابة، وإرسال المال ليعيل زوجته في فرنسا (1).

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر بعد استقلالها سنة 1963، وعيّن سنة 1964 مديرا للتعليم العالي، وواصل إلقاء محاضراته الفكرية. استقال عام 1967 من منصبه، كي يتفرغ للعمل الفكري والتوجيهي؛ فساهم بمقالات متتابعة في الصحافة الجزائرية، خصوصا في مجلة (La Révolution Africaine).

وفاته:

توفي مالك بن نبي في الجزائر يوم 30 أكتوبر 1973، مخلفا وراءه مجموعة من الأفكار القيمة والمؤلفات النادرة.

مؤلفات مالك بن نبي:

تحلّى مالك بن نبي بثقافة منهجية، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلف؛ فألف سلسلة من الكتب، من بينها سلسلة كتب "مشكلات حضارية"، بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر، فالجزائر (2) وهي:

1- الظاهرة القرآنية سنة 1946.

2- شروط النهضة، صدر بالفرنسية في 1948 وبالعربية عام 1957.

3- وجهة العالم الإسلامي عام 1954.

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://ar.wikipedia.org/wiki>. تاريخ تصفح الموقع الإلكتروني:

201/11/10 + - 11 سا - 45 د. آخر تعديل للصفحة يوم: 201/11/08 - 09 سا - 45 د.

2 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://www.google.fr/search>? ، مالك بن نبي. تاريخ الدخول إلى

الموقع: 2016/12/10 - 12 سا - 45 د. آخر تعديل للصفحة: 2016/12/07 - 09 سا - 45 د.

- 4- النجدة... الشعب الجزائري يباد عام 1957.
- 5- فكرة كومنولث إسلامي عام 1958.
- 6- مشكلة الثقافة عام 1959.
- 7- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة عام 1959.
- 8- حديث في البناء الجديد عام 1960 (ألق بكتاب تأملات).
- 9- في مهبّ المعركة عام 1962.
- 10- آفاق جزائرية عام 1964.
- 11- القضايا الكبرى.
- 12- مذكرات شاهد على القرن - الطفل - عام 1965.
- 13- إنتاج المستشرقين عام 1968.
- 14- الإسلام والديمقراطية عام 1968.
- 15- مذكرات شاهد على القرن - الطالب - عام 1970.
- 16- معنى المرحلة، عام 1970.
- 17- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي عام 1970.
- 18- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (محاضرة ألقيت في عام 1972).
- 19- بين الرشاد والتهيه عام 1972.
- 20- المسلم في عالم الاقتصاد عام 1972.
- 21- من أجل التغيير.
- 22- ميلاد مجتمع (1).

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://www.kutubdyf.com/cofe.info/anthor/36> ، مالك بن نبي، تاريخ التصفح: 2016/10/08 - على الساعة: 14 سا- 30 د.

قراءة في فكر مالك بن نبي:

هو من الأوائل من طرحوا مشكلة الإنسان الجديد، مشكلة الشخصية الجديدة، مشكلة التجديد الفكري - الأخلاقي. فهو صاحب عدة مؤلفات اجتماعية، وقد ذكرناها في عنوان سابق، ومن الدقة نعتة: بأحد أيديولوجيي الأنثيلجنسيا " (1)، حسب تقييم روبرت لاندا* نفسه. فعلى امتداد أكثر من عشرين سنة من النشاط التأليفي، قلّ الاهتمام الذي كان مالك بن نبي يوليه في أعماله للإسلام بشكل ملحوظ؛ وفي أحد أعماله أو في أحد كتبه الأولى، أشار إلى أنه ينظر إلى الأخلاقيات الدينية، من وجهة نظر سوسولوجية فقط، كمنطلق اجتماعي رابط، ولم يدرج الإسلام كلاهوت أبدا في حلقة اهتماماته الأدبية (2).

لم يقدّم مالك بن نبي صورة تعميمية " للإنسان الجديد "، لكن فضله يكمن في رسمه للسمات المميزة للإنسان " القديم "؛ وإشارته إلى علاقة تطوّر الشخصية بمشكلة الانبعاث الوطني. ولعلّ التخلي عن محاولة وصف " الإنسان الجديد "، أملاه الإحساس بالانتقالية الموجودة في كل أعماله، فيقول في هذا السياق: " نحن جيل ملعون يخفي الانحطاط، ونحن جيل مبارك يكتشف الحضارة.. " (3).

1 - روبرت لاندا، حركة التحرر الوطني في الجزائر 1962، ترجمة: صادق بوباكير، ص 18.

* روبرت لاندا هو: جريجوريفيتش لاندا، ولد في 1931/03/23 بروسيا، أحد أكبر خبراء روسيا في مجال دراسة تاريخ بلدان المغرب، ولا سيما حول تطور الثورة الجزائرية، والواقع السياسي والاجتماعي للجزائر بعد الاستقلال. درس في معهد الاستشراق بموسكو؛ بعد تخرجه في المعهد، عمل في دار النشر " المعاجم الأجنبية (1953-1955)، ثم التحق بقسم الدراسات العليا وكتب أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ، بموضوع حركة التحرر الوطني في الجزائر، ونالها عام 1958. نشر حوالي ربع مائة و ثلاثة وستون (463) دراسات وكتب من بينها خمس وعشرون (25) كتابا أهم كتبه:

- من بن بلة إلى بومدين عام 1970.

- ظهور الحركة ضد الاستعمار في الجزائر في فترة 1918-1931 عام 1977.

- تاريخ الثورة الجزائرية عام 1983.

- الاسلام في تاريخ روسا عام 1995.

- سوسولوجيا الشرق المعاصر عام 2005.

مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: www.iiess.iq تاريخ دخول الموقع: 2016 /12/20 ، على الساعة 22سا. 15 د.

2 - Malek Ben Nabi, Les Conditions de la Renaissance Algérienne » Alger, 1949, p 53.

3 - Ibid. p 47.

فالأستاذ بن نبي أمضى حياته لمعالجة مشكلات الحضارة. وأهمته المدرسة القرآنية والباديسية والديكارتية، بأن أصلح نظريات الغرب القائمة على العنصرية والمادية؛ داعيا الجزائريين والمسلمين لتأسيس حضارة عالمية إنسانية، تؤثر وتتأثر، فلُقّب بفيلسوف الحضارة.

لكن يلاحظ المؤرخ الأكاديمي بن عمارة، أن تنظير الأستاذ بن نبي بقي دون تطبيق. ففي وقت أهملت الجزائر أفكاره المؤسسة لدولة صلبة، ارتقت بنظرياته دول كثيرة، أهمها ماليزيا، تركيا وإيران، وحتى (الكيان الصهيوني)⁽¹⁾. وبحسب دائما الباحث بن عمارة فإن المفكر بن نبي لم يقتنع بنظرية الغرب الاستعماري التي تقول، بأن الإنسانية مقسّمة لأجناس عليا وسفلى؛ فالأجناس العليا تتمثل في الشعوب الغربية، والتي يسمح لها تكوينها بقيادة الأجناس السفلى؛ التي عليها الطاعة فقط؛ فابن نبي كان يعتبر المسلمين هم الأحسن عالميا؛ وهذا بعد ما عكف على دراسة التاريخ، ليكشف خطأ النظريات الغربية؛ فأخذ فكرة دورة ابن خلدون، لمّا تحدث عن الحكم السياسي، معتبرا أن الحضارة تعيش مرحلتين: مرحلة الازدهار ومرحلة أخرى للانحطاط؛ لكن ابن نبي عمّم فكرة ابن خلدون، على جميع أوجه الحضارة، وليس على الحكم السياسي فقط.

حيث درس بن نبي بتمعن كبرى النظريات الغربية، وأعطى إجابات واضحة لاستفساراتها وتناقضاتها؛ فدرس نظرية " نيتشه " حول العودة الخالدة؛ وأعطى بعدا دينيا للنظرية الماركسية. ولأن المفكر الغربي " توينبي " لم يفسّر في نظريته أسباب نجاح وفشل الحضارات، حسب " بن نبي"، ففسّر هذا الأخير من منطلق ديني؛ أمّا المفكر والفيلسوف " شبنغلر " الذي قسّم الثقافات العالمية إلى ثمانية أصناف، تنهار لمّا تصل إلى درجة عليا في الفن والعلم والإبداع؛ خالفه " ابن نبي " مؤكداً أن انهيار الحضارات لا توقيت معين لها،

1 - بن عمارة عبد الرحمان، " ابن نبي ناضل ضد فكرة استيراد الشعوب للحضارة "، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 04 نوفمبر 2015/ الموافق 21 محرّم 1437 هجري، العدد 4907، ص 10.

وأن الدفعة الروحية الإسلامية، هي التي منحت الحضارة الإسلامية، خزّانا كبيرا من الروحيات، سمحت لها أن تدوم ستة قرون⁽¹⁾.

يقول نفس الباحث أن الأستاذ ابن نبي امتلك رؤيةً مستقبلية، وكان دائما التساؤل: هل للمسلمين إمكانيات لتجديد دورة حضارية جديدة؟ فانطلق المفكر في نظرياته من دراسة الظاهرة القرآنية، التي اعتبرها عقيدة صحيحة، لكنّها أضاعت فعاليتها رغم بقاء أصلاتها⁽²⁾؛ وهو ما جعله ينصح بإعطاء الإسلام فعاليتها، ملفتا الانتباه إلى أن مالك بن نبي، كان ضد فكرة استيراد الحضارة.

ونحن نلاحظ اليوم، أنها أصبحت تشتري بالمادة والبتروول.

وفي ما يخص موضوع الحضارة دائما، يقول البروفسور سعيد مولاي⁽³⁾ - وهو كان تلميذا للأستاذ بن نبي-، " أنه عاش طول حياته من أجل شيء واحد، وهو معالجة مشكلة الحضارة، ففتوّغ للدراسات والتأمل، والنظر في المجتمع الإسلامي؛ مبرزاً دور " الفكرة الدينية " في تطوير الحضارة، وتغييرها وعدم اضمحلالها؛ تاركا وراءه زخما من الأفكار البناءة، لدولة حضارية ونهضة عالمية.

إنّ أفكار بن نبي هي امتداد لأفكار ابن خلدون، فهو متشبع بدراسات هذا الأخير؛ فابن نبي يتساءل عن دور الدين في تأسيس الحضارة، وقبلها عن ماهية الحضارة ونشأتها وأسباب النهضة؛ ليتوصل حسب قول تلميذه الباحث مولاي للتالي: ".أن الحضارة هي مجموع ثلاثة عوامل: الإنسان، التراب و الوقت.. وابن نبي قدّم نظريته في الحضارة أنّ لها وجهان:

الوجه الأول: ترتكز على الفكرة، وذلك عندما ينظر الإنسان إلى السماء،

والوجه الثاني: شيئية، ينظر بها الإنسان إلى الأرض.

1 - مالك بن نبي، المرجع السابق الذكر، ص 10.

2 - ابن عمارة عبد الرحمان، المرجع السابق الذكر، ص 10.

3 - سعيد مولاي، " أفكار بن نبي أسست لحضارة لم تجد من يطبقها في الجزائر "، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 04 نوفمبر 2015/ الموافق 21 محرّم 1437 هجري، العدد 4907، ص 10.

يواصل الباحث شرحه ويستنتج التالي: ".أن مالك بن نبي توصل إلى أن العامل الديني، يعتبر قاعدة علمية معترف بها، في الأيديولوجيات والنظريات الوضعية أيضا.."⁽¹⁾. ونستنتج نحن أن حضارة اليوم هي حضارة البطون والملذات والأمزجة، ونحن في عصر الصورة والمتعة الفورية، والاستهلاك والبذخ في الكماليات؛ واستنساخ أنماط معيشية افتراضية، لا تمت بصلة مع الواقع المعاش؛ في وقت علينا جميعا الإقلاع نحو السماء، والتأسيس لحوار فكري-روحي.

في ما يخص عالمية فكر ابن نبي، فهو يختلف عن بقية المصلحين، كجمال الدين الأفغاني و محمد عبدو وغيرهم. فهو من بين المرافعين للعالمية؛ يقول في هذا الشأن الباحث الأكاديمي الدكتور هشام شرّاد: " أن فكرة العالمية التي ظهرت في القرن العشرين، ووصفها "بن نبي" بالقدر المحتوم وسنن التاريخ، التي وجب على العالم الإسلامي الانخراط فيها، حتى لا يكون كيانا منعزلا، ويكون قادرا على التطور بالمشاركة في بلورة الثقافة العالمية، والخروج من القابلية للاستعمار"⁽²⁾.

لاحظنا أن هذه المقولة " القابلية للاستعمار " جعلته محل انتقاد، من طرف عدّة جهات، وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ وكان أحد أعضائها الأستاذ اسماعيل أوشيش، الذي اعتبر أن أهم سبب لظاهرة القابلية للاستعمار هي اللغة؛ حيث قال: " ابن باديس كان يعرف اللغة الفرنسية، لكنه لم يتكلمها"⁽³⁾. لكن يعقّب عليه البروفسور هشام شرّاد قائلا: " أن مالك بن نبي تحدّث باللغتين العربية والفرنسية، فكان فيلسوفا مهماً في الوطن العربي والعالم أجمع، ولم يناد أبدا بإلغاء اللغة الثانية.."⁽⁴⁾.

1 - سعيد مولاي، المرجع سابق الذكر، ص 10.

2 - هشام شرّاد، " بن نبي مفكر عالمي رافع لحوار الحضارات لكنّه ظل مجهولا "، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 04 نوفمبر 2015/ الموافق 21 محرم 1437 هجري، العدد 4907، ص 10.

3 - إسماعيل أوشيش، " انتشار الفرنسية بالجزائر من أسباب القابلية للإستعمار "، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 04 نوفمبر 2015/ الموافق 21 محرم 1437 هجري، العدد 4907، ص 11.

4 - إسماعيل أوشيش، المرجع سابق الذكر، ص 11.

نرى أن المهم لدى المفكر، هو المساهمة في تطوير حضارة الشعوب، وبصفة خاصة الإسلامية منها؛ فمثلا تركيا أو ماليزيا استفادتتا من الفكر التنويري للأستاذ بن نبي، بعد الاطلاع على أعماله ومنجزاته الفكرية، بلغات أخرى غير اللغة العربية؛ فلا ننسى حضارة الترجمة أيضا، والنقل، وانتقاء المعارف، كما فعلت اليابان، حيث تجاوزت إشكاليات اللغة، ولم تنتقل حرفيا فقط علوم الأمم الأخرى، بل طبقت النقل بحذافيره، وأصبحوا اليابانيون يعرفون بأنهم من كبار الناقلين (De grands copieurs)؛ فالأهم ليس في أخذ الأفكار كما هي، دون إحداث اهتزازات في البنى والنسق العام، للمجتمع المتلقي لهذه الحضارة أو تلك.

من المفاهيم الجوهرية عند "ابن نبي" مفهوم "القابلية للاستعمار"، "للإنسان ما بعد الموحدى"؛ وهو رمز الانحطاط العام، وكل المشاكل المعاصرة للعالم الإسلامي؛ تعود كما كتب بن نبي سنة 1954، إلى زمن ظهور هذا النموذج البشري، وبفعل "الإرث السوسولوجي" فإن "الإنسان ما بعد الموحدى" لم يورثنا فقط نفسيته، التي نمت من انحطاطه الاجتماعي والفلسفي والسياسي، وإنما ورثنا نفسه⁽¹⁾ وسماته، التي يمكن أن نجدها في الفلاح، وفي البدوي، وفي البورجوازي، وفي حامل البكالوريا المتأق...؛ إن الإنسان ما بعد الموحدى أصبح وجها نموذجيا للعهد الاستعماري، ومهرجا يجبره المستعمر على أداء دور الأهلي، وهو مستعد لأداء أي دور...⁽²⁾.

ماهي السمات الأساسية "للشخصية ما بعد الموحدية"؟

- إنها بالدرجة الأولى الميل إلى الاقتباس غير الخلاق والفوضوي؛
- وفوضى في مجال الأفكار والأهداف الأساسية، مشكّلة من خليط من أشياء ميّنة "خاصة به"، وأخرى متفسّخة "لغيره"، ويمكن أن تطرح أمام المجتمع الذي يتمثل فيه؛

1 - مالك بن نبي، "وجهة العالم الإسلامي"، مرجع سابق الذكر، ص 35.

2 - مالك بن نبي، نفس المرجع، ص 36.

- "الإنسان ما بعد الموحّدي" الشخصية المركزية فيه مشاكل معقّدة، لكن لا أحد يطرحها، ففي كل مكان تسود الصدفية، وليس المبادرة والأفكار".
إن السمة الغالبة على انحطاط "الإنسان ما بعد الموحّدي"، هي "الفكرة التي لا تتجدّد، والفعل الذي لا يتماشى مع أي جهد فكري". وهذه القطيعة بين الفكر والفعل تلاحظ، سواء في المجال الخاص أو العام؛ وأصبحت أخطر نتيجة لاستشراء سمات هذا "الإنسان"، وهو شلّ أي تطع إلى التطور؛ فتصبح القابلية للاستعمار "هي التجسيد الاجتماعي" للإنسان ما بعد الموحّدي" (1).

طرح بن نبي لأول مرة هذا المفهوم في كتابه "شروط النهضة الجزائرية"، حيث كتب يقول: "إن الاستعمار ينتهي حيث تنتهي القابلية للاستعمار" (2).

وفي كتابه "دعوة الإسلام"، عرّف ابن نبي هذا المفهوم بتفصيل أكثر، ويعتبر أن السيرورة التاريخية لاستعمار الشعوب الأفرو-آسيوية، لم تبدأ مع الاستعمار، لكن مع القابلية للاستعمار التي استدعته؛ ويكمن المغزى التاريخي للاستعمار، في أنه هو وحده الذي جعل وعي المستعمر يعي قابليته للاستعمار، وبذلك أصبح نقطة انطلاق لنبذ هذه القابلية. فالاستعمار والقابلية للاستعمار، يمثلان بالنسبة لابن نبي ظاهرتين متقاطعتين، ولكنهما مختلفتان في الجوهر (3)؛ وكانت رؤية الأولى وإنكار الثانية تعني بالنسبة إليه، التخلي عن توضيح شروط النهضة الوطنية، وكان يدرك الصعاب التي تعترض طرق تجاوز، العواقب الوخيمة للقابلية للاستعمار؛ فاكتفى بدعوة الجزائري إلى ترشيد فكره، وأفعاله، ووقته، وماله، وقطعة خبزه التي تمنحها له الأرض؛ كما اكتفى أيضا بالدعوة إلى عدم تفهم الثقافة الأوروبية جزءا بجزء، والاكتفاء بمظهرها لكن باكتناه جوهرها.

1 - مالك بن نبي، المرجع سابق الذكر، ص 37.

2 - نفس المرجع، ص 39.

3 - نفس المرجع، ص 41.

تطرّقنا إلى بعض من أفكار مالك بن نبي، وحلّلنا قدر استطاعتنا موضوعيا، فكرة نراها مهمة وهي " القابلية للاستعمار"، لما لها علاقة بموضوع بحثنا في هذا المبحث، وعلاقة النخبة الفكرية بالمجتمع، وأفراد المجتمع، وتفعيلهم للنهوض بذواتهم، وتطويرها، وتوعيتها لمقاومة الآخر الأوروبي المستعمر.

النخبة في فكر مالك بن نبي:

إنّه لمن الصعب جدا الحديث عن فكر مالك بن نبي، لما تميّز به من عمق في تحليله لمشكلات الحضارة، بمنهجية علمية دقيقة؛ وهو على وجه الخصوص، أول المفكرين المسلمين ممّن غاصوا حديثا، في أعماق الحضارتين الغربية والإسلامية، بحثا عن أسباب التخلف وشروط النهضة؛ ومقارنة بين المفاهيم الغربية والإسلامية، وما تميّز به من التحليل الدقيق والملاحظة الشديدة، وعمق النظر واتساع الأفق والنظرة الاستشرافية؛ فهو كما قال البروفسور " محمد مولاي السعيد": " جمع بين موسوعة خلدونية وعقلانية كانط" (1).

لذلك لم نسع إلى تصنيف مالك بن نبي في المراحل السوسيو تاريخية للجزائر (تبنينا هذه المراحل في بحثنا هذا)، ولم نضعه في أية خانة من التصنيف الكلاسيكي: حداثي / تراثي، أو هوياتي: مفرنس / معرّب.

فمالك بن نبي تجاوز فكرة المحلية بنقده الموضوعي العلمي، حتى لبعض من مفكري الجزائر الجهابذة، أمثال العلامة " عبد الحميد ابن باديس"، في انتقاده للحركة الإصلاحية، و" مصطفى لشرف" عالم التاريخ الاجتماعي، في انتقاده ليساريتته، وفي تحليله الطبقي الماركسي للمجتمع الجزائري.

لكن سنتطرق هنا ونحاول التركيز على أفكار " بن نبي"، ونظريته في دور النخبة المثقفة في تغيير المجتمع.

1 - سعيد مولاي، " أفكار بن نبي أسست لحضارة لم تجد من يطبقها..."، مرجع سابق الذكر، ص 10.

إن عالم الأفكار يقول "بن نبي"⁽¹⁾ يجب أن تبنيه النخبة، وهذه هي مهمتها الأساسية، وعليها أن تحرر أذهان المجتمع من بعض البلبلة التي فيها، أي يجب على الأفكار أن تكون أصيلة، وقيمة، وبناءة.

تحدث الأستاذ بن نبي عن فكرة الفاعلية، باعتبارها المحرك الأساسي في التغيير؛ حيث طرح مشروعه الحضاري، من خلال أن يعيد للأمة فاعليتها، التي فقدتها على مستويات متعدّدة؛ في الوقت الذي تتقدم فيه الحضارة المجاورة الغربية، التي لا تملك بقدر ما تملكه الأمة الإسلامية؛ فوجد أن الفاعلية من أهمّ الخصائص للفكر الغربي، وأن هذا الأخير يخضع لمبدأ الفاعلية...، والتي توفّرت للرجل الغربي على المستويين الفردي والجماعي؛ كما أنها على مستوى هذا الأخير، هي القدرة على توليد ديناميكية اجتماعية؛ وهنا يستشهد "بن نبي" بديكارت "Descarte"، وهو يتحدث في كتابه عن "مشكلة الثقافة"؛ يقول الأستاذ بن نبي في هذا السياق "...أتى "ديكارت" بالتجديد الايجابي الذي رسم الثقافة الغربية طريقها الموضوعي، الذي بنى على المنهج التجريبي، والذي هو في الواقع السبب المباشر، في تقدّم الحضارة الغربية"⁽²⁾.

وكما ذكرنا سابقا في ما يخص الحركة الإصلاحية في الجزائر، ودورها في إدخال مفاهيم جديدة، تساعد على التغيير الاجتماعي، وتقضي على الآفات الاجتماعية المتسلّطة على المجتمع الجزائري، من جهل وذهنية الخرافات والشعوذة؛ لكن "بن نبي" بقي غير راض على نشاطها السياسي، مقتنعا أن الحركة الإصلاحية انحرفت عن منهجها الصحيح، عندما دخلت المعترك السياسي، فأفرغت الحركة من محتواها الثوري و العلمي، وأصبحت في نظر بن نبي تابعة لجماعة هدفها الوصول إلى السلطة...⁽³⁾.

1 - مالك بن نبي، تأملات، بيروت لبنان، دار النشر - دار الفكر المعاصر، 2009، الطبعة التاسعة، ص 22.

2 - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، الطبعة الرابعة، 1984، ص 71.

3 - نفس المرجع، ص 78.

في كتابه " إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلامي "، نجده يتحدث عن نقطة مهمة، وهي أن النخبة المثقفة قد أصيبت بمرضين خطيرين، ألا وهو مركّب النقص، ومنهجية التغلّب عليه؛ صدمة الحضارة الغربية التي أصابت شريحة من مثقفين، أحدثت شللا في جهاز حسانتهم الثقافية، حتى أدّى بهم مركّب النقص، إلى أن ولّوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، فأصبح هؤلاء المثقفون يبحثون عن نجاتهم، لكن بالتزّين بالزي الغربي، ينتحلون أذواقه وسلوكياته (1).

يشير الأستاذ بن نبي إلى مشكلة أخرى تواجه الأمة، وهي النقطة التي تبدأ منها تاريخها وبناء حضارتها؛ فعندما تحدّث عن شروط النهضة، وضع لها القانون التالي: الحضارة = إنسان + تراب + وقت (الزمن).

ولكن الأهم من هذا، هو العنصر الذي يجمع بين عناصر هذه الحضارة، أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، فكما يدلّ عليه التحليل التاريخي مفصّلا؛ نجد أن المركّب موجود فعلا، هو الفكرة الدينية التي رافقت تركيب الحضارة خلال التاريخ (2).

يطرح " الأستاذ بن نبي " البديل الفاعل والاستراتيجي، وهو الإسلام، كمشروع تنويري لبناء كل شيء من اللاشيء، الذي يوجد اللاموجود من العدم، والتي هي العقيدة الإسلامية.

1 - مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، الطبعة الأولى، 1969، ص 38.

2 - نفس المرجع ص 47.

خلاصة

تطرقنا في هذا الفصل إلى النخبة الجزائرية، أثناء الفترة الاستعمارية، وأدوارها الفاعلة أثناء هذه الحقبة الكولونيالية الطويلة، ابتداء من عام 1830 إلى غاية جويلية 1962، تاريخ تحرر الجزائر.

تعرضنا إلى نماذج نخبوية كيفيات نشأتها، تطورها، أدوارها وإنتاجها الفكري والمعرفي، وتأثيرها في عملية بلورة الفكر الوطني الثوري، بهدف تحقيق الاستقلال.

عرضنا هذه النماذج وكأنها كرونولوجيا تاريخية، حيث بدأنا بنموذجين لمفكرين عاشا ونشطا أثناء المقاومة الجزائرية للإستعمار؛ تليهما نموذجين لمفكرين جزائريين آخرين، أثناء الحركة الوطنية الجزائرية، ثم أنهينا هذه الحقبة الكولونيالية، بنخبة مثقفة نشطت، وأنتجت، وساهمت في الفعل الثوري، اثناء ثورة التحرير.

ثم تناولنا نماذج متعددة ومختلفة، من النخبة السوسيولوجية الجزائرية، أثناء فترة الاستقلال الوطني، إلى غاية يومنا هذا، وتطرقنا إلى الإنتاج الفكري لهذه النخبة. سنتطرق في الفصل الموالي إلى النخبة السوسيولوجية العالمية، نتعرف على خصوصياته، أدوارها وممارساتها وأهدافها.

الفصل الرابع:

النخبة العاملة السوسولوجية

تمهيد:

بدأت السوسيولوجيا الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في ممارسة مهامها عام 1833م، وكانت أهدافا مرتبطة بأهداف السياسة الاستعمارية، الرامية على سلب الأمة الجزائرية هويتها وإحكام السيطرة عليها، ولقد ارتبطت المسيرة السوسيولوجية في الجزائر بعد الاستقلال بالتراث السوسيولوجي الفرنسي.

في هذا المبحث سنكشف عن طبيعة هذه السوسيولوجيا، وأهدافها وممارساتها، وماهي مخالفاتها على السوسيولوجيا الجزائرية بعد الاستقلال.

المبحث الأول: في ماهية النخبة العالمية السوسولوجية

المطلب الأول: السوسولوجيا الكولونيالية في الجزائر

1- مفهوم السوسولوجيا الكولونيالية في الجزائر:

نقصد بالسوسولوجيا الكولونيالية في الجزائر، تلك الدراسات والأعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية، والتي عملت على دراسة المجتمع الجزائري والتقيب في بنياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية...

والسوسولوجيا الكولونيالية تنقسم إلى نوعين "رسمي"، خطّط له أصحابه من وزارة الحربية، وكان هؤلاء الباحثون عبارة عن عساكر ومرترقة، جنّدوا لخدمة المشروع الكولونيالي. بالنسبة للنوع الثاني فيمكن تسميته بالسوسولوجيا المحايدة " Neutre"، ذات النزعة الأكاديمية والإنسانية⁽¹⁾.

2- تاريخ السوسولوجيا الكولونيالية في الجزائر:

بدأت السوسولوجيا الاستعمارية تمارس مهامها مع الجزائر عام 1833م، وهو تاريخ تشكيل لجنة الاستكشاف العلمية للجزائر، بإشراف وزارة الحرب الفرنسية.

لقد جاءت ضرورة تشكيل هذه اللجنة بعد المحاولات العديدة الفاشلة، للاستيلاء على بعض المناطق عن طريق القوة العسكرية، وكان يسود مخيلة الغازي الفرنسي للبلاد الجزائرية أنه في رحلة سياسية " فالجزائر لا وجود لها، إلا في مخيلة الغازي وعلى نحو أكثر ابتذالا، لا توجد إلا بوصفها قطرا تركيا جديرا بأن يُستولى عليه... ما كان يُعرف عن هذه الأرض الواقعة المغرب الأوسط تافه، لا يعتدّ به؛ فأولئك الذين استولوا عليها، كانوا على جهل مطبق بخصمهم...⁽²⁾ لكن ماذا وجدوا؟ " لقد فرضت المقاومات المسلحة، ومحاولات الأمير عبد القادر لبناء دولة حقيقية، وحركات المعارضة المتكررة، وضرورة الاستيلاء على فضاءات

1- جمال معتوق، " علم الإجماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا"، الطبعة الأولى، دون دار نشر، س 2006، ص 33.

2- فيليب لوكا وجون كلود فاتان، " جزائر الأنثروبولوجيين نقد السوسولوجيا الكولونيالية"، ترجمة: محمد يحياتن وبشير بولفران ووردة، لبنان، منشورات، الذكرى الأربعون للاستقلال، ص 07.

أكبر، تغيير التصور أو الرؤية، فالجيش الاستعماري بحاجة إلى معرفة الذي يحارب، ولهذا وطن نفسه على معرفة المناطق، التي أبدت مقاومة شديدة معرفة جمّة، حينئذ أخذت الدراسات الإثنوغرافية العسكرية، في التطور والتنامي وهي أمر إستراتيجي " (1).

قامت لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر، بوضع دليل إحصائي حول الجزائر كافة، إشتمل على سبعة عشر "17" مجلداً، وقسمت الجزائر بمقتضى النتائج المتوصل إليها، إلى ثلاث مقاطعات هي: الجزائر، قسنطينة، وهران؛ وهو الأمر الذي يوضّح بجلاء العلاقة الوطيدة بين علم الاجتماع والمصالح الاستعمارية؛ هكذا اقتنعت فرنسا أن القوة العسكرية وحدها، غير قادرة على الاستيلاء على الجزائر، وأنه خصم لا يستهان به، لذلك لابدّ من توظيف العلم لفهم قوة ترابط وتماسك أفرادها "، بعد مرور عقد من الزمن على نزول الجيوش، وبعد أن تمّ اختيار توسّع عسكري بعينه، أقدمت الحكومة على تحرّ واسع النطاق، وقد جمع معطيات في قرابة أربعين مجلداً بين 1844 و 1867، و اضطلع العسكريون بنصيبتهم في هذا التحري، وكان على رأسهم كاريس وبوليسي، وقد استدعيت التخصصات والعلوم كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبية والفيزيائية، والحفريات، لكي توفر نظرة أمنية ما أمكن عن الآخر، أي هذا العربي أو البربري، بما أنهم ينكرون عليه أي تسمية أخرى (2).

أما مرحلة السوسولوجية الاستعمارية الرسمية في الجزائر فكانت سنة 1958، وهذه الفترة مبهمّة لا نعرف عنها الكثير، كما يقول الباحث جمال معتوق، فالفترة الممتدة ما بين 1958 إلى غاية 1963 هي من الحلقات المفقودة التي لا نعرف عنها الكثير، خاصة من حيث الجانب الإداري المؤسّساتي ويرجع ذلك إلى (3):

1- أنّ المستعمر في هذه المرحلة كان شغله الشاغل، جمع المادة السوسولوجية وهذا خدمة للمشروع الكولونيالي، ولم يهّمه مثلاً إعداد أرشيف خاص بهذه الممارسة، كما يمكن

1- فيليب لوكا وجون كلود فاتان، " جزائر الأنثروبولوجيين نقد السوسولوجيا الكولونيالية "، المرجع السابق، ص 07.

2- نفس المرجع، ص 09

3- جمال معتوق، " علم الإجماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا "، المرجع سابق الذكر، ص 79.

القول بأنه في حالة وجود أرشيف، حول فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر، فإن المستعمر غداة الاستقلال عمل على إتلافه أو نهبه وسرقته، كما فعل مع باقي المصادر والأرشيف التاريخي للمجتمع.

2- الطلبة الجزائريون: والمتمثلين في الجيل الأول للسوسيولوجيين- لم يقوموا بدورهم التاريخي، والمتمثل في الكتابة حول المسيرة السوسيولوجية عندنا.

3- أهداف السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر:

كما أشرنا سابقا لقد ارتبط وجود السوسيولوجيا في الجزائر بوجود الاستعمار الفرنسي، ومن ثمّ " يعتبر علم الإجماع خلال المرحلة الكولونيالية، علم سخر لخدمة الأيديولوجيا الكولونيالية، وهذا على حساب الأهالي، كونه لم يكن في هذه الفترة مطلب جزائري، بل سلاحا في يد المستعمر وتقنية من بين تقنيات الكشف والتعرية لخبايا المجتمع الجزائري "(1).
لقد فشلت المحاولات الاستدمارية في تفكيك مختلف الروابط، التي جعلت من الجزائريين رجل واحد وقف كجدار صلب في وجه كبريات الدول الاستدمارية والقوى العظمى، فلم يجد بدّاً من الوصول إلى مبتغاه، إلا العلم كمصدر للحكم والنفوذ، نكتشف هذا من خلال ما صرح به ريني مونيي " R. . Maunier " في قوله: " إن لنا مصلحة نظرية وتطبيقية لنتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولاً لأنه من حقنا ومن واجبنا نحن الفرنسيين، أن نعرف ونفهم جميع الشعوب التي نحميها وندير شؤونها؛ ولا نتوقف أبداً عن القيام بالواجب نحوها.. وإنما في تنظيم الدراسات من غايات مادية وتطبيقية، باعتبار أن العلم مصدر للنفوذ والحكم " (2).

بالرغم من الصيغة المنشقة التي تجلت بها هذه الأسطر، إلا أن هذا الغطاء لم يستر كل ما أراده " مونيي "، أن الإيديولوجيا الاستدمارية للسوسيولوجيا في الجزائر، كانت واضحة

1- جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 81.

2- محمد نجيب بوطالب، " صورة العربي الآخر ناظر ومنظور إليه "، محنة المستقبل العربي، العدد 134، بيروت، لبنان، 1990، ص: 86.

كل الوضوح " ذلك أن المستعمر قد حاول أن يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية في الجزائر، وفق تطور الرأسمالية الأوروبية وتحقيقاً لأغراضها، وقد كان يملك الوسائل الكافية للقيام بهذه المهمة، بما في ذلك المعرفة السوسيولوجية، وقوة السلاح ومركز السلطة " والأمثلة كثيرة عن الخدمة النفيسة التي قدمتها السوسيولوجيا للمستعمر الفرنسي، حيث نجدها قد اخترقت جميع الفئات الاجتماعية، واستطاعت أن تتوصل إلى ما لم تقدم عليه الأسلحة؛ هكذا فقد مدّت المستعمر بمعلومات كان لن يصل إليها، لو اعتمد فقط على القوة، وهنا نذكر الخدمات التي قدّمها كل من: لوثورنو (le tourneaux) ورين (Rinn)، ودوما (Daumas)، ودونوفو (Deneuve) وهانوطو (Hanoteaux)، وكلهم وغيرهم من الذين كانوا في الصفوف الأولى في المسيرة الكولونiale " (1).

4- السوسيولوجيون الكولوناليون في الجزائر:

إن الذين كتبوا عن المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، كثيرون جداً، قسّمهم الأستاذ الدكتور جمال معتوق إلى مايلي⁽²⁾: النوع الأول: ويضمّ الفضوليين، وهم أناس لا علاقة لهم بعلم الإجماع أو العلوم الجماعية بشكل عام، كانت الكتابة عندهم بمثابة تسلية، أو تجنيداً، أو تطوّعا لخدمة المشروع الكولونالي، ومنهم أطباء سواح، تجّار، أناس بدون أية حرفة وغيرهم.

النوع الثاني: ويشمل العساكر (الجنود والضباط)، وخاصة الضباط من الرتب العليا، ومعظم كتاباتهم هي محاولة لتأكيد تفوق الغربي الفرنسي، على الجزائر البربري المتخلف؛ ويشكّل هذا النوع أكبر عدد من الذين كتبوا، حول مختلف المواضيع الاجتماعية، والثقافية والدينية في الجزائر، ونصّبوا أنفسهم بالمختصين في المسألة الجزائرية؛ وما يميز أغلب هذه الدراسات هو طغيان الذاتية والعنصرية، ونسبة قليلة منها ترقى إلى مستوى البحث العلمي.

1- جمال معتوق، المرجع لسابق الذكر، ص 37.

2- جمال معتوق، نفس المرجع، ص 35.

النوع الثالث: يمكن تقسيمه بدوره إلى ثلاث مجموعات:

(أ) - وتضم أصحاب الاتجاه الأكاديمي الذي كان مبتعدًا عن علم الاجتماع الرسمي الكولونيالي، واقرب إلى الخطاب الاستشراقيين ومن بين هؤلاء نجد: جون دريتز (Jean Dritz)، وشارل أندري جوليان (Charle André Julien)، وجاك بيرك (Jacques Berque) وغيرهم، الذين جعلوا من الجزائر حقلا لدراساتهم الميدانية، فأغلبيتهم قاموا بهذه الدراسات، في إطار إعداد بعض الشهادات الجامعية كالدكتوراه.

(ب) - المجموعة الثانية: وتضم الباحثين السوسيولوجيين، الذين كانوا دراساتهم إيديولوجية استعمارية، هدفت بكل الوسائل والطرق، إلى تزييف الحقائق، ونشر الأباطيل. (ج) - المجموعة الثالثة: وتضم كل الباحثين السوسيولوجيين ذوي الأبحاث العلمية الجادة في الجزائر.

ويمكن أن نجمل كل من ساهم في الكتابة السوسيولوجية، خلال الفترة الاستدمارية الفرنسية للجزائر في التالي:

- جنود، ضباط، رجال آداب، روائيون، رجال دين، فلاسفة، جغرافيون وغيرهم من التخصصات الأخرى، طلبة، باحثون، أطباء، بدون أي مهنة مجرد فضوليين... إلخ.

المطلب الثاني: دور ووظيفة النخبة السوسيولوجية:

ذكرنا في محث سابق أن النخبة المثقفة، هي طبقة اجتماعية بامتياز، وهي طبقة من المتفوقين في مجالاتهم، والقادرون على التأثير في مجتمعاتهم؛ ومنه فإن النخبة السوسيولوجية هي تلك الطبقة المثقفة، التي تقدم رؤية شاملة، تهدف إلى تغيير المجتمع، وهي التي تنزل إلى القاع الاجتماعي، وتكون لها القدرة على النقد، والمساءلة؛ بحيث يعتبر "محمد عابد الجابري" بأن المثقف يتحدد، بالدور الذي يقوم به في المجتمع كمشرع، ومعترض ومبشر بمشروع؛ أو على الأقل كصاحب رأي وقضية؛ لا بنوع علاقته بالفكر والثقافة. يعتقد الكاتب أن الوظيفة الجوهرية للمثقف، ما هي إلا صناعة المعرفة والنقد والتطوير؛ فالمثقف

يكون دائما على استعداد للتضحية من أجل قضية أو مشروع ما، وبالتالي يصبح المثقف يمتلك سلطة فوق السلط، فالتزام المثقف أو العالم لا يتجلى مطلقا في تقديم الدروس للآخرين، باسم مبادئ وشعارات وأيديولوجيات معدة سلفا، بل يتجلى بالرجة الأولى، في تقديم أسلحة النقد، ولهذا يقول "محمود أمين العالم": " بأنه لا سبيل للمثقفين غير الإنخراط في النضال السياسي، بالإنغراس في رحم المجتمع المدني، وتجسيد المثقف الجماعي؛ وهذه المهام التغييرية لن تكون بدون شرط النقد والمساءلة.

المثقف ملتحم بال جماهير، مناضل عن آمال الطبقات الكادحة، يضحى بحياته من أجل فكرة، وإن إعمال الفكر النقدي، وخلخلة الجاهز من الطروح، وهدم اليقينيّات واعتماد الشك المنهجي، ومساءلة الواقع، والمراهنة الدائمة على تغييره، في الاتجاه الذي يخدم مصالح الذين هم تحت⁽¹⁾. وعليه، كان على النخبة المثقفة السوسيولوجية الإنتاج المستمر للسؤال، ومواجهة المجتمع السوسيولوجي بالأخص بالحقيقة، التي ما فتئ يخفيها إلا أنها تظهر للعيان بشكل واضح؛ فدورها هذا هو أن تزيل هذه الحواجز، فالكثير لا يتقبل الأفكار التي ينادي بها هؤلاء، والسبب في ذلك هو ظهور كما يشير " جون بول سارتر"² إلى أن العدو المباشر الألد للمثقف هو المثقف المزيف، الذي يعمل على ترسيخ أفكارا وقيما واهية، تزرع ثقة الجمهور بهذه الفئة، والذي يزعم أنه من النخبة التي تدفع المجتمع لا تضره.

1- جمال معنوق، المرجع لسابق الذكر، ص 177.

المبحث الثاني: دور المشتغلين بالسوسيولوجيا والصعوبات التي يواجهونها

إن الهدف الرئيسي لكل نشاط بحث هو في حقيقة الأمر، هو محاولة لإعطاء أجوبة لكل الاستفهامات والأسئلة الواقعة فيه. ولا يختلف البحث السوسيولوجي عن البحث العلمي؛ فالأول هو جزء من الثاني الذي هو أعمّ وأشمل؛ لهذا فإن البحث السوسيولوجي متخصص، في كونه يبحث في الإطار السوسيولوجي، ومن هنا فإن القائمين به يختصون في توجهاتهم البحثية، في دائرة كل ما هو اجتماعي.

المطلب الأول: البحث السوسيولوجي:

أ- ما هو البحث السوسيولوجي ؟

يقدم البحث السوسيولوجي للمجتمع فوائد تتطلب العناية الكافية، منها الخدمات التي تساعد على فهم جزء من مشاكله الأساسية، استنادا إلى معارف ومبادئ تفسيرية نافعة⁽¹⁾. ويعرف بأنه عمليات بناء وتصنيف يستجيب لإثارة حافز من نوع خاص، ويشعرنا بذلك الفاصل أو نقص نملاؤه في حقل معارفنا، بين ما نعرفه وما يجب أن نرغب في معرفته عن الواقع⁽²⁾؛ والحقيقة أن البحث السوسيولوجي ليس كيمياء أو فيزياء، لا يمكن أن ينبع إلا من الواقع المحلي؛ على عكس العلوم الأخرى، التي تعيش عالة على التقدم الأجنبي والخارجي؛ فالطبيب أو عالم الطبيعة يستطيع أن ينقل التقدم العلمي، من وإلى مجتمع آخر، ويطبّقها على مريضه أو في معمله، دون أي خوف ولا يكلف نفسه اكتشاف النقائص الفكرية، ولكن كيف يستطيع علم الاجتماع أن يفعل ذلك؟⁽³⁾، ومنه فإن البحث السوسيولوجي، هو ذلك التّقصي للمعارف في علم الاجتماع، الموجّه لدراسة الواقع الاجتماعي.

1 - فتحة معتوق، " علاقة البحث بالنظرية السوسيولوجية في الجزائر "، مجلة البحوث السوسيولوجية، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع -، العدد 1، 2000، ص 21.

2 - أنور مقراني، مرجع سبق ذكره، ص 54.

3 - محمد بوراكي، " واقع وآفاق البحث السوسيولوجي "، مجلة البحوث السوسيولوجية، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع -، العدد 1، 2000، ص 185.

ب- أنواع البحوث السوسولوجية:

تختلف البحوث السوسولوجية حسب كل بحث، ونذكر منها:

1- بحوث حسب نوع البحث: وتنقسم إلى نوعين:

- بحث أساسي: وهو بحث يكون هدفه تطوير المعرفة العلمية، ويدور موضوعه حول المبادئ القاعدية التي تهدف، إلى تطوير المعارف المتعلقة بمجال ما من الصفر.
- بحث تطبيقي: هدفه الوصول إلى المعارف بهدف حل مشكلة عملية؛ حيث أن أغلب البحوث تكون من هذا النوع، فهو بحث يهدف إلى تقديم توضيحات، حول مشكلة ما بنية تطبيقها ميدانيا.

2- بحوث حسب المعطيات المتحصل عليها: وتنقسم إلى:

- بحوث كميّة: تقوم على جمع المعطيات، تتوفر فيها ميزة القياس.
- بحوث كميّة: تقوم على جمع المعطيات، غير قابلة للقياس.

3- بحوث حسب الفترة الزمنية: وتنقسم إلى:

- بحث متزامن: ويقوم على دراسة موضوع ما، في مدة زمنية محدّدة.
- بحث متعاقب: ويقوم على دراسة موضوع ما، خلال تطوره في مدّة زمنية متعاقبة.

4- بحوث حسب المجال الجغرافي: وتكون جهوية، محلية، وطنية، دولية وعالمية.

5- بحوث حسب موقع جمع المعطيات: وتنقسم إلى:

- بحث مقارن: يتمّ فيه مقارنة مجموعة من الأشخاص، بمجموعة أخرى أو أكثر.
- بحث مخبر: يجري في المكان المخصّص له، وهو المخبر مثلا.

- بحث يجري على الوثائق: ويستمد معلوماته من الوثائق.

6- بحوث حسب العناصر المنتقاة: ويتم على مجموعة من مفردات البحث

وينقسم إلى:

- بحث شامل: يهتم بدراسة كل أفراد مجتمع البحث.
- بحث بالمعينة: ويهتم بدراسة جزء من مجتمع البحث.

- بحث مونوغرافي: يهتم بدراسة وحدة واحدة من مجتمع البحث.
- 7- بحوث حسب ميدان التخصص: وتتقسم إلى¹:
- بحث تخصصي: والذي يجري في تخصص واحد.
- بحث متعدد التخصصات: يقوم به باحثون من تخصص أو أكثر حول نفس الموضوع، لكن لكل باحث البحث في جزئية اختصاصه.
- بحث متداخل التخصصات: يجري قصد ممارسة أو صياغة خطابين علميين بين عدة تخصصات.
- بحوث من حيث الهدف: وتتقسم إلى²:
- بحث وصفي: يهدف إلى تمثيل ظاهرة بكل تفاصيلها.
- بحث تصنيفي: يهدف إلى جمع وترتيب عدة ظواهر، وفقا لمقياس أو أكثر.
- بحث تفسيري: يهدف إلى إقامة علاقة بين الظواهر.
- بحث فهمي: يهدف إلى إدراك وفهم المعنى، الذي يعطيه الأفراد لتصرفاتهم.
- البحوث الميكروسوسولوجيا، غياب البحوث الماكروسوسولوجيا، غياب البحوث النظرية، بحوث تفتقر للعلمية عندنا.

المطلب الثاني: الباحثون في السوسولوجيا:

تضمّ هذه الفئة كل الأفراد الفاعلين في المجال السوسولوجي، لأن هؤلاء كلهم معنيين بقضية البحث، فلا نتصور سوسولوجيا من غير بحث، وعلى هذا الأساس فإنه لمعرفة حقيقة وفهم ظاهرة ما، لا يمكن هذا إلا بالبحث الميداني وفحص الواقع؛ ولا يمكن أن نتصور أيضا سوسولوجيا من غير سوسولوجيين؛ ومنه فإنه لكل عمل أو مهنة يقوم بها، والتي من خلالها يصبح هدفه واضحا، وهي مهنة علم الاجتماع من جهة، وعالم الاجتماع من جهة أخرى.

أ- مهنة علم الاجتماع⁽¹⁾:

إن لعلم الاجتماع مهنة، حيث سنتطرق إلى طبيعة علم الاجتماع كمهنة اجتماعية، يقوم بها المتخصصون، والباحثون في هذا العلم؛ والذي يمكن معالجته كما يلي:

1- التدريس: بدأت الجامعات الأمريكية تدرّس علم الاجتماع في عام 1876، وفي فرنسا عام 1889، وفي إنجلترا عام 1907، وفي بولندا والهند في أعقاب الحرب العالمية الأولى، والمكسيك عام 1925، وفي السويد عام 1937. ثم انتشر بعد ذلك في جميع أو معظم دول العالم المتقدّم أو النامي. ففي بلدان العالم العربي ابتداءً تدرّس هذا العلم في ابتداء 1-مصر: على ثلاث مراحل:

ففي المرحلة الأولى: وهي فترة الخمسينيات من القرن الماضي، والتي سبقت ثورة يوليو، وهي فترة تأسيسية بالنسبة لعلم الاجتماع في مصر؛ وتركت حتى بصمتها على مستقبل التخصص، وعلى دوره في الحياة الاجتماعية في الوطن العربي.

وتجلّت في الإنتاج المعرفي المعرفي، الذي صدر في هذه الفترة مثلاً كتاب " نيقولا حداد" تحت عنوان: " علم الاجتماع سنة 1924"، والذي يعتبر أول عنوان يحمل تأليفاً في المكتبة العربية.

هذه الفترة تركت أثراً واضحاً، حيث يقول المؤرخ السوسيولوجي " محمد أمزيان " في هذا الصدد: " عندما دخلت النظريات الاجتماعية إلى عالمنا الإسلامي، نقلت هذا الصراع (بين ما هو ديني و ما هو علمي). ونقلت كذلك كإرث التاريخي والحضاري والفكري؛ وبدأت الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي، والإسلامي لتعكس مثيلاتها في الغرب.

-الفترة الثانية: يمكن تحديدها في تطور علم الاجتماع في مصر، في فترة أوائل الستينيات، أي فترة ما بعد ثورة جويلية، وهنا تركزت فيه أقدام علم الاجتماع في المؤسسات الجامعية والعلمية الأخرى.

1 - محمد إبراهيم عبد المجيد، المرجع السابق الذكر، ص 23.

-أما الفترة الثالثة: فترة ما بعد السبعينيات، حيث شهدت تحولات هامة في المجتمع المصري، وفي هذه الفترة التي أعقبت نكسة 1967، وتأثيرها على البحث، والتوجه إلى القرية المصرية والريف؛ والذي كان محتفظا بهويته، لأنه في ذلك الحين، لم يطرأ عليه التغير والتحديث؛ وعكست الرسائل المنجزة في تلك الفترة.

وقد قام الدكتور سالم محمود بدراسة تقنية، للدراسات والبحوث، التي أجريت في تلك الفترة، ما بين 1970 و1980، وصنّفها بحسب القضايا التي تركّزت عليها إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي: 1- قضايا التغيير الإجتماعي، 2- قضايا التنمية والمشكلات الإجتماعية، 3- قضايا علم الإجتماع السياسي⁽¹⁾.

1- نشأة علم الإجتماع في الأردن/ قسم علم الإجتماع: هو أحد الأقسام الرئيسية في كلية الآداب، في الجامعة الأردنية، تأسس مع تأسيس الكلية؛ ويعتبر هذا القسم الأقدم في الجامعات الأردنية. ويدرس الملتحقون في هذا العلم، موضوعات مختلفة ذات علاقة بالمجتمع الأردني والعربي، أهمها: الأسرة، المرأة والسياسة والاقتصاد، والتواصل الاجتماعي، والتنمية الاجتماعية، والديمقراطية والتنظيم. Arts.ju.edu.jo/ar/arabic. تاريخ التصفح: 2017/05/31 على الساعة 10.50

2- نشأة علم الإجتماع بسوريا:

2- التدريب: بدأ المتخصصون فيه القيام بمهام التدريب، على إجراء البحوث الاجتماعية، وإعداد الباحثين المتخصصين في هذا المجال.

3- البحوث: تنطوي أهمية علم الاجتماع ومهام المتخصصين في هذا العلم، في تطبيق الدراسات الميدانية وإجرائها، في المجتمع ومؤسساته وتنظيماته المختلفة.

1- جمال معتوق، المرجع لسابق الذكر، ص 177.

وعليه يجب أن يردّ الاعتبار إلى البعد العملي في الممارسة، من حيث هي موضوع المعرفة، باعتبار أن علم الاجتماع صار علم الاجتماع للفعل، أكثر منه علم الاجتماع للدراسة.

ب- مهنة عالم الاجتماع (السوسيولوجي):

على عالم الاجتماع تقادي النزعة النبئية، أي التحوّل إلى نبي سوسيولوجي، يعني الاعتقاد في إيجاد حلول لمشكلات اجتماعية، وهي ليست بالضرورة سوسيولوجية. إن العديد من المسائل التي يجب على عالم الاجتماع دراستها، مفروضة عليه من الخارج، إذ نلجأ إلى عالم الاجتماع على أمل أن يحلّ المشكلات الاجتماعية، مثل الجنوح والإدمان على الخمر، ومشكلة الضواحي والمهاجرين وكذلك التهميش⁽¹⁾.

ولكن هذه المشكلات ليست بمواضيع سوسيولوجية، وفي هذا الصدد إذا قبل عالم الاجتماع أن يفرض عليه موضوعه، يخشى أن يقوم بدراسات تحوّله إلى مختص في المشكلات الاجتماعية، وذلك بإعطاء دور يجعله في الواقع، رهانا لصراعات سياسية خاصة؛ وأنه يعطي شبه ضمانة علمية للأعوان الاجتماعيين، الذين لهم مصلحة في تحويل ظاهرة إلى مشكلة اجتماعية، وكذلك الحال بالنسبة لتمهين Professionnalisation علم الاجتماع⁽²⁾.

حيث أصبح علماء الاجتماع تابعين لطالبي الدراسات السوسيولوجية، والمكوّنين أساسا من المؤسسات الخاصة أو العمومية، وبالخصوص من هيئات الدولة. وبالتالي على علماء الاجتماع تقادي عقبة الخضوع للطلب الاجتماعي، خشية أن يتحولوا إلى أشياء³.

1 - Pierre Bourdieu, Avec J.C. Passeron, Jean Claude Chamboredon, Jean-Claude Passeron, **Le Métier De Sociologue**, Bordas, Mouton, 1968, p 42.

2 - Ibid, p 43.

يقول في هذا السياق " بورديو": "على كل عالم اجتماع أن يحارب في نفسه، النبي الاجتماعي الذي طلبه منه جمهوره أن يتقمّصه"

إن علم الاجتماع النبوي يجد بطبيعة الحال، المنطق الذي يبني الحس المشترك وفقه تفسيراته، عندما يكتفي بإعطاء الصبغة المنهجية بصفة خاطئة ومزيفة، لأجوبة عالم الاجتماع التلقائي لأسئلة وجودية، تعترض التجربة المشتركة في شكل مبعثر (1). وانطلاقاً من كل التفسيرات السهلة والتفسيرات بالسهولة، ومن خلال الصيغ البسيطة هي التي تعطي بانتظام، من قبل علماء الاجتماع النبويين، الذين يجدون في ظواهر عادية ومألوفة، مثل التلفزيون المبدأ التفسيري لتحويلات كونية" (2).

عالم الاجتماع تعترضه صعوبة، في إحداث القطيعة مع الحس المشترك، فهو ذاته محدداً اجتماعياً.

تكمّن صعوبة الخصوصية في اندماجه الاجتماعي، فلكونه عضواً في المجتمع، فهو لا يفلت من ضغوطات وحتميات المجتمع. ولكي يتفادى أن يطبع خطابه العلمي، بمقترحات نابغة بصفة لا شعورية، من خصوصيات موقعه الاجتماعي، لا بدّ أن يكون عالماً اجتماعياً يقظاً جداً. هذه اليقظة تسمح له بالانفلات من "المركزية الطبقيّة" " Ethnocentrisme De Classe"، بمعنى من النزعة اللاشعورية إلى الحكم على كل فرد أو جماعة، طبقاً لقيم وقواعد وسلوكات الجماعة (الطبقة الاجتماعية)، التي ينتمي إليها(3).

وعلى عالم الاجتماع أن لا ينسى، أنه حسب الموقع الاجتماعي الملاحظ؛ فإن بعض مظاهر الواقع تدرك وكأنها مهمّة، وبعض المظاهر الأخرى هامشية أو ثانوية، وأخرى لا تُدرك بتاتا.

1 - Pierre Bourdieu, **Op.Cit**, p 43.

2 - **Ibid**, p 43.

3 - **Ibid**, p 44.

لعالم الاجتماع خصوصية وهو أن مواضيعه، حقولا للصراعات " Champs de Luites " ليس فقط صراع الطبقات⁽¹⁾، وإنما كذلك حقل الصراعات العلمية. وعالم الاجتماع يشغل مكانة في هذه الصراعات، لأنه أولا: يملك نوعا من رأس المال الاقتصادي والثقافي في حقل الطبقات، ويوصفه أيضا باحث له رأسمال خصوصي في حقل الإنتاج الثقافي، وبالخصوص في الحقل الفرعي لعلم الاجتماع. كل هذا لابد أن يكون حاضرا عنده، حتى يستطيع التحكم في كل ممارسته⁽²⁾.

بورديو والمنهجية الابستيمولوجية تطبع كتابات بورديو روحا نقدية عميقة ونفسا فلسفيا واضحا؛ منطق النظري هو نظرية المجال حيث يدرس الظاهرة الاجتماعية، باعتبارها بضاعة يتم تداولها داخل مجال معين له قوانينه الداخلية، والتنافسية، والزبائية؛ فالظاهرة هنا موضوع تنافس ومحط صراع، حول السلطة والنفوذ ومن حيث البعد الكرونولوجي، يأتي بورديو من الجيل الذي تلى جيل سارتر، وريمون أرون، وليفي ستروس، وجيل بورديو هو الجيل الذي أتى لكي يحدث القطيعة مع الوجودية السارتيرية، أو الفينيمونولوجيا على طريقة سارتر، ويتحول الى الإبيستيمولوجيا وفلسفة المصطلح والعلوم الانسانية. ولكي نفهم عقلية هذا الجيل المسيطر في الساحة الفرنسية وخصوصا بورديو؛ يلزم ان نأخذ بعين الاعتبار وجود تيارين عريضين، كانا قد سيطرا على الساحة الثقافية الفرنسية طيلة الاربعين عاما، هما التيار الوجودي ممثلا في جون بول سارتر وماركو بونتي، وهذا التيار كان معجبا بالبحث عن المعنى، معنى الظواهر والوجود، وكان منغمسا في السياسة، وكانت تلك هي الفترة التي ازدهرت فيها فلسفة الذات والحرية والالتزام والثورة. ثم التيار الآخر وهو التيار الابستيمولوجي، الذي يمثله في فرنسا غاستون باشلار والكسندر كوبري، وخليفتهما جورج كانغليم، الذين ركزوا على أهمية المصطلح، والمفهوم والعقلانية، وفلسفة العلوم، أو ما يسمى بشكل عام بالمنهجية الابستيمولوجية.

1 - **Ibid**, p 44.

2- Pierre Bourdieu, **op.cit.**, p 45.

وكان بيير بورديو كميثيل فوكو، قد أحس بالحاجة إلى الانخراط في المنهجية الإبيستيمولوجية، واعتناق الروح العلمية الجديدة بشكل كامل، وذلك بعد أن سقط في نظره الخطاب الفلسفي العمومي والتقليدي، السائد في السربون، وكذلك موقفه من السوسيولوجيات الكلاسيكية (فيير دوركايم ماركس)، على اعتبار أن نظريات هؤلاء المفكرين الكبار، تبدو متناقضة أو متضادة فيما بينها، إضافة إلى كونها انتجت تشويهات قسرية، هزّت أركان العلم الاجتماعي⁽¹⁾.

لهذا السبب انضم بورديو انضماما كاملا، إلى المنهجية الإبيستيمولوجية، واعتناقها خصوصا الفكر العقلاني المطلق، لذلك لا بد من إطلالة في هذا المدخل على إبيستيمولوجيات باشلار، باعتبارها الإبيستيمولوجيا التي استجد بها بورديو في قراءته لتاريخ علم الاجتماع.

المطلب الثالث: الصعوبات التي يواجهها كل من البحث والباحث السوسيولوجي:

1- عناصر البحث السوسيولوجي⁽²⁾:

إن البحث العلمي والبحث السوسيولوجي يفترض عناصر أربعة:

أولا- هدف يعترف به المجتمع، ويقتنع به الجهاز الحكومي.

ثانيا- أداة علمية تستطيع أن تسعى لتحقيق هذا الهدف.

ثالثا- قيادة علمية أو سلطة علمية، تكون مسؤولة عن البحث.

رابعا- إدارة تسمح بخلق قنوات التجانس والاتصال، بين الجهاز الحكومي والقيادة

العلمية، هذا إلى جانب ذلك الذي يوصف بأنه الأداة العلمية.

1- بيير بورديو، **مسائل في علم الاجتماع**، ترجمة هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة - كلمة -، 1975، ص 62-63.

2- محمد بوراكي، **مرجع سبق ذكره**، ص 188.

2- صعوبات البحث العلمي:

من المعروف أن الصعوبات التي تواجهه، البحث السوسولوجي تواجهه الباحث السوسولوجي، وعليه فإن هذه الصعوبات يمكن ذكرها بالشكل التالي:

يشير التفسير "إلى الجهد العلمي المنفق، بغرض الكشف عن أسباب حدوث الظاهرة، وما يتطلبه ذلك من تحديد للارتباطات المختلفة، بين جملة المتغيرات والعلاقات التي تشكّل الظاهرة"؛ فهو يسعى للوصول إلى القانون أو جملة القوانين، الموضوعية القائمة بين متغيرات الظاهرة، قيد البحث والدراسة⁽¹⁾. حيث يرتبط التفسير في علم الاجتماع بالفهم الذي نادى به فيبر، بحيث لا يمكن تحقيق الفهم دون تفسير، وعليه فإن فهم الظاهرة وتفسيرها ليس بالأمر الهين.

ففي ما يخص علم الاجتماع مثلا، أدت خصوصية الواقعة الاجتماعية، وتعدّد سيرورة تطوراتها، بالباحثين إلى مواجهة عدة صعوبات، عند التعامل مع بعض المفاهيم والقضايا المحورية؛ مثل: مفهوم السببية، ومفهوم الحتمية، ومفهوم القانون؛ بالإضافة إلى مشكلات خاصة أخرى، مثل ما يتعلق بمسألة النتائج، وإلى غير ذلك من الأمور التي تكشف، عن صعوبة التحليل والتفسير في هذا الميدان⁽²⁾.

3- صعوبات التأويل:

يقصد بالتأويل "الإتيان باعتبارات جديدة انطلاقا مما توحى به النتائج"⁽³⁾، والنتائج الصحيحة تفرض عدم الوقوف، عند الحدود الخادعة والواهية، التي يُقيّمها انطباعنا ومخيّلتنا عنها، لأن معتقداتنا وآرائنا التي نكوّنونها باستمرار حولها، تقف حائلا أمام رؤية أكثر شمولية وصدقية لها. لهذا لا يجب الإفراط في التفاؤل والتحمّس، إلى أن تقنيات البحث الميداني

1 - نورالدين زمام، "معضلات التفسير السوسولوجي"، نشر أعمال الملتقى الوطني حول علم الإجماع وعلم الاجتماع في الجزائر، أية علاقات؟ وهران أيام 4-5-6 ماي 2004. نقلا عن: عبد القادر لقعج، "علم الاجتماع والمجتمع في

الجزائر"، الجزائر، ب ط، دار القصبة للنشر، 2004، ص 227.

2 - موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 427.

3 - نورالدين زمام، نفس المرجع، ص 228.

باستطاعتها أن تقرر اليقين لما يمكن أن نعطيه من تفسير (1)؛ ومنه فإن الصعوبات البحث في التأويل العشوائي، الذي نعطيه لتفسيراتنا حول الظاهرة، دون التأكد من ذلك. يتطلب التأويل تفسير الوقائع بصدق، مع مقتضيات الحال الاجتماعي، كي لا نقع في الخطأ، وأيضاً يتطلب مراعاة خصوصية هذا الحال. وفي هذا الصدد يدعو السوسيولوجي الجزائري العياشي عنصر، جميع الباحثين في حقل العلوم الاجتماعية، للمساهمة في بعث نقاش فكري، حول مكانة ودور هذه العلوم الاجتماعية، في ضوء الخصوصية التي تطبع مجتمعاتنا، باعتبارها نتاجاً لسيرونة تاريخية وثقافية متميزة (2). وسيقع في خطأ التأويل عندما سنستنتج من المعطيات، أشياء لا تدل عليها عندما نعمل على تأييد، ما هو مؤكد داخل الرؤية النظرية لظاهرة ما، فإننا سنحاول أولاً التحقق من صدقها وصحتها (3).

4- صعوبات البحث المتعلقة بتكوين الباحثين:

فالباحث الذي يقع في خلط منهجي، بين مسائل فكرية، وفلسفية، وتاريخية، وثقافية، واجتماعية، ودينية، ومطابقتها الواحدة على الأخرى، دون احتراز ولا حذر، من أن لكل منها موضوعها الخاص وأدواتها المنهجية، في التعليل والتصديق، ومفهوماتها الأصلية التي لا يمكن الممازجة بينها، في وضع معرفي معيّن، مع مفهومات من جنس معرفي مختلف (4)، ممّا يجعل من هذا الباحث ضعيف الرصيد المعرفي والمنهجي، وبالتالي يؤثر على طريقة معالجته للظواهر، وهذا كله متعلق وراجع لطبيعة تكوين المتلقي.

5- صعوبة تناول الظاهرة الاجتماعية:

ترتبط هذه الصعوبة بطبيعة الواقعة الاجتماعية ذاتها، من حيث عنصر التعقيد هذا من جهة؛ فالظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة معقدة متشابكة العناصر، حيث أن كل عنصر

1 - موريس أنجريس، نفس المرجع، ص 428.

2 - أنور مقراني، المرجع سابق الذكر، ص 128.

3 - موريس أنجريس، المرجع سابق الذكر، ص 429.

4 - أنور مقراني، نفس المرجع، ص 129.

يتداخل مع الآخر، ولا يمكن عزل كل عنصر لوحده لدراسته بطريقة دقيقة، بل يدرس الكل المتساند؛ ومن جهة أخرى ترتبط بطبيعة الواقعة ذاتها، ذات الارتباط الشديد بالإنسان، ممّا يعني صعوبة وجود انتظامات دائمة وثابتة للظواهر الاجتماعية، وبالتالي صعوبة التقيد بالمنهج العلمي، وكذا صعوبة بناء أطر تصورية عامة ومتفق عليها، تساعد في إدراك الوقائع، وتسهّل مهمّة تحليل وتفسير ارتباطاتها وعلاقات تفسيرها (1).

6- صعوبة إيجاد مسافة بين الباحث والمبحوث (2):

يصعب على الباحث: "الإنسان" و"المواطن" و"العضو" في المجتمع، أن يتناول الواقع المبحوث: أي "أسرته" أو "حكومته" أو "مجتمعه"، من دون أن يكون واعياً تماماً بالمسافة الواجب احترامها، حتى لا يتأثر التشخيص أو التفسير بذاتيته. إذا نعني بهذه المسألة مشكلة الموضوعية، وما يثار حولها من قضايا أخرى، مثل قضية الأيديولوجية والمذهبية، وإلى غير ذلك من الأمور التي تحدّ من مسعى العلوم الاجتماعية، لترقى نتائج أبحاثها إلى درجة القوانين العلمية.

7- صورة الباحث لدى الجمهور:

على الباحث عند جمعه معلومات حول بحثه، أن يعتمد على وجود مفردات بحث، والتي غالباً ما تكون من الأفراد أو الجماعات؛ فهذا الجمهور الذي أصبح من الصعب التعامل معه، بالنظر إلى الكمّ الهائل من البحوث، أدّى إلى نفور عدد كبير من المبحوثين منها؛ فالبعض أصبح يعمل على تحاشيها، والبعض الآخر يشك في قيمتها، والبعض يرى أنها تدخل في خصوصيات حياتهم الخاصة، ممّا أعطى صورة مشوّشة حول الباحثين والبحث.

1 - نورالدين زمام، "معضلات التفسير السوسولوجي"، مرجع سبق ذكره، ص 232.

2 - نور الدين زمام، المرجع سابق الذكر، ص 234.

الباحث السوسيولوجي أيضا يتخوف منه الجمهور، لأنه يكشف أسرار الناس عند القيام بالبحث الإمبريقي خاصة، فيتخوفون منه، لأنه يستعمل أدوات بحث تعري ما يخبؤونه، يشكون في نواياه، ويعتبرونه في أحيان كثيرة مزعجا، وبحثه لا فائدة منه....

المبحث الثالث: نماذج من المواقف الخاصة بالنخبة السوسولوجية

المطلب الأول: النخبة السوسولوجية حسب بيير بورديو⁽¹⁾ (1930-2002):

يستلهم مفهوم مهنة السوسولوجي الذي صاغه عالم الاجتماع الفرنسي الموسوعي " بيير بورديو "؛ حيث لم يلزم نفسه بالانشغال بالنظريات الكبرى في علم الاجتماع، ولم يدّع أنه بوسعه أن ينزل تلك النظريات التي أنشأها علماء اجتماع كبار، من المستوى الذهني الخالص، إلى مستوى الواقع الاجتماعي المتنافر. حيث يرى بورديو أن عالم الاجتماع مهنته شبيهة بمهنة المدرب الرياضي ذي المستوى العالي، فإنه يعمل بواسطة إرشادات عملية، وهو في ذلك شبيه جدا بالمدرّب الذي يملئ حركة بالإيماء، أو بواسطة تصحيحات مضافة إلى الممارسة"، لو كنت في مكانك لفعلت هذا وهذا".

يرى بورديو أنه يجب على الباحث السوسولوجي، أن يتسلّح باليقظة السوسولوجية، التي تأتي من التراث السوسولوجي المخزن، في أحد فروع السوسولوجيا، ألا وهو "سوسولوجيا المعرفة ومنطق الخطأ"⁽²⁾، حيث اعتبر أن اليقظة عند الباحث السوسولوجي بمثابة ملكة، تفرض عليه نوعا من التفتح الذهني نحو الظاهرة.

1 - بيير بورديو هو باحث في العلوم الاجتماعية، غزير الإنتاج، وهو مؤلف لأكثر من 35 مؤلفا، وأربع مائة (400) مقالة، ظهرت في العديد من اللغات، أسس وأدار جريدة **Actes de la Recherches en Sciences Sociales** وسلسلة كتب **Le Sens Commun**، لمدة تتجاوز خمسة وعشرين عاما، أسس سنة 1996 دار نشر جديدة هي **Raison D'Agir** استمرت بعد وفاته، تغطي أعمال بورديو التجريبية مجموعة كبيرة من الموضوعات، بدءا من اتنوغرافية الفلاحين في الجزائر، إلى التحليل السوسولوجي لفناني القرن التاسع عشر، وأنماط الزواج في إقليم بيرا (مسقط رأسه) والجامعات الحديثة، واللغات والأذواق الاستهلاكية والثقافية، وتحليل الطبقة والسياسة، وأسباب البؤس وسط البجوحة في المجتمع الفرنسي الحديث، صنّف عمله الأكثر شهرة **Distinction**، سادس أهم عمل سوسولوجي في القرن العشرين، أمّا عمله **The Logic of Practice** فصنّف في المرتبة الأربعين عالميا.

أدار بورديو مراكز علمية بحثية، في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية وكوليج دو فرانس، ويعدّ بورديو مؤسس مدرسة حقيقية في علم الاجتماع، هي الأهم في فرنسا منذ إميل دوركهايم.

قدّم بورديو أيضا أسلوبا نظريا فاعلا لدراسة الثقافة، وجعلها في مكان محوري في علم الاجتماع المعاصر:

أنظر: مؤلف جون سكوت، "**خمسون عالما اجتماعيا أساسيا**"، ترجمة: محمود محمد حلمي، الطبعة الثانية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013، ص ص 120-121.

2 - جون سكوت، **مرجع سبق ذكره**، ص 118.

وليكون البحث السوسيولوجي جيدا، يجب أن يحقّ شرطا أساسيا، هو التطابق بين النماذج النظرية والظاهرة الاجتماعية المراد تناولها. فالباحث لا يستجيب فقط لما ينتظره المجتمع من معرفة، بل يستجيب لرغبته العلمية، التي تدفع به للقيام بالبحث؛ فكثير من البحوث تعلقت برغبة صاحبها نحو إنجازها؛ ومن هنا تكون لديه مهنته الخاصة. يرى "بورديو" أنه كلما تقدّم العلم الاجتماعي وذاع وانتشر، فإن مهمة علماء الاجتماع ستكون بالغة الأهمية والصعوبة في آن واحد⁽¹⁾، وتتمثل مهنته في ما يلي: "عليه أن يدرك أن إنتاج المعرفة السوسيولوجية، هو مهمة تاريخية وتفكيرية موكلة له؛ وأن تكون لديه القدرة على نقل وإبداع الوسائل الممكنة، لمواجهة تقلبات وزيف الوقائع، التي أصبحت تكتسب فعلا قدرة على التخفي، في صور ظواهر نحسبها سليمة؛ وتوجّه في المقابل الباحث نحو وقائع ساذجة، أو على مستوى بسيط من الأهمية، يحسبه إنجازا كشافيا لا سابق له.

يقول "بورديو" أن دورنا كباحثين سوسيولوجيين، هو استتطاق المجتمع والاستماع إليه، وليس الحديث باسمه دون أن يعني ذلك، أن يحرم أهل العلم من التعبير، ونترك الكلمة لغيرهم، كما هو سائد في بعض الشؤون الأخرى⁽²⁾.

كما لا يكون من فعل الباحث السوسيولوجي وهم بناء الوقائع الساذجة، بسبب جهله في تطبيق أساسيات هذا العلم، سواء على مستوى ترشيد العقل والأفكار، أو على مستوى معرفة حال الواقع الاجتماعي؛ وإنما قد تكون قراءته للتراث السوسيولوجي، الذي تعتبر فيه النظرية

جون سكوت هو: أستاذ علم الاجتماع في جامعة ايسيكس الأميركية، عمل في السابق أستاذا بجامعة ليسيستر وهو متخصص في علم الاجتماع الاقتصادي والنظرية الاجتماعية، كان مديرا لمعهد فورشونغ وأستاذا للفلسفة في جامعة فرانكفورت، كما أصبح في تتضمن أحدث مؤلفاته: -

-Power Polity Press, 2001 ; Sociology with James Fulcher, 3nr Ed. Oxford Univesity Press,2007 ; and Social Theory ; Central Issues in Sociology Sage 2006. للاستزادة أنظر كتاب : جون سكوت، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون ، ترجمة : محمود محمد حلمي، بيروت لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013.

1 - بيير بورديو، مسائل في علم الاجتماع، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة - كلمة-، 2011، ص62.

2 - بيير بورديو، نفس المرجع، ص 62.

الاجتماعية ركنا أساسيا، لا يستطيع أي منا الاستغناء عنه؛ هو قد يجري محاولات التفكير في الظاهرة، نحو البحث عن إعادة نمذجة للواقع، وفق القالب النظري الذي تمّ تبنيه في البحث. وأن يمتلك معرفة معمّقة بأشراط الوجود، حيث يكون الأفراد، نتاج لتأثيرات اجتماعية لها علاقة بالبحث (1).

على عالم الاجتماع النفاذ إلى مجاله، كي يتمكّن من معرفة ما يعرفه الفاعلون في الماضي، وما ينبغي أن يعرفوه حتى يواصلوا أنشطتهم اليومية؛ فالمفاهيم التي يستنبطها علماء الاجتماع، عن خطاب الحياة اليومية هي من صنف ثانٍ، يجب أن تنقل أطر المعنى التي يستعملها الفاعلون، لأجل توجيه تصرفاتهم، كما أنها عبارة عن فئات تأويلية، تفترض بدورها جهد ترجمة وإعادة ترجمة.

يجب أن يخرج عالم الاجتماع من السجن الأكاديمي، الذي عزل فيه نفسه بين قاعات التدريس الجامعي، وجعل الموضوعات الاجتماعية صنما أكاديميا خالصا، ينأى بنفسه عن اهتمامات المجتمع، وتحوّله من مفكر لعصره ومجتمعه، إلى ملقي خطاب هزيل، قد لا يسمعه طالب يجلس في آخر الصف (2).

فإذا كان لعالم الاجتماع دور فهو يتمثل، في أنه يزوّد بأسلحة بدلا من إلقاء محاضرات، وفي هذا السياق يقول بورديو "... لقد جنّت لأشارك في تفكير، وأحاول أن أزود أولئك الذين لديهم تجربة عملية، في عدد معيّن من المشاكل التربوية، بالأدوات التي يقترحها البحث من أجل تأويلها وفهمها، إذا كان خطابي مخيبا للآمال، فهذا لا يعني أنني أتذذ بالإحباط، إذ إن معرفة الواقع تقود إلى الواقعية..." (3).

1 - Pierre Bourdieu, **La Misère du Monde** Paris, Le Seuil, 1993, p 918.

2 - بيير بورديو، مسائل في علم الاجتماع، **مرجع سبق ذكره**، ص 154.

3 - **نفس المرجع**، ص 155.

ففي نظر بورديو أن أحد إغراءات مهنة عالم الاجتماع، هو ما أطلق عليه علماء الاجتماع أنفسهم بالنزعة السوسيولوجية " Sociologisme "؛ بمعنى أن النزعة لتحويل قوانين أو شرائع تاريخية إلى قوانين أزلية⁽¹⁾.

أخيراً، يرى بورديو أن ممارسة علم الاجتماع " تحليل سوسيولوجي "، حيث يقوم عالم الاجتماع بالاقتراب من اللاوعي الاجتماعي " للمجتمع، تماماً كما هو الحال بالنسبة إلى المحلل النفسي، عند اقترابه من لا وعي المريض، ويتكون اللاوعي الاجتماعي من المصالح غير المحددة التي يتبعها الفاعلون، عند مشاركتهم في النظام الاجتماعي⁽²⁾.

أرادت سوسيولوجيا بيير بورديو أن تكوّن منها سوسيولوجيا للكشف عن المستور: فهو حسب كلماته ذاتها ذاك الذي " يبيع الفتيل "، ولهذا الوضع عواقب: فإذا كانت السوسيولوجيا تكشف وتميط اللثام، فإنها سوف تزعج الماسكين بزمام النظام، وكما يقول "بورديو" على سبيل المثال، من خلال تبيان أن الوسط العلمي هو أيضاً مجالاً للمنافسة، في ما بين المراكز المهنية والمختبرات، فإن السوسيولوجي يعارض هذا العالم الصغير⁽³⁾، وخطر منطق مثل هذا، يتمثل في تجميد السوسيولوجي، وتحنيطه في وضع بطولي.

كان " بيير بورديو " يردّد دائماً بأن علماء الاجتماع، هم أشبه ما يكونون بمشاغبين، يفسدون على الناس حفلاتهم التنكّرية، فعلماء الاجتماع يزعجون فعلاً، كما يؤكد " ألان توران ".

يتقاطع هذا الفكر (البورديوي) مع ما ذهب إليه عالم السوسيولوجيا الفرنسي الآخر " ألان تورين "، والذي كتب يقول " السوسيولوجي لا يجب سجنه داخل أفكاره، في مخبر أو داخل قاعة محاضرة...، بل يجب أن يتحرّك بدديناميكية فاعلة، داخل بنى وأنساق المجتمع في المؤسسات المجتمعية.

1 - نفس المرجع، ص 156.

2 - جون سكوت، المرجع سابق الذكر، ص 118.

3 - بيير بورديو، مرجع سبق ذكره، ص 31.

طوّر بدوره "بورديو" في البناء النظري والتأكيد التجريبي⁽¹⁾، باستغلاله البحوث الإحصائية وقياسات الرأي، والحوارات الجيدة، ونصوص الأبحاث، وسجلات المؤسسات، والملاحظات حول سير الحياة؛ لإعطاء تصوّر لسوسيولوجية علمية؛ وأوضح هذه الأفكار في كتابه " مهنة عالم الاجتماع " المؤلف بشراكة سنة 1968 مع " كلود شامبورديون " (2) و " ج.ك. باسرون " (3).

شدّد " بورديو " في آخر عقد من حياته، على ضرورة تحليل عالم الاجتماع عمله وخطابه، ونشاطه تحليلا انعكاسيا (ذاتيا)؛ بعبارة أخرى، عليه أن يستعمل اكتشافات علمه، ليغربل دوره، وليكشف العوامل الناتجة، عن تاريخه الشخصي وتطلّعه؛ والتي قد تؤثر على ممارساته العلمية وتشوّش رؤيته للمجتمع، دون أن يعي. ولذلك أصبح التحليل الانعكاسي، في نظر "بورديو"، شرطا لكلّ عمل نزيه وموضوعي، في مجال العلوم الاجتماعية.

نستنتج ممّا سبق أن المهمة التي حددها بيير بورديو للسوسيولوجيا، باعتبارها آخر العلوم في المجيء، هي علم نقدي ينقد نفسه وينتقد العلوم الأخرى، وينتقد السلطات بما فيها سلطات العلم؛ إنها علم يعمل على معرفة قوانين إنتاج العمل، وهو يزودنا بوسائل السيطرة، بل ربما يزودنا بوسائل السيطرة... " (بيير بورديو، 1975: 67).

1 - **نفس المرجع**، ص33.

2 - كلود شومبورديون هو: عالم اجتماع فرنسي ولد سنة 1938، كتب مؤلفا يصنف في خانة المنهجية العلمية بالدرجة الأولى، تحت عنوان: مهنة السوسيولوجي وذلك عام 1967، ترجم أيضا كلاسيكيات اللغة السوسيولوجية ، وذلك تحت عنوان: اللغة والطبقات الاجتماعية سنة 1956. مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: [https:// fr.wikipedia .org/wiki/ Jean_Claude_Chamboredon](https://fr.wikipedia.org/wiki/Jean_Claude_Chamboredon)، دخول الموقع بتاريخ: 2018/04/14، على الساعة 16سا.45.

3 - جان كلود باسرون هو عالم اجتماع وابستيمولوجي فرنسي، ولد في 11/09/1930 بنيس الفرنسية، وهو مدير الدراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، وأين كان عضوا في وحدة مزدوجة مع المركز الوطني للبحوث الاجتماعية الفرنسي ذاو طابع متعدد التخصصات تحت مسمى " علم الاجتماع، تاريخ الديناميكيات التاريخية "؛ يشرف أيضا على مجلة Enquettes ."

المطلب الثاني: النخبة السوسيولوجية حسب عالم الاجتماع الفرنسي ألان تورين (1925م)¹:

عالم الاجتماع بالنسبة لـ "تورين" أن يكون ملتزماً وليس براغماتياً حيث يقول: "الإنسان السوسيولوجي لا تقوده مصلحته"⁽¹⁾، ولكن ما ينتظر منه من هنا، يتضح تأكيد ألان توران على أن مهمّة عالم الاجتماع، هو النضال من أجل التغيير، ومساعدة الفاعلين على التحرر من ضغوطات النظام الاجتماعي الإلزامي، والإكراهي على نشاطهم؛ ويؤكد أيضاً على مساعدة المجتمعات على الفعل "Action"، وعلى صنع تاريخها في غنى عن المصالح والإغراءات الشخصية.

نلمح من ألان تورين نزوع إنساني، بفضل انتقاده للمتقنين والسوسيولوجيين، الذين ساهموا في فرض سيطرة الفكر على الفاعلين، بدون مساعدتهم على مقاومة النظام، يقول تورين: "أنا مثل الآخرين معجب بمتقني البلد، عندما يبتكرون ممارسات بحثية جديدة، وعندما يمسون بجوانب خبيثة في حياة المجتمع، كما يفعل "شتروس" و"فوكو"...، ولكن إذا لم يكن لنا دور آخر، من الأفضل للمرء أن يهاجر، عن أن يكون مقلداً ومفسّراً... لماذا نكون نحن علماء اجتماع، إذا لم يكن من أجل مساعدة المجتمعات على الفعل، وعلى صنع تاريخها، بدلاً من أن ننساق إلى الاغتراب والخضوع واللاوعي"⁽²⁾.

1 - ألان تورين Alain Touraine: هو من أهم علماء الاجتماع المعاصرين، عمل باحثاً في المجلس الوطني للبحوث الفرنسية حتى سنة 1958، أسس مركز دراسات علم الاجتماع العمل في جامعة تشيلي سنة 1960، وأصبح باحثاً في إيكل "إيتوديس" في العلوم في باريس، اشتهر بتطويره مفهوم مجتمع ما بعد الصناعي، اهتم بدراسة الحركات الاجتماعية، حصل سنة 1998 على جائزة "أمالفي" Amalfi، الأوروبية لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية، له عدة مؤلفات من بينها: "نقد الحداثة" وذلك سنة 1998، ومؤلف "براديجم جديد: من أجل فهم عالم اليوم" نشر سنة 2005. مستخرج من الموقع الإلكتروني: ألان توران <https://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ تصفح الموقع: 2016/09/10 - 09 سا - 35 د.

2- ميشيل فوكو هو فيلسوف فرنسي ولد عام ألف وتسع مائة وستة وعشرون "1926" بفرنسا، وتوفي عام ألف وتسع مائة وأربعة وثمانون "1984"، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين؛ تأثر بالبنويين، ودرس وحلّل تاريخ الجنون في كتابه تاريخ الجنون، وعالج مواضيع مثل الإجرام، والعقوبات، والممارسات الأخلاقية في السجن؛ وابتكر

واستخلاصا لإسهامات " تورين " " سوسيولوجيا " أنه صاغ لبراديجم " Paradigme " قوي، حاول من خلاله إبعاد الكثير من السوسيولوجيين، ونخبة باحثيهم، الذين يستهدفون الحصول على مصالحهم الذاتية، نتيجة للإغراءات الأيديولوجية، فالإنسان السوسيولوجي لا تقوده مصلحته ولكن ما يتوقع منه (1).

وفي مؤلفه " **Pour La Sociologie** "، صنّف " تورين " السوسيولوجيون، انطلاقا من طبيعة النظام الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، فهناك سوسيولوجيو التنظيمات، وسوسيولوجيو المؤسسات السياسية وتاريخانية الطبقات؛ بعبارة أخرى، يصنّفهم على حسب أمزجتهم، فبعض السوسيولوجيين يفضلون الغوص في عمق الحياة الاجتماعية، أين نجد فعلا العلاقات والنزاعات (2)، ويصبح عالم الاجتماع أكثر ميلا لكونه معالجا نفسيا، وإن يكن عاملا مع عملاء جماعيين، ممّا يسمح لهؤلاء العملاء، أن يحققوا توضيحا ذاتيا، يمكنهم من متابعة تحقيق مشروعاتهم، وأهدافهم بطريقة أكثر نفعاً.

مصطلح أركيولوجية المعرفة؛ أرخ للجنس أيضا، من حب الغلمان عند اليونان، وصولا إلى معالجاته الجدلية المعاصرة؛ كما في تاريخ الجنسانية. من مؤلفاته:

-المرض العقلي وعلم النفس.

-تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي سنة 1961.

-ولادة العيادة عام 1963.

-الكلمات والأشياء عام 1966.

-حفريات المعرفة عام 1969.

-نظام الخطاب في سنة 1970.

-المراقبة والمعاقبة عام 1975.

- تاريخ الجنسانية في ثلاثة أجزاء عام 1984.

- إرادة المعرفة.

-استعمال المتعة.

- هوس الذات.

مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي <http://sar.wikipedia.org/wiki> تاريخ التصفح: 2017/04/11، على الساعة

22.50د.

1 - Alain Touraine, **Le Retour de L'Acteur** Paris, Fayard. 1984, p 97.

2 - Alain Touraine, **Pour La Sociologie** ,Edition le Seuil, Paris, 1974, p 43..

فندريب علماء الاجتماع وتطوير مهاراتهم البحثية، ووضعهم الخارجي (في ما يتعلق بحركة معينة)، يسمح لهم بمعرفة الجوانب الداخلية للحركات، التي قد لا تكون ظاهرة لمن في داخلها، كما يمكنهم أن يزودوا هذا التحليل للمسؤولين الداخليين (داخل الحركة)، في محاولة لجعل نتائجهم أدق، في إطار المناقشات الداخلية للحركة ذاتها.

تظل التدخلية السوسولوجية محلّ تساؤل من عدة أوجه، لكن تعتبر أمراً جديراً بالاهتمام، لأنها واحدة من المحاولات القليلة للغاية في علم الاجتماع المعاصر، وقدمها منظرٌ معاصر رئيسي، لتناول ما هو النوع الذي يمكن، للدور السياسي العلمي لعالم الاجتماع، أن يؤديه في النضالات السياسية الحالية؛ وماهي الفائدة من مهارات الباحثين السوسولوجيين ومعرفتهم؛ يقترح "تورين" هنا شيئاً مهماً جداً، وهو أكثر من دور "المنقّف العام" الذي يعتمد بعض معاصريه إلى تقاديه (1).

فنظرة ألان تورين لوظيفة السوسولوجي ودوره السياسي والإجتماعي، أثارت سجالاتاً كبيراً بين زملائه علماء الاجتماع المعاصرين كميشيل فوكو² مثلاً؛ فلا يجب الغلق على السوسولوجيين داخل غيتوهات، أي داخل أفكارهم النقدية البناءة، مثل الغلق على المجانين، لأن تفكيرهم يخالف النظام العام للمجتمع، فالسوسولوجي عمله يتطلب مجهوداً دائماً، لتحويل أو تغيير جهاز مفاهيمي معيّن، يشلّ نسق العلاقات الاجتماعية، وإمكانية التحليل النقدي، للطبقات وللقيم والخطابات، بالممارسة السوسولوجية الميدانية (2).

حاول ألان تورين الإمساك بالتحديات المستحدثة، التي تحولت إلى رهانات ثقافية: "العلاقات اللامساوية بين الرجال والنساء، حماية الطبيعة وصيانة الهويات المحلية، التربية اللامحددة، بواسطة المردودية والفعالية.

هذه الرهانات يعترف بها، من قبل الفاعلين الذين انظموا، في حركات أو منظمات اجتماعية؛ هذه الحركات الاجتماعية المتوسطة والجديدة، من فئة الأجراء.

1 - جون سكوت، المرجع سابق الذكر، ص 143.

2 - Alain Touraine, Op.cit., p.45.

قد نعثر على هذه النظرية العامة للهيمنة (نموذج ' براديغم)، التي هي في طور التشكل في المجتمعات المعاصرة، على طموح نظري، في بناء مشروعية جديدة للطبقات، أو الشرائح المتوسطة، للبحث عن مشروع مضاد للمجتمع، فالأزمة الاقتصادية، البطالة، والتفكيك للقواعد الرأسمالية التقليدية، في عصر العولمة، تكبح المطالب العمالية الجديدة. لكن طبيعة ومحتوى النقاش، حول رهانات المستقبل، يجب أن يضعها في الحسبان؛ أما يعلن بذلك، نهاية الصراعات الطبقيّة التقليدية، وبروز حركات اجتماعية حديثة. وفي الأخير، يصبح الأمر نفسه على ألان تورين ونظرية المنهج الفعولي عنده، والتي تجد القليل من يناصرها في الواقع، من حيث تطبيقاتها الميدانية أو الحقلية.

المطلب الثالث : النخبة السوسيولوجية حسب السوسيولوجي الأمريكي ألفين غولدر
W Alvin .Gouldner (1920-1980) (1):

لم نجد ما نبدأ به حول فكر " ألفين غولدر " عن السوسيولوجيا والسوسيولوجيين، أبلغ من هذه الفقرة الصغيرة، أخذناها من مؤلفه الضخم والرائع " الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي "، حيث كتب يقول: " لا يعدّ علماء الاجتماع على استعداد أكثر من البشر الآخرين، لإلقاء نظرة متأنية على ممارستهم، وليسوا على استعداد، أو ليسوا راغبين أو قادرين أكثر من

1 - ألفين غولدر: هو عالم اجتماع أمريكي، أسهم في العديد من مجالات الفكر السوسيولوجي، كتاباته الأولى كانت في علم الاجتماع الصناعي، متأثراً بأستاذه في جامعة كولومبيا "روبرت ميرتون" ، الذي أكد على أهمية الحفاظ على مستوى تجريبي، بدلا من القيام بنوع من التنظيم المبالغ فيه، والذي عرف به " تالكوت بارسونز" كثيرا، عمل غولدر دراسة بعنوان " معيار التآزر " الذي نشره عام 1960، وهي من أعظم الدراسات العلمية التي قام بها، لأنها كانت أول تفسير وتلخيص، لكيفية استخدام مفهوم التآزر في التحليل السوسيولوجي و الأنثروبولوجي؛ بعد سنة 1962 توجه غولدر نحو النقد الاجتماعي وتطوير علم الاجتماع المنعكس، ثم ألف كتابا مهماً في عام 1970 تحت عنوان " الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي "، ومؤلف آخر صدر سنة وفاته عام 1980 وهو " الثنائية الماركسية " ، للإستزادة **أنظر** : مؤلف جون سكوت ، " **خمسون و عالما اجتماعيا أساسيا** "، ترجمة: محمود محمد حلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013، ص ص 260-262.

الآخرين أيضا، على أن يخبروا عما يفعلونه فعلا، وأن يميزوا ذلك تماما عما ينبغي أن يفعلوه، حيث تخنق المجاملة المهنية حبّ الاستطلاع الفكري...." (1).

أراد "غولدر" أن تكون سوسولوجيته وينعتها " بسوسولوجية التأمل"، ثمرة التطور الفكري لعلم اجتماع العلم والمهن، واختلاطه بالمنظورات الشاملة لعلم الاجتماع المعرفة القديم.

ومع ذلك يحدّد "غولدر" ما يريده علماء الاجتماع، أنه أهمّ من علم الاجتماع التأملي، وذلك في تحويل انتباه هذه النخبة السوسولوجية، نحو التغلغل بعمق في عملها وحياتها اليومية، لكي تثريهما بمعان جديدة، ولكي يرفع الوعي، عالم الاجتماع هذا لمستوى تاريخي جديد.

وبقدر نجاح علم الاجتماع التأملي في ذلك، ولكي يحقق نجاحا أكثر في هذا الإطار، فإنه قد يحتاج بالضرورة لأن يصبح علم اجتماع راديكالي، راديكالي لأنه يدرك أن المعرفة بالعالم لا يمكن أن تُقدّم، منفصلة عن معرفة عالم الاجتماع بذاته، وبوضعه في العالم الاجتماعي، أو منفصلة عن جهوده لتغييره (2). وهو راديكالي لأنه يسعى لمعرفة العالم المغترب المحيط بعالم الاجتماع، وبالمثل تغييره. وبنفس القدر تغيير العالم المغترب بداخله وهو راديكالي، لأنه قد قبل حقيقة أن جذور علم الاجتماع، قد تسرّبت داخل عالم الاجتماع بصفته إنسانا كليّا، ومن ثم فإنّ المسألة التي ينبغي عليه أن يواجهها، لا تتعلّق بكيف يعيش (3).

ويرى "ألفين غولدر" أنه ممكن تجاوز علم الاجتماع الحالي، بألية علم الاجتماع التأملي، من خلال النخبة السوسولوجية، التي يجب أن تعمّق فهمها لذواتها السوسولوجية،

1 - ألفين غولدر، الأزمة القادمة في علم الاجتماع الغربي، ترجمة: علي ليلة، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، 2004، ص 712.

2 - ألفين غولدر، المرجع سلبق الذكر، ص 713.

3 - نفس المرجع، ص 713.

ووضعها في العالم⁽¹⁾ ؛ ومن خلال إنتاج سلالة جديدة لعلماء الاجتماع أيضا، الذين يستطيعون فهم البشر الآخرين في عوالمهم الاجتماعية بصورة أفضل⁽²⁾.

يشرح أيضا في مؤلفه بخصوصه ورقة علماء اجتماع آخرين، أنه لا يجب أن يخلطوا بين الإجابة الأخلاقية والإجابة الامبريقية، وهم في الغالبية يفضلون الإجابة الأخلاقية.

ويجب أن يتوقف علماء الاجتماع، عن أن يلعبوا أدوارهم بصفتهم يفكرون، بالنظر إلى الذات والموضوعات، أو بصفتهم علماء الاجتماع، الذين يدرسون و"العامّة" الذين يدرسون؛ بصفتهم سلالتين متميزتين من البشر، ولكن توجد سلالة واحدة من البشر، والنظر إليهم بصفتهم علماء اجتماع إخوة، وهذا في تصوير " غولدر " علم الاجتماع المنعكس⁽³⁾، حيث يصبح علم الاجتماع وعيا ذاتيا بمجموعة فرضياته، عن العالم وعن المعرفة والحقيقة؛ وانتقد " غولدر " الوظيفيين⁽⁴⁾ لعدم كونهم انعكاسيين بما فيه الكفاية، بخصوص فرضياتهم المكتوبة حول النظام الاجتماعي، وأهمية معيار التآزر في الإسهام في هذا النظام⁽⁵⁾.

وقدّم " غولدر " برنامجا لعلم الاجتماع المنعكس أو التأملي، بأن احتوى عدة أبعاد نذكر منها⁽⁶⁾:

أ- إجراء البحوث يعدّ شرطا ضروريا فقط، ولكنه غير كاف لإنضاج المشروع السوسولوجي.

ب- يتمثل الهدف النهائي لعلم الاجتماع التأملي، في تعميق الوعي الذاتي لعالم الاجتماع، من هو وماهيته، في مجتمع محدود في أي زمان بعينه، وكيف يؤثر كل من دوره الاجتماعي وممارسته الشخصية، على عمله بصفته عالم اجتماع.

1 - نفس المرجع، ص 713.

2 - نفس المرجع، ص 714.

3 - نفس المرجع، ص 713.

4 - جون سكوت، المرجع سابق الذكر، ص 258.

5 - نفس المرجع، ص 259.

6 - ألفين غولدر، نفس المرجع، ص 719.

ج- إن عمله يسعى لتعميق الوعي الذاتي لعالم الاجتماع، وبالمثل قدرته على إنتاج كمّ من المعرفة الصادقة، حول العلم الاجتماعي للآخرين (1).

د- ومن ثمّ لا يحتاج علم الاجتماع التأملي، إلى قدر من المعرفة الصادقة والموثوق بها، فقط فيما يتعلق بعالم علم الاجتماع، ولا إلى منهجية أو مجموعة من المهارات الفنية فقط لإنتاج هذه المعرفة؛ ولكنه يحتاج أيضا إلى التزام قوي، بقيمة ذلك الوعي الذي يعبر عن نفسه، من خلال كل مراحل العمل؛ وبالمثل الترتيبات والمهارات الإضافية، التي تساعد ذات عالم الاجتماع، على قبول المعرفة العدائية (2). ويقصد هنا " غولدنر " بالمعرفة العدائية أو المعادية، الذي يجب على علم الاجتماع التأملي أن يستوعبها: هي كل القوى الاجتماعية الموجودة، معادية للمثل العليا لعلم الاجتماع، وفي نفس الوقت، فإنه يعرف كذلك، أن معظم هذا القوى ليست في الغالب مخاطر خارجية، وذلك لأنها تنتج تأثيرها الأقوى، حين تتحالف مع الاستعدادات والمصالح المهنية، الداخلية بالنسبة لعلماء الاجتماع أنفسهم (3).

يكون علم الاجتماع التأملي على وعي كامل، بأن علم الاجتماع قد تمّ تشويبه بعمق، لأن عالم الاجتماع هو الطرف الذي يرغب في ذلك، وفي الوقت الذي يريده، وبذلك يفضل علم الاجتماع التأملي السذاجة البادية، في " البحث عن الروح " على السوقية الحقيقية " لبيع الروح " (4).

ما نستخلصه من تصور " غولدنر " لعلم الإجماع المنعكس أو التأملي، أنه يصبح علم الاجتماع وعيا ذاتيا، بمجموعة فرضيات عن العالم وعن المعرفة والحقيقة. وعلم الاجتماع التأملي يصبح متشائما بشكل مفرط، لأنه يكشف " اللامتناهي السيء - عند " هيغل" -، ليس هناك نظرية تحيا بمثاليات انعكاسية، والنقد يصبح نكوصا لا متناهيا للنقد نفسه.

1 - ألفين غولدنر، نفس المرجع، ص 719.

2 - نفس المرجع، ص 719.

3 - ألفن غولدنر، المرجع سابق الذكر، ص 725.

4 - نفس المرجع، ص. 725.

علم الاجتماع التأملي ينكر إمكانية، قيام علم الاجتماع " المتحرر من القيم " (1) من إتجاهين، وفي نفس الوقت يدرك مخاطر علم الاجتماع الملتمزم قيماً، أكثر من إدراك مكاسبه.

"فغولدر" لاحظ بتجربته العلمية والإبستمولوجية العميقة، أن البشر قد يرفضون المعرفة التي قد تتناقض، مع الأشياء التي يقدرونها؛ وهو يدرك أن القيم العليا للبشر، ليست أقل من دوافعهم الأساسية، قد تمارس الكذب عليهم؛ " فغولدر " يفضل مخاطر الالتزام القيمي، التي تنتهي إلى الإنحراف أو التشويه عن البدء به، كما يفعل علم الاجتماع العقدي " Dogmatique "، أو علم الاجتماع الجاف " المتحرر من القيم " (2).

قد تمّ شرح وعرض نظرية " غولدر " بخصوص هذه الفكرة في مبحث سابق. في رأينا إن نقد النظرية الاجتماعية، يتطلب إحداث تغيير جذري على تنظيمها الاجتماعي، حتى تؤدي دورها الحقيقي في التغيير. " الحسيني، 1985، ص 206". وإذا أسقطنا هذه الإشكالية على السوسيولوجيا التعليمية الجامعية الجزائرية، فهي الآن في وضع حرج يصعب من مهمتها، في فهم سيرورة المجتمع وتحولاته، فهي لا تتابع عن قرب ما يحصل في المجتمع وتحولاته، فمنهجها التأملي الغالب فيها حالياً (3). فقد وجدت السوسيولوجيا التعليمية نفسها، غير قادرة على فهم انزياح المجتمع نحو الوضعية الحالية.

1 - وهذا ما عارضه بشدة، عندما وقعت أشهر حادثة في جامعة واشنطن، عندما هاجم " غولدر " أحد طلابه الخريجين، وهو " لويد همفريز " وسبّب له إصابات أودعته المستشفى، وكان يقوم بأبحاث حول الجنس السري، في الحجرات العامة المزودة بالمراحيض بين البالغين الذكور، أو المسماة " حرفة غرفة الشاي "، وهو عنوان كتاب "همفريز " عبر أداء دور " المراقب " إلى الاقتراب من الحدث بقدر الإمكان، من أجل جمع المادة العلمية، وكان هذا الجانب من المنهجية الذي أغضب غولدر بشدة، لأن همفريز قام بتخطيط منهجي أعثّر مهارياً، لكنه غير أخلاقي بالمرّة، وواجهه بعنف، وانتقل بعدها " غولدر " إلى الدنمارك، وتمّ إغلاق قسم علم الاجتماع بجامعة واشنطن.

للإستزادة أنظر المرجع: جون سكوت، " خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً "، مرجع سبق ذكره، ص 258.

2 - ألفين غولدر، المرجع السابق الذكر، ص 725.

3 - سعيد عيادي، المرجع السابق الذكر، ص 296.

ففي اعتقادنا عندما نتحرر، من دورها الأساسي والمركزي القائم بدرجة كبيرة على النشاط النظري دون غيره، أي أنها بارتكازها التعليمي الجامعي، تكون قد تخلت عن الدور الأساس، وهو اعتماد طريق البحث والدراسة والتحليل.

فالسوسيولوجيا اليوم ملزمة بمغادرة مقاعد وقاعات ومخابر الجامعات، حتى لا تفقد أكثر من رصيدها المعرفي والتحليلي، الذي كرسه أجيال علم الاجتماع عبر سنوات وعقود، تزامنت بقوة مع نشوء وتطور الدولة الجزائرية المعاصرة، في ظروف سياسية دولية خاصة.

فالسنوات الماضية كشفت لنا عن ظاهرة الإرهاب، والقوى والحركات المحلية والدولية المرتبطة بمدى الصعوبة التي تجدها النخبة السوسيولوجية الجزائرية؛ فهي مازالت لم تصل بعد إلى درجة الإحاطة والإطلاع والتمكن، من فهم عوامل والآليات، تشكّل هذه الظاهرة محليا، وتفكيك الأصول المشكّلة لها، وماذا يمكن أن تلحقه من ضرر، بمختلف مكونات النسيج الاجتماعي الجزائري.

لاحظنا أيضا أن هذه النخبة، قد وجدت صعوبات مرّة أخرى، في تتبّع كفاءات وتبلور ونشوء، حركات محلية واجتماعية وفكرية، ودينية، تتبنى المسلك العقائدي والسياسي، لفكر الجماعات الإرهابية.

مرة ثانية، نذكر انه ونحن بصدد إعداد هذا البحث، وبحثا عن مراجع علمية أكاديمية، تناولت مثلا العشرية السوداء أو " المأساة الوطنية "، التي مرينا بها سنوات التسعينيات من القرن الماضي، لم نعثر على أية دراسة موضوعية أكاديمية علمية، اللهم إلا بعض الإنتاج في شكل مقالات صحفية، أو مداخلات أو محاضرات، ألقيت من طرف الأساتذة المشتغلين بعلم الاجتماع، تناولت ظاهرة " الإرهاب " لكن ضمنا وبأسلوب مستتر، أو توصيفات في سياقات التطرق إلى موضوع معيّن، ليس له علاقة مباشرة مع هذه الظاهرة، أو نجده عنوانا فرعيا، لا يظهر حتى في فهرس المؤلف، أو في خطة " المحاضرة "، ومؤلف واحد في شكل كتاب للسوسيولوجي الجزائري للياس بوكراع تحت عنوان: " الرعب المقدّس ".

كان يجب أن تكون النخبة السوسولوجية في الطليعة النخبوية، بما يُمليه عليها دورها المعرفي - الابداعي بالدرجة الأولى، وبتقديم اقتراحات وأفكار وتوجيهات ناجعة وناجحة، وعلى المديين المتوسط والبعيد، بتشخيص الظاهرة (إيجاد خلفيات النزاع، تاريخيته)، كما يشخص الطبيب المريض، لإيجاد العلاج له، وهذا تشبيه أحد السوسولوجيين الفرنسيين فيما يجره نحوها من فضاء قلقه السوسولوجي العام.

المطلب الرابع: النخبة السوسيولوجية حسب عالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران
Edgar Morin (1921)⁽¹⁾:

نقد " موران " وتفكيكه لمقولات العقل العلمي الحديث: ركزت كتابات " عالم الاجتماع الفرنسي " في فلسفة السوسيولوجيا، على إشكالية التعقيد ونقد مقولات الهيمنة، حيث يقرّ في سياق قراءته للحقل الاستيمولوجي والعلمي والمنهجي المعاصر، بهيمنة منظومة التبسيط أنطولوجيا، ومنطقيًا، وإستيمولوجيا، وأنثروبو-اجتماعيا. ويسلّط الضوء على المنظمة العلمية، كيف تأسست على كيانات مغلقة، مثل الماهية والهوية والسببية، والفصل الجذري بين الذات والموضوع⁽²⁾.

فمن الناحية المنطقية اتجهت هذه المنظومة، نحو تأسيس منطق توازني، موجّه نحو الحفاظ على توازن الخطاب، عن طريق طرد التناقض والتهيه.

أمّا من الناحية الإستيمولوجية فقد لعبت منظومة التبسيط دوما، الدور التحقيقي أو الكابح، حيث ترفض قبول كل ما لا يروق لها منطقها الخاص قبوله، أمّا على المستوى الأنثروبو - اجتماعي والسياسي، فقد أسست هذه المنظومة للبراكسيس الغربي، الذي هو من جهة متمركز على ثقافته وعرقه وذاته، ما إن يتعلق الأمر بالذات؛ لأنه مؤسس على

1 - إدغار موران عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي ولد في باريس، يعرف نفسه بأنه بنائبي (بنائية)، قام بتأسيس مجلة " **Argument** "، بالفترة (1954-1962)، وقام بإصدار كتابه " **Autocritique** " في سنة 1959، وكان الكتاب يوضّح تمسكه ثم خروجه من الحزب الشيوعي، الذي انضم إليه عام 1941.

في سنة 1960 سافر " إدغار " إلى أمريكا اللاتينية، وزار عدّة بلدان منها، ثم عاد إلى فرنسا ونشر كتابه " **L'esprit du Temps** " من مؤلفاته: ثقافة أوروبا وبربريتها إلى أين يسير العالم.

مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: إدغار موران <https://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ تصفح الموقع: 2016/11/28 - 11 سا - 45 د.

آخر تعديل [عدل] للصفحة يوم: 27 أكتوبر 2016، الساعة 22 سا - 44 د.

الويكيبيديا مستورد من: منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية
<http://data.bnf.fr/12148/ob11926904>

آخر تعديل [عدل] للصفحة يوم: 12 فيفري 2016، الساعة 10 سا - 30 د.

2 - إدغار موران، **الفكر والمستقبل - مدخل إلى الفكر المركّب**، ترجمة: أحمد القصور ومنير الحجوجي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2004، ص 05.

(الإعجاب بالذات، الإنسان، الأمة، العرق، الفرد)؛ ومن جهة أخرى فهو تسخيري ويتسم بالبرودة الموضوعية ما إن يتعلق الأمر بالموضوع (1). تبني إبستيمولوجية إدغار موران على المفاهيم الأساسية التالية:

أ- المنطق بين الأحادية والحوارية، يبنى هذا الفهم على فكرة استحالة تأسيس العقل، على منطق أحادي تقليدي، لأن العلم المعاصر قد تجاوز أهم مبادئ هذا المنطق، والذي هو مبدأ الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع، بالإضافة أيضا، أن قبول التناقض وإدراجه ضمن حظيرة العلم، بصفته ميزة أساسية لظواهر الواقع، ولا ينبغي للعقل أن يتجاهلها، وبالتالي فالبحث الإبستيمولوجي القائم على، اختيار براديجم يفسر به ظواهر الواقع، يُفْتَضِي الانصياع لمنطق واحد يقوم عليه النموذج، لكن شذوذ بعض ظواهر هذا الواقع، لا يجبرنا أن ننتصر للبراديجم² ولمنطقه الأحادي (3)، وأن نعمل على إقصاء هذه الأجزاء من الواقع؛ وهنا نقع في المثالية يقول موران في هذا السياق: "... بأن نعتبر أفكارنا ومنطقنا وتصوراتنا هي نفسها الواقع، لا يتجاوز أن يكون زيفا وتناقضا ووهما، يجب تجاوزه، بل يجب أن نتجاوز منطق البراديجم نفسه، لننتقل إلى منطق آخر ...". (4).

وهكذا يعامل المنطق مع الواقع وفق حوار ديناميكي، يجعل من العقل بمنطقه يتتبع تعرجات وانعطافات الواقع، وذلك بأكثر من منطق.

1 - إدغار موران، المرجع سابق الذكر، ص ص 05-06.

2 - في فلسفة العلوم، استخدم توماس. س. كوهين (1922-1996) تعبير براديجم أو " النموذج " ليشير إلى نموذج تفسيري، ساد في الاختصاصات العلمية، مثال ذلك، الطب البيولوجي الذي يفسر الاضطرابات الفيزيائية، بأسباب فيزيولوجية، ويعالجها بطريقة عضوية (أدوية - عمليات جراحية). هو النموذج الذي سيطر على الطب الرسمي. ويعتبر توماس كوهين أن النماذج قد تتالت عبر التاريخ، مشكلة إطارا للفكر السائد وسط جماعة علمية، للاستزادة أنظر المرجع التالي: جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص 1077.

3 - إدغار موران، نحو براديجم جديد، ترجمة: يوسف تيبس، مجلة رؤى تربوية، العدد 29، ص 120.

4 - نفس المرجع، ص 120.

ب- العقل العلمي بين العقلانية والعقلنة: ما الفرق عند " إدغار موران " بين

العقلانية والعقلنة؟

يتمثل دور العقل في محاولة العقلانية إقامة حوار مع العالم الخارجي، ويحاول أن يطبق عليه مفاهيم وأنساق فكرية لها نوع من الاتساق، ويرى وكذلك إلى أي مدى يمكن، للواقع أو العالم أن يكون قابلاً للفهم، بناء على الإتساقية التي فرضها عليه، ومنه، فكل معرفة تستلزم حواراً لا يتوقف بين هذه العقلانية والعالم ... والواقع بالنسبة " لموران " يتجاوز ما هو عقلائي، لأن التفكير يقترح دوماً أنساقاً، لا تستطيع أن تحبس الواقع بداخلها والنتيجة أن الواقع يفلت منها باستمرار، بظهور معطيات جديدة تحثنا، على الإتيان بنظريات عقلية جديدة (1).

والعقل ما بعد الحدائي الذي تجاهل مركزيته، في عمليات صياغة المعرفة، حيث يضع نفسه في نفس مستوى الواقع؛ وبالتالي فعلية إنتاج معرفة تنجز، من جرّاء حوار أفقي متواصل، بين الواقع من جهة، والعقل من جهة أخرى؛ بينما طريقة العقل الحدائي، فهي ما أدت في الأخير إلى أن يقع العقل في علمية العقلنة؛ وهي وظيفة يتناولها موران وفق التصورات التالية: فيما يتعلّق بالعقلنة **Rationalisation** فإنها تظهر في اللحظة التي تعتمد فيها، منظومة الأفكار العقلية حسب الواقع بداخلها؛ بمعنى حياة حقيقة العالم أو الظاهرة المشاهدة، ومن هنا ينتهي إلى الاعتقاد، بأنها أكثر واقعية من الواقع نفسه، وهذا مرض يصيب الذكاء حيث يعتبر، اللحظة التي نأخذ فيها الفكرة على أنها الواقع، ولما يطرق الواقع بابها، ترفضه على أساس عدم الكفاءة (2)؛ فلا يجب حسب " موران " تهميش الواقع في عملية صياغة المعرفة، وهذا ما فعله "ديكارت" و"إيمانويل كانط"، للمعرفة ولليقين المعرفي اللذان تحدثا عنه، بخلاف "موران" الذي ينزع إلى أن كل معرفة، تحمل بداخلها خطر الخطأ والوهم، فلا يجب تحقير مشكل الخطأ أو تحقير مشكل الوهم.

1 - Edgar Morin, La Méthode, La vie de La vie, Edition Seuil, Paris, 2004, Tome 2, p. 387

2 - Ibid, p.388.

وهذا ما برز في الفكر ما بعد الحداثي، اعتبار الخطأ والوهم جزءان لا يتجزآن من الواقع، وهما من طرق تفكير العقل، وبالتالي فإن عملية الاختزال، والإقصاء، والتهميش للخطأ، هو بتر وتجاهل للحقيقة نفسها.

فالواقع الذي يتضمّن الخطأ والوهم، هو طابعه المعقّد الذي يشتمل على النظام والفوضى، والصواب والخطأ؛ فمع "مورين" نرى أن ما كان قبلها عند كانط قد صار بعديا تطوريا، حيث نراه يقول: " إذا تشكّل نظام وتنظيم العالم الخارجي في أذهاننا، فذلك لأنّ الذهن قد فرض على الرسائل التي تلقّاها، من الحواس قواعد، أشكاله، مناهجه، مقولاته القبلية، وأنّ هذه القواعد، الأشكال، المناهج، المقولات قد تشكلت بعد أن استخلصت من العالم الخارجي مبادئ نظامه وتنظيمه " (1).

فالعقلانية الحقّة مفتوحة بالطبيعة، هي حوار مع الواقع الذي يقاومها، يحب أن تعترف العقلانية بما هو انفعالي، يتعلق بالحب، بالتوبة؛ فالعقلانية الحقّة في تصور مورين هي التي لا تعرف حدودا للمنطق، للحتمية، لما هو ميكانيكي. أنها العقلانية التي تعرف أن الذهن الإنساني، لا يكون مشتملا لمعرفة ما يحتمله الواقع من أسرار (2).

ج- العقلانية بين الوحدة والكثرة، يشير موران إلى أن العقلانية ليست سمة، يتمتع بها عقول العلماء والتقنيين، وحُرّم منها غيرهم، إن العلماء الذريين عقلانيون في ميادين تخصصاتهم، ويمكن أن يكونوا لا عقلانيين في مجال السياسة أو في حياتهم الخاصة. وبالمثل فإنّ العقلانية ليست السمة التي تعدّ حكرا على الحضارة الغربية، حيث كان ينظر المفكرون من الغرب أن الأخطاء والأوهام، والتخلفات هي سمة ثقافة الآخرين، فيجب أن

1 - Edgar Morin, La Méthode, 3, La Connaissance de la Connaissance, Edition Seuil, Paris, 1986, p 221.

2 - سعيد عبد الفتاح، " نقد العقل العلمي الحداثي عند إدغار موران "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، سبتمبر 2016، ص 07.

نعرف أن هناك عقلانية في كمال الأدوات، خطط الصيد، معرفة النباتات والحيوانات، في نفس الوقت في الأسطورة، السحر والدين⁽¹⁾.

فالعقل ملكة قابلة لأن تستعمل بطرق مختلفة، إذن هناك العديد من عقلانيات ممكنة، وبوسع " إدغار موران " التأمل في مفهوم العقلنة: " العقلانية والعقلنة لهما نفس المصدر، لكن العقلنة تحصر الكون داخل نسق مجرد، بينما العقلانية الحقة، هي تلك التي تحاور ما هو غير قابل للعقلنة، تحاور اللايقين، غير القابل للتنبؤ، الفوضى، بذل حذفها وإزالتها " ⁽²⁾. فلا يمكن لعقلانية علمية مثلا، أن تصف العالم بنظامه وبفوضويته، ولكن هذا الوصف يمكن أن يتضافر مع العديد من العقلانيات، تعدد وجهات نظر مختلفة للعالم. فيمكن للباحث السوسيولوجي اليوم، الاشتغال على موضوع عقلنة العقلانيات الأخرى، التي قدّمت الدليل على خصوبة طرقها ووسائلها ⁽³⁾.

د - فكرة البراديغم بين التبسيط والتعقيد، يتميز البراديغم بأنه لا واعي، ولكنه يغذي التفكير الواعي ويشرف عليه؛ فالبراديغم يؤسس العلاقات الأساسية التي تكوّن البديهيّات، تحدّد التصورات، تحكم الخطابات و/أو النظريات، وأخيرا ينظّم فيها التنظيم ويولد فيها ما يتولد أو يعيد توليده من جديد ⁽⁴⁾.

مثال على البراديغم ما يعرف في تاريخ العالم بـ "براديغم الغرب الكبير"، الذي صاغه "ديكارت"، وهو قائم على الثنائية الديكارتية، التي تفصل بين الذات والموضوع، بأن يكون لكلّ محيطه الخاص.

ويمكن تلخيص الثنائيات المشكّلة للبراديغم الديكارتية في الجدول التالي ⁽⁵⁾:

1 - Edgar Morin, Les Septs savoir nécessaires de l'éducation, Du Futur, Seuil, UNESCO, 1999, p 08.

2 - سعيد عبد الفتاح، المرجع سابق الذكر، ص 07،

3 - نفس المرجع، ص 08.

4 - Ibid, p 09.

5 - سعيد عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره، ص 08،

جدول رقم 01:

الموضوع	الذات
جسم	نفس
مادة	روح
كم	كيف
سببية	غائية
عقل	عاطفة
حتمية	حرية
ماهية	وجود

في هذا الجدول، يتعلّق الأمر ببراديغم، هنا تحدّد التصورات السيدة (تلك التي تحتل العمود الأيسر من الجدول)، ويقرّر العلاقة المنطقية المتمثلة في الفصل؛ وهذا البراديغم يحدّد نظرة مزدوجة للعالم، يسيطر من خلالها ازدواجية لنفس العالم: فمن جهة عالم موضوعات يخضع للملاحظة، للتجريب، لتشغيل؛ ومن جهة أخرى، عالم ذوات، تطرح إشكاليات وجود، اتصال، وعي، مصير. هكذا فإنه يمكن للبراديغم في نفس الوقت أن يوضّح ويعمي، يوحي ويحجب. يوجد في أعماقه مشكلة مفتاحية للعبة الحقيقة والخطأ.

ففي مؤلفه "البراديغم المفقود" "Le Paradigme Perdu"، صارت فكرة التعقيد في صلب تأملاته، حيث اقترح مسيرة فكرية جديدة، تسهم في فهم تعقيدات الأمور الإنسانية، وهذا ما يوجب مواجهة العديد من التحديات، للباحث السوسولوجي، فيجب التفكير في:

- الترابط بين الذات والموضوع في المعرفة.

- الاستناد إلى عوامل مختلفة (بيولوجية، اقتصادية، ثقافية...)، هي عوامل تتحد في

كل ظاهرة اجتماعية.

- الروابط التي لا انحلال لها بين النظام والفوضى.

- الحدّ في ما يخص الفاعل.

حاول إدغار موران تطبيق خطوته، على الظواهر الإجتماعية العينية، مثل الاتحاد السوفييتي في مؤلفه (De La Nature de L'URSS, 1983) ⁽¹⁾. وخلص إلى رؤية تتعلق بعالم اجتماعي يتميز فيه النظام بالفوضى، حيث الأفعال الفردية والأحداث هي نتاجات الدينامية الإجتماعية ومنتجها.

مبدأ الحوارية بين وجوده وفكره ⁽²⁾.

نستخلص من فكر " إدغار موران " أن أهمّ الانتقادات التي قدّمها للعقل العلمي الحديث، كان لها أثر بالغ على أدهان علماء الاجتماع بصفة خاصة، في تحرير العقل من سلطة مسلّمات، أثبتت النتائج التي وصلت إليها التجارب العلمية فشلها الذريع. فالعقل ذو المنطق الحوارية، يستوعب كل التناقضات، وينفتح على كل ما هو جديد، دون التخلّي عما هو قديم.

1 - جون فرانسوا دورتيه، " معجم العلوم الإنسانية "، ترجمة: جورج كتورة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص 1026.

2 - نفس المرجع، ص 1027.

المطلب الخامس: النخبة السوسولوجية حسب عالم الاجتماع المغربي عبد الكبير الخطيبي⁽¹⁾.

تحاول السوسولوجيا في المغرب العربي والعالم الغربي، أن تبين أنّ المهمة الأساسية للسوسولوجيا في العالم الثالث هي في التفكيك، تفكيك الكليات الميتافيزيقية؛ ففي مؤلفه " النقد المزدوج "، يكتب ما يلي⁽²⁾:

أ- تفكيك المعلومات الناتجة عن المعرفة السوسولوجية، والكتابة السوسولوجية، اللتين كانتا تتكلمان باسم العالم العربي، ويغلب عليهما الطابع الغربي، وأيديولوجيته المتمركزة على

1 - عبد الكبير خطيبي روائي مغربي وعالم اجتماع، وأخصائي بالأدب المغربي. ولد بمدينة الجديدة المغربية سنة 1938 وتوفي بالرباط عام 2009.

اكتشف علم الاجتماع عندما كان تلميذا في السلك الثانوي، من خلال كتب " دليل " أرماند كيفيلي (1877-1973). بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، من جامعة السوربون العريقة، عام 1964، عاد إلى المغرب في السنة نفسها. حيث تم توظيفه أستاذا باحثا في جامعة محمد الخامس بالرباط. يقول الخطيبي: " كانت رغبتني في المساهمة في توضيح مشروع مجتمع ما بعد كولونيالي في طور التحديث، في جميع الأحوال كان مشروعا سياسيا. كيف أصبح علماء اجتماع؟ بمعنى محللين يقومون بتحليل موضوع جماعي بمجتمع معين، في مرحلة تاريخية محددة؟ ممارسة هذا النوع من المعرفة، لا يرتبط فقط بالمعرفة الأكاديمية، بل لا بد لعالم اجتماع مبتدأ من التوفر على صفات خاصة، منها الحساسية المحايثة للموضوع الجماعي، بتشكلاته المتنوعة، مثل: القاعدة الشعبية ونظم التصنيف والتسلسل الهرمي، ثم التراث والتقاليد التي تؤثر في الفرد... مجموعة من المعالم والإطارات وأشكال الحياة، التي تطبع النسيج الاجتماعي أو تمرقه".

قام الخطيبي بتجريب عدة مناهج في مجال العلوم الاجتماعية من بينها: البحث الميداني وتحليل المضمون. وينبغي الإشارة كذلك إلى دور السيمولوجيا في تقوية مناهجه، من خلال الأبحاث التي أنجزها في مجال علم الاجتماع. يعد من أهم المعلقين على الساحة السياسية المغربية، من بين أعماله:

-الذاكرة الموشومة (1971)؛ - فن الخط العربي (1976)؛ - الرواية المغربية (1993)؛ -صور الأجنبي في الأدب الفرنسي (1987)؛ - كتاب الدم (1979). من مؤلفات الخطيبي (مع تعريب تقريبي لعناوين المؤلفات):

- تفكير المعرب، الرباط، 1993.

- صيف بستكهولم، ترجم إلى العربية عن منشورات دار توبقال، 1990.

- إهداء للسنة الآتية، فاطا مورغانا، 1986.

- عشق مزدوج اللسان، رواية غرامية، لكن شخصيتها الرئيسية اللغة، لغة منقسمة إلى جزئين لا يتجزآن ويتعارضان، يتجاوز بكثير إشكالية الاختيار بين العربية والفرنسية. أعماله تفوق الخمسة وعشرين مؤلفا.

مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: [https:// ar. Wikipedia. Com](https://ar.wikipedia.com) بتاريخ 2018/12/18، على الساعة 17 سا 50د.

2 - عبد الكبير الخطيبي، " النقد المزدوج "، بيروت، دار الطليعة، ص156. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: www.mouminoun.com/articles بتاريخ 2017 /05/17 على الساعة 23 سا 55 د .

الذات، مفاد ذلك هو نقد كافة الكتابات والمعارف السوسيولوجية، التي تنطلق من الانغلاق على الذات، واعتبار هذه الذات قائمة بذاتها.

ومن خلال هذا الطرح، تضر المهمة المزدوجة، التي تنتظر السوسيولوجي العربي عامة والمغاربي خاصة؛ والمتمثلة في إعادة النظر في المنظومة الفكرية والسوسيولوجية الغربية؛ وهذا لن يتأتى إلا بعد القيام، بقراءة تحليلية نقدية للمنتج السوسيولوجي الغربي⁽¹⁾.

ويتطلب على السوسيولوجي المغاربي، أن يقوم بالنقد العلمي والموضوعي، لما كتب من قبل زملائهم داخل البلدان العربية، وحول هذه الفرضية، يقول الخطيبي: " نقصد إذن حركة مزدوجة منشقة، نرى أنها وحدها قادرة، على تجاوز مجرد الإعادة والتكرار، وتفتح آمال رجال علم الاجتماع، إمكانية معرفة عملية أقل استلابا، وأكثر تكيّفا مع خصوصية الموضوع المطروح " ⁽²⁾. أمّا الفرضية الثانية التي يطرحها الخطيبي مفادها: " الكتابة السوسيولوجية ككل كتابة فنية، ممارسة (خاصة في كل مرة) للتاريخ، والعلم والأيدولوجيا " ⁽³⁾.

وعليه، الكتابة لا يمكن أن تكون في رأينا إلا ممارسة عنيفة، تأخذ على عاتقها التاريخ، والأيدولوجيا والعلم، يجب إذن أن نحقق قطيعة عنيفة مع السيطرة الثقافية العربية، ونتجاوز قوتنا القاصرة، إذ ليس هناك قول بريء، بل على كل قول أن يجيب بطريقة الخاصة على شعلة الحياة " ⁽⁴⁾. يعقب البروفسور الخطيبي على هذه الفرضية ويقول: "المعرفة العربية الراهنة هي بدون شك تشابك صراعي بين معرفتين، إحداها (غربية) تسيطر على الأخرى، وتعيد تكوينها من الداخل، وتجعلها بطريقة ما غريبة عن ذاتها، لأنها تقلعها عن أرضيتها الفلسفية والميتافيزيقية، بحيث أصبح العالم العربي متبحراً في المعرفة الغربية، لا يعرف من أي مكان يتكلم، ومن أين تأتي المشكلات التي تقلقه؛ لكن المعرفة العربية لها بعض

1 - عبد الكبير الخطيبي، المرجع سابق الذكر، ص 157.

2 - عبد الكبير الخطيبي، نفس المرجع، ص 157.

3 - نفس المرجع، ص 160.

4 - نفس المرجع، ص 161.

الاستقلال الذاتي على الأقل من حيث اللغة...." (1)، والنقد المزدوج هو: المطلوب هنا يجد موقعه الاستراتيجي في (2):

1- تقليص المفهومية الميتافيزيقية، الناتجة عن المصدرين معا: المصدر الغربي (يوناني في نهاية المطاف)، ومصدر الثقافة العربية.

2- أن نعيد التفكير في مقومات وإيجابية العلوم الاجتماعية الرائجة، على ضوء إدراك مختلف للتاريخ؛ ليس بصفته فراغا يضيّع خطواتنا، بل في تاريخية تقديس الماضي...أي نريد التاريخ بصفته ممارسة نقدية لما يحدّد وجودنا هنا... (3).

3- أما الفرضية الثالثة: إعادة تشييد بنيان العلوم الاجتماعية، ولن يتأتّى هذا إلا إذا:
أ- أعطينا الامتياز للتاريخ ضد كل معرفة، لا تعدو أن تكون مجرد متزامنة (مثال اندثار الأنطولوجيا).

ب- أن ننشأ أجهزة من المفهومات التي ندركها، حسب النظام الاصطلاحي الخاص باللغة العربية.

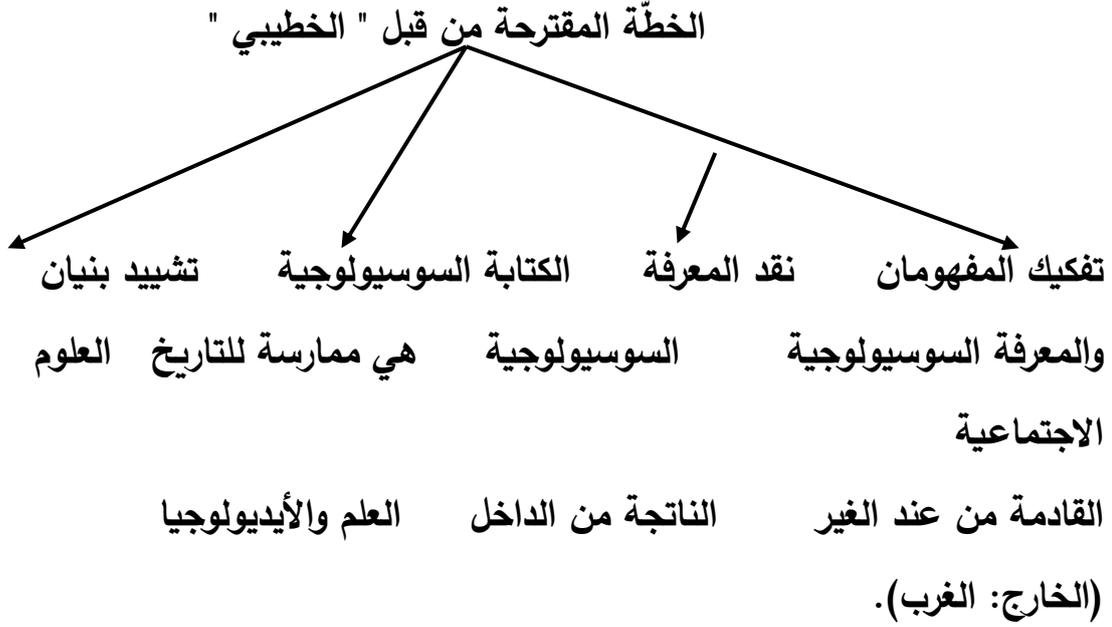
قدّم البروفسور جمال معتوق في أطروحته، شكلا يعكس هذا الفهم للفرضية التالية(4) وهو كالتالي:

1 - عبد الكبير الخطيبي، المرجع سابق الذكر، ص 161.

2 - نفس المرجع، ص ص 164-165.

3 - نفس المرجع، ص 167.

4 - جمال معتوق، " واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي: دراسة ميدانية بالجزائر، تونس، والمغرب "، مرجع سبق ذكره، ص 57.



شكل رقم 01

ما نستنتجه من كتاباته حول السوسولوجية العربية أنها هرمة، وإخراجها من هذا البراديجم أو النموذج العقيم، يقول الخطيبي في هذا السياق: ".أن المهمة الأساسية لتفكيك مركز الذات السوسولوجية العربية الهرمة، تتمثل في القيام بعملية نقد مزدوج على المنهج التالي:

أ- تفكيك المفاهيم الناتجة عن المعرفة السوسولوجية والكتابة السوسولوجية، والكتابة التي كانت تتكلم باسم العالم العربي؛ والذي يغلب عليها الطابع الغربي، وأيديولوجيته المتمركزة على الذات.

ب- في الوقت ذاته فقد المعرفة والكتابة السوسولوجية، اللتين أنجزتهما مختلف مجتمعات العالم العربي حول ذاتها...؛" فالمراجعة النقدية- الإبتيمية يرى الخطيبي أنها وحدها القادرة على تجاوز مجرد الإعادة والتكرار، ويفتح أمام رجال علم الاجتماع، إمكانية معرفة علمية، أقل استلاباً وأكثر تكيّفاً، مع خصوصية الموضوع المطروح⁽¹⁾.

1 - المغرب المتعدد، المرجع سابق الذكر، ص ص.47-48.

ما يمكن استخلاصه من فكر عبد الكبير الخطيبي، هي إمكانية تكامل مناهج الدراسة؛ فلقد عبّر، كيف يمكن للمنهج التفكيكي أن يتكامل، مع المنهج الماركسي في الدراسة السوسيولوجية، ويقومه علميا حتى لا يسقط في الكليات الميتافيزيقية؛ ومن جهة أخرى فإن قراءة الخطيبي تنحو نحو الوصول، إلى المنظور العلمي على مستوى الدراسة، وتنحو إلى نزع الملكية عمّن يركز ذاته طوعا، للتأكيد على حضور القوميات الأخرى.

فبعد الكبير الخطيبي يحدد نفسه مقومات التفكيكية ومصادرها، في كتابه المغرب المتعدد، والصادر بالفرنسية سنة 1982، بشكل متزامن بباريس والرباط، لأنه استعمل مدلول Maghreb في هامش بالصفحة الـ17، يتوقف ليحدد ما المقصود لديه بهذا المفهوم، وكانت الإشارة التي استدعت اللجوء إلى هذا المفهوم، هي تحرير السوسيولوجيا من الفكر الإستعماري. وبما أن مفهوم التحرير كما تستعمله الفرنسية التي كتب بها الكتاب، هو Décolonisation، فإن الخطيبي حاول أن يجد أساسا فلسفيا في الجهاز المفاهيمي ما بعد - حدثي-، في الفلسفة الفرنسية، التي كان ينتمي إليها روحيا.

إسهام مفاهيمي:

إذا كان مفهوم التفكيكية قد استعمل في بداية الأمر عند الفلاسفة، فإن الخطيبي وهو عالم اجتماع أولا ثم أنثروبولوجي لاحقا؛ قد استعمله أو حوّره لضرورات منهجية. فالمفهوم في حدّ ذاته، وإن لم يكن يظهر إلا عند مجموعة من الفلاسفة الفرنسيين، كجاك دريدا، وبشكل عمل منهجي، قبل ذلك عند البعض الآخر، كميثيل فوكو؛ فإن أعماله كمنهج عرف قبل ذلك عند الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر. إن الإشارة التي يحدّد فيها الخطيبي مصادر استلهامه هذا المفهوم يقول: "إنني أقتبس هذا المفهوم من جاك دريدا، بالنظر إلى أن أفكاره هو أيضا حوار مع مجاوزة ميتافيزيقا، كفكر نقدي تأكيدي، يبنى خطوة خطوة؛ فكر اختلاف ما بين الفلسفة والعلم والكتابة، وأن التفكيكية، بما هي تدمير للميتافيزيقا الغربية، وكما يمارسها دريدا، بطريقته الخاصة جدا، نشأت ورافقت تصفية الاستعمار كحدث تاريخي،

سوف نؤكد هنا بعض ملامح الالتقاء التي ليست بالمرّة مسارا اعتباطيا؛ لقاء بين تصفية الاستعمار والتفكيكية⁽¹⁾.

من هنا يظهر أن الحاجة إلى مفهوم يزعزع بنيان الفكر، يتعلق الأمر هنا بالفكر السوسيولوجي الاستعماري، متكامل متفّح بنفسه، ومتمركز حول ذاته وإثنيته، كانت ضرورية، ولم يجد الخطيبي أحسن من التفكيكية لسببين:

- السبب الأول: عقدة العزم على مساءلة الفكر العربي، في جذوره الفلسفية العرقية، والذي نما وتكوّن بموازاة مع الامبريالية، وفي أحضانها.
- السبب الثاني: مساءلة الفكر الذي كوّنته المجتمعات العربية عن نفسها، في حقب مختلفة من التاريخ.

هذا المنحى والذي سمّاه الخطيبي نقدا مزدوجا، هو الذي تطلب اللجوء إلى استراتيجية نقدية سمّاها النقد الفكري العربي فيما بعد التفكيكية، مترجما ذلك المفهوم الفرنسي "Dé-construction"، ليس من الخطأ أن يترجم المفهوم هكذا، ولكن ليس من السهل أن تؤدي هذه الكلمة كل المعنى.

في مساءلة الفكر العربي: يرجع أصل التفكيكية إلى الفينومينولوجيا، ممثلة في مارتن هايدغر، وطريقته في تعرية أصول المفاهيم، وإعادتها إلى أصولها الميتافيزيقية، أو اللاهوتية، أو حتى الإعتباطية المتعجرفة¹، والوصول إلى هذا الهدف كان هايدغر يعمد إلى مساءلة الأصول التاريخية، الدينية، اللاهوتية، الميتافيزيقية، الفيلولوجية للمفاهيم؛ مرجعا إياها إلى زمن، ورابطا علاقتها مع الحقول التي سمحت بإنتاجها؛ بهذه الطريقة كان هايدغر يطمح إلى أن يضع نفسه خارج كل الأنساق الفكرية والفلسفية، وخارج السياق الميتافيزيقي الغربي، الذي كان الكل يعتبر، أنه أقل بصفة نهائية مع فلسفة هيغل المطلقة.

1 - المغرب المتعدد، المرجع سابق الذكر، ص ص. 47-48.

إن أول خلاصة وجب الخروج بها، إمكانية تكامل مناهج الدراسة، فلقد عبّر بحق الخطيبي كيف يمكن للمنهج التفكيكي، أن يتكامل مع المنهج الماركسي في الدراسة السوسولوجية، ويقومه علميا، حتى لا يسقط في الكليات الميتافيزيقية؛ من جهة أخرى فإن قراءة الخطيبي، تنحو نحو الوصول إلى المنظور العلمي على مستوى الدراسة، ونحو نزوع المركزية عن مركز ذاته طوعا، للتأكيد على حضور القويات الأخرى؛ غير أن المثير في قراءة الخطيبي هي أن دفاعه عن الأقليات المضطهدة، لا ينحو نحو جعلها مركزا، وجعل من يدعي المركزية هامشيا، بل يذهب إلى المساواة، من هنا يمكن أن نلتبس أميته على غرار ديريدا، إن مسألة المركز والهامش والهامش المقدس والمدنس، من بقايا الفكر القروسطية اللاهوتية¹، التي أتى العلم وطرح بها بعيدا. إن الخطيبي يقدم نقدا مزدوجا نقديا، يمهد الطريق الكونية لا لخصوصية على حساب خصوصية أخرى، أو خصوصية باعتبارها نداء لخصوصية أخرى.

وصفه الكاتب نور الدين أفاية بأنه كان وسيبقى متقفا، يمتلك كل شروط الجدارة الفكرية، في سياق ثقافي مغربي. كان يخرج بصعوبات كبيرة من الارتهان الفقهي التقليدي، الذي قامت عليه الثقافة المغربية؛ وهو وإن تناول موضوعاته بلغته المميزة، وبأسلوبه الخصوصي الحديث دوما، فإنه لم يتعب نفسه كثيرا في المرافعات، التي سجلت مناقشات ومساجلات، المثقفين المغاربة منذ الستينيات⁽¹⁾.

1 - بقلم محمد القاضي، www.mominoun.com، بتاريخ 2017/08/21، على الساعة 21 ما 40.

المطلب السادس: النخبة السوسيولوجية حسب عبد الصمد الديالمي (*):

يرى السوسيولوجي المغربي " الديالمي "، أنّ تحليل المنتج السوسيولوجي للذات المفكرة العربية، يساعد في " استنتاج وجود مواقف واتجاهات عديدة، بعضها كان تكنوقراطيا" حتى لا يلاحظ، وبعضها عندما اهتمّ بالكتابة حول الاتجاهات النظرية⁽¹⁾، أو وصف الأوضاع وأخذ موقف " الراوي "، الذي يكتفي بالسرد بدعوى الحياد؛ والقليل هو الذي أخذ موقف "صاحب الرأي"، سواء من حيث الموضوعات والقضايا المطروحة أو طرائق تناول؛ وفريق رابع أخذ موقفا تلفيقيا سمّاه توفيقيا، ربّما هروبا وربّما لصلاحيته لكلّ الحقب والمراحل⁽²⁾، ومن ثم فإنّ " الدفاع عن البحث الميداني (ضد النظري)، يشكّل اختيارا منهجيا، يعكس اختيارا أيديولوجيا طبقيًا؛ يرى الهاجس الشمولي خطرا على الاستمرار القبلي للمشاكل السوسيولوجية (...)، فالهمّ الأساسي الذي يحرك عالم الاجتماع، صانع الحرية، هو إبعاد النظري الذي يساعد على فك الارتباط (La Déconnexion) التّحرر، من التبعية إلى الاقتصاد الرأسمالي العالمي " ⁽³⁾.

* عبد الصمد الديالمي أستاذ بجامعة فاس بالمغرب، باحث في علم الاجتماع، منذ سنة 1977، ومدير مخبر الدراسات الاجتماعية حول الصحة، وهو عضو في هيئة تحرير مجلة " Social Compas"، المتخصصة في علم الاجتماع الأديان، والصادرة في لندن عن جامعة " لوفان لانوف " Louvain Laneuve " في بلجيكا، له الكثير من الكتب والمقالات المنشورة في مجلات دولية متخصصة، باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، من بين أهم كتبه:

- المرأة والجنس في المغرب (1985).
- السكن، الجنس والإسلام (1986).
- الشباب، السيدا والإسلام (2000).
- سوسيولوجيا الجنسانية العربية (2011).

مستخرج من الموقعين الإلكترونيين التاليين: www.mominoun.com عنوان الورقة المنشورة إلكترونيا الأولى: عبد الصمد الديالمي . عنوان الورقة الإلكترونية الثانية: عبد الصمد الديالمي سوسيولوجيا الجنسانية العربية وهو في شكل pdf . تاريخ تصفح الموقعين: 2016/09/07 - 11 سا - 45 د و 00 سا 25 د .

- 1 - عبد الصمد الديالمي، القضية السوسيولوجية نموذج الوطن العربي، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 1989، ص 16.
- 2 - عبد الباسط عبد المعطي، " في استشراف مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي، بيان التمرد والالتزام "، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986، ص 369.
- 3 - عبد الصمد الديالمي، المرجع سابق الذكر، ص 28.

فمظاهر أزمة السوسيولوجية العربية بيّنها أنّها: ".تتمثل أساسا في الانحياز الاجتماعي للنخبة السوسيولوجية (...)(¹)، الاختيارات الأيديولوجية (...)، أنشطة هذه النخبة سواء على مستوى التدريس أو البحث (...)(²)؛ فيحدث أن تكون هوة واسعة بين ما ينتج في علم الاجتماع، وبين السياسة الاجتماعية والفعل الاجتماعي .

وعليه، تكون المهمة الابستيمولوجية للسوسيولوجيا " رفض المنظومة السوسيولوجية الغربية، كسوسيولوجيا مركزية ونموذج مشروع، والعمل على فك الارتباط مع الذات المعرفية الغربية، ليس رفضا مطلقا لمجموع القيم المعرفية العلمية، ولكن رفضا للأيديولوجيا الغربية المستترة(³)".

فالسوسيولوجيا شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، المرتبط بفئات اجتماعية معيّنة، والمستند إلى رؤية معيّنة للعالم. وبناء على ذلك آن الأوان لكشف القناع عن حياء السوسيولوجيا، وتوصيفها واستغلالها، في خدمة تحقيق الحرية والاستقلال.

فحسب تحليل " الديالمي " دائما، تظاهرات أزمة الذات السوسيولوجية العربية، في ثلاثة أشكال: الشكل الأول السوسيولوجيا السعيدة، الشكل الثاني السوسيولوجيا القلقة، والشكل الثالث: السوسيولوجيا الفرحة(⁴).

-فالسعيدة تشير إلى المجموعة من الدراسات والأبحاث، التي لا تنظر إلى المغرب كاختلاف، وإلى السوسيولوجيا الغربية كاختزال، في ثنايا هذا الموقف الواضح؛ والذي تكمن فيه السعادة، ليس للغرب- الموضوع خصوصية تجعله يرفض، الرضوخ إلى المناهج والمفاهيم السوسيولوجية الغربية-، وليس لهذه الأخير طابع.

ورّطت الذات الباحثة السوسيولوجية العربية " في معارك أهلية (...)، إمّا بالأصالة عن أنفسهم، أو نيابة عن أطراف سوسيولوجية متعاركة في مجتمعات أخرى؛ وساد ما يمكن

1 - نفس المرجع، ص 29.

2 - نفس المرجع، ص 29.

3 - نفس المرجع، ص 30.

4 - عبد الصمد الديالمي، المرجع سابق الذكر، ص 32.

تسميته بمرض "البداءة السوسولوجية"⁽¹⁾، فقد قسّم المشتغلون العرب بعلم الاجتماع أنفسهم إلى قبائل، اتخذت أسماء ومسميات مختلفة (فهناك النظريون والتطبيقيون، وهناك أتباع المدرسة الفرنسية، وأتباع المدرسة الإنجليزية، والأمريكية أو السوفيتية... إلخ)⁽²⁾؛ وكل قبيلة سوسولوجية جرى تقسيمها إلى عشائر، وظيفيين ووظيفيين جدد، وماركسيين، وماركسيين جدد... إلخ؛ وجرى تقسيم كل عشيرة إلى بطون أو حتى أفخاذ؛ لقد أصبحت البداءة أفيون علماء الاجتماع العرب، وفي خضم الانشغال الشديد بهذه الحرب الأهلية، وبمشاكل الحياة الأخرى، كان فائض الطاقة والخيال السوسولوجي، الذي كان يمكن أن ينصرف إلى دراسة الواقع العربي وفهمه، قد ضمّر؛ وبالتالي كان نتاج المعرفة السوسولوجية عن هذا الواقع هزيعاً، ما نتج عنه أن تمركزت الذات السوسولوجية العربية، حول الذات السوسولوجية الغربية، والمتمركزة هي أصلاً تكوينياً، فأصبح "التمركز مزدوجاً"، والذي يتطلب عملية تفكيك سوسولوجي، مما أنتج سوسولوجياً متأزماً إبيستيمياً، ضائعة تاريخياً وفكرياً⁽³⁾، فهل آن الأوان يقول "الديالمي": "للسوسولوجيا العربية أن تنتقل بدورها، من سوسولوجيا التنمية إلى تنمية السوسولوجيا؟ وأن تساهم من ثمة، في خلق وضع سوسولوجي عالمي جديد؟" (4).

إنه طابع جزئي أو جزائي يحدّ من شموليتها، فالذات السوسولوجية السعيدة ترى نفسها، امتداداً للذات الغربية مركز الحقيقة المطلقة، "لذا تجد هذه السعادة في ولائها المطلق لذلك المركز، والتي تتميز باتجاهين:

1 - نفس المرجع، ص 34.

2 - نفس المرجع، ص 34.

3 - عبد الصمد الديالمي، المرجع سابق الذكر، ص 336.

4 - نفس المرجع، ص 337.

أ- اتجاه إمبريقي: يمثّله الأبحاث والدراسات الميدانية، التي تعتمد أساسا على تقنية الاستمارة، التّوصل إلى نسب، إلى متوسّطات، إلى جداول، وفي كتلة واحدة؛ فحُضور الرقم أو العلامة الرياضية كاف في حد ذاته، لإثبات العلمية وضمان السعادة (1).

ب- اتجاه مادي: وهو الرّغبة في الفهم الكلّي وفي التنظير، كثيرا ما تنقل الباحث الاجتماعي غير الحذر، من الإمبريقية الهستيرية إلى المادية الهستيرية (2).

عكس السوسولوجيا السعيدة، فالسوسولوجيا القلقة تتعامل مع الذات الغربية كندّ، تحاول استيعابه وتجاوزه انطلاقا من خصوصياتها، لا تؤمن بالانفصام المطلق بين الأنا والغربي.

وتتطلب السوسولوجيا الفرحة من إمكانية استغلال، العقل الغربي وإمكانياته دون قلق؛ فعلى الباحث الاجتماعي أن يتعلّق في الجهاز المعرفي الغربي، دون شعور (بالإثم) القلق، ودون سذاجة ودون تقيّد نظري - مذهبي، (3)، فحرية الفكر وسلامته، هما الوجهتان الأساسيتان في التعامل مع النظرية الغربية.

ويلاحظ " الديالمي " أن الخطاب السوسولوجي العربي فوقي، مركزي، ومغيب عن الواقع الاجتماعي، فهذه الوضعية تستوجب تحقيق الوعي بالكيد السوسولوجي، الكامن وراء مظاهر النقد والتمرد... (4)، ويتساءل مقترحًا: " هل من إمكانية لقيام وضع سوسولوجي عالمي جديد، يشهد مساهمة العرب في شكل إستراتيجية موحّدة، تعمل على فكّ الارتباط مع مراكز التبعية (الأخرى)؟ (5).

ما نستخلصه من فكر عبد الصمد الديالمي الأفكار التالية:

- مراجعة ابستمولوجية لأزمة السوسولوجيا العربية المتمركزة.

1 - نفس المرجع، ص 334.

2 - نفس المرجع، ص 334.

3 - عبد الصمد الديالمي، مرجع سابق الذكر، ص 336.

4 - نفس المرجع، ص 337.

5 - نفس المرجع، ص 338.

- ضرورة إحداء الصّاح بين الذات والموضوع والتراث.

- عدم الاعتراف بوجود سوسولوجية مرجعية، يجب الانطلاق منها، أو التموضع داخلها أو ضدها.

- وأنه بالإمكان في مرحلة أولى تشجيع سوسولوجية هندية، وسوسولوجية عربية وسوسولوجية زنجية (...)"؛ فالأتجاه الوجودي هو القيمة الأساسية المحركة، للإبداع السوسولوجي الحقيقي، يركّز على وحدة المشتغلين (بفتح الغين)، ضد وحدة المشتغلين (بكسر الغين) الجاهزة والمهيمنة"⁽¹⁾.

1 - أحمد عماد الدين خواني، " السوسولوجية العربية "الهرمة " ومشروع تفكير التمرکز، نحو إعادة تفكير الموضوع (المجتمع) ".

أنظر: الموقع الإلكتروني: <http://revue.univers.ourgladz/index.php/numero-16-ssh>، تاريخ تصفح الموقع: 2016/12/28 - 14 سا - 21 د.

خلاصة:

تعرضنا في فصلنا هذا إلى الفئة التي تعمل، على ترسيخ مبادئ علم الاجتماع في المجتمع، وهي النخبة السوسيولوجية، عرضنا آراءهم وأفكارهم بخصوص النخبة وأدوارها وخصائصها، بخصوص النخبة وأدوارها وخصائصها، قدمنا ستة نماذج من النخبة السوسيولوجية الغربية والعربية، حللنا توجهاتهم، انتقاداتهم ونظرياتهم المستقبلية، فانتقينا ثلاثة نماذج من أعلام السوسيولوجيا الغربية، وهم بيير بورديو، ألان توران وألفين غولدنير. ومثليهم في الوطن العربي، فتناولنا فكر السوسيولوجيان المغربيان عبد الكريم الخطيبي، وعبد الصمد الديالمي؛ فحللنا ترجمات هؤلاء السوسيولوجيين، توجهاتهم، انتقاداتهم، ونظرياتهم المستقبلية.

الفصل الخامس:

النخبة السوسولوجية في الجزائر

تمهيد

ساهم الوجود الفرنسي بصورة ما، في تشكيل هويات مختلفة للمشتغلين السوسولوجيين الجزائريين، حيث أصبح لكل جيل سوسولوجي مجموعة مبادئ، لا ينحاز عنها اتجاه طبيعة علم الاجتماع، وكيفية الإلمام بالمعرفة السوسولوجية، التي هي شأن خاص بكل جيل. فيمكن قراءة المشهد الثقافي الجزائري، بحيث نجد أن الانقسام اللغوي الذي ظهر بسبب الاحتلال، لازال في كثير من الأحيان، يرسم حدًا فاصلا بين صفوف المثقفين الجزائريين؛ ويدفع بالبعض إلى المماثلة بين التصنيف الثنائي، تقليدي-عصري، والتصنيف اللغوي مفرنس- معرّب⁽¹⁾. إلا أنه في الأخير يتحكم في تصنيف المثقفين والمشتغلين السوسولوجيين، إما تكوينهم الذي تلقوه في الحقبة الزمنية التي عاشوها، والتي تتصف كل منها بصفات تميزها عن غيرها.

إن الحديث عن المثقف والنخبة في علم الاجتماع في الجزائر، من المفاهيم المشوشة، الكثيرة المعاني وغير مرتبطة بواقع فعلي يجسّد وجودها؛ فالبعض يرى أن المثقفين السوسولوجيين في الجزائر، عبارة عن حفنة من المدرّسين القائمين، على تبليغ رسالات علمية سوسولوجية غريبة؛ والبعض الآخر يرى أنه لا وجود أصلا للنخبة في علم الاجتماع. فهذه الأخيرة لها شروط وأساسيات تقوم عليها في ممارستها؛ والتي لا تعتمد فقط على التدريس، بل ترتقي إلى الإنتاج السوسولوجي الفعال والمؤثر، في المرتبطين بالحقل السوسولوجي والمجتمع كله؛ كما تقوم على النقد المبني على الأسس العلمية، لكل ما يراد لهذا الحقل، فمهمة المشتغلين بالحقل، هي التأسيس لعلم الاجتماع في الجزائر، الذي هو في الأساس علم خالص لوحدته.

1 - ناصر جابي، المرجع السابق الذكر، ص 221.

المبحث الأول: نشأة علم الاجتماع كعلم أكاديمي بالجزائر:

المطلب الأول: كرونولوجيا مسيرة علم الاجتماع في الجزائر بعد الاستقلال:

1958: إحداث فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر.

1968: تمّ إنشاء دائرة العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر، وكان علم الاجتماع يدرّس

كفرع ضمن الدائرة⁽¹⁾.

1971/08/25: إحداث مرسوم رقم 71-221، يتضمّن تنظيم الدروس، للحصول على

شهادة الليسانس في علم الاجتماع. و أيضا يفتح قسمين للحصول على هذه الشهادة وهما:

قسم علم الاجتماع القروي، وقسم علم النفس والاجتماع الخاص بالعمل⁽²⁾.

1975/07/14: إنشاء معهد للعلوم الاجتماعية في جامعة الجزائر.

1979: أصبح فرع علم الاجتماع دائرة، وكانت تابعة لمعهد العلوم الاجتماعية⁽³⁾.

1984/08/18: تمّ تنظيم وتسيير جامعة الجزائر، أصبحت دائرة علم الاجتماع

معهدا⁽⁴⁾.

1991/06/02: تمّ إصدار قرار يتضمن البرنامج البيداغوجي، لنيل شهادة الليسانس في

علم الاجتماع.

1997/09/19: صدر قرار من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، يتضمن البرنامج

البيداغوجي لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع و الديمغرافيا.

2000/07/01: قرار يتضمّن البرنامج البيداغوجي للجذع المشترك لعلم الاجتماع

والديمغرافيا، وهذا باقتراح من اللجنة البيداغوجية الوطنية لعلم الاجتماع و الديمغرافيا.

فمن خلال قراءتنا للتسلسل الكرونولوجي، لإحداثيات تأسيس علم الاجتماع هيكليا

وبيداغوجيا، نلاحظ:

1 - جمال معتوق، " علم الاجتماع في الجزائر - من النشأة إلى يومنا هذا "، مرجع سبق ذكره، ص 103.

2 - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجمعة 4 شعبان عام 1391هـ، ص 1305.

3 - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجمعة 7 شعبان عام 1395 الموافق لـ 1975.

4 - دليل جامعة الجزائر للمدرسين والطلاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988-1989 ص. 69.

- أن نشأة علم الاجتماع كان حديثا رغم عراقة اكتشافه عند ابن خلدون، ذلك أنه بدأ عندما انحطت الحضارة الإسلامية، واستببح الوطن لأسباب داخلية و خارجية...⁽¹⁾، فكما هو مشار إليه في بداية الكرونولوجيا، فإن أكاديمية علم الاجتماع كعلم في الجامعة الجزائرية، كان فيه تضارب للآراء حول بداية ظهوره، فمنهم من يرى أنه بدأ قبل عام 1958، وآخرون من السوسيوولوجيين يرون أنه بدأ عام 1958، فلكل سنة محطتها التاريخية. يؤكد جمال معتوق⁽²⁾ في بحثه عن التأريخ الفعلي لأكاديمية هذا العلم في الجزائر، -أن هذا العلم كان يدرّس كمقياس، ضمن التخصصات التالية: مثل الحقوق، الاقتصاد، السياسة والفلسفة.

-و كان تدريس علم الاجتماع ابتداء من سنة 1958 حتى 1965، موجّها فقط لأبناء المعمّرين الفرنسيين، ومن حيث البرامج فقد كان تابعا كليّة، للجامعات الفرنسية بفرنسا⁽³⁾.
-خلال السنوات الأولى للاستقلال، كان على الجزائر أن تتعايش مع الوضع الجديد، بعد أكثر من مائة وثلاثين سنة من الاستعمار، فالقطيعة مع مخلفات الاستعمار الثقافية والتعليمية، كان ضربا من الخيال،⁽⁴⁾ وحتى أن التخلّص من المناهج الفرنسية في جامعة الجزائر، لم يكن بالأمر السهل؛ لأن النظام التعليمي في الجزائر كان نسخة عن مثيلته في الجامعة الفرنسية، نفس الشيء بالنسبة لعلم الاجتماع الذي كان يعيش ما يلي:
- علم اجتماع يقوم أساسا على الإرث الكولونيالي، يتم توجيهه عن طريق أساتذة فرنسيين، ويدرس كفرع ضمن دائرة العلوم الاجتماعية، وكان هذا ابتداء من سنة 1968.

1 - جميلة شلغوم، "السوسيوولوجيا والنخبة في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التنظيم، جامعة الجزائر -2، 2011-2012، غير منشورة، ص 119.
2 - جمال معتوق، مرجع سبق نكره، ص 77.
3 - وسيلة يعيش خزار، "الممارسة السوسيوولوجية في الجزائر - مقارنة سوسيو معرفية"، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، سبتمبر 2010، ص. 304.
4 - جمال معتوق، "لمحة تاريخية عن الممارسة السوسيوولوجية بالجزائر"، محلة البحوث السوسيوولوجية: الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع-، الجزائر، العدد 1، سنة 2000، ص 36.

- لكن في هذه الفترة تمّ تكوين الكوادر الأولى لعلم الاجتماع، أي النخبة السوسولوجية الأولى، التي كان لها الفضل فيما بعد، في تخريج العديد من الدفعات والإطارات في هذا التخصص (1).

- وفي سنة 1970، التسيير الإداري الفرنسي كان حاضرا، لكن لأول مرة يتولّى جزائري زمام إدارة علم الاجتماع وهو فاروق بن عطية (2).

- سنة 1971، كانت سنة استثنائية بالنسبة لعلم الاجتماع، حيث صدر مرسوما، ينظّم الدروس للحصول على الشهادة " الليسانس "، تلتها قرارات أخرى، أصدرتها الحكومة الجزائرية، منها إنشاء معهد علم الاجتماع، ثمّ قرارات أخرى بتعريب العلم، من طرف مجموعة من الأساتذة المعرّبين، وبالتعاون مع أساتذة من مصر والعراق (3) سنوات 1984-1985 (4).

- سنوات التسعينيات صدرت قرارات خصّت البرامج البيداغوجية دائما، وبقيت محصورة في هذا المجال فقط، وتمّ اختزال المعهد في إضافة مقياس حينا، تماشيا مع الظروف الاجتماعية التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، مثل إدخال مقياس علم الاجتماع الإسلامي (5)، وتجميد مقياس علم الاجتماع السياسي، حيث تمّ أدلجة معهد علم الاجتماع، فمع أحداث أكتوبر 1988، والتي يرجع الكثير من الباحثين أنها أحداث هامة في مسيرة الحياة الاجتماعية والسياسية للجزائر؛ والتي ارتبطت باليقظة أو الوعي الجماهيري مع الممارسات التعسفية، التي تم حينذاك رفض نتائج الحدث الانتخابي، وكانت نتائجها

1 - جمال معتوق، مرجع سبق نكوه، ص 36.

2 - نفس المرجع، ص 36.

3 - نفس المرجع، ص 93.

4 - نفس المرجع، ص 93.

5 - جميلة شلغوم، المرجع سابق الذكر، ص 121.

واضحة على المستوى الاجتماعي والتعليمي، والتي انعكست أيضا على مجريات المسيرة
السوسيولوجية في الجزائر (1).

1 - العياشي عنصر، " أزمة أم غياب علم الاجتماع"، مجلة المستقبل العربي، العدد 137، جويلية 1990، ص 47.

المبحث الثاني: النخبة السوسيولوجية أثناء الفترة الاستعمارية

بدأت السوسيولوجيا الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، في ممارسة مهامها عام 1833م، وكانت أهدافا مرتبطة بأهداف السياسة الإستعمارية، الرامية على سلب الأمة الجزائرية هويتها وإحكام السيطرة عليها، ولقد ارتبطت المسيرة السوسيولوجية في الجزائر، بعد الاستقلال بالتراث السوسيولوجي الفرنسي.

في هذا المبحث سنكشف عن طبيعة هذه السوسيولوجيا وأهدافها وممارساتها وماهي مخالفاتها على السوسيولوجيا الجزائرية بعد الاستقلال.

المطلب الأول: مفهوم السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر:

نقصد بالسوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر، تلك الدراسات والأعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية، والتي عملت على دراسة المجتمع الجزائري والتنقيب في بنياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية...

والسوسيولوجيا الكولونيالية تنقسم إلى نوعين " رسمي "، خطط له أصحابه من وزارة الحربية، وكان هؤلاء الباحثون عبارة عن عساكر ومرترقة، جندوا لخدمة المشروع الكولونيالي. بالنسبة للنوع الثاني فيمكن تسميته بالسوسيولوجيا المحايدة " Neutre "، ذات النزعة الأكاديمية والإنسانية⁽¹⁾.

المطلب الثاني: تاريخ السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر:

بدأت السوسيولوجيا الاستعمارية تمارس مهامها مع الجزائر عام 1833م، وهو تاريخ تشكيل لجنة الاستكشاف العلمية للجزائر، بإشراف وزارة الحرب الفرنسية.

لقد جاءت ضرورة تشكيل هذه اللجنة بعد المحاولات العديدة الفاشلة، للاستيلاء على بعض المناطق عن طريق القوة العسكرية، وكان يسود مخيلة الغازي الفرنسي للبلاد الجزائرية

1- جمال معتوق، " علم الإجماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا "، الطبعة الأولى، دون دار نشر، 2006، ص 33.

أنه في رحلة سياسية " فالجزائر لا وجود لها، إلا في مخيلة الغازي وعلى نحو أكثر ابتذالا، لا توجد إلا بوصفها قطرا تركيا جديرا بأن يُستولى عليه... ما كان يُعرف عن هذه الأرض الواقعة المغرب الأوسط تافه، لا يعتدّ به؛ فأولئك الذين استولوا عليها، كانوا على جهل مطبق بخصمهم...⁽¹⁾ لكن ماذا وجدوا؟ " لقد فرضت المقاومات المسلحة، ومحاولات الأمير عبد القادر لبناء دولة حقيقية، وحركات المعارضة المتكررة، وضرورة الاستيلاء على فضاءات أكبر، تغيير التصور أو الرؤية، فالجيش الاستعماري بحاجة إلى معرفة الذي يحارب، ولهذا وطن نفسه على معرفة المناطق، التي أبدت مقاومة شديدة معرفة جمّة، حينئذ أخذت الدراسات الاتنوغرافية العسكرية، في التطور والتنامي وهي أمر استراتيجي " ⁽²⁾.

قامت لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر، بوضع دليل إحصائي حول الجزائر كافة، اشتمل على سبعة عشر " 17 " مجلداً، وقسمت الجزائر بمقتضى النتائج المتوصل إليها، إلى ثلاث مقاطعات هي: الجزائر، قسنطينة، وهران؛ وهو الأمر الذي يوضح بجلاء العلاقة الوطيدة بين علم الاجتماع والمصالح الاستعمارية؛ هكذا اقتنعت فرنسا أن القوة العسكرية وحدها، غير قادرة على الاستيلاء على الجزائر، وأنه خصم لا يستهان به، لذلك لا بدّ من توظيف العلم لفهم قوة ترابط وتماسك أفرادها "، بعد مرور عقد من الزمن على نزول الجيوش، وبعد أن تمّ اختيار توسّع عسكري بعينه، أقدمت الحكومة على تحرّ واسع النطاق، وقد جمع معطيات في قرابة أربعين مجلدا بين 1844 و 1867، واضطلع العسكريون بنصيبهم في هذا التحري، وكان على رأسهم كاريس وبوليسيبي، وقد استدعيت التخصصات والعلوم كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبية والفيزيائية، والحفريات، لكي توفر نظرة أمنية ما أمكن عن الآخر، أي هذا العربي أو البربري، بما أنهم ينكرون عليه أي تسمية أخرى ⁽³⁾.

1- فيليب لوكا وجون كلود فاتان، " جزائر الأنثروبولوجيين نقد السوسولوجيا الكولونiale "، ترجمة: محمد يحياتن وبشير بولفران ووردة، لبنان، منشورات، الذكرى الأربعون للاستقلال، ص 07.

2- فيليب لوكا وجون كلود فاتان، " جزائر الأنثروبولوجيين نقد السوسولوجيا الكولونiale "، المرجع السابق، ص 07.

3- فيليب لوكا وجون كاود فاتان، المرجع سابق الذكر، ص 09

أما مرحلة السوسولوجية الاستعمارية الرسمية في الجزائر فكانت سنة 1958، وهذه الفترة مبهمة لا نعرف عنها الكثير، كما يقول الباحث جمال معتوق، فالفترة الممتدة ما بين 1958 إلى غاية 1963 هي من الحلقات المفقودة التي لا نعرف عنها الكثير، خاصة من حيث الجانب الإداري المؤسسي ويرجع ذلك إلى (1):

1- أن المستعمر في هذه المرحلة كان شغله الشاغل، جمع المادة السوسولوجية وهذا خدمة للمشروع الكولونيالي، ولم يهتم مثلا إعداد أرشيف خاص بهذه الممارسة، كما يمكن القول بأنه في حالة وجود أرشيف، حول فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر، فإن المستعمر غداة الاستقلال عمل على إتلافه أو نهبه وسرقته، كما فعل مع باقي المصادر والأرشيف التاريخي للمجتمع.

2- الطلبة الجزائريون: والمتمثلين في الجيل الأول للسوسولوجيين - لم يقوموا بدورهم التاريخي، والمتمثل في الكتابة حول المسيرة السوسولوجية عندنا.

المطلب الثالث: أهداف السوسولوجيا الكولونيالية في الجزائر:

كما أشرنا سابقا لقد ارتبط وجود السوسولوجيا في الجزائر بوجود الإستعمار الفرنسي، ومن ثم " يعتبر علم الإجماع خلال المرحلة الكولونيالية، علم سخر لخدمة الأيديولوجيا الكولونيالية، وهذا على حساب الأهالي، كونه لم يكن في هذه الفترة مطلب جزائري، بل سلاحا في يد المستعمر وتقنية من بين تقنيات الكشف والتعرية لخبايا المجتمع الجزائري " (2). لقد فشلت المحاولات الإستدمارية في تفكيك مختلف الروابط، التي جعلت من الجزائريين رجل واحد وقف كجدار صلب في وجه كبريات الدول الإستدمارية والقوى العظمى، فلم يجد بدًّا من الوصول إلى مبتغاه، إلا العلم كمصدر للحكم والنفوذ، نكتشف هذا من خلال ما صرح به ريني مونيي " R. Maunier " في قوله: " إن لنا مصلحة نظرية

1- جمال معتوق، " علم الإجماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا "، المرجع سابق الذكر، ص 79.

2- جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 81.

وتطبيقية لتتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولاً لأنه من حقنا ومن واجبنا نحن الفرنسيين، أن نعرف ونفهم جميع الشعوب التي نحملها وندير شؤونها؛ ولا نتوقف أبداً عن القيام بالواجب نحوها. وإنما في تنظيم الدراسات من غايات مادية وتطبيقية، باعتبار أن العلم مصدر للنفوذ والحكم " (1).

بالرغم من الصيغة المنشقة التي تجلت بها هذه الأسطر، إلا أن هذا الغطاء لم يستر كل ما أراده " مونيي " ، أن الأيديولوجيا الاستعمارية للسوسيولوجيا في الجزائر، كانت واضحة كل الوضوح " ذلك أن المستعمر قد حاول أن يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية في الجزائر، وفق تطور الرأسمالية الأوروبية وتحقيقاً لأغراضها، وقد كان يملك الوسائل الكافية للقيام بهذه المهمة، بما في ذلك المعرفة السوسيولوجية، وقوة السلاح ومركز السلطة " والأمثلة كثيرة عن الخدمة النفيسة التي قدمتها السوسيولوجيا للمستعمر الفرنسي، حيث نجدها قد اخترقت جميع الفئات الاجتماعية، واستطاعت أن تتوصل إلى ما لم تقدم عليه الأسلحة؛ هكذا فقد مدّت المستعمر بمعلومات كان لن يصل إليها، لو اعتمد فقط على القوة، وهنا نذكر الخدمات التي قدّمها كل من: لوثرنو (le tourneaux) وريين (Rinn)، ودوما (Daumas)، ودونوفو (Deneuve) وهانوطو (Hanoteaux)، وكلهم وغيرهم من الذين كانوا في الصفوف الأولى في المسيرة الكولونيالية " (2).

المطلب الرابع: السوسيولوجيون الكولونياليون في الجزائر:

إن الذين كتبوا عن المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، كثيرون جداً، قسّمهم الأستاذ الدكتور جمال معتوق إلى مايلي⁽³⁾: النوع الأول: ويضمّ الفضوليين، وهم أناس لا علاقة لهم بعلم الإجماع أو العلوم الجماعية بشكل عام، كانت الكتابة عندهم بمثابة

1- محمد نجيب بوطالب، " صورة العربي الآخر ناظر ومنظور إليه "، مجلة المستقبل العربي، العدد 134، بيروت، لبنان 1990، ص: 86.

2- جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 37.

3- جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 35.

تسليّة، أو تجنيداً، أو تطوّعا لخدمة المشروع الكولونيالي، ومنهم أطباء سواح، تجّار، أناس بدون أية حرفة وغيرهم.

النوع الثاني: ويشمل العساكر (الجنود والضباط)، وخاصة الضباط من الرتب العليا، ومعظم كتاباتهم هي محاولة لتأكيد تفوق الغربي الفرنسي، على الجزائر البربري المتخلف؛ ويشكّل هذا النوع أكبر عدد من الذين كتبوا، حول مختلف المواضيع الاجتماعية، والثقافية والدينية في الجزائر، ونصّبوا أنفسهم بالمختصين في المسألة الجزائرية؛ وما يميز أغلب هذه الدراسات هو طغيان الذاتية والعنصرية، ونسبة قليلة منها ترقى إلى مستوى البحث العلمي.

النوع الثالث: يمكن تقسيمه بدوره إلى ثلاث مجموعات:

أ- وتضم أصحاب الاتجاه الأكاديمي الذي كان مبتعداً عن علم الاجتماع الرسمي الكولونيالي، واقرب إلى الخطاب الاستشراقيين ومن بين هؤلاء نجد: جون دريتز (Jean Dritz)، وشارل أندري جوليان (Charle André Julien)، وجاك بيرك (Jacques Berque) وغيرهم، الذين جعلوا من الجزائر حقلاً لدراساتهم الميدانية، فأغلبيتهم قاموا بهذه الدراسات، في إطار إعداد بعض الشهادات الجامعية كالدكتوراه.

ب- المجموعة الثانية: وتضم الباحثين السوسيولوجيين، الذين كانوا دراساتهم إيديولوجية استعمارية، هدفت بكل الوسائل والطرق إلى تزييف الحقائق، ونشر الأباطيل كما سنرى ذلك لاحقاً.

ج- المجموعة الثالثة: وتضم كل الباحثين السوسيولوجيين ذوي الأبحاث العلمية الجادة في الجزائر.

ويمكن أن نجمال كل من ساهم في الكتابة السوسيولوجية، خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية للجزائر في التالي:

- جنود، ضباط، رجال آداب، روائيون، رجال دين، فلاسفة، جغرافيون وغيرهم من التخصصات الأخرى، طلبة، باحثون، أطباء، بدون أي مهنة مجرد فضوليين... إلخ.

المبحث الثالث: النخبة السوسولوجية ما بعد الاستقلال:

لا يمكن البحث في مسارات وتطور النخبة السوسولوجية الجزائرية، دون التطرق إلى النخبة المثقفة الجزائرية عموماً إبان الاستقلال؛ وإلا سوف نكون قد قمنا بعملية بتر أو القفز، على مرحلة تاريخية من حياة الأمة الجزائرية، يجب الوقوف عندها؛ لأنه انطلاقاً من هذه المرحلة، بدأت الإرهاصات الأولى لظهور وتشكل المشتغلون بعلم الاجتماع الجزائريين. ففي اعتقادنا نستطيع أن نصف، مرحلة الاستقلال الأولى وباهتمام سوسولوجي، قد يخالفنا فيه البعض لاسيما المؤرخون؛ فكل فئة كانت تعبر عن فكر عقائدي أو فلسفي قيمي معين، يحاول التكيف مع الأوضاع والوضعيات السوسيو- تاريخية، للجزائر المستقلة؛ وتمكناً أن نؤرخ لهذه المراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: النخبة ومرحلة الاستقلال الأولى، بداية 1962.

المرحلة الثانية: النخبة ومرحلة ما بعد الاستقلال مع نهاية الستينات.

المرحلة الأخيرة: النخبة السوسولوجية ومرحلة ما بعد الثمانينات.

سننظر إلى الخصائص والملامح الكبرى لكل فترة على حدة.

المطلب الأول: المرحلة الأولى: النخبة ومرحلة الاستقلال الأولى:

عرفت هذه الفترة بنفوذ الانتليجانسيا البيروقراطية، ضمن أجهزة وهيكل الدولة، ويمكن تحديد ماهية هذا النوع من النخب، بأنها تلك التي أكسبها احتكاكها المباشر، مع الأجهزة والهياكل الاستعمارية، ثقافة تنظيمية⁽¹⁾ بغض النظر عن طبيعة تلك الهياكل والأجهزة؛ سواء أكانت مصنعا أو إدارة أو قطاعا فلاحيا أو عسكريا...؛ فالحاجة إلى سد الفراغ في هذه الأجهزة المستقلة، أتاح لهذه النخب فرصة الحضور المكثف، بفعل التراكمات المعرفية والخبرة المكتسبة خلال مرحلة ما قبل الاستقلال، سواء مع الاستعمار أو حتى مع جيش

1 - مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر - دراسة في الاستعمار والتغير الاجتماعي - السياسي، ترجمة: سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، بدون سنة، ص 182.

التحرير الوطني؛ وهي وإن كانت قليلة من حيث الكمّ، إلا أنّها قوية من حيث النوع، ويرجع ذلك إلى قوة رأسمالها المتمثّل أساسا في الخبرة، والممارسة، والاحتكاك؛ كقيم أساسية للعمل وإدارة الوظائف والأجهزة؛ فهي تمتلك سلطة اللغة (الفرنسية)، كأداة للتواصل الوظيفي من جهة، وكأداة للتمايز الاجتماعي من جهة أخرى؛ وللتدليل على هذا، فقد قدّمت الباحثة "مغنية الأزرق" في مؤلّفها "نشوء الطبقات في الجزائر"، أرقاما إحصائية عن مختلف الأصناف للنخب المثقفة، من الجيل الذي احتك وتكوّن في الإدارة الاستعمارية، والذي تمّ الاستعانة به عشية الاستقلال، باعتباره جيلا افتك سلطة المعرفة وقيم العمل عن كثر، فكان توزيعهم وحسب الباحثة كما يلي:

- محافظون، أمناء عامين، مديرو مجالس ونسبتهم حوالي 43%،

- مشرفي مكاتب خبراء وتبلغ نسبتهم 77%،

- موظفون كتبة 12%، سعاة 3% (1).

فالترويج للانقسامية داخل النخبة الجزائرية، يرجع القسم الأكبر منه، إلى إشاعة فكرة اللغة الميّتة واللغة الحيّة للزمن الاستعماري؛ ليأخذ أشكالا وصورا أكثر تطرّفا مع الاستقلال. فانقسمت النخبة تبعا للغة التي تحملها، وتدافع عنها (عربية/فرنسية)، وشغلت الأماكن والأدوار والوظائف، ضمن أجهزة الدولة لنفس السبب كذلك.

يقول الباحث الجزائري "عبد الناصر جابي" (2) معلقا على هذه الوضعية: "الفئات المثقفة الجزائرية، التي لم تستطع دائما القيام بأدوارها المختلفة المطلوبة منها، ليس جزاء عددها القليل وتأهيلها الضعيف، بل نتيجة هذه الانقسامية التي اتسمت بها أدوارها ووظائفها؛ مثقّف معرّب لا يهتم إلا بالديني والأيدولوجي، ولا يحتل من المواقع إلا ما له علاقة بالجماهير...، مثل الإعلام والشؤون الدينية؛ مقابل متعلّم بالفرنسية تمّ منحه كلّ

1 - مغنية الأزرق، نفس المرجع، ص 185.

2 - عبد الناصر جابي، "الدولة والنخب: دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية"، منشورات شهاب، باتنة، الجزائر، 2008، ص 29.

قطاعات التسيير الاقتصادي والإداري للعمل...، تقسيم المهام والأدوار والمواقع، الذي يستمد شرعيته من النظرة السائدة للغاب ومحتواها القيمي، لغة فرنسية عصرية كلغة علم وحياة، مقابل العربية لغة الدين والتاريخ والآخرة " (1).

وس يحدث نفس هذا المنهج في الجامعة الجزائرية، والصراع بين المتكويين باللغة الفرنسية، والذين درسوا باللغة العربية، في كل فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولم يفلت منها أيضا علم الاجتماع.

في هذه الفترة نستطيع الحديث عن علم الاجتماع، وليس على النخبة السوسولوجية لعدم تشكّلها أصلا، نظرا للظروف التاريخية التي مرّت بها الجزائر، وقد تطرّقنا لها في مبحث سابق من هذا الفصل.

فعلم الاجتماع في الجزائر ارتبط بجملة من المتغيرات التاريخية والبيداغوجية، التي نشأت وتطوّرت مع النخبة السياسية ومشاريعها بشكل عام؛ [غير أن اللافت للنظر أن توطّد الصلة، بين السلطة السياسية وعلم الاجتماع، لم يكن بنفس الدرجة ولا بنفس الأسلوب]، ففي هذه المرحلة التي عرفت مدّا للظاهرة الكولونيالية بوجه عام، شمل جوانب عديدة من الحياة في الدولة الفتية؛ فإن علم الاجتماع المدرّس بالجامعة، لم يكن بدوره ليشدّ ويتفرّد بالاستقلالية، تجلّه في منأى عن الهيمنة الثقافية والبيداغوجيا الاستعمارية (2).

فرغم الانتصارات الباهرة التي حققتها الثورة الجزائرية، ظلّت مقرّرات علم الاجتماع الفرنسية، تعالج مشكلة الاستعمار على أنها مسألة إنسانية، وأنها من وسائل نشر الحضارة؛ ويظهر من استمرار الممارسة التدريسية لعلم الاجتماع، على المنهج الذي تقرره المدرسة الفرنسية.

1 - عبد الناصر جابي، مرجع سابق الذكر، ص 29..

2 - محي الدين مختار، " واقع الممارسة السوسولوجية في المجتمع الجزائري "، مجلة البحوث السوسولوجية، قسم علم الاجتماع- كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الجزائر، العدد 01، السنة 2000، ص ص 44-45.

ما ميّز هذه المرحلة أيضا، كونها سعت إلى إرساء قواعد البحث السوسولوجي، مع التوفيق بين مصالح فرنسا من جهة، ومصالح الدولة الوطنية من جهة أخرى. تميّزت هذه المرحلة بغياب الهياكل والقوانين الضابطة للممارسة السوسولوجية⁽¹⁾، كما أنّ أغلب الإطارات التي كانت تدير وتشرف، على تدريس علم الاجتماع فرنسية أو أجنبية. خلال هذه الفترة أيضا، كان المشتغلون بهذا العلم من الجزائريين، فئة تعدّ على الأصابع مقارنة بالفرنسيين، الذين كانوا يهيمنون على هذا القسم.

المطلب الثاني: المرحلة الثانية: النخبة السوسولوجية وحكم الحزب الواحد: الفترة ما بين 1971-1979:

تميّزت هذه الفترة بهيمنة خطاب أيديولوجي شعبي، وجرى التركيز على التحولات الاجتماعية والاقتصادية الهادفة، إلى إقامة مجتمع العدالة الاجتماعية، والتحرّر من التبعية والهيمنة، وعلى تحقيق النمو والازدهار؛ واعتبر علم الاجتماع علم في خدمة قضايا، ومصالح، واهتمامات، الطبقات الكادحة؛ وتميّزت بإصلاح التعليم العالي، وخاصّة علم الاجتماع، بالإضافة إلى التعريب، وإعادة الاعتبار للممارسة السياسية؛ أعطي هامش عريض أيضا للمشتغلين بهذا العلم في القيام ببحوث ميدانية، لكن هذه البحوث كانت في خدمة أيديولوجية النظام، وليس في خدمة المجتمع⁽²⁾.

ولوحظ بأنّ هناك مجهودات من قبل الباحثين الجامعيين، المهتمّين بالارتباط بواقع الوطن؛ لكن الحقل السوسولوجي خلال هذه الفترة، عرف انقساما داخل النخب المشتغلة به؛ وفق تصوّر أيديولوجية النظام الحاكم، فهناك السوسولوجيون العضويين وآخرين تقليديين، على حدّ تعبير "غرامشي"، فالعضويون منهم من: "جنّدوا للدفاع عن الأيديولوجيا الإشتراكية، أي أيديولوجية النظام الحاكم...، (أمّا غير العضويين) وهم الذين وقفوا في طريق المدّ

1 - جمال معتوق، " واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي... "، المرجع سابق الذكر، ص 96.

2 - نفس المرجع، ص 97.

الماركسي، وأخذوا من المعسكر الرأسمالي تكوينهم السوسيولوجي، ومقارباتهم النظرية من السوسيولوجيا الرأسمالية، فنعتوا بالرجعيين والبرجوازيين...⁽¹⁾.

إن هذا التصنيف لم يكن يأخذ أشكالا متخفية، بل كان مكرّسا في الخطاب الرسمي للنظام الحاكم، وهو ما صرّح به وزير التعليم العالي آنذاك قائلا: "... يمكننا أن نلاحظ بارتياح، وعي الطلبة بالنمط الأيديولوجي بصفة خاصة، والملتزم لتخصّصهم الذين يمارسونه بروح مسؤولة، ومساهمة طلبة علم الإجتماع في التطور، علامة مشجّعة لإنسجام دروس علم الإجتماع مع المشاكل الأساسية..."⁽²⁾.

وخلال هذه الفترة برزت النخبة السوسيولوجية، التي هي من الجيل الأول لعلم الاجتماع، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور عبد الرحمان بوزيدة، والدكتور عبد الغني مغربي، والدكتور محمد السويدي (رحمه الله)؛ حيث قاموا بأعمال أكاديمية مميّزة، وساهموا في انطلاقة علم اجتماع " وطني " إن صحّ التعبير.

خلال هذه الفترة أيضا، عرف توافد العديد من علماء الاجتماع الفرنسيين مثل: " آدام " و"هنري فانسون توماس" (Henri Vincent Thomas) و"بيار أنزار" (Pierre Ansart)؛ لكن هذا الجو لم يكن له تأثير، على مسار الممارسة السوسيولوجية بالجزائر، نظرا لغياب استراتيجية عمل، وضبابية في رسم الأهداف، وخاصة ما ينتظره هؤلاء المسؤولين من هذا العلم⁽³⁾.

ففي هذه الفترة من أحادية الحزب الحاكم، فإنه في ما يتعلق بالمدارس المذهبية، والتي لحقت بعلم الاجتماع الذي يقّم في الجامعة، جرّاء تعدّد مدارس المتعاونين؛ فهي ظاهرة كرّست مذاهب غريبة عن المجتمع الجزائري، ولا تساعد منهجيا في الاضطلاع بظواهر

1 - مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر، دراسة التغيير الاجتماعي السياسي، مرجع سابق الذكر، ص 183.

2 - جمال معتوق، نفس المرجع، ص 96.

3 - جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 93.

المجتمع، درسا وتحليلا وتفسيرا، وحوّلت الجامعة إلى ساحة للجدل الأيديولوجي، من خلال تعلّم أو تدريس علم الاجتماع (1) .

فذاك هو الذي طبع هذه الفترة بشكل عام، وفيما يتبين أن محاولة جرت لتأسيس، منهج ووظيفة لعلم الاجتماع، يخدم أيديولوجية النخبة؛ وأن تكوين السوسيولوجيا العقلية بدل السوسيولوجيا المكتبية؛ هو من منطق الخط السياسي ذاته، الذي كان في سياق التحويلات، يعيش على وقع الثورات الثلاث، الزراعية والصناعية والثقافية، بهدف بناء مجتمع جديد. كل ذلك كان ضمن تصوّر أحادي في المستوى السياسي، وانعكس على الأدوار والممارسات السوسيولوجية للنخبة السوسيولوجية.

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: النخبة السوسيولوجية ومرحلة التعددية السياسية: ما بعد سنوات الثمانينات:

شهدت هذه المرحلة حقتين حاسمتين، بدأت الحقبة الأولى مع مشروع " السلطة الحاكمة "، في تعديل المسار التنموي للبلاد؛ وما أعقب ذلك من تغييرات اجتماعية وسياسية، انعكست على ممارسات وأدوار، كافة النخب الاجتماعية بما فيها النخبة المثقفة. أما الحقبة الثانية فتميزت بتصاعد الصراع الاجتماعي، وتعميق الفجوة بين السلطة الحاكمة والجمهير الشعبية (2) ؛ إذ تكرر التداول في هذه المرحلة بين نخبتين، العلمانية والإسلامية، هذا على المستوى السياسي؛ وانعكست كل الممارسات السياسية السلطوية، على الحقل السوسيولوجي والمشتغلين فيه.

1 - الطاهر إبراهيمي، " نحو علم اجتماع ما بعد التعددية السياسية في الجزائر - الدواعي والإمكان "، مرجع سابق الذكر، ص 06.

2 - نور الدين زمام، " حول سوسيولوجية المتقف الجزائري "، محنة إضافات، العدد الأول، شتاء 2008، ص ص 126-141.

كان من المفترض أن يكون التحوّل من أحادية الحكم، إلى تعددية سياسية وخصخصة اقتصادية أيضا، أن يكون سلسا وسليما وحضاريا، لكن حدث العكس حيث كان التحوّل عسيرا وعنيفا وداميا.

ففي هذه المرحلة أفرغت البرامج، من الشعارات والمفاهيم ذات الصبغة الاشتراكية؛ كما تمّ الاستغناء عن المشتغلين بعلم الاجتماع، حيث يقول البروفيسور معتوق في هذا السياق: "...أصبح المسؤولون ينظرون إلى هذا العلم، نظرة عدائية واحتقارية...." (1).

التحوّل العنيف الذي تحدّثنا عنه سابقا، كنّا نقصد به أحداث أكتوبر 1988، والتي كانت لها انعكاسات على الممارسة السوسيولوجية؛ حيث خرجت الجماهير ولأول مرّة، مطالبة التغيير والديمقراطية (2)، وكذلك أحداث ما بعد توقيف المسار الانتخابي سنة 1991، ودخول البلاد في دائرة العنف والإرهاب وقمع الحريات..؛ وهي من الأحداث التي سوف تنعكس على مجريات المسيرة السوسيولوجية بالجزائر. وكان قبل هذه الأحداث، أن بدأ يضرب حصارا، على علم الاجتماع والتنمية السوسيولوجية أيضا، عندما اعتمدت في الخريطة الجامعية لسنة 1984، حيث قلّصت الدولة، نفوذ دور العلوم الاجتماعية، وهذا على حساب العلوم الطبيعية والتكنولوجية (3).

واستهدفا تقزيم علم الاجتماع، برز في برنامج علم الاجتماع، لسنة 1983-1984، أن حوّل علم الاجتماع إلى فرع تقني، يلبي متطلبات القطاعات المستخدمة (4).

1 - ابن منظور، "لسان العرب، حرف النون، مادة نخب"، الجزء الرابع عشر، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2003.

2 - جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 99.

3 - نفس المرجع، نفس الصفحة، ص 99.

4 - جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 100.

- نقصد بالعمليات الإجرامية، فترة العشرية السوداء في الجزائر، أو الحرب الأهلية، وهي صراع مسلح قام بين النظام الجزائري، وفصائل متعدّدة، تتبى أفكارا موالية لـ"الجبهة الإسلامية للإنقاذ"، والإسلام السياسي، بدأ الصّراع في جانفي 1992، عقب إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية لعام 1991 في الجزائر؛ والتي حققت فيها الجبهة الإسلامية فوزا مؤكدا؛ ممّا حدا بالجيش الجزائري التدخل، لإلغاء هذه الانتخابات في البلاد، مخافة فوز الإسلاميين فيها.

لوحظ أثناء هذه المرحلة، أنه كان هناك تجاهلا للدور الحقيقي، الذي كان يمكنه أن يؤديه، علم الاجتماع، في التأثير على التحوّلات الجارية في المجتمع.

فبرغم أنه في هذه الفترة، وتحديدًا مع بداية التسعينيات، أوكلت مناصب عليا في الدولة، لبعض المشتغلين بهذا العلم؛ فكانت نخبة أن احتسبت على النظام الجزائري، لكنّها قليلة جدا في العدد؛ ومع ذلك لم تسلم من الإقصاء أو التصفية الجسدية، أيّا كانت الجهة أو التيار أو الأشخاص الذين قاموا بهذه العمليات الإجرامية. إنها تجربة دامية عاشتها الجزائر، حاضرة بتفاصيلها وأسئلتها، وبالمرارة التي تركتها في النفوس، خاصة في نفوس أبناء الطليعة الفكرية، والتي دفعت الثمن غاليا في مواجهة جهات ظلامية إرهابية، التي عملت منذ أكثر من عقد، على محاصرة الفكر المستتير، وسدّ آفاق التفكير في المستقبل.

ونخبة سوسيولوجية أخرى كانت من ضمن المعارضين للنظام السياسي؛ ونخبة سوسيولوجية لم تعارض ولم تؤيد النظام، لكنها انعزلت وعزلت نفسها بالهجرة إلى الخارج، أو التوقّع على الذات، لإحساسها بالغربة واغتراب الانتماء إلى هذا الوطن.

وبدأ الصراع في ديسمبر 1991، عندما استطاعت الجبهة الإسلامية هزيمة الحزب الحاكم " جبهة التحرير الوطني "، وألغيت الانتخابات بعد الجولة الأولى، وتدخل الجيش للسيطرة على البلاد، وتمّ حظر "الجبهة الإسلامية"، واعتقل الألاف من أعضائها؛ شنت الجماعات الإسلامية حملة مسلحة ضد الحكومة ومؤيديها، وقامت بإنشاء جماعات مسلحة، اتخذت من الجبال قاعدة لها؛ وأعلنت الحرب على الجبهة الإسلامية والنظام في عام 1994. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://www.wikipedia.org> بتاريخ 2018/03/18 على الساعة 19 سا. 45.

المبحث الرابع: بين استاتيكية النخبة السوسولوجية وديناميكية النظام وحركية المجتمع: نماذج من النخبة داخل النظام الحاكم والمؤيدة لأيديولوجيته.

المطلب الأول: نماذج من النخبة داخل النظام الحاكم والمؤيدة للايديولوجية الأنموذج الأول-1-: عالم الاجتماع عبد القادر جغل (1).

هو من الجيل الأول لعلم الاجتماع.

المولد والنشأة: من مواليد 1946/12/27 بـ "رانس" بفرنسا، نشأ ودرس بمؤسساتها التعليمية.

المسار الدراسي:

- تحوّل على شهادة البكالوريا عام 1964 بفرنسا.
- نال شهادة الليسانس في الفلسفة بجامعة الجزائر عام 1967.
- نال دبلوم الدراسات المعمّقة في الفلسفة عام 1968.
- تحوّل على دكتوراه حلقة ثالثة من "باريس 5" عام 1972، وكان عنوان البحث: "فرانز فانون، غموض أيديولوجية العالم الثالث".

مساره التدريسي في الجامعة:

- أستاذ مساعد بقسم الفلسفة (جامعة الجزائر - جامعة وهران).
- درّس مادة تاريخ الفلسفة والأيديولوجيات.
- درّس مادة الاستيمولوجيا وتاريخ العلوم ما بين 1969 و1971.
- أستاذ مكلف بالدروس في علم الاجتماع (بجامعة وهران).
- درّس مادتي علم الاجتماع الريفي، سوسولوجية تاريخ الجزائر من سنة 1972 إلى غاية 1984.

1 - جمال معتوق، "علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى اليوم"، مرجع سبق ذكره، ص 221.

إنجازاته العلمية، وكلها باللغة الفرنسية⁽¹⁾.

- مدير بحث في مذكرات دبلوم الدراسات المعمّقة، وشهادات الماجستير، في علم الاجتماع والآداب بجامعة وهران من سنة 1975 إلى غاية 1984.

- مدير مركز البحث والإعلام التوثيقي، في العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة وهران (CRIDSSH)².

- باحث في المركز الوطني للدراسات الإنسانية بجامعة الجزائر.

- باحث بمنظمة اليونسكو (UNESCO).

- باحث بإكس أون بروفانس (Ex en Provence).

بالإضافة إلى مشاركته في إذاعة الجزائر، على القناة الأولى والثالثة، وبالقنوات الإذاعية الفرنسية (قناة فرنسا الدولية RFI الثقافية).

- شارك بمحاضرات:

- حول الحضارة الإسلامية للمغرب العربي،

- التطور السوسيو تاريخي الحديث للجزائر،

- كفاءات اندماج المغاربة في المجتمعات الأوروبية، في الجزائر وفي أوروبا (فرنسا، بلجيكا، سويسرا أو ألمانيا).

المنشورات:

أ- المؤلفات:

مؤلفات صدرت ونشرت باللغة الفرنسية:

- Annuaire des Enseignants, Chercheurs en sciences sociales et Humaines De L'université D'Oran, (CRIDSSH) Oran, 1980.

- Élément D'histoire Culturelle Algérienne, ENAL, Alger, 1984.

1 - جمال معتوق، المرجع السابق الذكر، ص 222..

2- باللغة الفرنسية: Centre de Recherche Et D'information En Sciences Sociales Et Humaines (CRIDSSH)

ترجم هذا المؤلف إلى اللغة العربية من دار النشر "الحدّاءة" ببيروت:

- Ouvrages en Collaboration

- Histoire Culturelle et société (en collaboration avec Mustapha Lachraf ,C/Can Paris.

- بالنسبة للمجالات العلمية والثقافية: نشر مقالات بمجلات جزائرية علمية بجامعة

وهران مثل: مجلة " تاريخ"، مجلة " الأصالة"، مجلة " الثقافة".

في ما يخص مجهوداته المبذولة وهو مستشارا خاصا لرئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة، فلم نحصل على أية معلومات أو وثائق، نعرف من خلالها، كيف قدّم أفكاره ومشاريعه التنويرية في إطار اختصاصه، وكيف استثمرت، أو وظّفت، أو طبّقت في إطار البرنامج المجتمعي لرئيس الدولة.

وبما أن موضوع بحثنا هو الإنتاج المعرفي، فقد حاولنا الإلمام بكل إنتاجه المعرفي، والذي وجدنا فيه مراجع ومؤلفات لأساتذة جامعيين، كتبوا عن هذا المعلم والمعلم.

قراءة في فكر الأستاذ " عبد القادر جغول ":

- على الصعيد الثقافي نذر " الأستاذ جغول " جهوده لكشف عن طبيعة مجتمعات المغرب العربي، التي اندمجت بطريقتها الخاصة ثقافيا وسياسيا واقتصاديا في العالم الإسلامي. فانطلق مشروعه العلمي من دراسة أسس ومراحل تطور التكوين الاجتماعي الجزائري (والمغربي عموما) عبر العصور، برؤية بنائية شاملة، ووفق منهج سوسيولوجي متكامل، بعيدا عن الأحادية الجامدة والمؤدلجة.

بنى الأستاذ عبد القادر نموذج الفكري أو إلى حدّ ما " البراديغم " عبر تحقيق علمي فذ، وسار ضمن اتجاهين متكاملين¹:

الإتجاه الأول: أنه سعى في تحقيقه الأول إلى إظهار، خصوصيات التكوينات الاجتماعية المغربية؛ وقام بتبيان المرتكزات والأسس التي عضدت الجدار الاجتماعي لهذه

1 - نور الدين زمام، تأملات سوسيولوجية في الواقع الجزائري والعربي، بسكرة، ط 2 ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، 2017، ص24.

المجتمعات، وساعدت على كينونتها، في المحافظة على مقوماتها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

الإتجاه الثاني: أرفق الأستاذ جغول جهده العلمي هذا، بتنفيذ صارم لمختلف افتراضات الفكر الاستعماري وادعاءاته. فلقد تتبّع أطروحته العنصرية البربرية والتغريبية. فمن خلال مؤلفه الضخم " علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلّق بالحركة الوطنية والثورة " وهو المجلد الثاني، حيث بحث في هذه النظريات المظلمة، حول المغرب العربي، من أن هذه البلدان قد غلب عليها ولعهود متتالية التشرذم والانقسام، وأنها عرفت الفوضى ولم تشهد النظام؛ فالتاريخ السياسي للمغرب هو مجردّ تعاقب طويل لصراعات غامضة بين القبائل، التي أعاقت إقامة حكم سياسي تابع للدولة.

ضمنت أغلب مؤلفات الأستاذ عبد القادر، العديد من السّجالات، التي خاضها ضمن المعترك التاريخي والفضاء الثقافي؛ وردّ على الكثير من الأطروحات " الأكاديمية " التاريخية المغالطة، فهو المؤسس لمشروع وطني من مقومات أفكاره، يقول في هذا السياق التالي: " .. أن المقدرة الصحيحة على نقل وقائع الماضي، هي أحد عناصر الوعي القومي المتجانس، والديناميكي القادر على مجابهة الحاضر والتطلّع إلى المستقبل... " (1).

وفي مؤلفه " فصول تاريخ الجزائر الحديث "، يعرض الأستاذ جغول تحليلاته التاريخية لتطور البنى الاجتماعية، وتاريخ الفكر الاجتماعي، ويتفحص النصوص والإرهاصات الفكرية، التي تناولت إشكاليات التلاقي بين المجتمعات المغاربية والبلدان الغازية (2). وتفرد هذه المجتمعات بطريقة ترحيبها وقبولها، للاندماج الثقافي والسياسي والاقتصادي، عن باقي مجتمعات العالم الإسلامي، مع محافظتها الجازمة للاستقلال، ومع لعبها - الشعوب

1 - نور الدين زمام، تأملات سوسولوجية في الواقع ...، المرجع سابق الذكر، ص 26.

2 - عبد القادر جغول، تاريخ الجزائر والمغرب العربي، ترجمة: فضيلة الحكيم وفيصل عباس، الجزائر، ذاكرة الناس، 2013، المجلد الأول، ص 176.

المغربية - دورا بارزا في نشر تعاليم الدين الإسلامي في ربوع أوروبا، بل إنها استطاعت كما يقول البروفسور زمام، تأسيس نظام سياسي قادر على تجاوز إطار القبيلة.⁽¹⁾

-أما في مؤلف آخر للأستاذ جغلون تحت عنوان " الصراعات الثقافية في الجزائر"، عرض فيه محاولات التشويه وآثار الإجهاض، التي لحقت بالبناء الثقافي والشخصية الوطنية، واستعرض جهود المثقفين باختلاف مشاربهم، لمواجهة مخططات التغريب والاستلاب؛ وتفعيل العناصر القادرة على إيقاظ الشعب الجزائري وتوعيته.

سعى الأستاذ جغلون دائما في إطار تأسيس مشروع الثقافي، أن يربط الحاضر بالماضي، ويكتب في هذا السياق ما معناه أن نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، هي حقبة بالغة الأهمية، ننسى أننا ورثتها، وأن تلك الحقبة شهدت أزمة ثقافية، بسبب انهيار النظام التربوي والديني، السابق للاستعمار انهيارا جزئيا؛ وإقامة جهاز تربوي استعماري يكبح نفسه تلقائيا؛ ويقود إلى سياق مثلث، يقوم على تجهيل جماعي، وتحول جزئي محافظ، وبروز هش لعناصر فك ثقافي جديد.⁽²⁾

عرض الأستاذ جغلون في مؤلفه هذا، ملامح مشروع الثقافي، بتحفيز الباحثين للاضطلاع بأدوارهم، وبتقديم الدور الذي قام به المثقفون خلال تلك الحقبة؛ والذين كانوا بمثابة العوامل المحركة لتكوّن هذا الفلك الجديد، فهؤلاء النخب كان عددهم محدودا، وكانوا منقسمين في تصنيفات متعددة، يتنازعهم الغرب الذي فرض نفسه، بتفوقه المادي هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى الفكر العربي- الإسلامي، الذي مازال يجتذب الناس كطباق حقيقي، وصمام أمان، في مواجهة الغرب الكولونيالي على حدّ سواء.⁽³⁾

1 - نور الدين زمام، نفس المرجع، ص 27.

2 - عبد القادر جغلون، علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة، ترجمة فضيلة الحكيم، فيصل عباس، ذاكرة الناس، الجزائر، 2013، المجلد الثاني، ص 814.

33 - نفس المرجع، ص 816.

وفي مؤلفه السابق ذكره، نجده يعالج، أهم القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية، من خلال التراجم والسير لبعض الشخصيات الثقافية الجزائرية البارزة، مبينا إسهاماتها ومواقفه، ومبرزاً بعض الجوانب التي لم تسلط عليها الأضواء.

ففي كتابه " علم الاجتماع التاريخي والثقافي .."، وفي الصفحة الـ(469) وتمهيدا لعرض بعض الشخصيات المثقفة يقول في هذا السياق: "، لم نتكلم هنا إلا على "المثقفين الكبار"، أو أولئك الذين ينتجون الأفكار، وسلع الاستهلاك الثقافي على المستوى المركزي، بواسطة الكتاب، ووسائل اتصال اجتماعية أخرى، نعني بالطبع وجود نموذج آخر من المثقفين، المرتبطين عضويا بأوسع الجماهير الشعبية، والذين ينتجون بالوسائل الخاصة بهم، في الحالة العرضية القصوى".⁽¹⁾

يتطرق الأستاذ جغول أيضا إلى مصطلح اجتماعي، وسوّقه في المحيط السوسيو تاريخي للمجتمع الجزائري، ألا وهو مصطلح الأنتيلجنسيا، الذي هو مجموعة اجتماعية مشكّلة، تحدد كل مجتمع ينتج مثقفيه، وفي الوقت ذاته نظرية تؤسسهم بوصفها هوية جماعية، يضيفي مواقفهم الشرعية عليها. نظرية تغطي خط مسارهم بنية، وتخفي علاقتهم بالمجتمع الكلي². ويعرّف الأستاذ عبد القادر بأن المثقف الأول قسمة اجتماعية للعمل، ناتجة عن تمايز وظيفي، جعله ممكنا تطور النظام الاجتماعي الكلي؛ إنه مراكمة معرفية تميّز شريحة من المجتمع.

الأنموذج الثاني -2-: عالم الاجتماع جيلالي اليابس (ديسمبر 1948-مارس 1993): هو من الجيل الثاني لعلم الاجتماع.

المولد والنشأة:

ولد البروفسور جيلالي اليابس بتاريخ 01 جانفي 1948 بمدينة سيدي بلعباس، إحدى حواضر الغرب الجزائري، وهو أصغر إخوته في أسرة تتكوّن، من ثلاث بنات وثلاث أبناء،

1 - عبد القادر جغول، المرجع سابق الذكر، ص 469.

22 - نفس المرجع، ص 491..

وكان والده " قَدّور اليابس " يمارس حرفة الصياغة"، فهو سليل أسرة جزائرية تقليدية عادية. وما يتميز به بيتهم المتواضع والمتواجد في حي مون بليزير "Mon – Plaisir"، هو الممارسة الدينية من خلال القراءة اليومية للقرآن⁽¹⁾، والأحاديث النبوية؛ كما كانت المكتبة العائلية تحتوي على كتب حول الفكر الإسلامي، ضف إلى ذلك مخطوطات الوالد التي كان يكتبها بصفة منتظمة، من خلال تحرير تعليقات وخلاصات ذات منحنى ديني.

إنضم اثنان من أشقائه وإحدى شقيقاته مبكراً، إلى صفوف جيش التحرير الوطني، وبدأ الطفل ذو الاثني عشرة سنة، يعرف ويعي المحن الكبيرة، التي خلقها الاستعمار الفرنسي في نفسية أسرته، التي فقدت أخاه الشهيد عبد الرحمن، صاحب السبعة عشر عاما في ساحات الوغى؛ وعشية وقف إطلاق النار، تمّ اغتيال أخيه من طرف المنظمة الإرهابية (O.A.S) بسيدي بلعباس.

مساره التعليمي:

واصل دراسته الثانوية بثانوية عزة عبد القادر، وتحصل على شهادة البكالوريا سنة 1967؛ حيث غادر سيدي بلعباس، واختار المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر، أين بدأ دراسة الفلسفة لدى أساتذة أمثال " جورج لابيكا " (Georges Labica) و" إتيان باليبار " (Etienne Balibar)، وهما فيلسوفان فرنسيان تأثرا بهما الطالب؛ أثناء دراسته أسس رفقة ثلثة من رفاقه، نادي للدراسات الماركسية وذلك سنة 1968⁽²⁾؛ بعد حصوله على شهادة الليسانس (الإجازة في الفلسفة).

اختار التوجّه نحو التعمّق في دراسة علم الاجتماع والاقتصاد، التحق سنة 1971 بمركز البحث التابع لوزارة التخطيط (الجمعية الجزائرية للبحث في الديموغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع) (A.A.R.D.E.S)، وأشرف خلال عشر سنوات على إحدى أكبر الدراسات التي

1 – Daho.Djrbal et Mohamed Benguern, Djilali Liabes, La Quête de la Rigueur, Casbah Edition, Alger, 2006, p.17

2 – Ibid, p37.

تبنّاها هذا المركز الأكاديمي والمعنونة: " القطاع الخاص في الجزائر "؛ حاضر وناقش في نفس الوقت، أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة بعنوان: " رأس المال الخاص وأرباب الصناعة في الجزائر من 1962 إلى 1982 " (1)؛ في جامعة مارسيليا Université Aix- Marseille .

عاد بعدها إلى الجزائر، تابع مشواره البحثي دون تعب، وناقش سنة 1988، أطروحة دكتوراه دولة بجامعة باريس 7، عنوانها: " مؤسسات، منظمات، وبرجوازية الصناعة في الجزائر: عناصر سوسيولوجيا المسعى " (2).

المسار المهني:

- مارس مهنة التدريس كأستاذ مدرّس للعلوم الاجتماعية، ليقوم بتلقين علومه باللغة العربية، التي بذل جهودا جبارة للتحكّم فيها؛ كيف لا وهي لغته الفطرية، تعلمها في البيت العائلي، ممّا مكن له أسباب استرجاعها، مقرونة بذكريات معلّمه الأول والده، ثم واصل دربه التحصيلي باستماتة، وعمل شخصي كبير في محاولة منه، للتحكّم الكامل في اللغة العربية، وأعطاهما بعدا جماليا في حسن اختياره المفردات، الدالة والمؤثّرة في نفسية المستمع والقارئ على السواء، مما حبّب الطلبة والزملاء والناس أكثر فأكثر في هذه اللغة (3).

1 - العنوان الأصلي للأطروحة باللغة الفرنسية:

Capital Privé et Patrons D' industrie en Algerie de 1962 à 1982.

2 - العنوان الأصلي للأطروحة باللغة الفرنسية:

Enterprise, Entrepreneurs et Bourgeoise D'industrie en Algérie: Eléments D'une Sociologie D'entreprendre.

3 - تذكر الباحثة الجزائرية الدكتورة فاطمة أوصديق في (ص 93) من الكتاب " **La Quête de la Rigueur** "، أن الراحل جيلالي اليابس كان ينظر إلى اللغة، كشاهد على الانتماء الاجتماعي، وكعلاقة مع المقدّس، وهذه المرجعية نبعت من النقاش، والاستفادة من مقاربات الفيلسوف المغربي " محمد عابد الجابري " والباحث " بيير لوجندر " (**Pierre Legendre**).

إذ تمّ استنتاج عنصرين أساسيين من ذلك والمتمثلين في:

1. مفهوم الزمن الثقافي والذي يحفّز الفيلسوف الأول على ربط الحداثة بالتراث، وهذا الزمن يوحي بأن الفلسفة المغربية، تتصل في زمن اللغة بلغة القرآن، وهي ما تميّز تأثّر المحيط الثقافي للعرب، بالاعتراف من المعين المقدّس.

2. الفيلسوف الثاني يحتفظ بفكرة النص، كضامن للفكر الإسلامي بكل تداعياته، والذي يعارض السبب مع إبقاء كينونة ضمان الفكر العربي.

- سنة 1990 عيّن مديرا لمركز البحث في الاقتصاد التطبيقي للتنمية.

- عيّن وزيرا للجامعات في جوان 1991، في مرحلة عرفت فيها الجزائر أحداثا دامية، تلتها انكسارات عميقة؛ عمل جاهدا على بعث هذه المؤسسة العلمية، وفق مقاييس النجاعة والمصداقية، وكان صريحا في تشخيص داء تسيير الجامعة، من خلال ثلاث نقاط حسّاسة وهي⁽¹⁾:

- الأستاذ الناجح في المدرّج، ليس بالضرورة ناجحا في التسيير الإداري للمعهد أو الفرع.

- المراكز الجامعية المشيّدّة في إطار التوازن الجهوي، تعاني ضعفا في التأطير العلمي، وقد حادت عن الدور المنوط بها، وأصبحت بؤرا لزرع العشائرية والزبائنية.

- هناك تخصّصات وفروع يتعين أن تكون، في الجامعات الكبرى وحدها، مع سماح نسبي للتكوين في الجذوع المشتركة، على مستوى المراكز الجامعية⁽²⁾.

- بعد سنتين من هذا التعيين، عيّن من جديد مديرا للمعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة (I.N.S.E.G)، وقد أشرف على دراسة مستقبلية سميت "الجزائر 2005"⁽³⁾، وكان الهدف منها حصر إمكانيات الجزائر، وبناء توقّع علمي كفيل بإخراج البلد من الأزمة الخانقة، لضمان مستقبل أجيال ما بعد البترول؛ وأشار حينها إلى عائق، في تصوّر هذه الدراسة من قبل الخبراء، وهو العائق المنهجي، وتمكّن من رصد البؤر في الدراسة وأجملها في:

- القطيعة،

واستنتجت الباحثة فاطمة أوصديق ما يوجد لدى جيلالي اليابس، من تأثر واضح بهذين الفيلسوفين، مع اختلاف كل منهما عن الآخر، ومن ذلك اقتنع اليابس بالمرجعية البنائية للمقدّس، الذي تدرج في اللغة العربية، وتستطرد الباحثة قائلة: " في الوقت الذي كنّا نحن، نتساءل عن ضرورة التدريس باللغة العربية، كان هناك من يسارع بالرجوع إلى لغة الشعب كمرجعية أساسية... ويعتبر هذا عودة إلى المقدّس.

1 - **نفس الموقع**، نفس تاريخ التصفح.

2 - الأخضر أبو عزي، جيلالي اليابس... التماس الصرامة.

عن الموقع الإلكتروني: <http://freemediawatch/84-01100649/htm>

تاريخ التصفح: 2014/06/04 على الساعة: 20 سا - 40 د.

3 - العنوان الأصلي باللغة الفرنسية: Algérie 2005.

-العصرنة،

-المادة الرمادية والذكاء،

-التكتلات،

-إعادة تموقع القوى الخارجية، السيادة الوطنية، إمكانات الجزائر... إلخ (1).

ظروف وفاته:

الأستاذ "جيلالي اليابس" كان من ضحايا المأساة الوطنية، التي ضربت الجزائر بكل عنفوان، وقد اغتيل ذات صباح من يوم 16 مارس 1993، بالقرب من منزله بالحي الشعبي ابن عمر القبة - الجزائر العاصمة-. ولم يكن يبلغ حينها الخامسة والأربعين سنة، رحل في أسوأ حقبة من تاريخ الجزائر المستقلة.

-يعتبر من المفكرين السوسولوجيين اللامعين، ورجل خبير في الاستشراف.

-الرجل أنيق حتى في أسلوب كتابة رسائله الإدارية، ويصحح حتى النقاط الناقصة،

ولكم تمنينا أن نرجع عشرين سنة إلى الوراء كي نتلمذ عنده من جديد (2).

مؤلفاته:

- دول العالم الثالث والنظام العالمي الجديد (باللغة الفرنسية)، دار النشر القصبية.

-Pole de Développements et Arrière-Pays, Le Cas de Annaba- El Hadjar 3

C, Reproduction et Politique Sociale, INEAP, Juillet 1985.

- له مقالات نشرت في الصحيفة الأسبوعية الرائدة **Algérie Actualité**.

1 - تصريح لجريدة الأحداث **Algérie Actualité** في فيفري 1993، (حاولنا البحث في أرشيف الجريدة، لم نعثر على العدد الأصلي)

2 - درسنا عند الأستاذ جيلالي اليابس بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تحضيراً لشهادة الليسانس، وكان هذا بالعام الدراسي 1990-1991، وكان يقدم لنا محاضرات في مادة "مدخل إلى علم الاجتماع"، بلغة عربية سليمة وبصرامة عالية، كان هو الذي غير لنا مسارنا العلمي التخصصي، بأن توجهنا بعد الحصول على الشهادة الجامعية القاعدية، إلى التسجيل في الدراسات العليا (ماجستير) في علم الاجتماع، تأثراً بفكره التنويري، وكان له الفضل الكبير.

-سجلنا له مداخلة قدمها في التلفزة الجزائرية في جهاز "K7"، نحتفظ بها إلى اليوم، حيث ألقاها "بجان الميثاق" بالجزائر العاصمة تحت عنوان "طبيعة النظام السياسي في الجزائر"، وهذا أربعة أيام قبل أن يغتال، وكان ذلك يوم 13 مارس 1993.

الأنموذج الثالث -3- : عالم الاجتماع أحمد بوخبزة (1941-1993)⁽¹⁾:

المولد والنشأة:

هو من مواليد عام 1941 ببلدية بريزينة بولاية البيض.

مساره التعليمي:

انتقل إلى المغرب حيث درس بالرباط، وتخرّج في عام 1965 مهندسا في الإحصاء والاقتصاد التطبيقي؛ وفي عام 1969 حصل على شهادة الليسانس، في علم الاجتماع في جامعة الجزائر.

المسار المهني:

- عام 1982 عين مستشارا لوزير التخطيط والتجهيزات العمومية؛ كما اشتغل " بإنشاء المكتب الوطني لرصد وتنسيق الاستثمار الخاص "، الذي كان فيه المسؤول التنفيذي الأول عنه من عام 1983 إلى 1984.

- عين رئيسا للإدارة المسؤولة عن التنمية المحلية والإدارية، في رئاسة الجمهورية إلى غاية 1990.

ظروف وفاته:

اغتيل الأستاذ " بوخبزة " في 22 جوان 1993 ببيته، بحي "تيلمي" بالجزائر العاصمة، خلال العشرية السوداء في الجزائر⁽²⁾.

قراءة في فكر الأستاذ أحمد بوخبزة:

من خلال الملتقى الدولي التي نظمتها، الجمعية الجزائرية للتطوير والبحث في العلوم الاجتماعية؛ تخليدا لروح الفقيه البروفيسور بوخبزة، وذلك تحت عنوان: " معرفة وفهم مجتمعه "، حيث تحصلنا على نسخة من مطوية تحتوي على ثلاثة وأربعون "43" صفحة،

1 - الموقع الإلكتروني: <https://www.maghrevoices.com/a/Algérie-terrorism-victims/369642.html>

تاريخ تصفح الموقع: 2016/12/10 على الساعة: 15 سا. 52 د.

2 - الموقع الإلكتروني: احمد بوخبزة، www.djazairnews.info، تاريخ التصفح: 2016/12/13، 17 سا - 15 د.

تمكنا من إعداد حوصلة بطريقة منهجية منظمة، فالملاحظ عن الأستاذ الراحل بوخبزة، المعروف عن هذا الباحث مواقفه وتأييده لإلغاء المسار الانتخابي ، بعد بداية تسعينيات القرن الماضي، ولكن سرعان ما تراجع عن هذا الموقف، بعد اغتيال الرئيس محمد بوضياف، وكذا سلسلة الإغتيالات المدونة في جدول الحسابات السياسية. لكن المثير للانتباه، في مسيرة الباحث بوخبزة المنتمي إلى النخبة الوطنية،، هو دراساته وبحوثه المركونة حتى الآن، حول المجتمع الجزائري، في مختلف المناحي الثقافية، الاقتصادية والسوسولوجية. ولعلّ جوهر بحوث الباحث هو الإستشرافي المستقبلي، حيث كلف ضمن مجموعة سميت بـ"مجموعة 2005"، بإعداد دراسة حول مستقبل المجتمع الجزائري. لكن رحيل الأستاذ جيلالي اليابس وهو من بعده، كانت الضربة القوية لمشروع ضخم؛ والملاحظ وبحسب شهادة أحد زملائه من الأكاديميين، وهو الدكتور امحمد بن قرنة يقول أن الأستاذ بوخبزة لم يكن معروفا في الأوساط الأكاديمية، هو باحث لم يحتك كثيرا بالأوساط الجامعية، غير أنه باحث ميداني كبير، والأبحاث التي قام بها، ساهمت في الكثير من القرارات ومشاريع كثيرة.

تقول الأستاذة كوريتز جوريتز وهي كاتبة فرنسية، عملت مع بوخبزة لمدة عشر سنوات: ".لديه روح الصرامة ، وغلجان فكري، ولكن في نفس الوقت، نوع من الفوضى في ذهنه، كان يتمتع بتلك القدرة على الانضباط والالتزام، التي اكتسبها بين تكوينه العلمي في مجال الإحصاء، وعلم الاجتماع.. وتلك الصرامة الرياضية التي كانت دائما سقف كل البحوث، لم يكن لديه انحياز سواء سياسي أو أيديولوجي، وهذا كان أمرا مهما جدا، لأن الناس كانوا في تلك الفترة ، يعملون كثيرا في الجانب الأيديولوجي، خاصة الماركسية.. عملنا على المفاهيم والمصطلحات، ونسينا في غالب الأحيان الواقع الميداني، وامحمد كان دائما حريصا على

إبراز هذا الجانب المهم... والبحث عن الدروس التي يمكن استخلاصها من الواقع، وتقديم قراءات للمستقبل⁽¹⁾.

يقول الأستاذ حواس الكنز (وهو مختص في علم الاجتماع): "الأستاذ بوخبزة كتب الكثير، وقام بالعديد من البحوث في التخطيط، وكتب مؤلفات بعد رحيله من "الأرديس"، وقدم العديد من المساهمات والمقالات، نعترف للراحل بالقيمة العلمية، السياسية، الأيديولوجية؛ وهذا يعني أن أنكر، أن أحد أعماله الأساسية هو استحداث هيكل للبحث (ARDESS)، وتم استحداث هيئة لتجاوز حاجيات التخطيط، وتستجيب إلى الحاجات الاجتماعية للبحث⁽²⁾.

المطلب الثاني: النخبة السوسولوجية المعارضة للنظام:

لا شك أن هناك عدد لا بأس به من الجزائريين عمالقة في الفكر السوسولوجي، وأغلبهم من الجيلين الأول والثاني بعد الاستقلال؛ ومن أكثر الأجيال تأثيراً في علم الاجتماع؛ ويمكن اعتبار هذه الفئة، فئة النخبة المثقفة السوسولوجية، والتي تتميز بإنتاجها المعرفي الأكاديمي وتأثيرها في الآخرين، من خلال هذه الأعمال، التي تقوم أساساً على النقد. يقول "برهان غليون" أن النقد الجدّي يبدأ من ثقافة النخبة، الثقافة العلمية والسياسية، والاجتماعية الرسمية، وليس التعريض بثقافة شعبية مغلوقة على أمرها...⁽³⁾. فيعتمد النقد الموجّه للنظام السياسي الحاكم، على الإصلاح الشامل للواقع، من خلال التوجيه.

1 - مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: www.djazairnews.info بتاريخ: 2016/12/15، على الساعة 18 سا. 30 د.

2 - نفس الموقع الإلكتروني، تاريخ التصفح: 2016/12/25، على الساعة 20 سا. 15 د.

3 - برهان غليون، مجتمع النخبة. بيروت، معهد الإنماء العربي، 1986، ص 71.

"غرامشي" يرى أن المثقف في نظره هو صاحب مشروع ثقافي، يتمثل في " الإصلاح الثقافي والأخلاقي " (1)، وأن هذا الإصلاح لا يتم إلا عن طريق الإصلاح الاجتماعي..(2).
أمّا " إدوارد سعيد" فيرى إمكانية عمل المثقف المعارض،(3) وعن الوسائل التي من خلالها يؤدي دوره، وفي هذا السياق؛ نجد معظم أفكار الأستاذ غليون حول النخبة المثقفة، هي عبارة عن توليفة أو جمع، بين ما جاء بين غرامشي وجوليان بندا، ومن خلال أطروحة بندا(4) القائلة: " بأن المثقف هو عضو مجموعة صغيرة، متحمّسة ومندفعة أخلاقيا لمعارضة التيارات السائدة، بغضّ النظر عن عواقب تلك المواقف وتأثيراتها عليه شخصيا؛ وهو يرى أن معظم المثقفين يؤدّون دورهم الاجتماعي، الذي قال به "غرامشي"، لكن قلة منهم يرتقون بأنفسهم، إلى المصاف الذي وصفه لهم "جوليان بندا"، لكي يصبحون حسب تعبير "إدوارد سعيد"، أحد أولئك المتمكّنين من قول الحقيقة بوجه السلطة، بشجاعة وصلابة وبلا موارد(5).

انطلاقا من هذه الأفكار القاعدية حول دور المثقف، واعتبار النخبة السوسولوجية فئة مثقفة، ارتأينا تقديم بعض النماذج من هذه النخبة، بناء على مواقفها الفكرية، التي لا تتوافق مع النظام السياسي الحاكم في الجزائر، والتي نشرت أفكارها في شكل مؤلفات، أو في شكل حوارات صحفية، أو طرحت في ملتقيات ومؤتمرات وطنية ودولية.

1 - جان بول سارتر، " دفاع عن المثقفين " ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، منشورات الآداب، 1973، ص 10.

2 - نفس المرجع، ص 10.

3 - جون سكوت، ، المرجع سابق الذكر، ص 199.

4 - Julien Benda, « La Trahison des Cleres », Paris, Grasset, 1975, p 27.

5 - إدوارد سعيد، صور المثقف. ترجمة: غسان غصن، النهار للنشر ش. م.ل، بيروت، 1996، ص ص 27-28.

النموذج 1: عدّي الهواري⁽¹⁾ من النخبة السوسولوجية التي تعيش في المهجر:

- أستاذ في مؤسسة الدراسات السياسية في جامعة ليون - فرنسا-، باحث في (CERIEP)⁽²⁾ و (GREMMO)⁽³⁾.

- من مؤلفاته: كتاب تحت عنوان:

-Les Mutations De la Société Algérienne , La Découverte, Paris, 1999.

بالإضافة إلى عشرات المقالات الورقية والإلكترونية، استقينا منها: ثلاث ورقات، تتضمن مواقف فكرية، صريحة وواضحة، ومعارضة للنظام السياسي في الجزائر.

الورقة -1-: مقال تحت عنوان: "أكتوبر 1988 أو جانفي 2011": لهجة الأقدام السوداء حيال الأحداث "

تاريخ النشر: 07 جانفي 2011- الساعة 19 سا- 10 د⁽⁴⁾.

تمظهرت معارضة الباحث " هواري " للنظام في مضامين المقال:

في هذه الورقة الفكرية، يرافع " عدّي الهواري " لنقد ذاتي حتمي، حول وضعية ووظيفة المثقف، وهذا على هامش الندوة التي نشطها في وهران. ويلاحظ أن النظام هو الذي لا يسمح للجامعة في الوجود عمليا.. وأنّ النخبة الجزائرية، مسؤولة بقدر مسؤولية السلطة التي تقيدهم. أيضا هذه النخبة المثقفة أو (الجامعيون تحديدا)، فوجئت بظهور وتقدم الموجة الإسلامية في سنوات الثمانينات، لأن هذه النخب، لم تعرف مجتمعها قدر المعرفة.

وفي ظل نظام سياسي مغلق.. يرى عالم الاجتماع " عدّي هواري "، أن هناك رؤية لـ " خصوصية " الدولة في الجزائر، النظام لا يتحدث، والفاعلين فيه لا يتحدثون. لا يريدون المسؤولين في النظام التكلّم. ويتعاملون مع الشعب باحتقار تام...، يواصل نقده المباشر

1 - عدّي الهواري هو: من مواليد

2 - CERIEP أو Centre Européen De Recherche ت طق ومعناها باللغة العربية المركز الأوروبي للبحوث

3 - GREMMO أو.....

4- مستخرج من الموقع الإلكتروني الثاني: جريدة الجزائر نيوز الإلكترونية.

<https://www.djazairnews.com/Facebooke/articles/addi>

تاريخ التصفح: 2014/05/15، على الساعة: 13 سا- 20 د.

والموجّه صراحة للنظام بقوله: "... إن الحكم في هذه البلاد قضية لا تعنينا بل قضيتهم الشخصية، حيث الجنرالات يؤدون دور الأبحار - نموذج - الكنيسة الكاثوليكية - وبوتليقة هو الملك.

نستخلص من العبارات والمصطلحات المستعملة: غلق - عدم التكلم، احتقار، عبارات نابية، هجومية، استعمل " عدّي هواري" ما يسميه " بيير بورديو " العنف الرمزي.

الورقة 2: مقال تحت عنوان " فوز بوتليقة سيعمّق الفجوة بين الدولة والشعب "(1).

نشر بجريدة " الجزائر نيوز " الإلكترونية وذلك بتاريخ 07 أفريل 2014 ، تمظهرت موقفه الرافض والناقد للنظام الحاكم في المضامين التالية:

- استغراب عدّي هواري ترشّح الرئيس عبد العزيز بوتليقة لعهدة رابعة، في ظل حالته الصحية التي لا تسمح له بقيادة البلاد.

وفي إجاباته على أسئلة المحاور الصحفي " بوعلام رضاني " .

حيث حلّ خلفيات هذا الترشح بقوله: "... لا أحد يفهم لماذا ترك العسكريون الرئيس المريض يترشح، في حين أنه ليس لديه الإمكانيات البدنية والعقلية لقيادة الدولة، واعتبر هذا الترشح إهانة للشعب الجزائري.. واستطرد يقول.. أنه مجروح (يقصد الشعب) في مشاعره الوطنية، عندما يرى أن الجزائر أصبحت أضحوكة وسائل الإعلام الدولية.

- نلاحظ أن الأستاذ عدي يوجّه انتقاداته أيضا إلى المؤسسة العسكرية، وينتقد جهاز المخابرات، يقول في هذا السياق:..يجب على الجنرالات المسنّين أن يأخذوا تقاعدهم، وينبغي أن يفهموا أن الجزائر تغيّرت، وأنه حتى الجيش تغيّر، مع مجيء ضباط شباب لديهم تكوين جامعي..، وهو قانون الحياة البيولوجية والاجتماعية.

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني": <https://www.djazairnews.com/djazairnews/71103>. تاريخ التصفح:

2016/08/06- على الساعة: 20 سا - 30 د.

- في اعتقادنا أنه لو لم يكن " عدّي هوارى " من نخبة المهجر، حيث يقيم حالياً بدولة قطر، لما تجرأ على الكتابة بهذه الطريقة، حيث ذكر هويات القادة السياسيين والعسكريين، في سلطة الدولة.

الورقة 3: عنوان المقال: " الجزائر ستصبح الصومال - (دولة الصومال بأفريقيا) -
آخر بعد عشر سنوات إذا.."

نشر المقال بالموقع الإلكتروني تورس⁽¹⁾، وبالجريدة التونسية يوم: 09 أكتوبر 2009. تتمظهر انتقادات " عدّي الهوارى " للسلطة الحاكمة في الجزائر، من خلال التحليلات التي يقدمها في هذا المقال، في إجابات على أسئلة الصحفي المحاور. حيث يحذر الأستاذ عدّي من تدهور، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر، في العشر سنوات القادمة، بسبب وجود سلطة ظاهرية وأخرى حقيقية؛ تعامل المواطن مع ذلك بأعمال الشغب...، كما يرى في سكوت الرئيس " بوتفليقة " عن الأعمال الإرهابية رسالة منه إلى الشعب...، ويصرّح في هذا السياق: "...أنّ السلطة في الجزائر هي مصدر كل الأزمات التي يعيشها الشعب، بسبب غياب الفصل بين السلطات والاستقلالية النقابية. نلاحظ هذه المعارضة تشدّد " رمزيا " في قوله: "... الجزائر تعيش دون قيادة سياسية مرئية، منذ وفاة الرئيس " هوارى بومدين "، فلا الشاذلي بن جديد (الرئيس السابق والراحل)، ولا اليمين زروال (رئيس سابق)، تمكّنا من فرض نفسيهما، على الذين عينوهما في منصب الرئيس.

يصرّح " الأستاذ عدّي " أيضا: أن ممارسة السياسة ممنوع في الجزائر، وإذا مارست السياسة، ستجد جهاز الاستخبارات الخاصة الذي هو شرطة سياسية، في وجهك، نعني ممارسة السياسة، أنها ببساطة انتخاب رئيس الجمهورية بكل حرية؛ وفي الجزائر يعين رئيس الجمهورية من طرف حوالي عشرة جنرالات، والنواب تعينهم الإدارة.

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://www.djazairnews.com/djazairnews/11727>، تاريخ التصفح:

2016/04/08 - على الساعة: 22 سا - 45 د.

كل المعاني والدلالات التي تبين دور " المثقف المعارض"، استعملها " عدّي هوارى" في ورقته النقدية هذه، في نفس الوقت استشرف وضع الجزائر واقترح حلولاً.

النموذج 2: السوسيولوجي "الزوبير عروس" (1) وهو من الجيل الثالث لعلم الاجتماع:

نعتمد أن الأستاذ "الزوبير عروس" هو الذي ينفرد، عن النخبة السوسيولوجية الجزائرية التي تعيش داخل الجزائر، بمعارضته الصريحة للنظام السياسي في الجزائر.

اعتقادنا هذا نؤكد من خلال فاعلية الأستاذ عروس وديناميكيته، بمعنى أنه في السنوات الأخيرة، وتحديداً بعد عام 2011؛ وتزامناً مع الحراك العربي والانتفاضات الجماهيرية، التي شهدتها بعض المجتمعات العربية؛ الأستاذ عروس يخرج إلى الشاعر مرّات عديدة، بهدف التعبير عن عدم رضاه وغضبه، من الأوضاع التي يعيشها المجتمع الجزائري، سياسياً واقتصادياً، وفكرياً، الجامعة الجزائرية في تدهور مستمر...؛ عبّر أيضاً عن معارضته للسلطة السياسية، بنشر عدّة مقالات في صحف وطنية متعددة.

الورقة 1: مقال نشر بجريدة " الجزائر نيوز" (2)، وهي صحيفة وطنية شاملة، وذلك بتاريخ 23 جويلية 2013، تحت عنوان: " النخب الجزائرية في حاجة إلى تأمل الدرس التونسي".

هذا الحوار أجري بتاريخ 17 جانفي 2011، بالصحيفة الإلكترونية للجريدة، يبدأ حواراً بانتقاده للنخبة الوطنية حيث يقول: ..أنّ النخب الجزائرية فوّتت على البلاد، ما كان يمكن أن يكون بداية لتغيير شامل وسلمي؛ هذه النخب تقول ما يريد أصحاب القرار أن تقوله، ولا يفعلون إلا وفق ما ترسمه لهم السلطة من طريق.

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://www.djazairnews.com/djazairnews/11727>، تاريخ التصفح: 2016/04/08 - على الساعة: 22 سا - 45 د.

2 - أستاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر - أبو القاسم سعد الله - بوزريعة، لديه عدة مؤلفات أبرزها: بحثه الأكاديمي المشترك، مع الدكتور السوسيولوجي المصري أحمد زايد، في تأليف كتاب: النخب الاجتماعية - حالة الجزائر ومصر.

تتمظهر دلالات الاعتراض، والمعارضة، وعدم التوافق والاتفاق، من خلال استعماله كلمات نابية وحادة مثل: فيه ارتشاء للنخبة الجزائرية...النظام السياسي في الجزائر، تسيطر عليه نخبة عسكرية تتكوّن من صنفين: نخبة عسكرية محاربة، ونخبة عسكرية عالمية. موقفه في مسألة دور النخبة العالمية:

-يعتقد الأستاذ عروس أن النخب المدنية أعطوها في مرحلة السبعينيات، مهمّة التنفيذ والتسيير لا مهمّة القرار؛ وبعد مرحلة السبعينيات نزعنا منها مهمّة التسيير والتنفيذ، فهتمّشت بصفة كاملة، الجامعة أصبحت جامعة تعليم، وليست جامعة لإنتاج المعرفة. يصرّح الأستاذ عروس أن النظام الحاكم، استطاع أن يجعل من هذه النخبة، نخبة لقمة عيش، وليست نخبة عالمية... (1).

تتمظهر دلالات المعارضة في قوله: النظام في الجزائر بني على فكرة القضاء على روح المبادرة، بني على القرار المركزي لصاحب القرار، النخب عندنا تربّت على السكينة؛ وحتى النخب السياسية لا تتحرك، إلا من خلال ما يملأ عليها (من طرف النظام) طبعاً... النظام الجزائري يقول الأستاذ عروس...لا يثق في العقل الجزائري في جميع المستويات، ولا يتعلّق الأمر بموقف أيديولوجي أو معياري، بل إنما هو موقف احتقاري.

يختم حوار هذا باستعداده للمشاركة في مسيرة سلمية من أجل التغيير، لكن شرط أن تكون منتظمة، فشرط التنظيم ضروري؛ ولا يأتي التنظيم إلا من خلال مشاركة المثقف، مشاركة تامّة من خلال انخراطه في حركة المجتمع المدني...، النظام المدني لا يريد ذلك، ويفعل المستحيل من أجل الحيلولة، بين المثقف والحركة الاجتماعية (2).

1- مستخرج من الرابط الإلكتروني: <https://www.djazairnews.com/djazairnews/.81113>، تاريخ التصفح:

2015/05/07- على الساعة: 14 سا- 30 د.

2- **نفس الموقع**، نفس تاريخ التصفح.

الأنموذج 3: عالم الاجتماع "عيسى قادري": هو من ألمع علماء الاجتماع الجزائريين حالياً، ومن نخبة المهجر.

المولد والنشأة:

من مواليد 1944 بسيدي عيسى (مدينة بوسعادة)، أباه اشتغل موظفاً في الإدارة الكولونيالية الفرنسية كمترجم قانوني، لأكثر من ثلاثين سنة؛ وبعد تقلده عدّة وظائف إدارية، إنتهى إلى وظيفة مساعد إداري ببلدية البلدية، وهذا عام 1962؛ هو الابن البكر لثمانية إخوة وأخوات.

مساره التعليمي:

دخل ابتدائية " دولفوس فيل " (ابتدائية عمّورة حالياً)، " بقرية صغيرة مع بداية الخمسينيات، وعمره ستّ سنوات، بعد رجوعه إلى مدينة بوسعادة، أكمل دراسته بنفس الابتدائية، التي درس فيها والده (مدرسة لوسيان شالون)، هي مخصصة للذكور فقط، في نفس الوقت تعلّم القرآن الكريم بالمدرسة القرآنية، بجانب مسجد قديم يرجع إلى القرن الحادي عشر.

ثم التحق بثانوية دوفيري (Duveyrier) للذكور من سنة 1956 إلى غاية 1960؛ موجودة على أطراف مدينة البلدية، بمحاذاة ثكنة عسكرية، هذه الثانوية تعتبر مؤسسة تابعة إلى نظام مدرسي - كولونيالي -، نظامها التعليمي يشبه نظام تعليم، الثانويات الباريسية للقرن الـ XIX، وكان الوحيد الجزائري في هذه الثانوية.

- تحصّل على شهادة البكالوريا.

- ثم الليسانس وشهادة الماجستير في جامعة الجزائر.

- بداية السبعينات درس عيسى قادري في الجامعة الجزائرية.

- يزاول مهنته كأستاذ جامعي بجامعة باريس 8، بالإضافة إلى مهام علمية بحثية،

داخل مراكز البحوث الاجتماعية الأوروبية.

الورقة -1-: في مقال إلكتروني " باللغة الفرنسية " تحت عنوان: " الشعب في واد، والسلطة على حافة النهر " (1). كتب بتاريخ 02 فيفري 2014.

يبدأ مقاله بهذه المقولة لقائد فرنسي " جورج كليمنصو " George Clemenceau " مفادها: " نكذب كثيرا، قبل الانتخابات، أثناء الحرب، وبعد الصيد ".

الأستاذ قادري يقترح ضرورة إعادة تأسيس الجمهورية الجزائرية؛ فالنظام السياسي غلق فضاء النقد، على النخب المختلفة في المجتمع الجزائري، وانحطاط المؤسسات السياسية والإدارية، وصل إلى درجة خطيرة، ويهدد اللحمة الوطنية والاجتماعية، وأمن وسلامة المجتمع، وهو يعايش وسطا إقليميا ودوليا مثقلا بالمشاكل العويصة، (الحروب على الحدود بين الدول العربية، إشكاليات الإرهاب...إلخ).

الأستاذ قادري من النخبة المعارضة للنظام السياسي في الجزائر، يتمظهر هذا الاختلاف في موقفه من مؤسسات الدولة، والتي تبرز في كتاباته، على شكل مقالات منشورة (باللغة الفرنسية) في جرائد وطنية ودولية.

سنحاول استبيان الدلالات والرموز التي يستخدمها في كتاباته، بالورقة الثانية:

الورقة -2-: في مقال نشر بصحيفة " الجزائر نيوز " الجزائرية تحت عنوان: "المتقف الجزائري والسلطة... عدم الثقة والتهميش " وذلك بتاريخ 26 جويلية 2013. كانت عبارة عن فضاء، أدار نقاشه.

يقول الأستاذ عيسى قادري أن صراع العصب، من أجل الاستحواذ على السلطة، وامتيازاتها، أصبح هذا الموضوع الحديث والشغل الشاغل الأساسي، لدى الرأي العام والملاحظين السياسيين.

1- مستخرج من الرابط الإلكتروني: Agrovet-canalblog.com/archives/2014/02/02/29107590.html، تاريخ التصفح: 2016/08/25- على الساعة: 14 سا- 30 د.

هذا المقال هو عبارة عن فضاء ثقافي، نشطه أربعة أعلام في السوسيولوجيا والسياسة والإعلام، فشاركوا "عيسى قادري" في هذا الفضاء وهم: المؤرخ محمد حربي، والسوسيولوجي مجيد بن شيخ، والإعلامي أحمد دحماني.

اكتفينا بذكر مداخلة عيسى قادري، دون عرض مداخلات الأعلام الثلاثة رفقاء "قادري"، لأن موضوعنا يخص الأستاذ "قادري"، ومواقفه من النظام الحاكم الجزائري.

الورقة -3-: في مقالة كتبها السوسيولوجي "قادري" باللغة الفرنسية تحت عنوان: "المتقفون الجزائريون منبهرون بالنظام"⁽¹⁾ نشرت بجريدة الوطن الجزائرية بتاريخ 11 جويلية 2013، وهي عبارة عن حوار أجرته صحيفة الجريدة "أمل بليدي".

حاولنا أخذ بعض المقاطع من الحوار، والذي يهمننا فيه، رأيه، موقفه، نقده، للنظام الحاكم، أو للمؤسسات الدائرة في فلكه؛ وحتى بعض النخب، التي دخلت تحت عباءة النظام. في جوابه على سؤال يخص علاقة النخب بالسلطة الحاكمة، خاصة في هذه السنوات الأخيرة بخصوص جمودهم، وعدم مشاركتهم في المسائل الوطنية، بالنقاش الجاد العلمي والموضوعي.

يقول الأستاذ قادري: أنه بالنسبة للجزائر لا نتحدث عن "نخبة" أو "متقفون" بل الأصح "انتليجانسيا" أي الصفوة من النخبة التي تقوم بدور "الوسيط"، بين المجتمع والسلطة الفعلية، الحاكمة في أعلى هرم القيادة.

...فبعد استقلال الجزائر يقول "أن الإنتليجانسيا والمتقفون، انقسموا على بعضهم، ولم يستطيعوا أن يحققوا استقلاليتهم الذاتية، في علاقاتهم مع النظام ومؤسسات الدولة...؛ في بداية التعددية السياسية، فتح فضاء للنقاش والحوار للمتقفين الجامعيين، وخاصة بعد أحداث أكتوبر 1988، أين منح هامشا لا بأس به لحرية التعبير؛ لكن هذا الهامش أغلق تماما أثناء

1- مستخرج من الرابط الإلكتروني: <https://www.dzactiviste.info/debat/aissakadri/12570.html>، تاريخ التصفح:

2016/02/15- على الساعة: 09 سا- 45 د.

عشرية العنف، التي استهدفت المثقفين الأنتليجانسيا "العصاميين"، بتعبير "جان بول سارتر"، هؤلاء الذين تقلدوا مناصب عليا داخل النظام الحاكم.

...في ما يخص انبهار المثقفين اليوم بالنظام الحاكم، يحلّل "قادري" هذا، أنّ سببه راجع إلى غياب مؤسسات المجتمع المدني، والتي باستطاعتها أن تدعم وتؤكد، دور هذه الأنتليجانسيا وهؤلاء المثقفين... .

...يلاحظ الأستاذ قادري "ويقول... أنّ النواة الصلبة للنظام هرمت جدا، ولم يصبح فقط هنا، قضية سنّ الرئيس بوتفليقة"، بل تطرح أيضا مسألة "طبيعة النظام السوسيوسياسي"، وآليات ممارسة الحكم، والتزام هؤلاء وهؤلاء...، فالنظام السياسي لا يستجيب أبداً إلى آمال وطموحات الأجيال الجزائرية الشابة.

...يختم الأستاذ قادري "يقول... أنّ النظام السياسي في الجزائر ليس شرعياً... من القمّة، إلى قاعدة جهاز الدولة التسييري...".

إن السوسيوولوجي "عيسى قادري" وجد لديه مساحة لا بأس بها، للتعبير عن أفكاره المعارضة "للنظام"، وبكل أريحية، سواء كان هذا الفضاء عمومي، بمعنى في صحف عمومية "أو حتى في قنوات إذاعية عمومية"، وأحيانا أخرى هذا الفضاء يتسع له، أكثر في وسائل إعلام خاصة، فهل هذه الديناميكية والحركية النشطة، لأن الأستاذ "قادري" لا يقيم في الجزائر، وهو من نخبة المهجر؟

الورقة -4- مقال باللغة الفرنسية تحت عنوان: "جرس إنذار للجزائر..."(1) "Aissa Kadri : Sonnette D'Alarme Pour L'Algérie" نشر في جريدة "الوطن" الجزائرية، بتاريخ 09 جويلية 2012.

وهذا المقال كان عبارة عن مداخلة قدّمها في المؤتمر الدولي، الذي نظّمته الجريدة. يقول "الأستاذ قادري في بداية المداخلة "...أنّ النظام الحاكم سيؤدي بالجزائر إلى وضعية

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني: <https://www.socialgerie.net/spif.php> Article 888، تاريخ التصفح: 2016/09/13- على الساعة: 11 سا- 45 د.

قريبة من الانفجار الشامل...، ويعتقد أنه إذا فكّر النظام، بإعادة توزيع الرّيع مرة أخرى، على بعض شرائح المجتمع، فهذا لن يفيد في شيء، في ضلّ وضعية عامة مشتتة...".

ويقصد هنا " شراء النظام السياسي الحاكم للسلم الاجتماعي، مقابل الزيادة في رواتب الموظفين والعمّال الجزائريين...". نتساءل نحن أين هي الزيادات في الرواتب بالنسبة لهذه الشريحة؟

تمظهر موقفه المعارض، في تحليله دائماً لمبررات النظام، بالإصرار على الإمساك دائماً بمقاييد الحكم؛ وأنه سيقوم بإصلاحات هيكلية عميقة، وأن الحكم السياسي أصلاً ليس شرعياً، وبالتالي ممارساته السياسية المنظمة غير شرعية أيضاً... .

يوضّح أيضاً في مداخلته، بأن الوضعية في الجزائر، شبيهة لوضعيات مجتمعات أخرى، تحكمها أنظمة توتاليتارية وعسكرية... .

وكنا أشرنا سابقاً، أننا نقنطع من أفكار " عيسى قادري " إلا ما يهمّ دراستنا وبحثنا.

يختتم المداخلة الأستاذ قادري، منبّهاً أنه سيكون هناك تعفن في وضعية البلاد، لأن كل المؤشرات تبيّن ذلك: مظاهرات متكررة، غياب مبادرة النظام في حل مشاكل المحتجين، إنشطار في المعارضة السياسية، والنظام غير مرتبط تماماً ولا صلة له بالمجتمع... .

وفي اعتقاد السوسولوجي عيسى أن تراجع الحركة الجموعية، ونمو شامل وعام ورهيب لظاهرة الرشوة، التي أصبحت نظاماً قائماً بذاته، في عمليات تسيير الدولة والمجتمع... والزبائنية تغرق المجتمع بكامله، وتشارك في عطب وإعطال الأيديولوجيات المجنّدة للجماهير، واطعة في الواجهة أجيال بلا أيديولوجيا ولا فكر...".

المطلب الثالث: نخبة المهجر: غربة المكان أم اغتراب الذات:

تتحوّل الهوية إلى اغتراب، عندما تنقسم الذات على نفسها، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وبسبب الاستبداد الواقع عليها، تشعر الذات بالانكسار، أو ما سمّاه الفلاسفة الوجوديون المعاصرون " الاغتراب "، تعيش في عالم لا تسيطر عليه، وتشعر بالعجز عن

تغييره، لا تمارس هذه الذات حريتها، فإمّا أن تفقد وجودها مثل عدم، أو على الأقل، مثل الوجود الطبيعي للأشياء؛ الوجود الإنساني بلا حرية، يصبح وجودا طبيعيا، ويصبح شيئا، يصبح جزءا من عالم الضرورة؛ والاعتراب في المقابل ليس ظاهرة نفسية خالصة، أو ظاهرة يدرسها علم النفس؛ بل ظاهرة وجودية يدرسها علم النفس الوجودي، فالنفس في بدن، والبدن في عالم، وهو ما سمّاه الوجوديون " الوجود في العالم " .

وعندما تسعى الذات لممارسة حريتها في الفكر، في الإلتزام، تبحث عن فضاءات أخرى، وأزمنة أخرى، بهدف الانفصال عن اللاوجود، والسفر إلى الوجود الحر. وهذا ما فعلته نخبتنا السوسولوجية، حيث اختارت السعي إلى الحرية لتحرير الذات، في الضفة الأخرى أين استعادوا ذواتهم.

إخترنا في مبحثنا هذا ثلاثة نماذج من نخبة المهجر، يشتركون في المولد والنشأة، والتكوين العلمي القاعدي في الوطن الأصلي؛ يتقاربون في فترات الميلاد، هم من الجيل الثاني لعلم الاجتماع. أسباب الهجرة تتشابه تقريبا؛ الظروف الصعبة والخطيرة التي مرّت بها البلاد سنوات التسعينيات، واستهداف النخبة المثقفة بالتصفية الجسدية، والاغتيال الانتقائي للكفاءات الوطنية.

سنستعرض ثلاثة نماذج من النخبة السوسولوجية المقيمة في المهجر، ونتطرق إلى نشاطاتهم العلمية والفكرية، وإنتاجهم المعرفي الأكاديمي.

النموذج -1-: الأستاذ الدكتور علي الكنز: من مواليد مدينة سكيكدة (الشرق الجزائري)، درس بثانوية سكيكدة، وتحصّل على بكالوريا آداب (Les Lettres)، في ستينيات القرن الماضي.

- درّس الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة الجزائر .

- حصل على الدكتوراه بفرنسا في بداية الثمانينات (1983).

- أستاذ علم الاجتماع من سنة 1970 إلى غاية 1993.

- أستاذ علم الاجتماع بجامعة تونس من سنة 1993 إلى 1995.

- التحق بجامعة نانت (Nantes) بفرنسا سنة 1995، حيث يعمل إلى حدّ اليوم أستاذا.
- عمل باحثا متعاونا مع عدد من مراكز البحث، خاصة بمركز " مجلس تنمية البحوث الإجتماعية في إفريقيا "CODESRIA"⁽¹⁾.
- عمل بمعهد بحوث التنمية " I.R.D " ⁽²⁾ بباريس، خلال الفترة 2003-2006.
- عمل مستشارا علميا، بمعهد بحوث التنمية بجامعة نانت (Nantes) بفرنسا.
- اهتمامات بحثية تشمل مجالا واسعا، خاصة قضايا العمل والتنمية وعلم الاجتماع العلوم.
- رکز اهتماماته على منطقة بلاد المغرب العربي، والعالم العربي وأفريقيا.
- له عدد كبير من الأعمال المنشورة، منها الكتب الفردية والمشاركة، والتي يتجاوز عددها الخمسة عشرة (15) كتابا، وعدد كبير من البحوث المنشورة في مجلات علمية دولية وإقليمية. وقد ترجمت بعض أعماله، المنشورة بالفرنسية إلى اللغتين العربية والإنجليزية.

المؤلفات: كتب ترجمت إلى اللغة العربية:

- حول الأزمة: 5 دراسات حول المجتمع الجزائري والعالم الغربي، " دراسات ميدانية مقارنة"، الجزائر، دم. ج، الجزائر، 1987.
- المؤلفات باللغة الفرنسية (الأصلية):

- EL Kenz Ali, et Benoune Mahfoud, «Le Hasard et Histoire» Entretien avec Belaid Abdessalem, E.N.A.G, Alger, 1990.
- EL Kenz Ali, et ALi, «Industrie et Société Contrat de Recherche». avec SNC, Alger, 1982.
- «Au Fil de la Crise : 5 Etudes sur la société Algérienne et le Monde Arabe» Bouchen, Alger, 1993.

1 - إسم المركز باللغة الأصلية: Concil For Development of Social Science Research in Africa (CODESRIA)

2 - IRID هو اسم المعهد Institut de Recherches de Développement

مستخرج من الرابط الإلكتروني الإلكتروني التالي:

مجلة الحياة الجامعية، 04 نوفمبر 2010، اختتام مؤتمر العلوم الاجتماعية الثالث بجامعة قطر، تكريم الدكتورين علي الكنز، وبرهان غليون.

تاريخ التصفح: 2016/05/16 - على الساعة: 20 سا - 30 د.

النموذج 2: العياشي عنصر:

المولد والنشأة:

ولد بتاريخ 21 نوفمبر 1952 بمدينة عنابة.

المسار التعليمي:

- تخرج في جامعة قسنطينة بشهادة الليسانس.

- تحصل على شهادة الماجستير، في جامعة ليستر سنة 1980.

- نال شهادة الدكتوراه في نفس الجامعة سنة 1990.

المسار المهني:

- أستاذا محاضرا ومدير البحث بجامعة عنابة، قسم علم الاجتماع.

- عضو الجمعية البريطانية، دراسات الشرق الأوسط (BRISMES).

- عضو المجلس العلمي لمركز الأبحاث، في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

(CRASC) بوهران.

- أستاذا محاضرا بجامعة قطر، قسم علم الاجتماع.

المؤلفات:

1- كتاب علم الظواهر الاجتماعية (1990).

2- نحو علم اجتماع نقدي- دراسات نظرية وتطبيقية - الطبعة الثانية، ديوان

المطبوعات الجامعية، 2003.

يعتبر العياشي عنصرا من الكفاءات العالية في مجال تخصصه، فهو صاحب خبرة

طويلة، في مجالات التعليم والإشراف والبحث العلمي.

يتمتع بمهارات خطابية وكتابية عالية، يهتم بالتفاصيل، وصاحب قدرة على تولي المهمات الصعبة؛ وتحقيق النتائج المتوقعة، شخصية قيادية نشطة، له سجل حافل بإنجاز المهام المتنوعة؛ ذو قدرة إبداعية وكفاءة تنظيمية عالية، يساعده على حل المشكلات (1). أبداع في منفاه الاختياري فكريا، علميا وبيداغوجيا، حيث أقام ما بين كندا، فرنسا، وقطر.

نشاطاته العلمية والبحثية:

ينشط ويشغل على مستوى جامعة قطر " كلية علم الاجتماع والاتصال "، من خلال منشوراته الإلكترونية له اهتمامات عديدة.

الورقة الأولى (1): كتب عن واقع الطفولة، وإعادة الاعتبار لعلم الاجتماع؛ وهو مقال نشر بجريدة المساء الجزائرية الإلكترونية، بتاريخ 11 مايو 2014 تحت عنوان: " تغيير واقع الطفولة مرهون بإعادة الاعتبار لعلم الاجتماع "، حيث طرح إشكالية مكانة هذا العلم الذي يستحقه، والذي لا يحظى بالاهتمام، رغم أهميته في التكفل بانشغالات الأسرة، فعلم الاجتماع يتفرع إلى كثير من التخصصات، منها علم الاجتماع في العمل، وفي الإعلام، وفي الأسرة وفي المنظمات والتنظيمات.

ما أثار انتباهنا في هذه المداخلة، والذي ألقاها على هامش مشاركته في الملتقى الدولي، حول الآليات العلمية لتفعيل حقوق الطفل، في الأسرة والمجتمع هو قوله الآتي: "... أملك خبرة تزيد عن ثلاثين (30) سنة في الجامعة، ولدي إطلاع كبير بما يجري بداخلها...".

نلاحظ: أن جامعات المهجر تستفيد من هذه الكفاءة العالية، في التدريس والتكوين وتأطير الطلبة الباحثين، لهذا البلدان المستقبلية، في حين تفتقد الجامعة الجزائرية إلى هذه

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي:

pdf . <https://www.crax.dz/cahiers/pdfs/socioanthropo-6-ansar>

تاريخ تصفح الموقع: 2016/11/21 - على الساعة: 22 سا - 45 د.

النوعية من الكفاءات ذات الجودة، والتي تعتبر من الأجيال الأولى، لعلم الاجتماع في الجزائر.

النخبة السوسولوجية قليلة في النوعية والجودة، وتتناقص يوما بعد يوم، إمّا بالهجرة أو الموت، بالإضافة إلى النخبة التي اغتيلت أثناء العشرية السوداء (1).

الورقة الثانية (2): ينشر للمُدونة الإلكترونية عن كُتب، مقال تحت عنوان: "لهذه الأسباب أنا متحفّظ ما يسمّى نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (2)، بتاريخ 20 جوان 2014.

نحن هنا ليس هدفنا إبراز الإنتاج الفكري للأستاذ عنصر، بل المقصد هنا، هو تبيان ديناميكية وفاعلية الأستاذ، في نوعية المواضيع الذي يتناولها، برغم الهجرة والغياب المجتمعي والاجتماعي في بلده الأصلي، إلا أنه مهتم بالإشكاليات المجتمعية وبكل ثقة وتركيز، يحلّل الوضعيات والمشكلات، ينتقد ثم يقترح؛ وكأنه يعيش في المحيط موضوع الدراسة، فيحاول تبيئته وشخصته.

الأستاذ عنصر يتمتع بقدرة إبداعية، وبخيال سوسولوجي، يساعده على تحقيق النتائج المخطّط قبليا والمتوقعة.

الورقة الثالثة (3): ينشر الأستاذ عنصر تجربته في البحث العلم اجتماعي (3) بهدف الاستفادة من خبرته، في عدد من القضايا المنهجية، ما يميز هذه الورقة، هي عبارة عن سيرة ذاتية، كيف بدأ أول عمل ميداني في البحث الاجتماعي، حيث يذكر وبدقة متناهية،

1 - تمّ اغتيال البروفسور جيلالي اليابس، عالم الاجتماع التتويري، في مارس 1993، هو في أوج عطائه الفكري، وقد تعرّضنا لسيرته الذاتية في مبحث سابق. واغتيل عالم الاجتماع والاقتصاد امحمد بوخيزة في شهر جوان 1993، و كان يعدّ حينها دراسة مشتركة مع جيلالي اليابس حول "جزائر 2005".

2 - أنظر الموقع الإلكتروني:

<https://bardislounis.blogspot.com/2014/07/blog-post29.html>

تاريخ تصفّح الموقع: 2016/07/25- على الساعة: 16 سا - 30 د.

3 - أنظر الموقع الإلكتروني التالي:

<https://www.crax.dz/cahiers/pdfs/socioanthropo-6-ampsar>

تاريخ تصفّح الموقع: 2016/11/15- على الساعة: 23 سا - 30 د.

ويمكن للطلبة المبتدئين، استعمال هذه السيرة الذاتية كدليل "Un Guide"، للتفكير وكيفية بناء وتفكيك، وإعادة البناء في أعمال العقل. فلأستاذ عنصر أيضا حسًا بيداغوجيا عاليا في التلقين، وضميرا حيًا يقظا في التكوين المباشر التدريسي، ومهاريا في أعمال الفكرة نظريا وتطبيقيا وممارساتيا.

النموذج 3: السوسيولوجي والانثروبولوجي مالك شبل:

المولد والنشأة (1):

- ولد يوم 23 أفريل 1953 بمدينة سكيكدة (الشرق الجزائري)، عاش يتيما هو وشقيقه، بعد أن قضى والديهما إبان ثورة التحرير ضد المستعمر الفرنسي.

الدراسة والتكوين:

- درس بالجزائر في المرحلتين الابتدائية والثانوية، وحصل على شهادة الإجازة في علم النفس السريري بجامعة عين الباي بقسنطينة، ثم انتقل إلى فرنسا عام 1977، ليحصل عام 1980 على شهادة الدكتوراه، في علم النفس التحليلي في جامعة باريس7.

- وفي عام 1982 حصل على شهادة دكتوراه أخرى، في علم الأجناس والانثروبولوجيا في جامعة باريس 6.

- في عام 1984 نال دكتوراه درجة ثالثة في العلوم السياسية، في معهد العلوم السياسية في باريس.

- انتقل عام 1995 إلى جامعة الصّربون في العاصمة الفرنسية.

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي:

www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/11/14

تاريخ تصفّح الموقع: 2016/02/05 - على الساعة: 10 - 24 د.

الوظائف والمسؤوليات:

- بعد انتقاله إلى جامعة السربون، عين " شبل " أستاذا مشرفا على الأطروحات الجامعية للطلاب، وكان في ذلك الوقت يعمل أستاذا محاضرا في بعض جامعات العالم، مثل " بيركلي " في الولايات المتحدة الأمريكية، وأخرى أوروبية وعربية وأفريقية.
- مارس " شبل " مهنة محلل نفسي، وأنشأ عيادة في باريس لهذا الغرض.

مؤلفات مالك الشبل:

- أصدر الأستاذ شبل خمس وثلاثون (35) مؤلفا باللغة الفرنسية، تتناول جوانب مختلفة من الثقافة العربية الإسلامية أبرزها:
- الخيال العربي الإسلامي (1993).
 - قاموس الرموز الإسلامية (1995).
 - العبودية في أرض الإسلام (1996).
 - أسماء الحب المائة " 100 " .
 - الإسلام كما شرحه مالك شبل.
 - الموضوع في الإسلام (2002).
 - ظاهرة الإسلام (2006).
 - أبناء إبراهيم المسلمون واليهود والمسيحيون (2011).
 - ترجمة القرآن الكريم مؤلف من 1250 صفحة.

قراءة في التجربة الفكرية للأستاذ الراحل " مالك شبل":

- كرّس "شبل" حياته العلمية والفكرية، للدفاع عن المبادئ التي آمن بها، ومنها الحرية بمختلف أشكالها، خاصة السياسية، ومكانة هذه الحرية في الإسلام وفي الثقافة الإسلامية.

- تميّز بأفكاره التحرّرية وبتكسيه لبعض المحاذير، في المجتمع العربي الإسلامي؛ فقد تناول في كتبه وبحوثه، مواضيع الجسد والرّغبة، وغيرها من الممنوعات الكثيرة، هي مواضيع أثارت الكثير من الجدل.

- دافع عن مواقفه عما يعدّه " الإسلام العصري"، وهو من دعا إلى تبني " إسلام التنوير"، في وجه ما يسمّيه الصيغة الظلامية، التي يرى أن المتطرّفين يقدّمونها، على أنها الصيغة الأصلية والصحيحة للإسلام.

- غير أن الأستاذ شبل يرى نفسه - كما قال في حوار سابق لصحيفة "الجزائر نيوز"- باحثاً أكاديمياً مختصاً في الحضارة الإسلامية، وليس مختصاً في الدين من منظور فقهي تشريعي، وقال أنه لا يتطرّق في مجال بحوثه لمفاهيم، مثل الألوهية، النبوة، والإيمان، والعبادات. - واعتبر في ذلك الحوار أن لدى الغرب رغبة خفيّة، بأن تبقى صورة الإسلام على ما هي عليه اليوم، من تخلف وجهل، ودعا المسلمين إلى أرضية تقاهم وتقارب بينهم، تجعلهم متّحدين بدلاً من التناحر بينهم.

- كان الأستاذ "شبل" معروفاً في الجامعات الفرنسية والأوروبية، وحتى في العالم العربي، نظراً لمساهماته في التفكير حول الإسلام والحدّات، وهو ما مكّنه من الانضمام إلى مجموعة الحكماء المكلفّة بالتفكير، حول العلاقة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

- كانت له مساهمة أسبوعية لسنوات، على أمواج إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية "ميدي 1"، التي تبثّ باللغتين العربية والفرنسية، من مدينة طنجة (المغرب)، ولها مستمعون في بلدان حوض البحر المتوسط، وأفريقي، وجنوب الصحراء. "شبل" وغربة المكان (1):

في أسباب مغادرته الجزائر، يقصّها الأستاذ شبل ذاته حيث يقول: "... عند عودتي في الثمانينات للبلاد للتدريس في جامعة قسنطينة، وبالتحديد عند مرحلة قطف ثمرة التكوين، أي

- أحسن مانع، مالك شبل الذي عرفت، جريدة الخير، الاثنين 21 نوفمبر 2016 الموافق لـ 21 صفر 1438هـ، ص 1.22

مناقشة مذكرة التخرج؛ المذكرة المقرّر مناقشتها، لا تفي بالغرض فيما رأى، فقرّر رفض المناقشة. تحرّكت آلة البيروقراطية، ووصل الأمر لمدير الجامعة، الذي قام بتعيين لجنة أخرى، ليصبح كل شيء على ما يرام " (1):

لم يدم عمل الأستاذ " شبل " بالجامعة أكثر من ستة أشهر، وقرّر الرحيل، وغرّب صوب فرنسا، حيث ناقش رسالة في العلوم السياسية، تضاف إلى أطروحته في الاختصاص القاعدي.

يقول الأستاذ "شبل": "...وفي نظري، تعتبر حادثة المذكرة، منعطفًا في حياتي، وفوّت على الجزائر مشروعًا تنويريًا، بحجم مشروع مالك بن نبي " (2):

الأوسمة والجوائز:

وشّح الرئيس الفرنسي السابق " نيكولا ساركوزي(3)، "شبل عام 2008، بوسام من فارس جوقة الشرف.

الوفاة:

توفي الأستاذ "شبل" يوم 12 نوفمبر 2016 بباريس، عن عمر يناهز ثلاثة وستون (63) سنة، وذلك بعد مرض عضال، وقد دفن تبعًا لوصيّته بمسقط رأسه بسكيكدة.

1 - أحسن مانع، مرجع سابق الذكر، ص22.

2 - نفس المرجع، ص 22.

3-نيكولا ساركوزي من مواليد 28 جانفي 1955، رئيس الجمهورية الفرنسية في الفترة من 16 ماي 2007 إلى غاية 15 ماي 2012

المبحث الخامس: النخبة السوسيولوجية بين الراهن الداخلي والتحديات الخارجية

المطلب الأول: الراهن الداخلي

1- النخبة السوسيولوجية ودورها على المستوى المعرفي - الأبيستيمي -

يحتاج إلى رؤية تعددية على المستوى المعرفي، وعلى المستوى الإبستيمولوجي، تقوم على المبادئ التالية:

- تحديد الإطار الذي يتّخذه الباحث السوسيولوجي، في النقد والتحليل، وفي أي قراءة أو حوار مع الأدبيات السوسيولوجية (1).

- الرؤية النقدية التي يستند إليها التحليل السوسيولوجي، هي ذات صلاحية نسبية، لذلك وجب التعدد في الرؤى والمنظورات والمناهج، طالما أن الأمر يتعلق بواقع إجتماعي - ثقافي متشابك.

فالممارسة السوسيولوجية تستوجب خيالا سوسيولوجيا واعيا، بحسب المفكر الاجتماعي، هذا الإشكال الإبستيمولوجي يعبر عنه ب (جدلية الوحدة والاختلاف) أو (التماثل والتغاير)⁽²⁾، وهي جدلية تشمل عناصر الواقع الإنساني الاجتماعي، كما تتسجم أيضا أنماط المعارف، التي تنتجها حول هذا الواقع ذاته.

فالسوسيولوجيا اليوم في الجزائر، ملزمة بمغادرة قوقعتها الجامعية، حتى لا تفقد أكثر من رصيدها المعرفي والتحليلي، والذي كرّسه جيل البحث، عبر سنوات تزامنت بقوة مع نشوء وتطورّ، الدولة الجزائرية المعاصرة، في ظروف سياسية ودولية خاصة (3).

1 - الطاهر إبراهيمي، مرجع سابق الذكر، ص 15.

2 - مصطفى محسن، في المسألة التربوية - نمو منظور سوسيولوجي متفتح، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء - المركز الثقافي المغربي، 2002، ص 11-12.

3 - سعيد عيادي، " ترصيص القواعد الثقافية لإعادة البناء الحضاري "، الطبعة الأولى، الجزائر، دار النشر بن مرابط، 2009، ص 266.

المطلب الثاني: النخبة والتحديات الخارجية

1- العولمة والسوسيولوجيا:

إن التغيرات على المستوى العالمي، كانت جذرية وعميقة، حتى أن انتشار الفقر والبؤس والتهميش، صاروا حتمية على العالم النامي؛ فالتحديات التي فرضتها العولمة بشكل مباشر أو غير مباشر مخيفة ومقلقة، فمن بين 4.6 مليار نسمة هم سكان البلدان النامية هناك (1):

- حوالي 826 مليون نسمة لا يجدون الطعام الكافي للحياة العادية.

- أكثر من 850 مليون نسمة من الأميين.

- حوالي 325 مليون طفل تحت سن الخامسة، يقفون حتفهم كل سنة من أسباب يمكن

تجنبها.

والجزائر ليست بمنأى عن هذه المشاكل على مستويات، الصحة، والتغذية، والعلاج،

والت مدرس.

بالموازاة الثورة العلمية والجبروت الفكري مع ضرورة اللحاق بهم، مع الملاءمة بين العلم والقيم الإنسانية، المكونة لعقائدنا وثقافتنا؛ أي ينبغي أن ننطلق من الركيزة الثقافية والروحية الأخلاقية والفكرية، التي تتميز بها الهوية الوطنية، ومن خصوصية المشروع الوطني الذي ينبغي التفكير فيه، وصياغة معالمه، ومن ثم العمل على تجسيده (2).

فالعولمة في حقيقة أمرها: " ليست إلا رغبة جامحة في استنساخ نموذج التبعية...".

فتوجّه علم الاجتماع في الجزائر إلى دراسة هذه الظاهرة، من خلال ارتباطاتها الرسمية

1 - وحيد عباس، " عولمة التضامن نحو نظام دولي متوازن "، الملتقى الدولي للسلم والتضامن المنظم تحت رعاية رئيس

الجمهورية في قصر الأمم الصنوبر، في 03-04 جويلية 2002 (مطبوعة غير منشورة).

2 - فوضيل دليو وآخرون، " التحديات المعاصرة، العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة "، فعاليات اليوم الدراسي الوطني الأول

لمختبر علم الاتصال مخبر علم الإجماع- جامعة منتوري- قسنطينة، 2002، ص 94.

بالدولة، وآثارها على المجتمع، يدعو إلى إنشاء فروع بديلة في أقسام علم الاجتماع، مثل علم اجتماع العلاقات الدولية، علم اجتماع اقتصادي، علم اجتماع قانوني⁽¹⁾.

أيضا تصويب البحث العلمي والتدريس معا، نحو تلك القضايا بعد حصرها بشكل علمي، مع تدعيم بعض الفروع بمزيد من التمكين، والاغناء التطويري والمكتبي، خاصة في علم الاجتماع الجريمة، وعلم الاجتماع العائلي؛ لما تتعرض له تلك النظم الاجتماعية من هزات، جزاء تلك التحولات، على أن تستقيم المضامين المعرفية، على رصد الواقع بعيدا عن المذهبيات العربية، لعدم انسجامها مع الواقع الجزائري، وبالتالي لعدم صلاحيتها في تأصيل البحوث نظريا وتطبيقيا.

فبعدها اقتحم مصطلح "العولمة" معجم العلوم الانسانية والاجتماعية، على مدى العقدين الماضيين، تظهر الدراسات حول الدولة والعولمة ثلاثة مواقف أساسية هي:

أولاً: أن الدولة هي ضحية العولمة، وهي آخذة في التقلص.

ثانياً: أن التغيرات ضئيلة، وأن الدولة في شكل عام، تستمر في القيام بما كانت تقوم به دائما.

ثالثاً: - وهذا تنوع للبند السابق - أن الدولة تتكيف، ويمكنها أن تتكيف وأن تتحول، وبفضل هذا التكيف التراجع؛ ويبقى لاعبا أساسيا وعلى خط مواز، طرح علاقة العولمة بالعلوم الاجتماعية؛ هو أن زمن العولمة الراهن، وبصورة بالغة الجدية، أنه أعيد النظر في الأسس التاريخية والمعرفية والتنظيمية، التي بني عليها نظام العلوم الاجتماعية، ولاسيما في ظل التعددية الكونية العلمية؛ وما يرافقها من تحولات في النظام العالمي للعلوم الاجتماعية.

لذا، يشرح الباحثان ألان كاييه وستيفان دوفوا في مقدمة كتابيهما " التحول العولمي في العلوم الاجتماعية " التالي: "إننا نشعر ونستشعر جميعا، أن نظام العالم ووتيرته، قد تغيرا في شكل أساسي، لم يعد باستطاعتنا الاستمرار في وصفه، وتحليله، وتقدير الامكانيات التي

1 - الطاهر إبراهيمي، مرجع سابق الذكر، ص76.

يقدمها من دون أن يجري تعديلا، على الأقل بالمدى الذي بلغته العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ التي تهيكلت وتشكّلت، في إطار الدول القومية و من منظوره. ليس لأن هذه الدول قد أصبحت من الماضي، وإنما لأنه يجب وضعها من الآن فصاعدا، في سياق مكاني وزماني أكثر اتساعا، وأكثر ثراء وأكثر تعقيدا... ليس المطلوب وبالتأكيد الانتقال، من العلوم الاجتماعية الوطنية والمجتمعية، إلى علوم تكون في شكل نهائي عولمية، وإنما يكون حريّا التمكن من إدراك هذا الزمن العولمي للعلوم الاجتماعية الذي نعيشه، من أجل التفكير بنقاط التواءم القائمة، بين هاتين الصيغتين التاريخيتين؛ و كذلك باستشكال وإعادة الصياغة، وإعادة تفسير التقليد القائم، والفرضيات الجديدة التي يقود إليها هذا النوع من العمل...⁽¹⁾.

هناك مجموعة من القراءات العلمية، في التحول العولمي، وإنها تحمل بين دفتيها أسئلة جديدة واقتراحات ومقاربات فذة، حول أسس جديدة للعلوم الاجتماعية؛ وقد ذهب بعضهم إلى تصورها، ما يمكن أن يفضي إليه ذلك، من بروز جماعة علمية غير مهيمنة حاليا في العلوم الاجتماعية، وذلك من خلال نموذج منهجي جديد، هو التعددية الكونية العلمية.

2- النخبة السوسيولوجية ما بعد التعددية السياسية:

إذا كان علم الاجتماع في فترة أحادية الحزب، قد تميز بهيمنة خط أيديولوجي شعبي، وجرى التركيز على التحولات الاجتماعية والاقتصادية، الهادفة إلى إقامة مجتمع العدالة الاجتماعية، والتحرر من التبعية والهيمنة، وعلى تحقيق النمو والإزدهار، وأعتبر علما في خدمة قضايا ومصالح واهتمامات الطبقة الكادحة، فهكذا تم قصور علم الاجتماع ودوره من طرف السلطة السياسية، كما كان هو نفس تصور، الذين كانوا وراء إصلاح

1 - مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: WWW.alhayat.com/Articles/25234351/ تاريخ تصفح الموقع:

2016/12/28 على الساعة: 23ما30د

عنوان المقال: "التحول العولمي في العلوم الاجتماعية" هو عنوان كتاب مشترك للمؤلفين: ألان كاييه وستيفان دوفوا، ترجمة: جان جبور.

التعليم العالي⁽¹⁾ فإثناء هذه المرحلة تمثل الإعلان عن خط إيديولوجي اشتراكي، ودخوله كفكرة في مجال التطبيق في مقابل رواسب الاستعمار الفرنسي؛ كقرارات الجزائر وتعريب المناهج وتغيير النظم البيداغوجية، والاستعانة بأعداد هائلة من المتعاونين، قصد تكوين إطارات وطنية، من خلال أيضا تنظيم ندوات وملتقيات حول الممارسات السوسيولوجية⁽²⁾.

رغم هذا، لاحظ (جمال معتوق) ملاحظة مختلفة، مفادها أن علم الاجتماع كان تابعا للسلطة السياسية فيقول: "...بأن علم الاجتماع في الجزائر لم يكن محل اهتمام بل سخرية واستغل لأغراض تخدم النظام وحده، فعلم الاجتماع يتميز عندنا كباقي العلوم الاجتماعية الأخرى بالتبعية للدولة..."⁽³⁾ فإن علم الاجتماع أثناء مرحلة التعددية السياسية انتقل علم الاجتماع من النمو السريع للتحقيقات السوسيولوجية، وانتقل البحث السوسيولوجي إلى مرحلة الممارسة، القائمة على التفكير حول الشروط الإبستمولوجية، لوضع أسس تقاليد سوسيولوجية⁽⁴⁾.

هذا التنقل من وعي علمي تمخض عن تجربة سابقة، ميزت مرحلة التحالف أو الولاء السياسي، أو سيطرة السياسي على العلمي؛ وهو ما يقتضي بحسب العياشي عنصر، أن تكون الممارسة العلمية مستقلة عن السياسي.

وهذا هو تحدي علم الاجتماع ما بعد التعددية السياسية، الذي يجب أن يقوم على حركة نقد ذاتي للمناهج والنتائج والمعرفة السوسيولوجية من حيث صلاحيتها في التأطير وكفاءتها الأمبيريقية، في وصف وتفسير مرحلة التحولات الاجتماعية الكبرى، وما يحمله من متغيرات، وهذا بعيدا عن التبعية المدارس الغربية، إذ كيف يمكن لنا فهم واقعنا، ونحن

1 - العياشي عنصر، نحو علم إجتماع نقدي - دراسات نظرية وتطبيقية، الطبعة الثالثة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003، ص 64.

2 - محي الدين مختار، "واقع الممارسة السوسيولوجية في المجتمع الجزائري"، مرجع سابق الذكر، ص: 45-46.

3 - جمال معتوق، "لمحة تاريخية عن الممارسة السوسيولوجية في الجزائر حالة معهد علم الاجتماع بالعاصمة"، مرجع سابق الذكر، ص 41.

4 - حسين عبد اللاوي، من التحقيقات السوسيولوجية إلى التفكير في الممارسة، مجلة البحوث السوسيولوجية، قسم اعلم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، العدد 01، السنة 2000، ص: 07.

نتعامل معه بأدوات ونظريات مستوردة؟ وهكذا تساءل جمال معتوق، وهو تسأول مشروع أكاديميا واجتماعيا، ويجب بأنه إذا كان استيراد النظريات ليس عيبا، بل العيب في عدم تكييفها واستنطاقها مع واقعنا وخصوصياتنا، كما أن الممارسة السياسية عندنا تستورد القضايا التي تعالجها، ويسودها الطابع النظري، فهي لا تتعدى مجال الجامعة ومقطوعة الصلة بالعالم الخارجي، وبالمشتغلين بهذا العلم.

فعلم الاجتماع في هذه المرحلة الحرجة لا يكون ميسورا له، التطلع إلى وعي علمي دقيق لظواهر التحولات ونواتجها، إلا إذا استقامت الممارسة السوسيولوجية في البحث العلمي، وفي التكوين الجامعي على نحو يخلصها من التبعية الفكرية، لعلم الاجتماع الغربي المهيمن، والتزمت فكرا ابتسيولوجيا في كل سيرورتها، فهذا الذي من شأنه أن يؤسس لتقاليد سوسيولوجية، توالي الحقيقة لا النقلات الغربية، إلا ضمن صور تلاقي منسجمة بوضوح، بين الخصوصية الاجتماعية والكونية الإنسانية⁽¹⁾. أمام هذا كله يثار التساؤل: أي صورة يمكن أن يكون عليها علم الاجتماع في الجزائر، ما بعد التعددية السياسية؟

إن لعلم الاجتماع أدوارا اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية، معنى ذلك أن علم الاجتماع يطرح نفسه كعلم طلائعي⁽²⁾ كلي، يقوم بمهامه في المجتمع، يجب أن يتوفر على شروط عديدة، بعضها يرتبط به كنظام معرفي، وبعضها يرتبط بالتكوين وأنظمة البيداغوجيا، وأنظمة البحث العلمي، واللذان يوجدان في المؤسسة الجامعية، التي توجد بها النخبة العلمية المتخصصة.

ومن المعروف أن هذه النخب المؤطرة والعالمية، هي التي " تفكر وتخطط " للمشاريع الكبرى، في المجالات المشكلة لعصب التنمية، بكل أنواعها وفروعها، أما السياسيون فهم مجرد مسهلين ومنفذين، للمهام المدنية الحاسمة.

1 - الطاهر إبراهيمي، مرجع سابق الذكر، ص 09.

2 - حسين عبد اللاوي، المرجع سابق الذكر، ص 12.

لا شك أن التخلف عندنا يعود، إلى أن السياسيين قد حلوا محل هذا النخب، وهذا السلوك جزءاً من ثقافة التخلف ذاتها، إن تحديات هذه المرحلة، هو تكوين النخب المفكرة والمخططة؛ خاصة وأنا في فترة سابقة، تميزت بالعنف وللتصفية الجسدية، لنخبة لا تعوّض بسهولة، وستكون على فترة زمنية طويلة نوعاً ما، وتكوين النخبة السوسولوجية المفكرة، هي مهمة المنظومة التعليمية بكل مراحلها وأنواعها.

ففي البلدان التي أنجزت الدولة العصرية والحديثة معاً، نجد الجامعة والمعاهد العليا، هي التي تفكر " للسياسيين ولمؤسسات الدولة التنفيذية، إن بلدان أوروبا وأمريكا وبعض دول آسيا، مثل: اليابان تركز تركيزاً شديداً، على "الإنتقائية" (Sélectivité)، حيث تقوم باختيار المواهب والكفاءات الذكية، وتوجهها لتوجيهها خاصاً ومتخصصاً.

ففي هذه البلدان تسند أمور التفكير، في قضايا التنمية المادية، والثقافية، والجمالية لهذه العناصر، المنتقاة والموجهة إلى الجامعات، والمعاهد العليا، التي تعدّ معاقل صناعة " الإنتليجانسيا "، التي تتكفل بقيادة التنمية في البلاد والمجتمع.

فالتعليم العالي هو السبيل إلى إعداد القوى البشرية المتخصصة، ومجال توليد الفكر وإعداد الباحثين، القوى القادرة في مجالات العمل والإنتاج، وأداة لتجديد الثقافة، وكذلك في التنمية الشاملة تلقى المسؤولية على التعليم العالي⁽¹⁾.

فعلم الاجتماع في هذه المرحلة التي يمر بها المجتمع الجزائري، يمكن أن يسهم في تعضيد الجهد التحرري والتنموي؛ وذلك بالتركيز على فهم واستيعاب، التغيرات الاجتماعية الحاصلة، ومن ثم التأثير عليها. ذلك لأن المعرفة السوسولوجية، هي أداة فعالة في السيطرة على الإنسان والمجتمع؛ فوجود النخبة السوسولوجية، يجب أن يكون حقيقياً وفاعلاً، فيجب أن تكون هناك " لجان تفكير"، تابعة للمجتمع المدني، أو تلك التابعة للحكومة، ولأحزاب السياسية الرسمية؛ ويجب أن يكون هناك تنسيق جدّي ومبرمج، بين الجامعات والمعاهد

1 - سعدون حمادي وآخرون، " دور التعليم في الوحدة العربية " بحوث ومناقشات ووقائع الندوة الفكرية التي نظمها مركز الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1980، ص 181.

العليا وبين مؤسسات الإنتاج؛ بمختلف فروعها وأنواعها، أو بين الرئاسة والوزارات والمديريات، المسؤولة مباشرة على مشاريع التنمية.

فعلم الاجتماع مرحلة ما بعد التعددية في الجزائر، يحتاج إلى رؤية تعددية على المستوى المعرفي، وعلى المستوى الإبستمولوجي، تقوم على المبادئ التالية:

- تحديد الإطار الذي يتخذه الباحث السوسيولوجي، في النقد والتحليل، وفي أي قراءة أو حوار، مع الأدبيات السوسيولوجية⁽¹⁾.

- الرؤية النقدية التي يستند إليها التحليل السوسيولوجي، هي ذات صلاحية نسبية، لذلك وجب التعدد في الرؤى والمنظورات والمناهج، طالما أن الأمر يتعلق بواقع اجتماعي-ثقافي متشابك.

فالممارسة السوسيولوجية تستوجب خيالا سوسيولوجيا واعيا، بحسب المفكر الاجتماعي مصطفى محسن، هذا الإشكال الإبستمولوجي يعبر عن: (جدلية الوحدة والاختلاف) أو (التماثل والتغاير)⁽²⁾، وهي جدلية تشمل عناصر الواقع الإنساني الاجتماعي، كما تنسجم أيضا أنماط المعارف، التي تنتجها حول هذا الواقع ذاته.

فالسوسيولوجيا اليوم في الجزائر، ملزمة بمغادرة فوقيتها الجامعية، حتى لا تفقد أكثر من رصيدها المعرفي والتحليلي؛ والذي كرسه جيل البحث، عبر سنوات تزامنت بقوة مع نشوء وتطور، الدولة الجزائرية المعاصرة، في ظروف سياسية ودولية خاصة⁽³⁾.

المطلب الثالث: آليات النخبة السوسيولوجية في مواجهة تحديات العولمة:

لقد ظهرت ملامح العولمة ومؤشراتها بادية، عبر اتساع نشاط المؤسسات الدولية، وتجاوزها للحدود الوطنية، وتكوّن ما عرف " المجتمع الكوكبي " (La Société Globale)

1 - الطاهر إبراهيمي، المرجع سابق الذكر، ص 15.

2 - مصطفى محسن، " في المسألة التربوية- نمو منظور سوسيولوجي متفتح "، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2002، ص ص 11-12.

3 - سعيد عيادي، ترخيص القواعد الثقافية لإعادة البناء الحضاري، مرجع سابق الذكر، ص 266.

حيث أن لفظ " كوكبي " مثل العالم عن طريق تأشيرة الاتصال الإلكتروني، التي جعلت من الكرة الأرضية " مسرحا كوكبيا " أو (عالميا) (Un Theatre Globale) تلعب فيه المؤسسات عبر الوطنية وتكنولوجيا الاتصال دورا أساسيا. وأهم المؤلفات التي أسست لهذا اللفظ تذكر مؤلفين، أحدهما للكندي " ماك لوهان " (Marshal MC Lucan) المعنون " الحرب والسلام في القرية "، وقد ساعده في إنجازه كونتين فيور (Quentin Fiot) والثاني للمؤلف بريزيسكي (Zbigniew Brezezinski)، تحت عنوان " بين عصرين: " الدور الأمريكي في العصر الإلكتروني "، وهما يمثلان إطلالة جديدة على العالم بمنظر جديد، يختلف في معالمه عن الأطروحات السابقة ونشر عام 1969.

إستعمل مصطلح " الكوكبية " في بداياته الأولى، بمدارس التسيير والتسويق، لأكبر الجامعات الأمريكية في مستهل الثمانينات، واقترن حينذاك " بالعولمة المالية " Globalisation Financière، ثم تطور مع الانطلاقة الجيو- اقتصادية، وشبكاتها التقنية للإرسال والإعلام.

وأصبحت " الكوكبية " أو "العولمة " تمثل إطارا أو شبكة للقراءة السبرنيتقية للعالم، وللنظام العالم الجديد (1) بمعنى أنها تشكل نموذجا يفسر حالة العالم، بعد التطورات الاقتصادية والتكنولوجيا التي اجتاحت كل المجالات.

لكن العولمة قد توسعت مجالاتها، وزوايا تتناولها في العصر الحالي، تبعا لتنوع أنماط النشاط الممارس، من قبل الإنسان العصري، ويمكن اختصارها في أربعة أنواع، تتصف كلها بظواهر التتميط والتوحيد (L' Uniformalisation) (2) وهي:

العولمة الاقتصادية، العولمة والتتميط البيروقراطي، العولمة العلمية وعولمة الإعلام والعولمة الثقافية، ومنه يتجلى لنا أن العولمة الثقافية، تتم على مستوى المحتويات المبتة عبر

1 - Encyclopedia Unersalis, (CDROM), France, SA, 1997.

2 - MARC Ferro, une Information Mondialisé, Le Monde Diplomatique, Collection Manieue de Voir, 27 Aout 1995, PP : 77-78

وسائل الاتصال التكنولوجية، الصانعة للمجتمع العالمي على حد تعبير " بريزنسكي "، ويؤكد ذلك الأنثروبولوجي الهندي أرجون أبا دوري (Arjun Appadurai) قائلا: " أن عولمة الثقافة ليست بالضرورة عملية تجانسها، لأن عولمة تطلب أجهزة متنوعة لإحداث المجانسة كالسلاح، تقنيات الإشهار، هيمنة اللغات ونماذج الملابس، والتي يتم تشربها، من طرف الاقتصاديات السياسية والثقافات المحلية " (1).

ويرى الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: " أن العولمة في المفهوم الأمريكي، لا تعني معاملة الأخ لأخيه كما يريد الإسلام، ولا معاملة الند للند، كما يريده الأحرار والشرفاء في كل العالم، بل تعني معاملة السادة للعبيد والعمالقة للأقزام، والمستكبرين للمستضعفين " (2). إرتأينا استعمال النوع الرابع وهو العولمة الإعلامية والاتصالية، النوع من تأثير قوي وخطير، على كل مناحي الحياة البشرية للمجتمعات المعاصرة سواء كانت عصرية متقدمة أو فقيرة وبائسة ومتخلفة عموما وعلى النخب بمختلف أنواعها، وبصفة خاصة النخب السوسيولوجية.

1- العولمة الإعلامية الاتصالية:

كثيرا ما تعبر العولمة الإعلامية الاتصالية عن معنى واحد، يتجسد في التزاوج بين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، والتواصل بينهما، متجاوزين الحدود التقليدية، ومؤديان إلى ظهور ما يعرف حاليا، بالاتصال المتعدد الوسائط (Multi-Media)، الذي يركز على تطور الحاسبات في جيلها الخامس..

لعبت شبكة الإنترنت الاتصال المتعدد الوسائط (MultiMedia)، دورا هاما في عملية نقل المعلومات وتسهيل الاتصال وطنيا وعالميا، كما تعدّ مؤشرا للدخول في عهد جديد، يختلف في ملامحه عن العصور السالفة، باعتبارها عنصرا مكملا لكل تجهيزات الاتصال

1 - Ananand MATTELART, La Communication – Monde Histoire des idées et des stratégies, Série Histoire Contemporaine, La Découvert, Paris, 1992, P : 282.

2 - يوسف القرضاوي، " خطابنا الإسلامي في عصر العولمة "، دار الشرق، القاهرة، 2004.

المتواجدة حاليا. فحسب رأي الكاتب " ميشال صالوف كوست " Michel Saloff Costa " في أحد مؤلفاته والمعنون بـ "إدارة الألفية الثانية " والقائل: " قبل دخول أي عصر جديد، يوجد هناك دائما مؤشرات لأحداث ومواقف تبنيء بحلوله، وتدعى ببذور المستقبل... إذ أن شبكة الإنترنت تعدّ بذرة مستقبل للعصر الجديد إبداع/ اتصال " (1).

لقد أصبحت وسائل الإعلام الجماهيرية ومواد الإعلام المتعدد، والطرق السريعة للمعلومات، تعد سلطات جديدة ذات نفوذ على الجماهير الحاشدة في الكون. ويبيد الفيلسوف والطبيب الفرنسي " فليكس غاتاري " (Felix GUATTARI) تفاؤله في مؤلفه المعنون (Chaosmose) المنشور عام 1992، حيث يقول: "...لعل التطورات التكنولوجية في هذه الميادين الحديثة وممارستها لخبرات اجتماعية، ستخرجنا من مرحلة الضيق الحالي، وستدخلنا عصر ما بعد الإعلام (Post Média) ... " (2).

ويعدّ هذا المثقف النخبوي من الشمال المتطور المسيطر والمهيمن، من بين المتفائلين بمظاهر العولمة الإعلامية والاتصالية ومتحمسون لها، طبعا وهذه صفة البراغماتيين الذرائعيين " للرجل الأبيض " هيمنة إعلامية كآلية في إتجاه واحد، تتميط الآخر المستقبل لهذه الحضارة الرقمية، وهذا سيكون تحدّ كبير بالنسبة لمجتمعات الجنوب، المتخلف. والجزائر ليست بمنأى عن هذه المشاكل على مستويات، الصحة، والتغذية، والعلاج، والتمدرس. بالموازاة الثورة العلمية والجبروت الفكري مع ضرورة اللّحاق بهم، مع الملاءمة بين العلم والقيم الإنسانية، المكوّنة لعقائدنا وثقافتنا، أي ينبغي أن ننطلق من الركيزة الثقافية والروحية الأخلاقية والفكرية، التي تتميز بها الهوية الوطنية، ومن خصوصية المشروع الوطني الذي ينبغي التفكير فيه، وصياغة معالمه، ومن ثمّ العمل على تجسيده (3).

1 – Henri JOUSSELIN, A La découverte de L internet, Revue le Guide d'internet et du MultiMedia, édité Continental on, MELIDON, France, Hors- Seri, Juillet- Aout 1996, P : 33.

2 – Ananand MATTELART, l'invention de la Communication, Série Histoire Contemporaine, La Découvert, Paris, 1994, p 344.

3 – فوضيل دليو وآخرون، " التحديات المعاصرة، العولمة الإنترنت، الفقر، الغلة "، مرجع سابق الذكر، ص 94.

فالعولمة في حقيقة أمرها: " ليست إلا رغبة جامحة في استنساخ نموذج التبعية...". فتوجّه علم الاجتماع في الجزائر، يدعو إلى إنشاء فروع بديلة في أقسام علم الاجتماع، مثل علم اجتماع العلاقات الدولية، علم اجتماعي اقتصادي، علم اجتماع قانوني (1). أيضا تصويب البحث العلمي والتدريس معا، نحو تلك القضايا بعد حصرها بشكل علمي، مع تدعيم بعض الفروع بمزيد من التمكين، والاعناء التاطيري والمكتبي، خاصة في علم الاجتماع الجريمة وعلم الاجتماع العائلي، لما تتعرض له تلك النظم الاجتماعية من هزات، جزاء تلك التحولات، على أن تستقيم المضامين المعرفية، على رصد الواقع بعيدا عن المذهبين العربية، لعدم انسجامها مع الواقع الجزائري، وبالتالي لعدم صلاحيتها في تأصيل البحوث نظريا وتطبيقيا.

لقد ركزنا أكثر الاتصال لأنه أثبت منذ تجربته البدائية أن وجود الإنسان يستمر إلا بوجود الآخرين، لأن كل شخص هو في خدمة الجماعة، التي هي بدورها في خدمته. فهناك حركة جدلية دائمة بين الشخص والجماعة. لذا فتجاهل البعد العالمي والانغلاق على الذات لا يعتبر حلا ومخرجا من الأزمات المعرفية، والتعليمية، الفكرية، واللغوية، والاجتماعية التي تعانيها دول " الجنوب النامية ".

لأن اللجوء إلى الإنغلاق داخل حتمية التمسك بالهويات الداخلية، كان مهدا لنشوء الصيغ القومية الأكثر تطرفا، والرافضة لكل ما هو دخيل. إذن فالتحدي الحقيقي هو تطوير روح التعاون والجماعية، مع المحافظة على تميز كل طرف من حيث الهوية. لأن التحدي المعرفي العلمي الثقافي، لا يبرز في مقاومة النسق- التكنولوجي العالمي، الذي أسسته العولمة الإعلامية الاتصالية، بل لابدّ من إيجاد خطط عملية قادرة على مواجهة المخاطر المحدقة بالعلوم الاجتماعية عموما، وبعلم الاجتماع والمشتغلين به على الخصوص، من

1 - فوضيل دليو وآخرون، مرجع سابق الذكر، ص ص.95-96.

خلال توفير البنى الأساسية المعرفية الاستيمولوجية (Spécifiques)، التي تُمكنها من تقوية مقوماتها، مع الترسيص النخبوي حاضرا ومستقبلا.

2- السوسيولوجيا والاستيمولوجيا بين البراديجم (نموذج) والبراغماتيزم (الذرائعية).

إن الممارسة السوسيولوجية بتفاصيلها ونتائجها، جعلت كفة الدراسات التحليلية التطبيقية، تتراجع إلى أسفل، بالإضافة إلى الصعوبات الميدانية المتزايدة، والتي يلقاها المشتغلون في علم الاجتماع، نتيجة جهل مؤسسات المجتمع والفاعلين فيه، بأهمية دورها وأثرها في فهم حركات المجتمع المختلفة⁽¹⁾.

بالإضافة إلى نوعية الإنتاج الفكري، الذي يبدو أنه غير فاعل، هناك تراكمية للإنتاج في الأبحاث، لكن الفعالية في استعماله واستثماره غير موجودة.

3- الجامعة، السوسيولوجيا والنخبة:

انعكس وضع الممارسة السوسيولوجية سلبا على المجتمع، وعلى الوضع التعليمي الجامعي للسوسيولوجيا في الجزائر، حيث تعاني كثير من معاهد علم الاجتماع، من عدم وجود فضاء معرفي تكويني، يتيح للطالب إمكانية الخروج عن التقليدية والتلقين، والتي لازالت تلقي بظلالها السيئة على طرق التعليم السوسيولوجي.

هذه الطرق ضيّقت من مجالات التعلم، ولم تساعد في ترقية الأداء المعرفي لدى الأستاذ والطالب معا، وتوشك أن تتحول المذكرات والرسائل، إلى سياق تجمعي تسطيحي، يفنقر إلى البنية المعرفية التي تتيح للطالب تطبيق وتمحيص النظريات السوسيولوجية⁽²⁾ وضمن مقارباته المنهجية، الشيء الذي يجعله في حيرة عند البحث، في ضبط المقاربات المنهجية، فهو لا يتوفر على معطيات البعد المعرفي للنظريات السوسيولوجية⁽³⁾.

1 - سعيد عيادي، المرجع السابق الذكر، ص 277.

2 - جمال معتوق، " واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي..... "، المرجع السابق الذكر، ص 210.

3 - سعيد عيادي، نفس المرجع، ص ص 278-279.

فمن تحديات الممارسة السوسولوجية، هو تقليص فضاءات الحركة المعرفية، لمراكز التنمية البشرية والبرمجة العصبية، فنظريات هذين العلمين، يجعل حظوظ إمساك السوسولوجية بفضاءاتها المعرفية السابقة يتقلص ويضيق.

لذا وجب إحداث مراكز دراسات سوسولوجية متخصصة، مستقلة إداريا وماليا وسياسيا وإداريا، تعمل وفق رؤية معاصرة، تقوم على خيار العمل من أجل التغيير، وجعل عالم الاجتماع يعمل ويركز، ويدقق، ويحلل ويذهب بعيدا في فضائه المعرفي، بهدف المعرفة، السوسولوجية الفاعلة الواقعية، وليس بحثا عن النفوذ والمصلحة- أيضا إحداث تعليم جامعي متعدد المدخلات، فسيكون هو الحل اللازم والضروري، لفك مشكلة التخصصات، ففتح تخصصات تتماشى وتواكب احتياجات المجتمع، والطالب، والباحث، في عصر التكنولوجيا الرقمية، والسيبرناتيك، والهندسة الوراثية...إلخ، يكون امتحان آخر، لكن أحداث التجربة، ثم انتظار النتائج هو الأهم والأجدى.

خلاصة:

يمكن القول أن الدور المنوط بالمشتغلين بالسوسيولوجيا في الجزائر، هو دراسة ما هو كائن وليس ما يجب أن يكون، لأنه من أسباب التوقع والتأخر، هو إعادة محطات من التاريخ لا تساعد على النهوض من جديد، بل تدفع إلى التخوّف من نهضة قائمة، قد تعصف بكل النهضات السابقة للمجتمع الجزائري؛ الذي ما فتى أن تجاوز بعضا من محنه وأزماته، فضعف موقف النخبة السوسيولوجية الجزائرية، متعلّق بقوة موقف جهات السيطرة الاجتماعية، الثقافية والسياسية، في ما يتعلق بالاستقلالية الفكرية والمعرفية لهذه النخبة، فيما يخص في بحثها في هوية مجتمع قد ضاعت بين ماضٍ مازلنا نتمسك به، وبين حاضرٍ معلوم نعيشه بتحفظ.

فتحديات هذه النخبة كبيرة وعويصة ومتعددة، بين رهنٍ داخلي يتمثل في مطلب الديمقراطية، والذي هو مطروح فيه بقوة من جهة، وتحديّ إعصار العولمة وإحداثياتها من جهة أخرى.

الفصل السادس :

في ماهية الإغتراب ومسألة اغتراب
النخبة السوسولوجية الجزائرية

تمهيد

الاغتراب من أكثر المفاهيم الإنسانية، استخداما وشيوعا في مجال العلوم الإنسانية، ومن أكثرها قدرة على وصف مظاهر، البؤس الإنساني والقهر الاجتماعي، عبر علاقة الإنسان بالطبيعة المجتمع؛ وهو فوق ذلك يشكل مدخلا منهجيا مميزا تعتمد العلوم الإنسانية، في تحليل الظواهر الإستيلابية، في واقع الحياة الإجتماعية⁽¹⁾.

كما سنتطرق في هذا الفصل، إلى شكل ثاني من الاغتراب وهو الاغتراب الذاتي، والذي يمارسه الفرد ضد نفسه حيث سيصاب بعقد كثيرة كعقدة النقص، وعقد العار، وعقدة النكوص إلى الذات؛ فيبيع شخصيته ومبادئه بهدف، تحقيق بعض الأطماع الشخصية والاستعراض الاستهلاكي، على حساب المصلحة العامة؛ وهذا الشكل من الاغتراب هو الأكثر انتشارا.

سنسلط الضوء أيضا في هذا الفصل، على شكل آخر من الاغتراب للنخبة السوسيولوجية، وهو اغترابهم الذاتي.

كما سنتناول، أهم معاني الاغتراب، كذلك مفهوم الاغتراب لدى بعض الفلاسفة الكبار وعلماء الإجتماع، وأيضا مواقف علماء الاجتماع من مسألة الاغتراب، وظاهرة اغتراب النخبة السوسيولوجية الجزائرية.

1 - علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية- بحث في إشكالية القمع التربوي، عالم الفكر الكويتية، المجلد 72، العدد الثاني، أكتوبر/ ديسمبر 1998، ص ص. 241-281.

المبحث الأول: معنى التغريب:

يعدّ الاغتراب سمةً بارزة في حياتنا المعاصرة، وهو من أكثر المواضيع التي يطرح تناولها إشكالات عديدة، أبرزها الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح، فعلى الرغم من أن ظهوره ليس حديثاً، فجزوره ضاربة في القدم؛ حيث تعرّضت لدراسة مختلف العلوم كالفلسفة وعلمي النفس والاجتماع، ومؤخراً كان له حضوراً في الفنون والآداب، إلا أننا لا نكاد نعثر على تعريف موحد له، يتفق الباحثون عليه، مما يدل على تعدد معانيه واتساعها، والتباين الكبير في توظيفها، ولهذا خصص المبحث للوقوف على هذه المعاني، في هذه العلوم المشار إليها أعلاه، بالإضافة إلى المعاني التي يأخذها في اللغة العربية، وفي بعض اللغات الأجنبية، حتى يتسنى لنا لاحقاً إدراك معانيه في سوسولوجية النخبة الجزائرية.

المطلب الأول: الاغتراب لغةً:

1- في اللغة العربية:

يرد لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة المكانية أي البعد عن الوطن، فنجد في لسان العرب لابن منظر في مادة غَرَبٌ⁽¹⁾ الغربة: النوى والبعد، والتغريب: النفي عن البلد والغربة والغروب النزوح عن الوطن ومنه الفعل اغترب، يغتربُ أي نزع عن الوطن ونأى عنه.

يقول الإمام الشافعي (150هـ-204هـ): "ما في المقام لذي عقلٍ وذو أدبٍ: من راحة فدع الأوطان واغترب".⁽²⁾

1 - تحقيق المجلد الأول، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994، ص 638.

2 - عبد الرحمان المصطاوي، الديوان، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص 27.

والمعنى نفسه يتكرر في معجم المحيط: الغربة بالضم: النزوح عن الوطن وأيضا الاغتراب والتغرب، ونجد أيضا غرّب: غاب، كغرب وبُعد واغترب تزوج في غير الأقارب⁽¹⁾، وفي الحديث النبوي الشريف: " اغتربوا ولا تُضوّوا " ⁽²⁾.

أي لا يتزوج الرجل القرابة فيجيء ولدا ضاويا⁽³⁾. وفي المعجم الوسيط: غرّب في الأرض أمعن فيها فسافر سفرا بعيد، واغترب فلان نزح عن الوطن وفلان تزوج في غير الأقارب، والغريب الرجل ليس من القوم ولا من البلد (ج) عزاء والغربة: النوى والبعد ⁽⁴⁾.

ومن خلال تتبنا للمصطلح في المعاجم العربية، تتعدد المعاني التي يتسع لها لفظ الاغتراب، ولكننا اخترنا منها ما كان له صلة مباشرة، ببحثنا وهو الاغتراب الإجتماعي والفكري؛ وهذا ما يمثل الجانب المعنوي من الاغتراب، لكن لم يرد في معظمها " أي المعاجم العربية" لهذا المعنى، أي الاغتراب عن الذات، أو عن الآخرين في المجتمع بمعنى " الاغتراب عن المبادئ، والقيم، والأفكار، والتقاليد، والأعراف؛ التي يتمسك بها الناس في المجتمع " ⁽⁵⁾.

نجد الاغتراب بهذا المعنى، عند الاصبهاني في قوله: "فقد الأحبة في الوطن غربة"⁽⁶⁾.

كما نجده في قول أبي الحيان التوحيدي حيث يقول: "أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه " ⁽⁷⁾.

-
- 1 - محي الدين الفيروز آبادي، المعجم الوسيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمان المرکشيلي، مادة (غ رب)، دار إحياء التراث العربي، الجزء الأول، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص ص 206-207.
 - 2 - الجوهري، الصحاح، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956، ص 191.
 - 3 - إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزكيات وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط "، دار العودة، اسطنبول، 1989، ص ص 647-648.
 - 4 - هارون عبد السلام، المعجم الوسيط، المجلد الرابع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص 421.
 - 5 - بن علي قريش، الإغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1943)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجليلي اليابس - سيدي بلعباس -، 2006-2007، غير منشورة، ص 15.
 - 6 - أبو الفتح الإصبهاني، أدب الغرباء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1972، ص 32.
 - 7 - أبو الحيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، دار العلم، الطبعة الأولى، لبنان، 1981، ص 181.

ومن خلال هذين المقولتين، ندرك أن البعد عن الوطن ليس شرطاً للاغتراب، فقد يكون الإنسان داخل وطنه، وبين أهله وأصدقائه، ولكنه يشعر بالاغتراب عنهم، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل النفسية، المتعلقة بالتركيب الخاص بشخصيته، مما يجعله غير قادر على توافؤم، مع ما يسود في مجتمعه من قيم؛ فالاغتراب النفسي هو أكبر اغتراب يعشه الإنسان؛ لأنه قد يصل إلى درجة إحساسه بغربة عن نفسه وذاته، وتجدر الإشارة إلى أننا ضمنا تحت مصطلح الاغتراب النفسي، جميع أنواع الاغتراب الأخرى، التي لا تتعلق بالغربة المكانية (الاجتماعي، الروحي، الوجودي)، باعتبار أن مصدرها الأساس هو النفس البشرية.

2- اللغات الأجنبية:

سننطرق إلى مفهوم الاغتراب في كل من اللغتين الفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى اللغة الألمانية، على اعتبار أن أهم الدراسات، التي اهتمت بهذه الظاهرة جاءت بهذه اللغات. تعود أصول كلمة (Aliénation) الفرنسية وكلمة (Alienation) الإنجليزية، اللتان تدلان على الاغتراب إلى الكلمة اللاتينية (Alienato)، وهي اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني (Alienare)، بمعنى ينقل أو يحول أو يسلم أو يبتعد، وهذا الفعل بدوره مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى هي (Alienus)، التي تعني الانتماء إلى الآخر، وهي مشتقة (Alius)، بمعنى الآخر⁽¹⁾.

كما أن أحد استخدامات هذه الكلمة في اللغات المشار إليها، يرتبط بما يتعلق بالملكية، أي نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، فهذا المعنى اللغوي يرد في معجم (Quillet) للغة الفرنسية:

"إغترب واستلب بمعنى التنازل عن ملكية"⁽²⁾، إذا الاغتراب بهذا المعنى يُقصد به نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، أو التخلي (مجاناً أو بالبيع أو بالمقايضة)، عن ملكية

1 - سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركوز، مصر، دار المعرفة الجامعية، الأزايطة، 2003، ص 21.
2- Dictionnaire Quillet de la Langue Français, Tome 1, Librairie Aristide, Quillet, Paris, 1975, p 171.

شخص ما وتحويله لآخر "غيري"، كأن أتخلى لغيري عن منزل أو سيارة أو قطعة أرض أو غير ذلك⁽¹⁾، وورد المعنى ذاته في اللغة الإنجليزية المتداولة في العصور الوسطى، "حيث كانت تفيد قيام شخص ما باعتبار أو تغريب أو تجيير شيء يمتلكه، كالأراضي والمنازل إلى الغير"⁽²⁾.

وهنا اكتسبت الكلمة بعد الانفصال، أو الغربة، والاضمحلال في الآخر؛ أي في غير الذات، فالملكية جزء من الذات الإنسانية، وعندما تتسلخ عنها، تفقد الذات شيئاً من كيائها وتختلف عما كانت عليه من قبل.

كما أنها تأخذ معنى الاضطراب العقلي، حيث إن لفظ "Aliene"، يعني الشخص المختل أو المعتوه، الذي فقد القدرة على إدراك ماهيته، فمادام الشخص مختلاً عقلياً، فهو مغترب عن ذاته وعن العالم الخارجي"⁽³⁾.

ويمكن استخدام لفظ الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر، حيث إن فعل (Alienare) يفيد معنى "التسبب في فتور علاقة ودية، مع شخص آخر أو في حدوث انفصال"⁽⁴⁾، وبالتالي يصبح كلّ منهما غريباً عن الآخر، أي إنهما يعيشان حالة اغتراب.

ويوجد تعريف آخر للاغتراب في معجم لاروس وهو: "الحالة التي تنتج عن الترك أو المنع من حق طبيعي: "قبول استلاب حرية الإنسان"⁽⁵⁾، أي أن الشخص يصبح وبفعل ظروف اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، عبداً للأشياء فاقداً لحرية، وبالتالي يعامل نفسه كشيء، وعليه، فإنّ الإنسان المغترب، يعاني من نقص معيّن في شخصيته، إمّا في عقله أو في حقوقه مما يجعله مستلباً.

1 - سالم بيطار، اغتراب الإنسان وحرية، طرابلس/ لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003، ص 26.

2 - سالم بيطار، المرجع سابق الذكر، ص 27.

3 - إبراهيم محمود، الاغتراب الكفاوي ورواية المسخ نموذجاً، عالم الفكر، مجلد 15، عدد 02، 1984، ص 80.

4 - إبراهيم محمود، نفس المرجع، ص 79.

5 - Grand Larousse De La langue Française, Paris, 1971, p 118.

وفي اللغة الألمانية لم ترد، لفظة الاغتراب بالمعنى السابق: أي النقل القانوني للملكية، ولكن وردت بمعنى: "النقل بواسطة السطو والسلب والأخذ عنوة"⁽¹⁾. كما أن كلمة الاغتراب ترتبط بالغبرة (Entfremdung)، وهذا الاصطلاح يعني التغريب (Vertrendung) أو السطو أو السلب، وهو يضع اللفظ الألماني (Fremd) مقابل اللفظ اللاتيني (Alienus)، واللفظ الإنجليزي (Alien)، حيث يعني الانتماء إلى آخر أو التعلق به⁽²⁾.

بمعنى أن أنتمي لغيري وأتعلق به، أصبح رهن إرادته، فالمصطلح الألماني يدلّ في معناه المباشر، قبل توظيفه في مجال الفلسفة، على العملية التي يصبح فيها الشخص غريباً، والمعنى في اللغة الألمانية قريب من المعنى في اللغة العربية؛ كما نجد مفاهيم ودلالات مختلفة، للفظ اغتراب في القواميس الإسبانية، وهي غالباً تصبّ في معنى "الإنقال المكاني والنزوح عن الوطن"، والتي تدلّ على معنى عدم التوافق والانسجام مع اللحظة الآنية، ففي قاموس الأكاديمية الملكية (Dictionnaire Le Real Accadmio) ورد لفظ الغربة (escilio) بمعنى البعد عن الوطن، وأن الغريب (esciliado) هو المبعد عن وطنه، ولأسباب سياسية بشكل عام، وكذلك من معانيها النفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها⁽³⁾، وبالتالي فإن القواميس الأجنبية، تكاد تجمع على ثلاثة معاني.

المطلب الثاني: المعنى القانوني:

تعني انقال أو بيع حق أو ملك أو ماله، أو ذلك الفعل الذي تتحول بمقتضاه ملكية أي شخص آخر، تحويلاً يتم عن طواعية واختيار، ومعنى ذلك أن الشيء يصبح، خلال عملية

1 - ريتشارد شاخت، الاغتراب ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ص 63.

2 - ريتشارد شاخت، المرجع سابق الذكر، ص 64.

3 - أشرف علي دعدو، لغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، القاهرة، دار نهضة الشرق، 2002، ص ص

النقل أو التحويل أو الاغتراب، يصبح ملكا لشخص آخر غريبا عن مالكة الأول، ويدخل ضمن نطاق ملك المالك الجديد.⁽¹⁾

وفي هذا الشأن، نجد أن الفعل اللاتيني " Alienare "، يدل على تحويل ملكية الشيء إلى شخص آخر، ومعنى هذا أن ما هو ملك لي، وينتمي إليّ يصبح ملكا لغيري، غريبا عني، ويبدو أن فكرة النقل القانوني هذه، تحمل عنصر الإرادة والحرية، فالنقل هنا يتم طواعية ووفقا لإرادة الإنسان وحرية.⁽²⁾

لكن وكما يبين شاخت، فالكلمة اللاتينية تعني الانتزاع أو الإزالة بجانب النقل، ومنه فإن للكلمة جانبا آخر هو الاستحواذ الجبري، الذي يتم بطريقة قهرية تنتفي معها حرية الإنسان، وفي هذه الثنائية تكمن سمة الجدلية للاغتراب؛ ففي داخل النقل شيء من الإنتزاع، وفي داخل فعل القهر شيء من الحرية والإرادة.⁽³⁾

وقد ورد هذا المعنى القانوني لنقل الملكية، في الإنجليزية المنتمية للعصور الوسطى، وأيضاً في العصر الحديث. وكان أول من استخدم المصطلح، للدلالة على هذا المعنى في العصر الحديث، هو الفيلسوف الهولندي " هوجو جرتيوس " (Hugo Grotius) (1583م-1645م)، الذي استخدم الفعل اللاتيني Alienare فيما يتعلق بنقل ملكية السلع، متقدماً في ذلك على فلاسفة العقد الاجتماعي.

لكن هذا الاستخدام يمتد لدى جورتيوس ليشمل أيضاً السلطة السياسية، فكذلك يمكن نقل الأشياء من شخص أو مجموعة أشخاص إلى آخر. وقد وجدت هذه الفكرة صداها

1 - حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إريك فروم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1995، ص 39.

2 - روبير شاخت، المراجع سابق الذكر، ص 9-10.

3 - محمود رجب، الاغتراب، الجزء الأول، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1978، ص 34-35.

* هوجو جورتوس هو: قاض من جمهورية هولندا. وضع مع فرانتشيسكو دي فيتوريا وألبريكو غنتيلي، أسس القانون الدولي، اعتماداً على الحق الطبيعي. كما كان فيلسوفاً وعالم إلهيات ولاهوت دفاعي، وكاتب مسرحي ومؤرخ وشاعر. ولد في 10 أبريل 1583 و توفي في 28 أوت 1645 في روستوك الألمانية. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: ar.m.wikipedia.org بتاريخ 2017 /05/22، على الساعة 23:45.

العميق لدى فلاسفة العقد الاجتماعي، وبصفة خاصة " جان جاك روسو "، الذي يتعرّض للفكرة بشكل مباشر في كتابه " العقد الاجتماعي "(1).

ومن خلال ما يشير إليه هذا المعنى القانوني للاغتراب، يتضح أن الكلمة الإنجليزية "Alienation"، التي اشتقت من الكلمة اللاتينية "Alienatio" والدالة على الاغتراب، إنما تفيد قابلية الأشياء والممتلكات، بل والبشر أنفسهم، للتناول أو للبيع: والاغتراب من خلال هذا المعنى القانوني، يتضمّن ما يمكن تسميته بـ "تشيؤ" - تحويل إلى شيء - "Réification" - العلاقات، أي تحوّل الموجودات الإنسانية الحية إلى أشياء، أو موضوعات جامدة، وهنا يصبح الإنسان مجرد سلعة قابلة للبيع والشراء، ويفتقد سمته المتعالية كإنسان(2).

ولعلّ هذا المعنى الأخير، الذي يشير إلى تشيؤ الإنسان، يظهر بصورة بالغة الوضوح، لدى ماركس وفلاسفة الوجودية، كما سنتعرّض لهم لاحقاً بأكثر تفصيل ودقة؛ بل يمكن القول بشكل عام أن معالجة الاغتراب، كظاهرة سلبية إنّما ينطوي تحت هذا المعنى(3).

المطلب الثالث: المعنى السيكولوجي:

لقد ارتبط معنى اغتراب في أصولها اللاتينية، بالعقلي أي الاضطراب أو المرض العقلي. فالمغترب هو الشخص المصاب باضطراب عقلي. وهذا ما يفسر التسمية اللاتينية التي كانت تطلق على طبيب الأمراض العقلية (Alienist). لقد ورد بهذا المعنى في العديد من المعاجم والكتابات الطبية، وخاصة الطب العقلي(4).

1 - جمال معتوق، " واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي "، دراسة ميدانية بالجزائر، تونس والمغرب "، أطروحة دكتوراه

في علم الاجتماع الثقافي - جامعة الجزائر - 1998-1999، غير منشورة، ص ص 20-23.

2 - جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 233.

3 - نفس المرجع، ص 233.

4 - Baldumi, J, Dictionnaire de Philosophie 2ème Edition, Michigan, New York, 1911, p 198.

كما استخدمه العديد من الباحثين، في مجال علم النفس المرضي، والتحليل النفسي في كتاباتهم⁽¹⁾. وقد وردت أيضا كلمة الاغتراب، في الترجمان والشروح اللاتينية للكتاب المقدس، وفي العهد الجديد، وفي النصوص، التي تتحدث عن فكرة الخطيئة بصفة خاصة.⁽²⁾

المطلب الرابع: المعنى السوسولوجي:

نجد في معجم العلوم الإجتماعية، يعرف الاغتراب كالتالي⁽³⁾.

- الاغتراب بوجه عام البعد عن الأهل والوطن، واستعمل حديثا في العلوم الاجتماعية لدلالة خاصة، قصد إليها كارل ماركس (1883) وعدّها من أفكاره الإنسانية؛ نلخصها في أن الإنسان يمر بأوضاع يفقد فيها نفسه، ويصبح غريبا أمام نشاطاته وأعماله، ويكاد يفقد إنسانيته كلها؛ فليس الأمر مجرد خطأ أو نسيان، بل هو فقدان للذات، وذلك حين يتعرض الإنسان، لقوى معادية ربما كانت من صنعه، ولكنها تتقلب عليه كالأزمات والحروب. ففي حال الاغتراب يستنكر أعماله ويفقد شخصيته، وفي ذلك ما قد يدفعه إلى الثورة لكي يستعيد كيانه. فالاغتراب دافع من دوافع الثورات.⁽⁴⁾

وهذه الدراسة ترى في الاغتراب النقاط التالية:

غربة أو ضياع المشتغلين بعلم الاجتماع داخل البلدان المغاربية، وهذا نتيجة للتمييز والتهميش الذين تمارسهما، السلطات المغاربية ضد هذه الفئة من العلماء. ويعني الاغتراب في هذا البحث، ذلك التوتر والغربة عن الذات، الذين يعاني منهما السوسولوجيون الجزائريون، نتيجة فقدانهم الأمانى والمصداقية، سواء من طرف المجتمع أو السلطة.

1 - Mannoni Maud, Enfance Aliénée, U.G.E, France, 1972, p 71.

2 - جمال معتوق، نفس المرجع، ص 233.

3 - نفس المرجع، ص 234.

4 - جمال معتوق، نفس المرجع، ص 234.

المبحث الثاني: التتبع التاريخي لمفهوم الاغتراب:

المطلب الأول: في الفكر العربي - الإسلامي:

إن موضوع الاغتراب من المواضيع التي عبّر عنها القرآن الكريم، إذ حملت آيات منه معنى اغتراب الإنسان، اغتراب الإنسان عن الله، واغتراب الإنسان عن الإنسان؛ فخرج آدم وحواء من الجنة وهبوطها إلى الأرض، كان أول اغتراب لهما، ومخبأ الإنسان من الشيطان كان اغترابا آخر (1).

فالإنسان إذن اغترب عن ربه، عندما عصاه فخرج من نعيم الجنة، واغترب في أرض موحشة، ومن كرم الله عز وجل أن كان هذا الاغتراب في حدود المكان؛ حيث أنه قبل توبة آدم عليه السلام بعدما عصاه، وبعد أن كادت مشاعر اليأس والحزن والخوف والقلق والألم تستولي عليه، " فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (سورة البقرة، الآية: 37)، وبذلك خفت مشاعر الغربة، لأن الإنسان كلما اقترب من الله، ازداد إيمانه واطمئن قلبه مصداقا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد، الآية: 28).

وكان الأنبياء عليهم السلام ممن أدركتهم الغربة، يحملون الرسالة التي كلفهم الله تعالى بنشرها؛ فقد خرج سيدنا "موسى" من مصر، هاربا من ظلم فرعون وقومه، وناجى ربهما معناه قائلا: " يا رب إني وحيد مريض غريب " فناداه ربه: يا موسى الوحيد من ليس لي مثلي أنيس والمريض من ليس لي مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة (2). وهذا ما يؤكد المعنى السابق، من أن قهر الاغتراب ومشاعر اليأس والقلق والألم والتشاؤم، لن يكون إلا بقرب الإنسان من الله ورسوله محمد " صلعم " ، ذاق الغربة في وطنه مكة، حيث تعرّض لاستنكار أهل وطنه ومحاربتهم؛ لأنه جاء بالهداية الصحيحة، التي تخالف

1 - عادل الألوسي، الإغتراب والعبرية، القاهرة مصر، دار الفكر العربي، لطبعة الأولى، 2003، ص 04.

2 - ابن القيم الجوزية، مدرج السالكين، تحقيق: رضوان جامع رضوان، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2001، ص 371.

معتقداتهم وشركهم وكفرهم بالله، فخرج من مكة إلى الطائف مجتنباً اضطهادهم، وعندما اشتد به الألم، توجه إلى ربه بدعائه الذي يفيض، بمشاعر الغربة والحزن والإيمان: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ " (1).

كما أن مصطلح الاغتراب ورد في عدد من الأحاديث النبوية التي فيها امتداح لغربة أهل الإسلام، قال رسول الله " صلعم": في وصف اغتراب الإسلام والمسلمين: " بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء". (2)

كما أن الدين الإسلامي يدعو الناس، إلى الغربة بمعناها الإيجابي؛ حيث أنه يحضهم على اعتبار الدنيا، محطة عبور إلى دار البقاء الدار الآخرة، وأن لا يتشبثوا بالدنيا ويجعلوها وطناً لهم قال الله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (سورة غافر، الآية: 39).

كان المفكرون والفلاسفة العرب، أيضاً من أشدّ الناس معاناة، لمختلف ضروب الاغتراب والعزلة في حياتهم؛ فالفارابي مثلاً كان " منفرداً بنفسه لا يجالس الناس، (...) وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مكتسب ولا مسكن، وأجرى عليه سيف الدولة (*) كل يوم من بيت الله أربعة دراهم، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته (3). فاجتتاب الناس واعتزال الحياة، هو أحد النتائج الشعورية لظاهرة الاغتراب، وهذه الصورة التي تتقل لنا عن الفارابي، تعلل لنا السبب الكامن وراء تأليفه "المدينة الفاضلة"، فهي لون من الهرب من الواقع، ملائم

1 - محمد ناصر الدين الألباني، **ضعف الجامع**، الإسكندرية مصر، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، ص 54/8.

2 - أبو حسن مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري، **الصحيح**، بيروت لبنان، دار الجيل، 90/1.

* - هو سيف الدولة الحمداني، ويعرف باللقب الأكثر شيوعاً "سيف الدولة العباسية"، ولد سنة 915 م وتوفي في 967م؛ هو مؤسس إمارة حلب، التي أصبحت مركزاً للثقافة والحيوية، وجمع من حوله من الأدباء منهم: أبو الطيب المتنبي. كان راعياً للفنون والعلماء، وتزاحم على بابته في حلب، الشعراء والعلماء والمفكرون. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: [https:// ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/)، تاريخ التصفح: 2017/07/28 على الساعة: 10:18د.

3 - ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972، ص 5/16.

جدا لعزلته، فمدينته حلم طوباوي بمدينة حكماء مستقبلية، طالما زاود الفلاسفة، منذ أفلاطون في جمهوريته إلى عصور قريبة⁽¹⁾.

الأمر كذلك بالنسبة لأبي حيان التوحيدي، الذي ورد عنده المعنى الشامل للغربة ببعديها المادي والمعنوي، حيث يقول: " فأين أنت من غريبٍ قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من جيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان " ⁽²⁾.

وأبو حيان التوحيدي كان مثالا للمثقف المغترب في مجتمعه؛ الذي خاب أمله ورجاؤه فيه: " فهو لم يحظ بالمكانة المرموقة التي تليق به وبمنزلته، ولذلك استوحشت حياته، وعاش غريبا في مجتمعه " ⁽³⁾. فأحرق كتبه، وهذه النهاية المأساوية احتجاجا منه على وطنه، الذي لم يوفر له الحياة الكريمة، بل ذاق فيه ألوان الفقر والحاجة، الذي زاده من مشاعر الغربة لديه فكان أغرب الغرباء: " وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه " ⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: الاغتراب في الفكر الفلسفي:

1- الاغتراب في الكتابات اللاهوتية:

تنطلق الكتابات اللاهوتية في معالجة فكرة الاغتراب، من المأساة المتعلقة بخطيئة الإنسان الأولى، والمتمثلة في قصة أبينا آدم وأمنا حواء، فبمعصية أبينا آدم لله سبحانه وتعالى بسبب الصراع القائم بين الجسد والروح، أخرج الله تعالى من الجنة، وأصبح غريبا عن الله تعالى.

1 - زامل صالح، تحول المثال، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003، ص ص 17-18.

2 - أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، مرجع سابق الذكر، ص 79.

3 - بنعلي قريش، الإغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945)، مرجع سابق الذكر، ص 11.

4 - أبو حيان التوحيدي، نفس المرجع، ص ص 80-81.

كما ترجع بداية الاغتراب الرمزي في هذه الكتابات، إلى قصة معصية إبليس لله تعالى، عندما أمره بأن يسجد لآدم، فلما أبى وأستكبر طرده الله من رحمته، وأصبح غريبا عن الله تعالى (1).

إن المنتبغ لمعاني الاغتراب في الكتابات اللاهوتية، يجد أن الاغتراب بدأ من المعصية، وبالتالي الاغتراب هو الانفصال عن الله؛ لذلك كان المذهب البروتستانتي، يرفض فكرة التوسط بين الله والإنسان، ويرى ضرورة القضاء على الغربة الإلهية.

2- الاغتراب عند فلاسفة الحق الطبيعي:

تعتبر فلسفة الحق الطبيعي، أول فلسفة تطرقت لمعالجة الاغتراب، قبل هيجل وماركس؛ فهي تستند إلى تطور البشرية، من وجهة نظر الحق الطبيعي؛ فالنظام الذي تسطر فيه القوانين الطبيعية، يتوافق مع المراحل الأولى من تاريخ البشرية؛ عندما كان الإنسان قريبا من الطبيعة وهي غريبة عن كائنه الطبيعي. (2)

1-2 الاغتراب عند توماس هوبز* (05/04/1588م - 04/12/1679م):

ينطلق هوبز في معالجته للاغتراب من التمييز بين حالتين للبشر، حالة طبيعية وحالة مدنية؛ فالحالة الطبيعية هي حرب الجميع ضد الجميع، من أجل البقاء أي أن البقاء الحق للقوة؛ وهذا متناقض مع النزوع للبقاء، لذلك يجب على كل فرد، التخلي عن بعض حقوقه لقيام حكمة مطلقة، تحفظ لجميع حقوقهم وتوازنهم.

- لذا فإن معنى الاغتراب، هو تخلي طوعي يقوم به الأفراد، والأفراد متساوون في الخضوع لهذه الضرورة، (الخضوع للشهوة وحدها عبودية، والانصياع للقانون الذي ألزمتنا أنفسنا به).

1 - فيصل عباس، الاغتراب، لبنان، دار المنهل اللبناني، الطبعة الأولى، 2008، ص 23.

2 - فيصل عباس، المرجع سابق الذكر، ص 24.

* توماس هوبز: هو عالم رياضيات وفيلسوف انجليزي، من مواليد 05 أبريل 1588 بوتشير، وتوفي في 04 سبتمبر 1679 بالمملكة المتحدة، ويعد أحد أكبر فلاسفة السابع عشر، فقيها قانونيا، ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها. أنظر الموقع الالكتروني التالي: ar.wikipedia.org بتاريخ 15 أبريل 2018، على الساعة 22:45.

2-2 الاغتراب عند جون لوك⁽¹⁾ (29 /08/ 1632م - 28 /10/ 1704م):

يرى جون لوك أن الإنسان لديه حق التملك وهو حق طبيعي، إلى غاية قيام الدولة، فعندما تقوم الدولة يتخلى الفرد عن الحق الطبيعي للمجتمع. وينفصل عنه، وهو بهذا ينتقل من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية؛ إذ تبين الدولة مجموعة من القوانين التي تعاقب المتطاولين على حقوق غيرهم.

2-3 الاغتراب عند جون جاك روسو⁽²⁾ (28/06/1712م - 02/07/1778م):

يقول جون جاك روسو في "العقد الاجتماعي": "لقد ولد الإنسان وهو مكبل بالحديد في كل مكان"، فمفهوم العقد الاجتماعي من حيث الجوهر، هو عبارة على اغتراب للحرية الطبيعية، فهي في حالة غياب العقل، يكون ثمة اغتراب قسري، وفي حالة حضوره يكون ثمة اغتراب طوعي، وكليهما يشترك في وجود الضرورة الأولى، هي الرضوخ للتعسف الخارجي، والثانية هي ضرورة الحفاظ على المجتمع، فالاغتراب عند روسو نوعان اغتراب قسري واغتراب طوعي⁽³⁾.

1 - جون لوك هو فيلسوف تجريبي ومفكر وسياسي إنجليزي، تعلّم في مدرسة سمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أكسفورد، حيث انتخب طالبا مدى الحياة؛ لكن لم ينخرط في سلك رجال الدين؛ وبدلاً من ذلك أخذ في دراسة الطب، ومارس التجريب العلمي، حيث عرف بالدكتور لوك.

كتب في 1667 مقالا خاصا بالتسامح، راجع فيه أفكاره القديمة، بخصوص تنظيم الدولة لكل شؤون الكنيسة. كان تأثير لوك شاملا وعميقا في علم النفس، قدر تأثيره في نظرية الحكم المدني؛ وظل يكتب رسالته عن "العقل الإنساني" منذ 1670، وهي تحفة في علم النفس التحليلي. من أهم أعماله: رسالة في التسامح -1689-، ورسالة ثانية في التسامح-1690-، ورسالة الثالثة في التسامح-1692-.

2 - جون جاك روسو هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي (سويسرا)، من أهمّ كتّاب عصر التنوير، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. أفكاره اتّسمت بانتقاده للمجتمع؛ وفي كتابه "العقد الاجتماعي" (1762)، هو علامة بارزة في تاريخ العلوم السياسية، طرح آرائه فيما يتعلق بالحكم وحقوق المواطنين؛ وفي روايته "أميل" (1762) أعلن، أن الأطفال ينبغي تعليمهم بأناة وتفاهم، وأوصى بأن يتجاوب المعلم مع اهتمامات الطفل، وحذّر من العقاب ومن الدروس المملّة. أنظر الموقع الإلكتروني: [https:// ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/)التصفح: 2017/03/03 على الساعة: 20:55.

3 - فيصل عباس، **المرجع سابق الذكر**، ص 25.

3- الاغتراب في الفلسفة الألمانية:

1-3 الاغتراب عند فريدريك شيلر⁽¹⁾ (1759/11/10م - 1805/05/09م):

يعالج "شيلر" فكرة الاغتراب في ظل الثورة الصناعية التي انبثقت عنها ظروف لا إنسانية⁽²⁾، وأصبحت الأحوال الإنسانية مهددة مما جعل الإنسان في حالة غربة، بسبب انفصاله عن دوره كعامل، ولم يعد لوجوده معنى إنساني، إذ يرى شيلر أن الإنسان الحديث ممزق (انفصلت لديه المتعة عن العمل، والوسيلة عن الغاية، والجهد عن العائد)؛ فالإنسان الحديث يعاني من الانفصال، بين غرائزه الطبيعية وملكاته العقلية.

وقد بين شيلر أن مرض الحضارة يتجسد، في الصراع القائم بين هاتين الأساسيتين للإنسان، والقضاء على هذا المرض، يتطلب إيجاد حل لهذا الصراع⁽³⁾.

2-3 الاغتراب عند يوهان غوتليب فيتشه* (1762م - 1814م):

يرى فيتشه أن العالم الخارجي هو من إبداع الذات، أي أنه نتاج الإبداع الروحي، وفي هذا يستخدم مصطلح التخارج، بمعنى أن الروح تخرج العالم الظاهر من حالها، ثم تطرحه

1 - يوهان كريستوف فريدريش شيلر هو: شاعر و مؤلف مسرحي ولد في مدينة فراكفورت (ألمانيا) في 1759 /11/10 وتوفي في فايمار في 1805 /05/10، له إنتاج غزير في الأدب المسرحي، والشعر، وفي البحوث العلمية التاريخية، ومقالات صحفية من أعمال شيلر: تاريخ حرب الثلاثين عاما 1791-1793، وهي من أهم وأوسع بحوثه التاريخية؛ تاريخ ردة الأراضي المنخفضة المتحدة عن الحكومة الإسبانية سنة 1708 وهو بحث تاريخي. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://www.arageek.com/bio/friedrich-scheller> تاريخ الاطلاع ك 2017/03/15، على الساعة 18سا.50د.

2 - فيصل عباس، **نفس المرجع**، ص 25.

3 - فيصل عباس، **المرجع سابق الذكر**، ص 40.

* يوهان غوتليب فيتشه هو: فيلسوف ألماني، وواحد من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية، الحركة التي تطورت من الكتابات النظرية و الأخلاقية لايمانويل كانط؛ لديه رؤى مختلفة في طبيعة الوعي الذاتي والإدراك الذاتي؛ مثل ديكارط، و كانط كتب أيضا في الفلسفة السياسية. أصدر كتابه الأول "محاولة في نقد الثورة (1792)، الذي حاول فيه الربط بين الوعي الإلهي، وفلسفة كانط المادية النقدية.

لم يؤيد في كتاباته فيتشه حجة كانط في وجود النومينا، وأنكر وجود حقيقة الأشياء في ذاتها؛ أو حقيقة ما فوق المعقول، الحقيقة التي تكون بعيدة عن مقدرات العقل الإنساني يرى فيتشه الفصل الصارم و المنضبط بين "الأشياء في ذاتها" والأشياء كما تظهر لنا؛ وباللغة اللاتينية تسمى هذه الأضداد نومينا وفينومينا. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: www.alhayat.com/détails/560948 تاريخ دخول الموقع: 2017 /02/07، على الساعة 18سا 30 د.

ضد ذاتها، فيصبح العالم الظاهر منفصل عن الذات، بعدما كان منتسبا إليها؛ وهنا يحصل للإنسان اغتراب ذاته عن جزء منها⁽¹⁾.

3-3 الاغتراب عند جورج فيلهلم فريدريش هيغل * (1770/08/27م-1831/11/14م):

يعتبر هيغل من الأوائل الذين وضعوا فلسفة جدل الاغتراب، تدور جدلية هذه الفلسفة حول جدلية القديم والحديث، في تاريخ المعرفة البشرية وحياتة الناس، ويعتبر الاغتراب حقيقة أنطولوجية مستمدة من وجود الإنسان في العالم؛ ويعرّف الاغتراب بأنه: " تلك العملية التي من خلالها يفقد الإنسان، جزءا من ذاته في الوجود الخارجي، وفي هذا الفقد إما أن تعثر الذات، عن نفسها في العالم الذي أنتجته، فتتكامل مع ذاتها؛ وإما أن يكون العالم الذي أنتجته غريبا عنها ولا ينتمي إليها، بل ويقف عدوا لها ⁽²⁾، أي أن الانفصال عند هيغل هو انفصال الروح عن الجسد، ويحدث ذلك بسبب التطور الحاصل في المعرفة البشرية، وهذه

1 - نفس المرجع، ص 42.

* جورج فيلهلم فريدريك هيغل: هو فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا، يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، من مؤسسي المثالية الألمانية. طوّر المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار، يتم بوجود الأطروحة ونقيضها، ثم التوليف بينهما.

بعد إنهاء دراسته الثانوية، انتقل عام 1788 إلى مدينة توبينغن، ودخل كلية اللاهوت الشهيرة، درس هناك التاريخ وفقه اللغة الألمانية، والرياضيات ، بصحبة رفيقه هولدرلين ، الذي سيصبح شاعرا كبيرا في ما بعد.

عام 1801 انتقل إلى جامعة ينا وهي تبعد عن فرانكفورت بثلاثمائة كيلومتر، حيث عمل هناك أستاذا محاضرا متعاوناً " بدون راتب"؛ بعد أن قدم أطروحة الدكتوراه في علم الفلك. حاضر المنطق والميتافيزيقا. وفي عام 1802 اشترك مع الفيلسوف شيلينغ في إصدار دورية اسمها " مجلة النقد الفلسفي". عام 1805 رقي هيغل إلى مرتبة بروفيسور ولكن " دون راتب " ، سارع لإنجاز كتاب الذي سيقدم فيه نظامه الفلسفي " ظاهرية الروح".ترك هيغل ما يربو على عشرين مجلدا ، من أهم كتبه و المترجمة إلى العربية. عناوين المؤلفات مع سنوات طبع ترجمة هذه المؤلفات:

- المدخل إلى علم الجمال: فكرة الجمال عام 1978

- علم ظهور العقل عام 1980.

- فينومينولوجيا الروح عام 2006.

- أصول فلسفة الحق.

مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://samararouni.wordpress.com/2013/01/12/> تاريخ الدخول:

2017/01/08، على الساعة: 18 سا. 45 د.

2 - إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيغل، بيروت، دار التنوير، الطبعة الثالثة، 2007، ص 88.

المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان، لا تتوافق مع ذاته، وتصبح غريبة عنه؛ فإما أن تتوافق الذات مع المعرفة البشرية الحديثة، فيحدث تكامل بين الذات ونفسها، ويزول الاغتراب، وإذا لم يحصل التوافق بينها وبين المعرفة البشرية، تظل غريبة عنها ويحدث الاغتراب عند الإنسان.

- تعتبر الفلسفة الهيجيلية بحق فلسفة نقدية، تبحث في قضايا الوجود الإنساني، تستند إلى تاريخ تطور المجتمع وتطور البشرية؛ لذا حاول هيغل فهم الواقع فهما معمقا، وقد كانت فلسفة هيغل تدور حول قضيتين جوهريتين، هما الحرية والاعتراب؛ والمقصود بالحرية عند هيغل هو: (امتلاك الإنسان لذاته امتلاكا تاما) (1).

3-4 الاغتراب عند لودفيغ أندرياس فيورباخ* (1804/06/28م-1872/09/13م):

يعدّ الاغتراب الديني هو أساس، كل اعتراف فلسفي أو اجتماعي أو نفسي، فالاغتراب يتمثل في تكريس الإنسان لذاته، من أجل عبادة الله تصبح ذاتا مغتربة عنه؛ لذلك سعى فيورباخ بمشروعه، إلى تحرير الإنسان من القيود الدينية، ورأى بضرورة التخلص من الوهم الديني، فالدين عند فيورباخ هو وعي الإنسان بذاته (2).

فإذا كان مفهوم الاغتراب عند هيغل، يتلخص لنا في اغتراب الفكر عن ذاته، وذلك حين ينشطر هذا الأخير إلى قوتين (الأنا، الموضوع)، مستقلتين متعارضتين، تخوضان

1 - إمام عبد الفتاح، المرجع السابق الذكر، ص 8.

مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <http://data.bnf.fr> بتاريخ 2016/12/10، على الساعة 14:53.

* أندرياس لودفيغ فيورباخ هو: فيلسوف ألماني ولد في 1804/06/28 في مدينة لاندوهوست بولاية بافاريا، وتوفي في مدينة راينبرغ في 1872/09/13. كان تلميذا لهيغل، ثم أصبح من أبرز معارضيه. أدى كتابه حول " أفكار حول الموت والخلود"، الذي نشر في عام 1830، تحت اسم مستعار، وأدى إلى فصله من الجامعة. أكد في كتابه الرابطة بين المثالية والدين، وانتقد بشكل حاد الطبيعة المثالية للجدل الهيجيلي من أهم مؤلفاته:

- في نقد الفلسفة الهيجيلية عام 1839.

- جوهر المسيحية عام 1841.

- الموضوعات الجارية لاصلاح الفلسفة عام 1842.

- أسس فلسفة المستقبل عام 1843 .

2 - فيصل عباس، المرجع السابق الذكر، ص 198.

الصراع عبر مسالك جدلية الوعي؛ فإنه عند فيورباخ يعني اغتراب الانسان عن ذاته (جوهره) بواسطة الدين، " وهكذا في الدين فإن الانسان يلغي عقله بنفسه" (1).

ما نفهمه من موقف فيورباخ من الدين، أن الدين اغتراب، لأنه عالم وهمي يقوم على أساسه، على استلاب عقل الإنسان وقدراته الخاصة؛ "يتمثل الدين في تلك العلاقة التي يقيمها الانسان مع ذاته...، وهنا يكمن زيف الدين ومحدوديته وتناقضه، مع العقل والمثل الأخلاقية" (2).

إذا كان الدين في جوهره اغترابا، ينم عن تعارض العلاقة بين الإنسان وماهيته، فكيف يحدث ذلك؟

يقودنا فيورباخ من خلال أنتروبولوجيته، إلى فكرة أن الله لا وجود له، خارج الصفات الإنسانية التي ينقلها الكائن البشري خارج ذاته، ويسقطها في كائن مفارق يسميه الله؛ ومن ثم يعترف به كموجود حقيقي يملك كيانا مستقلا بذاته؛ "إذن الله كائن موجود وحقيقي لنفس الذي هو المكان المحدد، لأن خاصيته الله أو تحديده ليس شيئا آخر، سوى الخاصية الجوهرية للإنسان ذاته" (3). وبحسب فيورباخ دائما، فإن ما يجعل الإنسان يتوهم مثل هذا العالم، شعوره الناقص بالعجز والضعف، اتجاه قدراته الخاصة، فيقف إزاءها موقف السلبية، إلى درجة احتقار ذاته، ولا يصدق كونه هو نفسه مصدر، كل الصفات والخصائص المثلى التي بداخله؛ فيعزها إلى قوة ميتافيزيقية غريبة عنه، يدعوها " الله "، يثبت الإنسان في الله ما ينفيه عن نفسه" (4)، معتقدا إياه مصدر خيره وسعادته القصوى " الإنسان شرير، فاسد وغير قادر على فعل الخير؛ لكن من هنا فالله وحده هو الخير، الله هو الكائن الخير" (5) . وهنا

1 Ludwig Feuerbach Lessence du christianisme, trad Jean Pierre Osier et Jean Pierre Grossier, François Maspero, Paris, 1973,p. 129.

2 - Ibid, p 137

3 - Ibid, p 144

4 - Ludwig Feuerbach, Op.Cit., p 148

5 - Ibid., p. 149

تقوم حقيقة الاغتراب الديني بالنسبة إلى فيورباخ، الذي لا يدع مجالاً في فلسفته للحديث، عن كائن مفارق يدعى الله، إلا في خيالات وأفكار البشر⁽¹⁾.

إن فيورباخ انتقد الدين نقداً لاذعاً، معتبراً إياه مصدر شرور البشر وتعاستهم⁽²⁾؛ "وهنا يوجد المبدأ الميتافيزيقي السامي للتضحيات الدامية، بانتصار الأساس الأصلي، لكل الشنائع وكل الأحداث المرعبة، لمأساة التاريخ الديني"⁽³⁾، ما كان -حسبه- يصل إلى هذا الحد من الإلحاد العقائدي، لولا تلك التناقضات التي اكتشفها فيه، فجعلته يكفر به وبالكائن الذي يؤلف عالمه" الله ". فهو ينطلق في تفكيره من زاوية مادية محضّة، تنتهي به إلى رفض كل ما من شأنه، أن يكون ذا وجود روحي بعيد عن انطباع حسي؛ لأن هذا بحسب اعتقاده تناقض مع الحقيقة، التي تقتضي أن يكون الوجود الحقيقي، مرتبطاً أساساً بالوجود الحسي. وعلى اعتبار أن الله كائن يفنقر لهذا المعطى ما دام لا تدركه أية حاسة من حواس البشر، فهو بالتالي غير موجود، والقول بغير ذلك مناقض للحقيقة؛ ويعبّر فيورباخ عن ذلك بقوله: "إذن يجب أن يصبح وجود الله، محدّداً في الواقع المحسوس، ولكن الله لا تدركه الحواس، ولا يرى، ولا يسمع، ولا يحس؛ إذن بالنسبة لدي فهو غير موجود، إذ لم أكن موجوداً بالنسبة إليه، وإذ لم أفكر ولم أوّمن به، فلا وجود له بالنسبة إلي. إذ إن الله لا يوجد، إلا بمقدار التفكير أو الإيمان به"⁽⁴⁾.

وراح " فيورباخ " * يطبّق مفهوم الإغتراب، الذي أخذه عن " هيغل " في نقد الدين، مرجعاً إياه إلى أصل مادي بالتأكيد على فكرة، أنه ليس الله هو الذي يخلق الإنسان، ومن تم

1 - Ibid., p. 151

2 - Ibid., p. 345

3 - Ibid., p. 348

4 - Ibid., p. 148

* هو فيلسوف ألماني ولد في 28/06/1804 بمدينة لاندهوست، بولاية بافاريا الألمانية، وتوفي في ريخنبرغ في 13/09/1872، كان تلميذاً لهيغل، ثم أصبح من أبرز معارضيه، ألف كتابه تحت عنوان: " أفكار حول الموت والخلود " ، والذي نشر عام 1830، تحت اسم مستعار إلى فصله من الجامعة. أكد فيورباخ في كتابه الرابطة بين المثالية والدين، وانتقد بشكل حاد الطبيعة المثالية للجد الهيجلي. تأثر بهيغل، وأثر في كارل ماركس، انجلز نيتشه، ألتوسير وديبور. من أهم مؤلفاته:

يستلبه، بل الإنسان هو الذي يخلق الله، بأفكاره وخياله، فيستلب بذلك ذاته - ماهيته - " وهكذا في الدين فإن الإنسان يلغي عقله بنفسه"⁽¹⁾. فالله ما هو في حقيقته، إلا الصورة الوهمية لجوهر الإنسان ذاته، والمثل الذي يسقطه خارجا عنه في عالم زائف؛ مفارق له وغريب عنه، وذلك نتيجة الانشطار الذي يحدث بداخله، ويؤدي به إلى تصور عالمين متباينين: عالم وهمي مغترب، وعالم واقعي حقيقي. فإذا كان الدين من منظور فيورباخ مصدر اغتراب الإنسان عن ذاته، فهل يحمل في فلسفته حولا ممكنة لتجاوزه؟

ينتهي "فيورباخ" إلى أنه ما من حل، لتخطي ظاهرة الاغتراب الديني، إلا بعودة الدين إلى أصله الأول، " إذن فكلما كان الدين أقرب من أصله، كان أكثر صدقا وأصالة"⁽²⁾. أي إذا فهم الإنسان أنه هو نفسه مصدر الدين، ومن ثم مصدر كل مشاعر الحب، والخير، والقيم، التي تنسب زيفا إلى الدين.

والخلاصة هي أن "فيورباخ" يلغي مصطلح الدين من فلسفته، ويقترح العاطفة بديلا عنه، لأجل تجاوز حالة التمزق التي تشطر، الوجود الإنساني إلى عالمين متباينين. نصل إلى استنتاج جملة من النقاط وهي فيما يلي:

- إن انطلاقة فلسفة "فيورباخ" حول الاغتراب، جاءت من زاوية مادية أنتروبولوجية، جسّدها الإنسان بوصفه كائنا حيا حقيقيا، ينتمي إلى عالم محسوس، موضوعه الواقع كما هو، متمثل بالنسبة إلى الانطباع الحسي. وفي هذا يختلف عن "هيغل"، الذي جعل من الفكر نقطة انطلاقه في تفسيره لهذه الظاهرة. هذا ما جعل الفيلسوفين تختلفان في الغايات: فإذا كان "هيغل" من خلال فينومونولوجيته، يروم إلى تحقيق المصالحة بين الإنسان وإلهه

في نقد الفلسفة الهيجيلية (1839). جوهر المسيحية (1841). الموضوعات الجارية لإصلاح الفلسفة (1842). مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://data.bnf.fr/artc:/12148/cb1190268j>. تاريخ تصفح الموقع: 2016/12/10، على الساعة 18 سا 45.

1 - Ibid., p. 349

2 - يرتبط تاريخ الديانات بالنسبة إلى فيورباخ، بتاريخ الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية.

(الله)؛ فإن "فيورباخ" يريد من خلال أنتروبولوجيته، أن يصلح الإنسان مع ذاته (جوهره) المغتربة عن طبيعتها.

-يتفق "فيورباخ" مع "هيغل"، في أنه لا توجد هوة، بن جوهر الألوهية والإنسان، لكنّه يقلب نظرية " هيغل " رأسا على عقب؛ إذ يرى أنه ليس الله هو الذي خلق الإنسان في صورته. وعليه يصبح وجود الله بالمعنى الهيجلي باطلا في فلسفة "فيورباخ ". فلا وجود إطلاقا لكائن مطلق يدعى الله، إلا بقدر ما يصوّره خيال الإنسان.

- حصر "فيورباخ" ظاهرة الاغتراب، في مجال واحد فقط وهو الدين، ما يؤكد لنا تفكيره لم يخرج أبدا عن نطاق اللاهوت؛ في حين أن "هيغل" قد أسقط هذا الموضوع على مجالات واسعة من الحياة (السياسة، المجتمع، الأيديولوجيا...).

وإذا كان هذا هو السياق الفلسفي لمفهوم الاغتراب، من وجهة نظر النزعة المثالية (الهيجلية)، والنزعة المادية (الفيورباخية)؛ فهل هذا يعني أن النظريات التي تناولت هذا المفهوم فيما بعد، جعلت من مفهومي " هيغل " و " فيورباخ "، قوالب جاهزة ونماذج مطلقة، يقتدى بها في تفسير ظاهرة الاغتراب؟ أم أنها أدخلت عليهما تغييرات أكسبتها أبعادا جديدة؟ مع ظهور النظرية الماركسية وفكرة ماركس عن الاغتراب.

المطلب الثالث: الاغتراب في الفكر الإجتماعي:

ماركس وقضية الاغتراب: كارل ماركس⁽¹⁾(1818م-1983م): عالج فكرة الاغتراب تضمنت محتوى مغايرا تماما؛ لذلك الذي رأيناه مع كل من "هيغل" و"فيورباخ". فقد لخصها لنا في طبيعة العلاقة، بين نشاط الإنسان والمؤسسات والأشياء، التي هي نتاج إبداعه الخاص، لكنها تتخذ في النهاية شكلا آخر، من خلال تحليله لأوضاع العمال، في المجتمع

1 - كارل ماركس هو: عالم اجتماع واقتصاد ألماني ولد في 15 ماي 1818 وتوفي في 5 أكتوبر 1895، بدأ الاطلاع على النظريات الاجتماعية والسياسية في الجامعة، محاطا بالهيجليين الشباب، أصبح صحفيا، وأدت كتاباته الاشتراكية إلى طرده من ألمانيا، وفرنسا، وفي 1848 نشر مع الفيلسوف الألماني فريدريك أنغلز كتاب " البيان الشيوعي "، نفي إلى لندن من فرنسا؛ حيث كتب المجلد الأول من كتاب " رأس المال "، وعاش فيها بقية حياته. مستخرج من الموقع الالكتروني التالي: ar.wikipedia.org بتاريخ 19 مارس 2018 عللا الساعة 23 ما 44.

الرأسمالي؛ حيث أن العمال يقدّمون جهدا عضليا داخل المصانع، إلا أنّهم في الأخير لا ينفصلون عن نتائج عملهم؛ كما أنّهم يتقاضون أجرا بمبلغ بسيط، مقابل عملهم، ممّا يؤدي بالعمال إلى الشعور، بالاغتراب والانفصال عن العمل؛ وسنوضّح الطرح الماركسي للاغتراب في عنصر لاحق.

1- فريدريك نيتشه⁽¹⁾ واغتراب الإنسان الأخير :

يرى نيتشه (1844/10/15م-1900/08/25م) بأن الطابع التسلطي لأخلاق الواجب، قد خلق وعيا شقيا حادًا لدى البشر؛ فمع المسيحية واليهودية، طغت أخلاق الزهد والتواضع، على الأخلاق الطبيعية؛ حيث أن هذه الأخلاق تتعارض مع غرائز الإنسان وانفعالاته،

1 - فريدريك فيلهلم نيتشه هو: فيلسوف ألماني، من مواليد 15 أكتوبر 1844 بفايمار سكسونيا، توفي في 25 أوت 1900، هو أيضا ناقد ثقافي، شاعر وملحن، ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية، كان لعلمه تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث؛ درس فقه اللغة الكلاسيكي قبل أن يتحول إلى الفلسفة؟ من أبرز المهندسين لعلم النفس، وكان عالم لغويات متميز. كتب نصوصا وكتبا نقدية، حول الدين والأخلاق النفعية، والفلسفة المعاصرة المادية، والمثالية الألمانية، كتب عن الرومانسية الألمانية والحداثة.

يعد نيتشه إلهاما للمدارس الوجودية، وما بعد الحداثة، في مجالي الفلسفة والأدب في أغلب الأحيان. من مؤلفاته بالترتيب التاريخي:

- من حياتي 1858
- عن الموسيقى 1858
- نابليون الثالث كرئيس 1862
- القدر والتاريخ 1862
- الإرادة الحرة والقدر 1862
- حياتي 1862
- مولد التراجيديا 1872
- مناهض التعليم 1872
- الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي 1873
- العلم المرح 1882
- نيتشه ضد فاغنر 1889

مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: ar.wikipedia.org بتاريخ 22 جويلية 2018، على الساعة 18ما 32..

فحرمت الذات الإنسانية، من حقها الطبيعي لصالح حياة أخرى في عالم آخر، وقد تم عن طريق تلك القيم، سلب الإرادة الإنسانية من حياة الأفراد⁽¹⁾.

2- اغتراب الإنسان المعاصر عند هيربرت ماركيز⁽²⁾ (Herbert Marcus) (1898م- 1979م) :

يعالج ماركيز التطور الاجتماعي والحضاري، من خلال فكرة القمع العقلاني؛ إذ يرى أن التطور الذي حققته البشرية لم يتم إلا من خلال القمع المستمر، للدوافع والحاجات الأولية، فالتطور التقني والتكنولوجي الحاصل لدى المجتمعات البشرية، قضى على الحاجات و المتطلبات الإنسانية ووحدهم الاحتياجات، وقد أطلق " ماركيز " عن الإنسان الأخير بالإنسان ذو البعد الواحد؛ فالذين يدافعون عن القمع العقلاني فهم ضحايا له، وبهذا أصيب الإنسان الحديث بالتشويء، نحو الأشياء التي فرضتها عليه التكنولوجيا، التي أصبحت تحدد حاجات الإنسان؛ ولم يعد لرغباته معنى وأهمية في تحديد حاجاته المادية⁽³⁾.

1 - يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة: حسن صقر، كولونيا ألمانيا، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، 2001، ص 317.

2 - هيربرت ماركيز (Herbert Marcus) هو: فيلسوف و مفكر ألماني أمريكي، ولد في 1898/07/19 و توفي في 1979 /07/29، معروف بتنظيره للسياسات الراديكالي، وحركات اليسار الجديد، ونقده الحاد للأنظمة القائمة. ارتبط بمدرسة فرانكفورت للنظرية النقدية. ما بين 1943 و 1950 عمل في إحدى المصالح الحكومية الأمريكية ، كما ساهم في تشكيل أساس كتابه " الماركسية السوفييتية " أ أكثر أعماله ذيوعا هو " دروس الحضارة " سنة 1955 ، و " الإنسان أحادي البعد " سنة 1964. أهم كتبه: العقل و الثورة سنة 1948؛ الحضارة و الرغبة عام 1955؛ التأليف بين فرويد وماركس .

3 - هاربرت ماركيز، الإنسان والبعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988، ص 241.

المطلب الرابع: الاغتراب في الفكر الوجودي:

1- الاغتراب عند كير كيجارد⁽¹⁾ Kier Kegaard (1813/05/05م-1855/11/11م):

يعد "كير كيجارد" رائد الفلسفة الوجودية، ويتركز اهتمامه على الوجود الذاتي للإنسان؛ يعالج قضية تخلي الفرد، عن حرته الشخصية ليتحكم فيها الآخرين، هذا التخلي يعتبره كير كيجارد، اغتراباً عن الذات الإنسانية، وضياح للفرد داخل الحشد وداخل الجمهور، والجمهور ليس إلا قوة منحطة بالنسبة للفرد⁽²⁾.

1 - كير كيجارد سورين (Soren Kierkegaard) : هو فيلسوف لاهوتي دانماركي كبير، ولد في 1813/05/05، و توفي في 1859 /11/11؛ كان لفلسفته تأثير كبير على الفلسفات الوجودية المؤمنة (عكس الوجودية الملحدة للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر) . من أشهر من تأثر به وأداع أفكاره، الفيلسوف الألماني كارل ياسبرس، و اللاهوتي البروتستانتي كارل بارث . مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: [Wikipedia.org/wiki/https://ar](https://ar.wikipedia.org/wiki/Kierkegaard). كير كيجارد_سورين.تاريخ تصفح الموقع: 2016/12/11، على الساعة 07سا.5د، عدلت هذه الصفحة آخر مرة في 2016/04/16.

2 - هريبرت ماركيز، العقل والثورة هيغل ونشأة النظرية الماركسية، ترجمة: فؤاد زكريا، مصر، الهيئة المصرية العامة، ر، د. ط، 1960، ص 258.

2- الاغتراب عند مارتن هايدغر⁽¹⁾ (Martin Heidegger) (1889/09/26-
1976/05/26):

2-1- الوجود الأصيل: وهو الوجود الذي تشعر فيه الذات أنها مسؤولة عن نفسها حقاً، وأنها هي التي تحدد ميولها واتجاهاتها بنفسها؛ أي أن الذات تتمتع بحرية تامة في تحقيق مطالبها، وبوعي كامل بالأحوال الجوهرية للحياة الإنسانية.

2-2- الوجود الزائف: أما الوجود الزائف فيه، وميول الذات الإنسانية إلى التخلي عن الوجود الأصيل، وإلى التنازل عن حريتها، لترتمي في أحضان المجموع؛ بالتخلي عن مسؤولياتها في تحديد اتجاهاتها، فيعمل على ما يعملها الناس، كي يتخلص من القلق⁽²⁾.
- من هنا يظهر أن معالجة هايدغر للاغتراب، تنطلق من فكرة تخلي الإنسان عن وجوده الأصيل، ليصبح عرضة للمؤثرات الخارجية؛ فيصبح وجوده زائفاً وتغترب ذاته عنه.

2-3- الاغتراب عند جون بول سارتر (Jean - Paul Sartre) (1905/06/21-
1980/04/15): يرى سارتر أن الآخر يمثل عقبة بالنسبة للفرد، فالفرد يعيش لحظة الاغتراب الذاتي، عندما تواجهه نظرة الآخر، يقول سارتر: "...بينما أحاول أن أحرر نفسي

1 - مارتن هايدغر هو فيلسوف ألماني ولد جنوب ألمانيا في 10 سبتمبر 1889 وتوفي في 26 ماي 1976، درس في جامعة فرايبورغ، تحت إشراف البروفيسور إدموند هوسرل مؤسس الظاهراتيات، ثم أصبح أستاذاً فيها عام 1928. وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود، والتقنية، والحرية، والحقيقة، وغيرها من المسائل، من أبرز مؤلفاته:

- الوجود والزمان 1927
- دروب موصدة 1950
- ما الذي يسمى فكراً 1954
- المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا 1961
- نداء الحقيقة
- في ماهية الحرية الإنسانية 1982
- نيتشه 1983
- تجربة مارتن هايدغر في القلق، والتي كشفت له لا الوجود، وإنما العدم، أساسية بشكل لافت، والذي بدوره كشف لهايدغر معنى الوجود.

2 - جون ماكوري، الوجودية، ترجمة. عبد الفتاح إمام، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1990، د ط، ص 228.

من سلطة الآخر، يحاول الآخر أن يحرر نفسه من سلطتي...، إن الصراع هو المعنى الأصيل للوجود مع الآخرين"⁽¹⁾.

فاغتراب الذات هو عندما يعايش الفرد ذاتا أخرى غريبة عنه، وهذه الذات تفرضه عليه نظرة الآخر إليه؛ ومن النتائج الشعورية لهذه الفلسفة، التي تقوم على اللاعقلانية العبث، وهو الشعور باستقصاء ظاهر الكون، على منطق العقل الإنساني، أو تصادمه مع قوانين هذا العقل المحدود معرفيا⁽²⁾.

1 - جون بول سارتر، "الوجود والعدم"، ترجمة. عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 1966، ص 480.

2 - جون ماكوري، مرجع سابق الذكر، ص 29.

* سيغmond فرويد هو طبيب نمساوي من مواليد 06 ماي 1856، توفي بتاريخ 23 سبتمبر 1939، من أصل يهودي، اخص بدراسة الطب العصبي؛ يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، وهو أيضا مؤسس مدرسة التحليل النفسي، اشتهر بنظريات العقل واللاوعي، وآليات الدفاع عن القمع، وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية. اشتهر أيضا بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية، والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية.

تفسير الأحلام،

-قلق في الحضارة،

-مستقبل وهم،

-موسى والتوحيد،

-الشذوذ الجنسي،

-تغلب على الخجل،

-الجنس عند فرويد،

-الذاكرة،

-السيكولوجية النفسية،

-نقطة الضعف،

-الإدراك،

-ما فوق مبدأ اللذة،

من أقواله:

(يكون المرء في غاية الجنون، عندما يحب)، (إنه لتدريب جيد أن يكون المرء صادقا تماما مع نفسه)، (ليس بمؤمن من يعيش وفقا لإيمانه). مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <http://data.bnf.fr/ark/121487Cb1190358> بتاريخ 27 أوت 2018، على الساعة 22:35 د.

المطلب الخامس: الاغتراب في التحليل النفسي

1- الاغتراب عند "سيغموند فرويد" (Sigmund Freud) (1856/05/06م - 1939/09/23م):

يقرّ فرويد أن الحضارة نشأت بفضل الإنسان، وعلى الرغم منه، دفاعاً عن ذاته؛ ولكن قيامها كان يتعارض مع متطلبات الإنسان، ورغباته الحقيقية؛ هذا التعارض بين رغبات الإنسان الكامنة، ورغباته الحقيقية، وبين متطلبات الواقع الاجتماعي؛ تجعل الفرد في صراع دائم بينهما، فأصبحت حياتنا النفسية مهتزة باستمرار؛ ممّا أدى إلى سعي الإنسان إلى البحث عن حلول للتخلص من هذا الصراع؛ ولعلّ أهمّ هذه الحلول، هو الهروب من الواقع والهروب إلى المرض، أو الهروب إلى عالم التخيلات؛ كل هذه الأشكال التي يرى فيها الإنسان حلولاً، هي اغتراباً له عن الواقع الاجتماعي الذي أسّسه⁽¹⁾.

1 - سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1982، ص 31.

2- اغتراب الشخصية عند "فيلهلم رايش" * (1897/03/24م-1957/11/03م):

يعالج " رايش " الشخصية المغتربة في ظل النظام الرأسمالي، حيث يربط بين العمل المستلب والحياة الجنسية؛ فالنظام الرأسمالي يجعل امتلاك السعادة، أمرا مستحيلا لأغلب

* فيلهلم رايش: هو طبيب نمساوي من مواليد 24 مارس 1897 بدوبريانيشي التي وقتها كانت جزء من الإمبراطورية النمساوية المجرية، وتوفي بتاريخ 03 نوفمبر 1957، هو أيضا محللا نفسيا، ومن أعضاء الجيل الثاني من المحللين النفسيين بعد سيغموند فرويد؛ درس في جامعة فيينا، وتحصل فيها على شهادة الدكتوراه في الطب، والذي كان مشرفا على الأطروحة هو البروفيسور يوليوس فاغندر بياورغ الذي فاز بجائزة نوبل في الطب عام 1927. وظف في مستشفى فيينا العام، وجامعة أوسلو، من أعماله البارزة:

- تحليل الشخصية عام 1933، وعلم النفس الجماعي للفاشية عام 1933، والثورة الجنسية عام 1936، وعرف رايش على أنه من أكثر الشخصيات راديكالية في تاريخ الطب النفسي.

- ساهمت أعماله حول موضوع الشخصية في تطوير أنا فرويد لكتابتها الذي يحمل عنوان " الأنا وآليات الدفاع " عام 1936، كما شكلت فكرته " الدرع العضلي "، التعبير عن الشخصية من خلال طريقة حركة الجسم، عدد من الابتكارات مثل العلاج النفسي للجسم، العلاج الجشطالتي وتحليل الطاقة الحيوية والعلاج البدائي.

- أثرت كتابات رايش على أجيال من المثقفين، وينسب له صياغة مصطلح " الثورة الجنسية "، وكتب الطلاب اسمه على الجدران من خلال انتقاضاتهم عام 1968 في باريس، وبرلين، وألقوا نسخا من علم النفس الجماعي للفاشية على الشرطة. أصبح رايش نائب مدير عيادة فرويد الخارجية، في فيينا، بعد تخرجه في كلية الطب بجامعة فيينا عام 1922، ووصفته إليزابيت دانتو بأنه رجل بليغ ذو أسلوب مشاكس، نجح في التوفيق بين الوضاعة والأناقة في نفس الوقت، حاول رايش التوفيق بين التحليل النفسي والماركسية، معتبرا أن العصاب متأصل في الظروف الجنسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما في نقص ما سماه " القدرة الإرجازية ".

- زار رايش المرضى في منازلهم لرؤية كيف يعيشون، ونزل إلى الشوارع في عيادة متنقلة، مروجا لجنس المراهقين، وتوافر وسائل منع الحمل والإجهاض والطلاق؛ الأمر الذي مثل رسالة استنقازية في النمسا الكاثوليكية، وقال رايش أنه يريد مهاجمة العصاب، عن طريق الوقاية منه بدلا من علاجه.

- انتقل رايش إلى مدينة نيويورك عام 1939، في محالة منه للهروب من النازيين، وبعد فترة وجيزة من انتقاله صاغ مصطلح " الأورجون " المشتق من النشوة الجنسية، و" الكائن الحي " الذي يشير إلى الطاقة البيولوجية التي قال إنه اكتشفها، وقال أن الآخرين يتواصلون بها مع الله، وبدأ رايش عام 1940 في بناء مراكز " الأرجون "، وهي أجهزة شبيهة بالبطاريات يجلس داخلها المرضى بغرض تسخير الفوائد الصحية المزعومة، الأمر الذي أدى إلى انتشار قصص صحفية تتحدث عن صنابير الجنس التي تعالج السرطان.

- حصلت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية على أمر قضائي، ضد عملية شحن مراكز الأرجون بين الولايات، وتصورت الإدارة حينها أنها تتعامل مع قضية " احتيال من الدرجة الأولى، وجاء هذا الحكم القضائي بعد صدور مقاليتين مهمتين حول رايش ومراكز الأرجون في صحيفة الجمهورية الجديدة ومجلة هاربر عام 1947، وتم اتهامه بالعصيان لخرقه الأمر القضائي عام 1956، وحكم عليه بالسجن لمدة عامين، وحرق له أكثر من ستة أطنان من منشوراته بأمر من المحكمة، وتوفي رايش في السجن بسبب قصور في القلب بعد عام من حبسه بقليل، وقبل أيام من تقديمه طلب الإفراج المشروط. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <https://foulabook.com>، بتاريخ 20 أكتوبر 2018، على الساعة 20:20.

الناس، فمستحيل على العامل إشباع رغباته الجنسية، بسبب العمل المغترب والملكية الخاصة، كما أن هذا النظام يكبت الغرائز الطبيعية عند البشر، وهذا يخلق طابعا عصابيا لدى الشباب، بسبب القمع الجنسي الذي يمارس عليهم⁽¹⁾.

3- الاغتراب عند أريك فروم * (Erich Fromm) (1980/03/18-1900/03/23) :

يعترف "فروم" بأن " هيغل " و "ماركس"، هما أول من وضع أسس الاغتراب. وتعتبر كتابات " فروم " محاولة جادة لدراسة السلوك الإنساني، على ضوء التوفيق بين مقتضيات كل من المنهجين الفرويدي، الذي يركز أساسا على دراسة الفرد وبنائه النفسي؛ والماركسي الذي يركز بالدرجة الأولى على دراسة المعطيات الاقتصادية⁽²⁾. وعليه لوحظ، أن "أريك فروم" طور في عودته إلى كل من "كارل ماركس" و"فرويد"، مفهوم الاغتراب "Aliénation"، وربطه بخبراته ومعالجاته السريرية، منطلقا من نقطة مركزية أكدت، الترابط الجدلي بين الإنسان ومحيطه.

1 - فيصل عباس، المرجع سابق الذكر، ص 32.

* أريك فروم: هو فيلسوف ألماني من مواليد 23 مارس 1900، بمدينة فرانكفورت وتوفي بتاريخ 18 مارس 1980، يعتبر الابن الوحيد لوالدين أرثوذكسيين هاجرا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1934، هو أيضا عالم نفس من جنسية أمريكية، التحق بجامعة فرانكفورت وهايدلبرغ، حيث درس فيها العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية. درس علم الاجتماع تحت إشراف ألفريد فيتر، والفلسفة تحت إشراف البروفيسور هاينريش زيكرت، وعلم النفس تحت إشراف كارل جاسبرز.

حصل فروم على درجة الدكتوراه عام 1922.

بعد تدريباته في مصحة التحليل النفسي، في هايدلبرغ، وبتعرفه على عالم التحليل النفسي الفرويدي. من مؤلفاته:

-الهروب من الحرية 1941،

-التحليل النفسي والدين 1950،

-مدخل إلى فهم الأحلام والقصص الخيالية والأساطير 1951،

-المجتمع العاقل 1955،

مستخرج من الموقع الالكتروني التالي:

2 - مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: <http://www.file:///J>

مركز دراسات وأبحاث الماركسية واليسار، ذوقان قرقوط-أريك فروم 2001/12/18 - 20-09

تمّ التصفح بتاريخ 17 أوت 2015 ، 15 سا 04 د.

ربط " فروم " ذلك كله بتوجه أخلاقي ونفسي، وليس وليد الصراع الاقتصادي (كما قال به ماركس)، وليس نتاج الصراع الجنسي (كما نظر له فرويد)؛ بل هو نتاج أمور وجودية، شخصية الطابع، اجتماعية المنشأ، وضعها في إطارها الإنساني الأوسع.

والاغتراب كمفهوم ذي دلالات، يمثل نمطا من تجربة، يشعر فيها الإنسان بالغربة عن الذات: فهو لا يعيش ذاته كـ"مركز" لعالمه، أو كصانع لأفعاله ومشاعره. ومعاني الاغتراب متعددة، اجتماعية ونفسية واقتصادية، ويمكن إجمالها في انحلال الرابطة بين الفرد والمجتمع، أي العجز المادي عن احتلال المكان، الذي ينبغي للمرء أن يحتله وشعوره بالتبعية؛ أو يمس الانتماء إلى شخص أو إلى آلية أخرى؛ فيصبح المرء مرهونا له / لها، بل مستلبا Alienated. وهذا ما يوّد شعورا داخليا بفقدان الحرية، والإحباط، والتشيؤ، والتذري، والانفصال عن المحيط الذي يعيش فيه (1).

يستعيد " أريك فروم " الاغتراب عن الذات في صور عدة: فما فتى الإنسان يخضع لأنواع من الصنمية والتشيؤ؛ تبعده عن ذاته وترميه فريسة في أشداق الآخرين؛ فاستعمل " فروم " الاغتراب، لوصف الشعور بالعجز والإحباط، الذي يتملك الفرد؛ كما في المجتمعات الصناعية التي تسلب الإنسان، فلا يعود قادرا على وعي شقائه. وهذه الفكرة لا تتفصل عن صنيعتها المعروفة، وهي فكرة " الوعي الخاطئ " وبدائلها الوظيفية. مثال ذلك التعارض بين البصير وجمهور العميان، الذي يحمل فكرة حبلى بكل ما هو توتاليتاري.

يقول فروم: " تعتقد أنك سعيد، وذلك نتاج وعيك الخاطئ، لديك انطباع أنك حر، وهذه إشارة لا تخطئ أبدا: فأنت مستلب، أنت لا ترى أبدا القيود التي تخنقك، وذلك برهان على ثقنتها وفعاليتها... " (2).

1 - Erich Fromm, Société Aliénée et Société Saine, Du Capitalisme au Socialisme Humaniste Traduit par Jean Claude, Le Courrier Du Livre, Paris, 1956, p 43.

2 - Ibid, p. 44.

واشتق " فروم " فكرة الاغتراب، من فكرة الوعي الخاطيء، حيث يشعر الفرد بأن إيجاد معنى لوجوده، أشق عليه في المجتمعات الصناعية، منه في مجتمعات أخرى. لذا فإن "الامتثال" "Conforming" ⁽¹⁾ يشكّل قاعدة الاغتراب، التي تملّحها شروطا تنصدرها الشروط الاقتصادية من الخارج، والشعور بوجوب الامتثال من الداخل؛ وقد تكون الفلسفة الوجودية أملت مثل هذه الأفكار، بما روجت له من تأثير " الجماهير "، أو فكرة " الحشد " أو حتى " الرأي العام "؛ الأمر الذي جعل الأفراد أسرى الجماعة.

ويرى فروم أن معنى المساواة تعيّر الآن: فأصبحت المساواة " مساواة " بالنسبة إلى الآلة، وإلى آلية العمل، وتوجهات السوق، وتسلط العلم التطبيقي والتقنية؛ التي باتت تقوم الآن مقام السلطة، وتحول النشاط المذعن إلى نشاط آلي، ينساق عبره الفرد الاغترابي، بشعور داخلي غير موعي.

وهكذا يرى العلامة الألماني " فروم " أن النظام الرأسمالي، أسهم مباشرة في تعزيز الشعور بالغربة، ليصنع مجتمعا استهلاكيًا، يجتث الإنسان من جذوره، ويخضعه لنظام لا علاقة له به؛ فهو لا يقف عند حريات الأفراد أو قناعاتهم وحسب، وإنما يسوقهم جميعا بعضا واحدة، فيحوّل الأفراد إلى " جماهير "، أي إلى جماعة غير واعية، وعلى الفرد، وسط هذا الحشد أن يمتثل ويطيع فقط، من دون تساؤل ولا إعمال نظر.

وفي هذا المجتمع الاستهلاكي، يصير الحب آليا، مثله كمثل العمل الآلي، وبذلك يفقد الإنسان الشعور الجميل بالحب، وتحوّل أنانيته وسعيه إلى الامتلاك؛ يجعلان منه أداة عمل أو آلة تسعى إلى امتلاك الآخر؛ فيتعامل مع شريك حياته وصديقه وقريبه، كما يتعامل مع مجتمع آلي؛ فيتحوّل "حبه الآلي المصطنع"، إلى "مخدر" لتأمين استمرارية حياته، كما يتحول الإغتراب من قضية فردية، إلى ظاهرة اجتماعية عامة.

1 - http://www.maaber.org/issue_july_08/ spot lights. مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة

والفرويدية الجديدة"، إبراهيم الحيدري. ثم التصفح بتاريخ 04 أوت 2016، 09: 48.

نلاحظ تشاؤم " فروم " عموماً، فقد آمن بقدرة الإنسان الفرد، إلى صنع حياته ومصيره، والتأثير في مجتمعه، وتغييره إلى حد ما؛ غير أن إرادة التغيير لا تكفي لصنع التغيير؛ بل لا بدّ من الوعي بالذات والتصعيد Sublimation ، والتحول إلى الإنتاج غير الاستهلاكي، بما يتيح إمكانات الانتصار على الاغتراب، مع التأكيد على الجانب النفسي عند الأفراد؛ ذلك أن وعي الأزمة هو جزء من حلّها.

المبحث الثالث: النظريات الاجتماعية المفسرة للاغتراب

المطلب الأول: ما هو علم الاجتماع؟

كثير ما يتساءل الطلاب والباحثون، المهتمون بالدراسات الاجتماعية، عن المعنى الحقيقي لعلم الاجتماع، ذلك أن المعنى الذي يتداول على ألسنتهم هو أن: علم الاجتماع هو العلم الذي يعتني، بدراسة الظواهر الاجتماعية⁽¹⁾، إن هذا المعنى بسيط ويمكن لأيّ كان بلورته، حتى وإن لم يكن يهتم بالحقل السوسيولوجي، لذلك أردنا أن ننقّب قليلا على مفهوم علم الاجتماع، وتداولات هذا المفهوم تاريخيا لدى المفكرين.

بدأ علم الاجتماع مع المفكر العربي "عبد الرحمن ابن خلدون"، فقد سمّاه "علم العمران البشري"، الذي يهتم بدراسة التجمع البشري، والأماكن التي يحصل فيها التجمع؛ ودرس أحوال الناس وعمر الدولة، وكل ما يتعلّق بالإنسانية؛ إذ قدم ابن خلدون تعريفا شاملا لعلم العمران: "وكأن هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه، من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً"⁽²⁾.

فإذا ما تأملنا مع هذا التعريف، لوجدنا أنه ينطبق على علم الاجتماع، من ناحية الموضوع ومجال الدراسة؛ إلا أن ما نتأسف له أنه، لم تكن هناك محاولات في هذا الميدان، منذ رحيل ابن خلدون؛ إلى أن ظهر علم الاجتماع في البداية، على يد أولئك الذين تأثروا بالتغيرات الاجتماعية، المترتبة على الثورتين العظيمتين في أوروبا؛ محاولين تفسير الأوضاع، ودراسة هذه التغيرات والمشاكل الاجتماعية؛ فمن المفارقة التاريخية أن يتوافق رحيل ابن خلدون، مع النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر؛ فكانت البوادر الأولى لعلم الاجتماع على يد "أوجست كونت" (1789-1875)، الذي يعتبر أب

1 - محمد عودة، أسس علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية، د. ط، دون سنة، ص 15.

2 - إيان كريت، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1999، ص 8.

السوسيولوجيا الحديثة، حيث وضع منهاجا سماه " المنهج الوضعي "، فرأى أن علم الاجتماع: " هو العلم الذي يدرس المجتمع برده، إلى قوانين فيزيائية يخضع لها المجتمع؛ فعالم الاجتماع لا ينبغي أن يجاوز، عالم الأشياء العينية التي تدركها الحواس"، وعلى هذا الأساس الوضعي، تتالت ظهور النظريات الاجتماعية، فكانت نظرة "إميل دوركايم" للمجتمع ولأهمية علم الاجتماع واضحة، و تقتصر على كل ما هو اجتماعي، تقرر بأن الفرد من تشكيل المجتمع يتقوّل كيفما يشاء، إذ يقول "دوركايم": "إذا تكلم ضميرنا فإن المجتمع هو الذي يتكلم فينا ...".⁽¹⁾

فعلم الاجتماع هو العلم، الذي يهتم، بدراسة العلاقات الاجتماعية.

أمّا "ماكس فيبر" فقد أعطى بعدا آخر لعلم الاجتماع، حيث تقيد بأهمية الفرد داخل المجتمع؛ فرأى أن علم الاجتماع، مهمته الاهتمام بأفعال الإنسان، وتأويل براعته وفهم مقاصده؛ أما "كارل ماركس" فهو يرى في علم الاجتماع، أنه يهتم بتحليلاته للصراع القائم، بين الشرائح الاجتماعية⁽²⁾.

المطلب الثاني: الاغتراب عند إميل دوركايم* (Emile Durkheim) (1856/04/15م- 1917/11/15م):

يعدّ إميل دوركايم أحد أهم المفكرين الأوائل لعلم الاجتماع، إذ يأخذ "دوركايم" على "كونت" بأن معظم أفكاره، تتسم بالغموض والتأملية، وعلى الرغم من ذلك فقد استعان به في العديد من أفكاره، حيث يتفق معه في فكرة، دراسة الحياة الاجتماعية بروح موضوعية.

1 - أيان كريت، النظرية الاجتماعية من يارسونز إلى هايرماس، مرجع سابق الذكر، ص 9.

2 - أيان كريت، نفس المرجع، ص 13.

* إميل دوركايم (Emile Durkheim): ولد في 1858/04/15 ببوريس وتوفي في 1917/11/15، هو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع؛ بدأ مسيرته الأكاديمية بدراسة الفلسفة، لكنه سرعان ما توجه إلى علم الاجتماع، عمل أستاذا في جامعة بوردو، ثم في جامعة السوربون، حيث أسس قسم علم الاجتماع، وأصبح من أبرز الشخصيات الأكاديمية في فرنسا. من أهم نظرياته: الأنومي (اللامعيارية) حيث استخدم دوركايم مصطلح الأنومي لوصف حالة من الافتقار إلى القواعد أو المعايير في المجتمع، مما يمكن أن يؤدي إلى الفوضى الاجتماعية.

وكان أول مبدأ وضعه دوركايم لدراسة علم الاجتماع هو: "فلندرس الوقائع والحقائق الاجتماعية باعتبارها أشياء"؛ وقد تركزت أعماله على أهم ثلاث محاور أساسية وهي:

1- أهمية علم الاجتماع على اعتبار أنه علم أمبريقي، 2- بروز الفرد ونشوء نظام اجتماعي جديد، 3- دراسة النظام الأخلاقي في المجتمع، من ناحيتي أصوله وطبيعته (1).

2- أهم الأفكار الأساسية لإميل دوركايم:

2-1 دراسة الحقائق الاجتماعية: الحقائق الاجتماعية في نظر دوركايم، هي عبارة عن الوقائع الاجتماعية، التي تؤثر في شتى جوانب الحياة؛ وهي التي تقولب أفعالنا وتصرفاتنا، وتمثل في الاقتصاد أو في تأثير الدين وغيرها؛ وفي هذا الصدد يدعو دوركايم إلى تفسير الاجتماعي بالاجتماعي؛ أي أن الأفراد أثناء تصرفاتهم أو تفكيرهم، يمثلون لسلطة إرغامية مفروضة في المجتمع؛ فتكون تصرفات الأفراد، وفق النمط السائد في المجتمع، وتخضع لقوانين الضبط الاجتماعي، دون أن يعني الأفراد أنهم تحت سلطة خارجة عن إرادتهم؛ إذ أن هذه الحقائق يمكن أن تفيد السلوك الإنساني، فيقرّ دوركايم بأن عالم الاجتماع، عند دراسة الحقائق الاجتماعية، مطالب بدراسة القوانين، والنصوص الدينية بكل موضوعية، كما يدعو إلى إبعاد كل فكرة مسبقة عن الموضوع، وتفسير الظواهر الاجتماعية كما لو كانت أشياء (2).

2-2 تقسيم العمل: التضامن العضوي ومظاهر الاغتراب: عايش دور كايم سقوط الإمبراطورية الثانية، وقيام الجمهورية الثالثة في فرنسا، مما أثر ذلك على أفكاره التي ركّز فيها، على فقدان القيادة والسيطرة والمعايير المشتركة، بسبب تنامي الروح الرأسمالية في أوروبا، انطلاقاً مما يسميه دوركايم بالأنومي؛ إذ يرى دوركايم أن المجتمعات التقليدية تقوم، على العادات والتقاليد المشتركة والقيم الاجتماعية.

1 - أنطوني جيدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز صباغ، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الرابعة، 2005، ص. 321.

2 - Emil Durkheim, Les Règles de la Méthode Sociologique, Bullet de L'université, 1975, p. 05.

أما المجتمعات المتقدمة فنقوم على تقسيم العمل، لذلك ميّز دوركايم بين نوعين من التضامن هما: التضامن الآلي والتضامن العضوي؛ إذ يرتبط التضامن عنده بتقسيم العمل، فتمتيز الثقافات التقليدية بالتضامن العضوي، لأن أفراد المجتمع ترتبط بينهم ثقافة واحدة، ويشغلون بمهن متشابهة، ويعاقب كل من يخرج عن النمط السائد في المجتمع، أو يتمرد على معتقداته؛ غير أن التضامن العضوي تلاشى تدريجياً، في المجتمعات المتقدمة وحلّ محلّه التضامن الآلي، بسبب التزايد المستمر لتقسيم العمل؛ حيث يعتبر البعد الاقتصادي مهم جداً لتحقيق المطالب؛ لذلك يقوم التماسك فيها بالدرجة الأولى، على اختصاصات المصالح الفردية، وعلى تنظيم العمل، بسبب اختلاف المهن التي يشغلونها، والبضائع التي ينتجونها؛ إلا أن هذه التغيرات الاجتماعية قد أدت إلى بعض المشاكل، أهمها اضطراب الحياة التقليدية؛ لذا كانت اهتمامات دوركايم تتمركز، حول التوفيق بين الفرد والمجتمع، وعلى إرساء الاندماج الاجتماعي، والتمسك بالقيم والمعايير (1).

2-3- الأنومي وظاهرة الانتحار: حالة الأنومي تمثل جوهر عملية الاغتراب في فكر دوركايم؛ ويشير هذا المصطلح إلى تلاشي المعايير، التي تضبط العلاقات الاجتماعية وتراجع القيم السائدة.

ربط دوركايم بين ظاهرتي الأنومي والانتحار عند الشباب، فتقسيم العمل أدّى إلى إزاحة القيم، والمعتقدات الدينية والاجتماعية، دون أن تحل محلّها بدائل أخرى؛ وهذا ما جعل الفرد يعيش مشتتاً، ودون هدف معيّن في هذه الحياة، التي لم يصبح لها معنى بالنسبة له (2)؛ فيحدث الانحلال والتفكك الاجتماعي؛ فتفشّت ظاهرة الانتحار، في المجتمعات الأوروبية، بعد الثورة الصناعية، بسبب التطورات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة؛ فالفرد يعيش في حالة من التعقيدات المتشابكة، وصعب عليه تحديد حاجياته،

1 - Lénine, **Karl Marx** ,, Edition Electronique, Paris ,1970, p 10.

2 - حليم بركات، " الاغتراب في الثقافة العربية - متاهات الإنسان بين الحلم والواقع "، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2001، ص 43.

وانتقاء القيم والمعايير المناسبة، لأن المعايير التقليدية فقدت قدرتها، على السيطرة على سلوكيات الأفراد، ومصالحهم الخاصة؛ لذلك لجأ العديد من الشباب إلى الانتحار، من أجل الهروب من المشاكل، التي لا يجدون لها حلولاً.

المطلب الثالث: النظرية الماركسية ونظرية الاغتراب⁽¹⁾:

سميت بالنظرية الماركسية نسبة إلى المفكر الألماني الأصل، كارل هاينريش ماركس (Karl Heinrich Marx) (1818/05/05م-1883/03/14م): الذي تعدّ أعماله بحق من أبرز أعمال المفكرين الأوائل لعلم الاجتماع؛ حيث شهد القرن التاسع عشر، كارل ماركس وهو يصوغ نظريته الاجتماعية، التي تعالج الواقع الملموس، لمجتمعه في خضم الثورة الصناعية.

هو من منظري الصراع حيث يقسم المجتمع، إلى طبقات متميزة عن بعضها البعض؛ ويرى أن الصراع ضروري لإحداث التغيير الاجتماعي؛ وسنستعرض فيما يلي أهم أعماله، التي لاقى فيها الاغتراب الاجتماعي، اهتماماً واسعاً من طرفه.

-العامل المغترب والصراع مع الآلة: لا شك أن الرأسمالي لكي يسيطر على الإنتاج يحتاج إلى يد عاملة، يعتمد عليها في استخدام، الآليات والماكينات المخصصة لإنتاج البضائع، لأنه لا يمكن أن يقوم بكل عمليات الإنتاج بنفسه؛ إلا أن أنانية المالك لوسائل الإنتاج، يأبى لأن يبقى هو المالك الوحيد للبضاعة، ورغبته في تكديس رأس المال، تجعله يستغل هؤلاء العمال ويستعبدهم، بزيادة ساعات العمل، وعدم دفع الأجور للعمال، والتقليل من القيمة النقدية للأجور؛ في الوقت الذي يبذل فيه كل ما في وسعه، للرفع من القيمة النقدية للبضاعة التي ينتجها، وهذا على حساب العمال الذين يبيعون جهودهم للرأسمالي؛ بالإضافة إلى اقتناء الرأسمالي لوسائل إنتاج متطورة جداً.

1 - Lénine, **Ibid**, p. 11.

إن دخول الآلات للمصانع خلقت صراعات جديدة، بين العامل والماكينات؛ بعدما كان الصراع في الأساس بين الرأسمالي والعامل؛ فالآلة تمثل الجانب المادي للرأسمال وهي مزاحمة للعامل، فبقضائها على الحرف والخبرات، والمهارات، التي يكتسبها، قضت على أهمية وجود العامل بالمصنع؛ حيث تحوّل عطاؤه من منتج حقيقي للسلع والبضائع، إلى مجرد إدارة جزئية للآلة، هذه الأخيرة التي تسببت في تسريح العمال (1).

هذا التغيير الجذري في أسلوب الإنتاج، وفي العلاقات الإنتاجية - حسب كارل ماركس-، جعل العمل يشكّل اغترابا كليا للإنسان في المجتمع الحديث؛ لأن تقسيم العمل لا يقوم على أساس، الخبرات والمواهب التي يمتلكها العامل، بل على قوانين الإنتاج، فأصبحت البضاعة التي ينتجها العامل، هي الموجّه لنمط الحياة، بدلا من أن تكون تلبية للحاجيات؛ فكلما زادت البضائع التي ينتجها العامل، زادت قيمتها النقدية، وزاد رأس المال لدى الرأسمالي؛ في الوقت الذي يزداد فيه العمّال فقرا، فيبقى الصراع قائما بين العامل والرأسمالي. وقد ذكر كارل ماركس في كتابه " رأس المال " بعض حالات الانقلاب، التي قام بها العمال نتيجة الاضطهاد والاستعباد، الذي تعرضوا لهما؛ ففي القرن السابع عشر شهدت أوروبا، انتفاضات العمال ضد ما يسمى بـ (Bandmuhle) أي الماكنات، لنسج الأوشحة والشرايط المقصّية؛ وفي نهاية الثلث الأول من القرن السابع عشر، ونتيجة لتمرد سواد الناس، دمّرت منشرة خشب هوائية، شيدها هولندي بالقرب من لندن؛ أمّا في عام 1758 عندما صنع "إفيريت" أول ماكينة جَزّ تشتغل بواسطة المياه، حرقها مئة ألف شخص، من الذين فقدوا العمل؛ وقد قام العمال المسرّحين من العمل، بالعديد من الانتفاضات ضد الماكينة وأصحاب رؤوس الأموال (2).

1 - Karl Marx, **Le Capital** Edition Populaire, Presse Universitaire de France , 1919, p 29.

2 - Karl Marx, **Op.Cit**, p 549.

لأن الجانب الاقتصادي طغى على كل المجالات الاجتماعية، وأصبح يتحكم في جميع العلاقات الإنسانية؛ مما جعل اهتمام ماركس منصباً، على اغتراب العامل في المجتمع الحديث؛ ويمكن توضيح مناقشة ماركس للاغتراب، بشكل أوضح من خلال الأبعاد التالية:

1- فقدان العامل للسيطرة على ما ينتجه: يقوم النظام الرأسمالي على مبدأ أساسي في اقتصاد السوق هو: أن السلع تنتج للتبادل، في الوقت الذي لا يمتلك فيه العامل السلع التي ينتجها، ولا يمكنه التصرف فيها فهي ملك لربّ العمل فقط، والمالك الوحيد لوسائل الإنتاج، مما ساهم ذلك في انتشار الاغتراب لدى الفئة العمالة (1).

2- العامل مغترب في مهمة العمل ذاتها: إذا كانت نتيجة العمل هي الاغتراب، فإن الإنتاج هو عبارة على تغريب نشيط للعامل؛ فالعمل ليس هدفاً بالنسبة له، وإنما مفروض عليه من الخارج، وهو مجبر على القيام به، فلا يعود عليه بالفوائد العقلية والجسدية، فتجد العمال يفرون من أماكن عملهم، عندما يزول الضغط مباشرة.

3- يجب أن يكون لتغريب العمل نتائج اجتماعية مهمة: هذا البعد يعيد ماركس إلى بداياته الأولى، التي ترى أن العلاقات الاجتماعية في النظام الرأسمالي، متوقفة على علاقات السوق، ويظهر هذا في أهمية القيمة النقدية للرأسمالي، إذ أصبحت النقود أساس أي علاقة إنسانية.

4- يعيش الناس في علاقة متداخلة نشيطة مع العالم الطبيعي: إن العمل المغترب يجعل من الفرد فرداً متكيفاً مع الطبيعة، لا مسيطراً عليها؛ وهذا ما يفصل الفرد الإنساني المتعلق بنوعه، لأن الإنسان المنعزل يصنع العالم الخارجي، لا من محض إرادته بل بتوجيهات خارجية؛ لأن وجود الإنسان مرتبط بالجهاز التكنولوجي، فهو يسعى إلى إرضاء الذين يوجهونه، كي يحافظ على كيانه الإنساني (2).

إنّ أهم الأفكار الرئيسية التي يمكن، أن نستنتجها من خلال ما تقدّم ذكره هي:

1 - وابل نعيمة، " الاغتراب عند كارل ماركس "، دراسة تحليلية نقدية، الجزائر، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2004، ص 93.

2 - أنطوني جيدينز، " الرأسمالية والنظريات الاجتماعية والحديثة "، المرجع السابق الذكر، ص 22.

- أن التغيير الحقيقي للأوضاع بالنسبة " لماركس "، ومن ثم تجاوز الاغتراب، يتأتى عن طريق الثورة المادية، وليس عن طريق الفكر (هيغل)، أو العاطفة (فيورباخ).
_ التحرر من الدين لا يكون، إلا عن طريق التحرر السياسي.
- نظرية " ماركس " في السياسة لائكية، فهو يدعو إلى فصل الدين عن الدولة.
_ "ماركس" يرفض التوظيف السياسي للدين، لكنّه يترك حرية الاعتقاد إلى الأشخاص العوام.

_ إذا كان " هيغل " في فلسفته يبقي على الدين، ويحيطه بعناية خاصة؛ فإن "ماركس" يدعو إلى الثورة عليه، ومحقه تماما من الحياة العامة.
_ الدين عند " ماركس " يخلق دولة وهمية، أي لا واقعية، عكس " هيغل " كل ما هو واقعي عقلاني، وكل ما هو عقلاني واقعي.

المطلب الرابع: تحليل بيير بورديو للاغتراب:

يعتبر مفهوم الموضعة نقطة اشتراك، بين كارل ماركس وبيير بورديو (Pierre Bourdieu) - (1930/08/01م - 2002/02/23م) -، في تحليله للاغتراب.
فالموضعة تعني: " جعل الشيء موضوعي الوجود، ليس موضوعي على معنى وعي الذات، بحدودها قبالة شروط موضوعية؛ إن الدلالة المقصودة منها هي الحداد، وهي مقولة تحتمل نفي الذات، سواء أكانت ذاتا فاعلة أم ذاتا متقبلة؛ فكلتيهما تنكر على نفسها الهيمنة والمصلحة منها"⁽¹⁾.

فطرح " بورديو " للاغتراب مخالفا لطرح ماركس؛ فقد ذهب إلى أن الهيمنة الرمزية تعمل، على إزالة الفوارق والاختلافات بين الخصوصيات، المرتبطة بالشروط الاجتماعية؛ إلا أن هذا الانسجام هو انسجام قسري، يمارس جبرا على الأفراد، ويؤدي إلى عنف رمزي يمارس على هذه الذوات، باستخدام القوة الرمزية التي تتمتع بها السلطة.

1 - بيير بورديو وكلود باسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة ماهر ترميش، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007، ص 54.

يقول في هذا السياق " بورديو " التالي: ".فتكون العلاقات بين السائد والمسود هي علاقات مهيمنين ومهيمن عليهم؛ إذ إن المهيمن هو من يتمتع برأسمال رمزي، يميز الحقل الاجتماعي، والمهيمن عليهم هم الذين لا يملكون ما يكفي من رأسمال رمزي، لفرض ذاتيتهم دون أن تتدخل سلطة أخرى، في بناء هذه العلاقات؛ فما يكون أمامهم من خيار إلا تبني الثقافة السائدة..."(1).

وهذا هو لبّ مفهوم الاغتراب في فكر بورديو، فالوجود الاجتماعي للأفراد لا يحدّد وعيهم، إلا بشرط أن تكون العلاقات الاجتماعية خارجة عن إرادتهم(2).

1 - بيير بورديو وكلود باسرون، المرجع السابق الذكر، ص 54.

2 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

2- بورديو وباسرون، نفس المرجع، ص 55.

3- نفس المرجع، ص 56.

المبحث الرابع: أنواع الاغتراب:

المطلب الأول: الاغتراب المهني:

إن العامل داخل المؤسسة التي يعمل فيها، يخضع إلى ثقافة متناغمة ومتناسقة، تميز تلك المؤسسة، ومن الطبيعي أن يسعى أي عامل، إلى تحقيق أهداف، تخدم مصالحه الشخصية؛ لكن قبل تحقيقها يجب أن تخضع إلى التنبؤ، ولدراسة قابليتها للإنجاز، وإمكانية تحققها من خلال تقديراته الشخصية، التي يرغب في إشباعها من جهة؛ وكذلك ما يتوقعه من الإدارة من الإجراءات التي ستتخذها، أثناء الوقوف على تلك المطالب، لذا أدرك أن الإمكانيات المتاحة لديه غير كافية، ودرجة استجابة الإدارة لمتطلباته ضئيلة جداً، لعدم وجود الأنشطة المتكافئة في ذاتها أو غيرها من الأسباب، التي تمنعنه من إشباع رغباته؛ فإن هذا العمل سيتحول إلى حاجز، يقف أمامه في تحقيق نموه الشخصي، وفي اكتساب مكانة مرموقة؛ لأنه لا تمنحه الفرصة للتعبير عن قدراته الكامنة، ومنه يصبح العمل مملاً، والعامل يتحسّن الفرصة للهروب منه، وهذا ما يفرض به للاغتراب الوظيفي (1).

المطلب الثاني: الاغتراب التعليمي:

تلعب المؤسسات التعليمية دوراً بالغا، في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تسير جنباً إلى جنب مع الأسرة؛ لذلك يمكن أن تعمل على تعميق، ظاهرة الاغتراب أو التقليل منها، وهذا يتوقف على أساس التعامل، مع المتعلمين من طرف المدرسين؛ فإذا كان المدرس ناجحاً في التعامل معهم، لا يعتمد على التمييز أو على التفضيل بينهم، على أساس الدرجات التي يتحصلون عليها، وكذلك في عدم توبيخ المتعلمين الضعفاء، وإنما تحفيزهم للحصول على نقاط أعلى لاحقاً (2)؛ لأن كثرة التوبيخ من شأنه أن تبقي الطالب في قوقعته،

1 - وابل نعيمة، المرجع سابق الذكر، ص 95.

2 - جواد محمد الشيخ خليل، " الاغتراب النفسي وعلاقته بمفهوم الذات "، ملتقى طلاب الجامعة، سوريا، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.jamaa.cc/post> تاريخ الدخول: 09 نوفمبر 2016 على الساعة 10 سا. 10 د.

وقد يحس بأنه فاشل دوماً، ولا يمكن أن يحسّن مستواه؛ ضف إلى ذلك، أن عدم إعطاء الفرصة لكل طالب في المشاركة أثناء الحصة، فإنه يحسّن من مستوى المتفوقين، في الوقت الذي تقضي فيه على ذوي المستوى المتدني، مما يزيد ذلك من درجات الاغتراب لدى المتعلمين، بسبب عدم وجود علاقات تربطهم بمدرستهم، وشعورهم بأن وجودهم من عدمه أثناء إلقاء الدرس.

ويجب أن نشير هنا إلى أن المدرّس، لكي يكون ناجحاً في التواصل مع متعلميه، يجب عليه أن يكون ملماً بكل الطرائق البيداغوجية، التي تساعد على التواصل معهم، بشكل جيد أثناء إلقاء الدرس.

- هذا بالنسبة للاغتراب في شتى مستويات التعليم، لكن الفئة الأكثر عرضة للاغتراب التعليمي هي فئة الشباب الجامعي، إذ هناك عدة أسباب تدفعهم إلى ذلك، أهمها التحاق الطالب بالكلية التي يدرس بها لا عن اختيار شخصي، بل عن إجبار اجتماعي والأصل في الدراسة، أن يكون التخصص من اختيار الطالب، والذي يرغب في دراسته، فتوجهه لتخصص معين بسبب رغبة أحد الأولياء، أو المعدّل الذي تحصّل عليه في شهادة البكالوريا، لا يؤهله إلى الالتحاق بالتخصص الذي يرغب فيه؛ فإن هذا جدير بأن يجعل منه شخصاً مغترباً عن التخصص الذي ينتمي إليه، إذ سينفر من الدراسة والتعليم، ويتجلى ذلك في كثرة الغيابات و عدم المشاركة أثناء المحاضرة، وكذلك الرغبة في التوقف عن الدراسة، أو إعادة البكالوريا؛ قصد الحصول على معدّل أكبر يؤهّله لما يرغب في دراسته فعلاً.

كذلك من الأسباب التي تدفع بالطلبة الجامعيين إلى الاغتراب، هو عدم حصولهم على عمل يتوافق مع شهاداتهم، مما يضطرهم للبحث عن أعمال حرة، لا تتناسب ومستواهم،

فينفصلون عن ذواتهم، بإصابتهم بالإحباط، ثم العزلة والانكماش والتفوق، بسبب عدم حصولهم على مناصب عمل، تليق بدرجاتهم العلمية وبمستوياتهم الثقافية (1).

المطلب الثالث: الاغتراب الاجتماعي:

إن كل فرد داخل الحقل الاجتماعي التي ينتمي إليه، يحمل نسقا قيميا معينا، يعبر عن هويته الاجتماعية؛ والهوية الاجتماعية كما عرفها التفاعليون، تنقسم إلى قسمين:
- ذات داخلية تعبر عن رأي أنا في ذاتي، أي أنا أفكر فيها،
- وذات خارجية تمكّني من النظر إلى ذاتي كما يراها الآخرون - حسب رأي "هربرت ميد" -.

فالفرد يسعى دائما إلى تشكّل وإعادة تشكّل، في هويته الاجتماعية، وتموقعه في مكانة معينة، وأدائه لدوره الاجتماعي القائم في مجتمعه؛ كي لا يخرج عن القواعد والمعايير الاجتماعية. فإذا حدث خلل ما أثناء أدائه لدوره، في عملية التفاعل التي تحصل، بينه وبين أفراد مجتمعه، ويقع على إثرها سوء التفاعل، التي تحصل بينه وبين أفراد مجتمعه؛ أو يقع بينهم سوء تفاهم أو اضطراب، فإذا أصّر الفرد على عدم الخضوع لقوانين الضبط، ستزيد بسبب توتر العلاقات بينهم. ومن هنا فإن الاغتراب الاجتماعي، هو اضطراب في العلاقات بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، وهو القطيعة والانفصال الذي يقع، بين الذات والعالم الخارجي، بسبب الخلل الذي يمس عملية التفاعل الاجتماعي بين الفرد ومجتمعه.²
ويمكن التطرق إلى الأسباب التي تجعل، التفاعل بين العوامل النفسية الذاتية، والعوامل الاجتماعية تفاعلا فاشلا وهي:

1 - سامية عدائكة، "الشعور بالاغتراب وعلاقته بمدى التوافق النفسي لدى عينة من الطلبة الأجانب الدارسين بالجزائر"، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 2011، ص 36.

2- سامية عدائكة، نفس المرجع، ص 37

- التغير الاجتماعي السريع لعدد من جوانب الحياة: حيث مرّت المجتمعات الحديثة وماتزال، بالكثير من فترات التغيير الاجتماعي، وشمل هذا التغيير:

✓- نسق البناء الاجتماعي.

✓- النسق الثقافي.

فتقافة المجتمع ليست محصّنة، ضد التغيير والتبدل، لكن يلاحظ أن التغيير في الجوانب المادية (الحضارة)، هو أسرع بكثير من التغيير في الجوانب غير المادية للثقافة (1).
-التفاوت بين الوسائل والأهداف: وذلك نتيجة التأكيد الواضح على الأهداف، في الوقت الذي لا تكون فيه الوسائل المشروعة متوائمة مع الأهداف، ولا تتيح الفرصة تحقيقها، مما يجعل الفرد يسعى إلى تحقيق الأهداف، بغض النظر عن الوسيلة، أو السلوك الذي يسلكه للوصول إلى الهدف (2).

- **تغير القيم وسيادة القيم المادية:** تغير القيم الحالية يحدث نتيجة التأثير بالثقافات الأخرى، أو بسبب محاولة التلاؤم مع مظاهر التغير المادي. ولقد صاحب التغيرات العديدة التي أصابت المجتمعات الحديثة (من انتشار التعليم، ارتفاع مستوى الخدمات الصحية والسكنية، التطور الصناعي والزراعي والمواصلات)، سيادة القيم المادية وارتفاع مستوى الطموحات، والرغبة الشديدة تحقيق النجاح المادي والمعنوي؛ وهذا يعني ظهور قيم قديمة للتعامل مع أنماط سلوكية جديد (3).

1 - والتر بنيامين، " العمل الفني في عصر إعادة إنتاجه تقنيا "، منشور من منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية على الرابط الإلكتروني التالي: <http://1data.bnf.fv/arb:/12148/cb1189> 1218/d. التصفح:2016/10/10، على الساعة:20 سا.30د.

2 - علي شتا السيد، " اغتراب الإنسان في التنظيمات الصناعية "، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998، ص 183.

3 - علي شتا، نفس المرجع، ص 184.

بالإضافة إلى القوى في العالم اليوم تحاول بكل قوة، أن تمحي الأحاسيس، والمشاعر الروحية، الدينية، من قلوب البشر؛ معتقدة أنه في هذه الحالة، يؤمن نهضة الإنسان، متجاهلة العنصر الأساسي فيه ألا وهو الروح (1).

المطلب الرابع: الاغتراب الثقافي:

إن حالة اللامعيارية تعبر، عن الانهيار السياسي في البناء الثقافي، الذي يظهر بوجه خاص، عندما يكون هناك تناقض بين المعايير الثقافية، وبين الأهداف والقدرات البنائية الاجتماعية، لأفراد الجماعة التي تتواءم معها.

فاللامعيارية تنتج عن ما التي تقرها الثقافة السائدة، بالوسائل المشروعة؛ وذلك لعدم تحقيق تلك الأهداف بالسبل المقررة. فاللامعيارية تصبح بهذا، وسيلة بعض الأفراد للتكيف، مع الثقافة الفرعية، الخاصة بفئة من فئات المجتمع؛ وهي التي تشجع المنتمين إليها على احتقار القيم.

عجز بعض الأفراد من تحقيق تلك الأهداف، والمعايير الخاصة بالثقافة العامة، لتحل محلها قيم ومعايير مخالفة، أي خلق ظروف ملائمة لانتشار حالة اللامعيارية (2).

المطلب الخامس: الاغتراب التكنولوجي:

لقد أدى التقدم التكنولوجي الإيقاع السريع لحركة التغيرات، إلى شعور الإنسان بأنه أصبح عبداً للآلة التي صنعها وليس سيّداً لها؛ وأن الحرية التي كابد لأجلها، لم تقدم له سوى الشعور بالعجز والعزلة (3). بالإضافة إلى أن سرعة التغير التكنولوجي، قد خلقت تفاوتاً بين المهارات المتاحة، والمهارات اللازمة لشغل الدور؛ وذلك نظراً لحاجة هذه المهارات

1 - نفس المرجع؛ ص 185.

2 - والتر بنيامين، المرجع سابق الذكر، نفس تاريخ التصفح.

3 - محمد إبراهيم عيد، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2005، ص 118.

للتغير بسرعة، تعادل سرعة تغير التكنولوجيا وتطورها، للتمكن من تحقيق الأداء الجيد، الذي يعتمد على الترقية وصرف المكافآت، والحصول على المراكز القيادية.

ولمّا كانت مهارة الأفراد لا تتغير بنفس سرعة وتيرة التكنولوجيا، فقد أثر ذلك على قدرتهم على الأداء حسب توقعات الدور؛ ومن ثمّ تفاقم قلق المراكز، نتيجة للشعور بالتفاوت الشخصي، والتفاوت الاجتماعي؛ ولذلك كان سعي الأفراد لتجاوز حالة قلق المراكز هذه، بالاستعانة بالوسائل غير المشروعة، قصد تحقيق تطلعاتهم التي لا تمكّنهم مهاراتهم من تحقيقها⁽¹⁾.

المطلب السادس: الاغتراب المعلوماتي:

يتخذ الاغتراب المعلوماتي ثلاث صور أو أوجه وهي:

✓ - حالة من عدم التكيف مع الثورة المعلوماتية، نتيجة عدم إتقان وسائل تكنولوجيا المعلومات، ممّا يؤدي إلى الشعور بالتخلف.

✓ - الإستغراق الكامل للإنسان وذوبانه، في بوتقة النزعة المعلوماتية، بعيدا عن مظاهر الحياة الإنسانية الطبيعية؛ ويتضح هذا خاصة عند شباب هذا العصر، وبعض من النخبة العالمية.

✓ - عدم قدرة الإنسان على متابعة أو ملاحقة، أو مسايرة المتغيرات، التي تحدث في أي ميدان ميادين المعرفة⁽²⁾.

المطلب السابع: الاغتراب الإبداعي

ويعني لحظة التفاعل العميق " الإلهام "، والتي تأتي للعالم وللمفكر أو الفنان، وتكون سببا في إبداعه لعمل مميز، يجعله يتساءل: هل أنا الذي صنعت هذا؟ وكيف صنعتها؟ وهو اغتراب من النوع الايجابي، لأنه أمر لابدّ منه للمبدع حتى يحقق ذاته⁽³⁾.

1 - علي شتا السيد، المرجع سابق الذكر، ص 186.

2 - محمد إبراهيم عيد، المرجع سابق الذكر، ص 118.

3 - محمد إبراهيم عيد، نفس المرجع، ص 119.

المطلب الثامن: الاغتراب النفسي (1):

إن الاغتراب النفسي لا يمكن فصله عن باقي الأشكال الأخرى للاغتراب، إذ يعتبر الاغتراب من المنظور النفسي، أنه الحصلة النهائية لأي شكل من أشكال الاغتراب؛ فالاغتراب يبدأ بالصراع بين الذات والموضوع، فعندما ينتقل الصراع من الفضاء الداخلي إلى الفضاء الخارجي، للذات الإنسانية يصبح الاغتراب نفسيا. فتتفصل الذات الإنسانية عن ذاتها، فيحصل لدى الإنسان الإحباط والتوتر والفتل، وغيرها من مظاهر الاغتراب النفسي.

قد يؤدي هذا النوع من الاغتراب إلى انفصام في الشخصية، فيحصل صراع بين الذات الإنسانية الحقيقية والذات المثالية، التي تولدت لديه، نتيجة للرغبة في تحقيق حاجاته الإنسانية، التي لم يتسن له تحقيقها في الواقع؛ مما أثر على حالته النفسية وعلى شخصيته؛ حيث لم تعد سوية، فيجد الإنسان حولا لمشاكله في عالمه الآخر، بهروبه من الواقع الحقيقي وتقمّصه لشخصية غريبة عنه.

المطلب التاسع: الاغتراب السياسي:

الاغتراب السياسي هو أحد أشكال الاغتراب، الذي يمكن أن يحصل للإنسان، عندما يتعلق الأمر بالحياة السياسية للفرد؛ ويتمثل في عدم قدرة الفرد على المشاركة في القرارات وفي اتخاذ قرارات سياسية، أو أن قراراته لا تؤخذ بعين الاعتبار؛ كما يتجلى أيضا في افتقاد الإنسان للقواعد التي تضبط السلوك الإنساني. كما أن الاغتراب السياسي يحصل للأفراد، إذا ما أحسوا أن نتائج الانتخابات، لا تعبر على الرأي الحقيقي لأفراد المجتمع (2)، ويرى " أحمد فاروق حسن " أن الاغتراب السياسي له خمسة أبعاد وهي:

1 - كريمة يونس، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - الجزائر، 2011، ص 51.

2 - كريمة يونس، نفس المرجع، ص 52.

- انعدام المعنى السياسي.
- انعدام المعايير السياسية.
- العزلة السياسية.
- اللامبالاة السياسية.
- فقدان الاهتمام السياسي.

المطلب العاشر: الاغتراب الديني:

إن الاغتراب الديني في شتى الأديان السماوية، يعني أنه الانفصال عن الله؛ أي الابتعاد عن كل المبادئ الأهلية والقواعد الدينية، التي فرضها الله على عباده؟ ووضّح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، اغتراب الإسلام والمسلمين في الحديث الشريف: " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء " قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال: الذين يصلحوا إذا فسد الناس وثبتوا على عبادة الله إذا تجافت الناس عن عبادته، وطوبى هي شجرة في الجنة " (1).

ولعل ما يزيد من ظهور الاغتراب الديني في عصرنا الحالي، هو عدم تلقي القواعد الدينية الإسلامية بوضوح وعمق؛ وفي دور التنشئة الاجتماعية، كما أن إقبال الشباب بشكل فظيع على الإنترنت، تسبب في تخليهم عن القيم الدينية، وعزوفهم عن الاطلاع عن كتب السيرة النبوية الشريفة، وباقي الكتب الدينية التي تطلعهم على الدين الإسلامي بوضوح، مما ساهم ذلك بشكل كبير في انسلاخ الإيمان من قلوبهم، ودخلوا في غربة دينية دون أن يعوا ذلك، ومن دون أن يشعروا بتأثير ذلك على حياتهم الاجتماعية.

1 - كريمة يونسى، المرجع سابق الذكر، ص 52.

المبحث الخامس: أبعاد الاغتراب:

يقصد بالعبرة بُعد المكونات التي يتألف منها شيء ما؛ لقد بقي الاغتراب مركبًا كليًا، يُنظر إليه كمفهوم قائم بذاته، يتم البحث عن أسسه وعوامله، دون البحث في مكوناته الأصلية، ونجد من أبعاده:

المطلب الأول: اللاقوة (العجز):

اللاقوة تشير إلى تلك الحالة التي يشعر بها الفرد، على أنه غير قادر على تحقيق نتائج، أو الوصول إلى المكافآت التي يريدها، ويقصد به أيضا شعور الفرد باللاحول ولا قوة، وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته؛ وبالتالي لا يستطيع أن يقرّر مصيره، فمصيره وإرادته ليسا بيده، بل تحددها عوامل أخرى وقوى خارجة عن إرادته الذاتية⁽¹⁾؛ كما أنه لا يمكن أن يؤثر في مجرى الأحداث، أو صنع القرارات المصيرية الحياتية؛ وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته، أو يشعر بحالة من الاستسلام والخضوع. وجوهر العجز أو فقدان القدرة، هو توقّع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط⁽²⁾، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروفًا خارجية، أقوى منه ومن إرادته، وفي تحليل "سيمان ميلفن" (Seemen , 1959) لهذا المفهوم أكد على أمرين هما:

أولاً: يتعين ألا ينظر بالضرورة إلى مفهوم الاغتراب، باعتباره حالة شائعة يبدو معها وكأنه أمر قائم، باعتباره مجرد إحساس تولد عن بعض الظروف الموضوعية، بالقدرة أو عدمها على التأثير في الأحداث الجارية.

1 - خير الله عصار، مبادئ علم النفس الاجتماعي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص 180.

2 - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص 36.

ثانياً: يتعين عدم الربط بين العجز ومسألة توافق الشخصية، أي عدم الربط بين حالة الإحساس باللاقوة، وحالة سوء التوافق الناشئ عن عدم القدرة.

وقد وضع الباحث "أحمد النكلاوي" (1989) تعريفاً إجرائياً لبعد العجز، وخبرة افتقاد القدرة كمنط اغترابي بأنه: "الحالة التي يصبح فيها الأفراد، في ظل سياق مجتمعي محدد، يتوقعون مقدماً، أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقريراً، أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أو مخرجات، من خلال سلوكهم أو فعاليتهم الخاصة؛ أي بمعنى أنهم يشعرون بافتقاد القدرة، على التحكم في مخرجات هذا السياق أو توجيهها؛ الأمر الذي يوّلد خبرة الشعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل، في إمكانية التأثير في متغيرات هذا السياق، والقوى المسيطرة عليه"⁽¹⁾.

بعبارة أخرى، عندما تكون الأوضاع، التي يواجهها الفرد تفرض نفسها عليه، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً اتجاهها؛ ويبدو أن هذا يحدث خصوصاً في أيام التغيير الاجتماعي، عندما يتغير الأفراد بسرعة أكبر، من سرعة التغيير الاجتماعي الذي يبقى راکداً نسبياً⁽²⁾.

وهذا ما نلاحظه في الجزائر، حيث أوضاع التغيير السريع الذي تشاهده الجزائر، بنقلها للتكنولوجيا الحديثة واتباعها سياسة التنمية، التي تتمثل في ثلاث ثورات: الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة الثقافية؛ ومن ثم أدت هذه التنمية إلى إحداث تغييرات أساسية في المجتمع، يتبين أن التغيير الاجتماعي، قد فرض عدة أوضاع على الأفراد، لا يستطيعون نحوها شيئاً؛ إنهم لا يستطيعون تحقيق الإشباع الكافي لحاجاتهم المادية، وكذا الحاجات النفسية والاجتماعية المتغيرة باستمرار، تحت تأثير التكنولوجيا والمستجدات منها.

1 - أحمد النكلاوي، "الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر"، القاهرة، دار الثقافة العربية، 1989، ص 121.
2 - جازية كيران، "الاغتراب العمالي في منشآت صناعية جزائرية - عوامله ونتائجه"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر - معهد علم الاجتماع، 1990، ص 49.

المطلب الثاني: اللامعنى:

يقصد به أن الفرد يرى الحياة لا معنى لها، وأنها تسير وفق منطق غير معقول، ومن ثم يشعر المغترب أن حياته عبثاً لا جدوى منها، فيفقد واقعيته ويحيا نهبا لمشاعر اللامبالاة والفراغ الوجودي (1).

ويشير مصطلح اللامعنى عند "سيمان" (2) (Seeman)، إلى توقع الفرد أنه لا يستطيع أن يتنبأ بدرجة عالية من الكفاءة، بالنتائج المستقبلية للسلوك؛ فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحاً لديه ما يؤمن به أو يثق فيه، وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم به، وما يتخذه من قرارات (3).

المطلب الثالث: اللامعيارية (الأنوميا):

اللامعيارية أو الأنوميا تشير إلى شعور الفرد، بأن الوسائل غير المشروعة هي المطلوبة اليوم، وأن الإنسان يحتاجها لإنجاز أهدافه، مما يُشعر الفرد بضياح القيم وفقدان المعايير (4).

حيث أخذ "سيمان" اللامعيارية من وصف "دوركهايم" (Durkheim)، لحالة الأنومي (Anomie) التي تصيب المجتمع، وهي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه؛ وهي حالة تخلخل وتصدع للبنى الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. ويشير "

1 - محمد إبراهيم عيد، "مدخل إلى علم النفس الاجتماعي"، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005، ص 250.

2 - ملفن سيمان: هو عالم هو عالم نفس اجتماعي، من مواليد 05 فيفري 198 بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو أيضا أستاذ فخري لعلم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا، لوس انجلس، وهو معروف بالبحث في العزلة الاجتماعية، والكشف عن مفهوم الاغتراب في النظرية الاجتماعية التقليدية، وتمهيد الطريق للبحث التجريبي على الاغتراب. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://mimirbook.com>: بتاريخ 01 جانفي 2018 على الساعة 23.12د

3 - علي شتا السيد، مرجع سابق الذكر، ص 27.

4 - فادية كامل حمام وفاطمة خلف الهويش، " الاغتراب النفسي وتقدير الذات لدى خريجات الجامعة والعاملات والعاطلات عن العمل"، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الثاني - العدد الثاني، ص 64-138.

سيمان " إلى أن مصطلح الأنومي يعني في الاستخدام الدارج، الموقف الذي تتحطم فيه المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد. حيث تصبح هذه المعايير غير مؤثرة، ولا تؤدي وظيفتها كقواعد للسلوك.

فالأنومي لفظ اجتماعي يشير للحالة، التي تغرق فيها القيم العامة، في خضم الرغبات الخاصة، الباحثة عن إشباع بأي وسيلة⁽¹⁾. في حالة الاغتراب نجد القيم تغرق في خضم الرغبات الشخصية، الباحثة عن الإشباع بأية وسيلة؛ فيشعر الفرد باختلال المعايير الاجتماعية، التي اصطلح عليها المجتمع؛ والمتمثلة في العادات والتقاليد، والأعراف، وأخلاقية التعامل، التي تحكم السلوك.

المطلب الرابع: غربة الذات:

استمد "سيمان" مفهوم الإغتراب عن الذات أو غربة الذات، من كتاب "إريك فروم" "المجتمع السليم"، حيث يعتبر ما كتبه "فروم" (Fromm)، من أكثر البحوث دقة وعمقا عن الموضوع؛ فقد تناول موضوع الاغتراب، من زاوية نمو الشخصية وتطورها، وأوضح أن الاغتراب هو نمط من التجربة يرى الفرد نفسه فيها، كما لو كانت غريبة عنه؛ فالفرد يصبح منفصلا عن نفسه⁽²⁾. وعرف "سيمان" الاغتراب عن الذات بأنه: "عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عنها، وعمّا يرغب في أن يكون عليه؛ حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويحيا لكونه مستجيبا لما تقدمه له الحياة، دون تحقيق ما يريد من أهداف، وعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافئة لذاته"⁽³⁾.

1 - علي شتا السيد، نظرية الاغتراب من منظور الاجتماع، السعودية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1984، ص 364.
2 - جمال معتوق، "دراسة سوسولوجية حول الاغتراب"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة سعد دحلب- البليدة، العدد الأول، سبتمبر 2008، ص 32 (ص ص 17-35)

3 - Seeman . M. « Aliénation and anomie in : P.R.Pobinson and LS Reghlsmance measure of personality and Psychologicaln Attitudes (Vol 1), Academic Press, New York, 1990, p. 297.

المطلب الخامس: التشيؤ:

التشيؤ هو مقولة فلسفية، نعني أن الفرد يُعامل كشيء، ويتحوّل إلى شيء، وتتنزع عنه شخصيته، وبالتالي تتشياً العلاقات؛ ويمكننا الوقوف على جذور مفهوم التشيؤ، إذا استعرضنا تعريف مفهوم الاغتراب عند " روسو "، والذي عرّفه بأنه: " التسليم أو البيع، فالإنسان الذي يجعل نفسه عبداً للآخر، إنسان لا يسلم نفسه، وإنما هو بالأحرى يبيع نفسه، من أجل بقائه على الأقل.."، ويشمل هذا التعريف على معنيين، أحدهما إيجابي والثاني سلبي، أما المعنى الإيجابي، فهو أن يسلم الإنسان ذاته إلى الكل، في سبيل هدف نبيل؛ وأمّا المعنى السلبي فهو أن ينظر الإنسان إلى ذاته، كما لو كانت شيئاً أو سلعة يطرحها للبيع، وهذا هو الاغتراب السلبي أو تشيؤ، يُفقد الإنسان فيه من خلال ذاته (1).

كما يشير التشيؤ إلى أن الفرد قد تحوّل إلى موضوع، وفقد إحساسه بهويته، ومن ثمّ يشعر بأنه مقتلع، حيث لا جذور تربطه بنفسه أو واقعه (2).

وأوضح مراد وهبة أن التشيؤ، يكشف عن الطبيعة المجنونة للإنتاج الرأسمالي؛ فعالم التشيؤ عبارة عن عالم علاقات اجتماعية، تتسم بخصائص البشر، ومن ثم يصبح البشر في حوزة الأشياء، وتنشأ علاقات اجتماعية بين الأشياء، وعلاقات مادية بين الأفراد، الأمر الذي يؤدي إلى أن تصبح الثقة ذاتها- وهي من خصائص الذات الإنسانية-، خاصية للأشياء الصعبة، من حيث هي مستقلة عن الإنسان.

ويفهم من ذلك أن التشيؤ ينطوي على طابع طبقي، فتسلط الرأسمالية على العامل، ليس إلا تسلط شروط العمل على العامل ذاته؛ فالطابع الطبقي للتشيؤ، ينزع فيه الطابع الطبقي للاغتراب.

فالتشيؤ يكشف عن عدم التكافؤ، بين من يخلق الحضارة (العامل)، ومن يستثمرها (الرأسمالية)، وكل منهما يمثل أشياء متشخّصة، فيغترب الإنسان. ومعنى ذلك أن العامل في

1 - محمود رجب، الاغتراب: سيرة المصطلح، القاهرة، دار المعارف، 1988، ص58.

2 - عبد اللطيف محمد خليفة، المرجع السابق الذكر، ص 41.

الوقت الذي ينتج فيه الحضارة، فإنه ينتجها في شكلها المغترب، ويلتزم من ذلك أن الحضارة في تناقض مع الإنسان (1).

وهذه النتيجة التي انتهى إليها "ماركس"، استناداً إلى التحليل الاقتصادي، وذكرنا ذلك سابقاً في شرحنا للاغتراب عند ماركس (Marx)، وانتهى إليها فرويد (Freud) في التحليل النفسي - وشرحنا هذا في المبحث السابق، في التحليل السيكولوجي للاغتراب.

المطلب السادس: العزلة الاجتماعية:

هي انسحاب الفرد وانفصاله عن التيار السائد في مجتمعه، وشعوره بالوحدة والفراغ النفسي، حتى ولو كان مع الآخرين، مع سعيه للابتعاد عن الناس (2)؛ وهي عبارة عن حالة ينفرد فيها الفرد عن المجتمع والثقافة، مع الشعور بالغربة وما يصاحبها من خوف وقلق، وعدم الثقة بالآخرين، وتفرّد الذات، والإحساس بالدونية تارة، والتعالي تارة أخرى؛ ويكون ذلك لانعدام التكيف الاجتماعي، أو لضعف الاتصال الاجتماعي للفرد (3).
فالأفراد الذين يميلون إلى العزلة، لا يرون قيمة كبيرة، للكثير من الأهداف والمفاهيم، التي ينميها المجتمع.

المطلب السابع: اللاهدف:

يقصد به أن الحياة تمضي بغير هدف أو غاية، ومن ثمّ يفقد الفرد الهدف، من وجود ومن معنى الاستمرارية في الحياة؛ ويترتب على ذلك اضطراب سلوك الفرد وأسلوب حياته،

1 - مراد وهبة، الاجتراب والوعي الكوني: دراسة في هيغل وماركس وفرويد، عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العاشر، ص ص 99-112.

2 - سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النفسية، لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، 2004، ص 109.

3 - قيس النووي، " الاجتراب إصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً"، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، الكويت، وزارة الإعلام، 1979، ص ص 13-14.

مما يؤدي إلى التخبط في الحياة بلا هدف، ويضل الطريق⁽¹⁾، وهنا نلاحظ أن اللاهدف يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللامعنى.

المطلب الثامن: الانسحاب:

هو وسيلة دفاعية يلجأ إليها الأنا للدفاع عن نفسه، حيث يعجز الفرد الابتعاد عن المواقف المهذّدة، ومن ثمّ يزيح عن نفسه القلق، بانسحابه من الموقف، أو ينكر وجود العنصر المهذّد⁽²⁾.

ويكون الانسحاب في حالة عجز المغترب عن تغيير واقعه، ويكون في عدّة أشكال حسب الظروف والأوضاع، فقد ينسحب المغترب فعليا عما يغترب عنه.

ومثال ذلك: المثقفون والاختصاصيون، وهذا ما يطلق عليه هجرة الأدمغة، حيث يترك هؤلاء الأشخاص مجتمعاتهم، إلى مجتمعات أخرى؛ وقد يكون الانسحاب دون أن يترك الفرد مجتمعه، وذلك بأن يعزل الفرد نفسه، ويبني حوله حواجز؛ فلا يهتم بما يجري حوله، وينغمس في نشاطات خاصة، ويعتبر هذا من أهم أنواع الاغتراب؛ حيث يعبر عنه الأفراد باللامبالاة اتجاه الأحداث الاجتماعية⁽³⁾.

المطلب التاسع: الرفض:

هو اتجاه سلبي رافض معادٍ نحو الآخرين، أو نبذ بعض السلوك، ويتضمن الرفض الاجتماعي، والتمرد على المجتمع، عدم العدل الاجتماعي وحتى رفض الذات⁽⁴⁾.

1 - سناء حامد، إرشاد الصحة النفسية، لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، المرجع سابق الذكر، ص 109.

2 - سناء حامد، نفس المرجع، ص 109.

3 - محمود عوض محمود سليم موسى، " مظاهر الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات المدارس الحكومية في محافظات شمال فلسطين "، مذكرة ماجستير في الإدارة التربوية، جامعة النجاح - فلسطين، - كلية الدراسات العليا، 2003، ص 21.

4 - سناء حامد زهران، المرجع سابق الذكر، ص 110.

وهنا يظهر الاغتراب من خلال التناقض، بين ما هو فعلي وما هو مثالي؛ أي أن الشخص المغترب غير راضٍ، وبالتالي معارضا للاهتمامات السائدة، والموضوعات والقيم والمعايير؛ ويرتبط الاغتراب بالتقدير المنخفض للذات، والاهتمامات الاجتماعية المنخفضة، والتمركز الذاتي الزائد (النرجسية).

المطلب العاشر: التمرد:

يقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية والعداء، لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير؛ وقد يكون التمرد على النفس، أو على المجتمع، بما يحتوي من أنظمة ومؤسسات، أو على موضوعات وقضايا أخرى (1).

تأسيسا على ما تقدم نلاحظ، أن كل أبعاد الاغتراب، تكاد تكون مترابطة ومتداخلة، ويكمل بعضها البعض الآخر، ولكل بُعد منها أهميته وتأثيره، في تحديد طبيعة اغتراب الفرد، ودرجة وحدّة هذا الاغتراب.

فمظاهر الاغتراب تتبدى في أشكال أحاسيس مفرطة بالدونية، واللامبالاة والقهر، والضعف، والقصور، والسلبية، والانهازامية.

وتلك هي البوابة المنهجية لمفهومنا، عن اغتراب الشخصية التي تتعرض فيه للإنشطار، أو الضعف، والانهيال.

1 - محمود رجب، المرجع سابق الذكر، صص 40-41.

المبحث السادس: أسباب الاغتراب:

من أهم مصادر الشعور بالاغتراب التنشئة الاجتماعية الخاطئة، وعمليات التغيير الاجتماعي، والتقدم الحضاري، والحياة المعاصرة، وعدم قدرة الإنسان على القيام بالأدوار الاجتماعية بسهولة وليونة، والفجوة بين الأجيال، أو بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، واختفاء الكثير من القيم التي كانت موجودة في الماضي، مثل التعاطف والتراحم والمحبة⁽¹⁾. وترجع أسباب ومصادر الاغتراب عند " إريك فروم " (Erick Fromm) إلى طبيعة المجتمع الحديث، وسيطرة الآلة والهيمنة التكنولوجية الحديثة على الإنسان، وسيطرة السلطة، وهيمنة القيم والاتجاهات والأفكار التسلطية. فحيث تكون السلطة، وعشق القوة، والحصن على العدوان، يكون اغتراب الإنسان⁽²⁾.

وترجع " كارين هورني " (Carrine Horney) أسباب ومصادر، الاغتراب لدى الإنسان إلى ضغوط داخلية؛ حيث يوجّه الفرد معظم نشاطه، نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال، حتى يحقق الذاتية المثالية، ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها⁽³⁾.
في حين ترى إجلال سري أن أسباب الاغتراب تتعدد ومن أهمها التالي:

1 - وفاء محمد فتحي، " الاغتراب وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية، لدى عينة من النساء المسافرات أزواجهن "، جامعة عين الشمس، القاهرة، 1996، ص ص 209-210.

2 - سناء حامد الزهران، المرجع سابق الذكر، ص 107.

3 - Horney Karen, « **La Psychologie de la Forme** » Payot, Paris, 1967, p. 86.

المطلب الأول: أسباب نفسية: وتتمثل في:

- 1- الصراع: بين الدوافع والرغبات المتعارضة، وبين الحاجات التي لا يمكن إشباعها في وقت واحد، مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي، والقلق واضطراب الشخصية.
- 2- الإحباط: حيث تعاق الرغبات الأساسية، أو الحوافز، أو المصالح الخاصة بالفرد، ويرتبط الإحباط بالشعور بخيبة الأمل، والفشل، والعجز التام، والشعور بالقهر وتحقير الذات.
- 3- الحرمان: حيث تقلّ الفرصة لتحقيق دوافع وإشباع الحاجات، كما في حالة الحرمان من الرعاية الأبوية والاجتماعية.
- 4- الخبرات الصادمة: وهذه الخبرات تحرك العوامل الأخرى المسببة للاغتراب، مثل الأزمات الاقتصادية والحروب⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أسباب اجتماعية وثقافية:

- إن المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، والثقافة المنتشرة بهذا المجتمع، لهما الأثر في نشوء الاغتراب لدى هذا الفرد، ومن بين هذه الأسباب ما يلي:
- ✓ ضغوط البيئة الاجتماعية، والفشل في مواجهة هذه الضغوط.
 - ✓ الثقافة المريضة التي تسود فيها، عوامل الهدم والتعقيد.
 - ✓ التطور الحضاري السريع الوتيرة، وعدم توافر القدرة النفسية على التكيف معه.
 - ✓ اضطراب التنشئة الاجتماعية، حيث تسود الاضطرابات، في الأسرة والمدرسة.
 - ✓ مشكلات الأقليات، ونقص التفاعل الاجتماعي، والاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة، من خطر التعصب والتفرقة في المعاملة، وسوء التوافق المهني؛ حيث يسود اختيار العامل على أساس الصدفة، وعدم مناسبة العمل للقدرات وانخفاض الأجور.
 - ✓ سوء الأحوال الاقتصادية، وصعوبة الحصول على ضروريات الحياة.

1 - سناء حامد زهران، نفس المرجع، ص 107.

✓- تدهور نظام القيم، وتصارع القيم بين الأجيال.

✓- الضلال والبعد عن الدين، والضعف الأخلاقي، وتفشي الرذيلة (1).

فالنخبة المثقفة بصفة عامة، والنخبة السوسولوجية العالمية بصفة خاصة، تتأثر بما يدور حولها من أحداث اجتماعية، وكذلك التغيرات التي تحدث، في مختلف جوانب الحياة.

المطلب الثالث: أسباب اقتصادية:

إن من أخطر المشكلات التي تواجهها المجتمعات النامية، الحاجة لإشراك أكبر عدد ممكن من السكان، في النشاطات الاجتماعية، لبناء الاقتصاد القومي، وتطوير التكنولوجيا.

يحدد " كينسون " عالم النفس: أسباب ودواعي الاغتراب حيث يقول:

" أن هناك أسبابا ذاتية وأسباب موضوعية، تؤدي إلى الاغتراب، ويردّ الذاتية إلى عوامل نفسية ديناميكية، تحدث في نمو الفرد؛ أما الأسباب الموضوعية فهي الظروف المحيطة بالفرد وما يكوّنهما، من عوامل حضارية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية (2).
فالأسباب الذاتية ترجع أساسا، إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية، السائدة في بعض المجتمعات الإنسانية؛ أما الأسباب الموضوعية فتتمثل، في العوامل والظروف السائدة، في البيئة المحيطة بالإنسان المغترب.

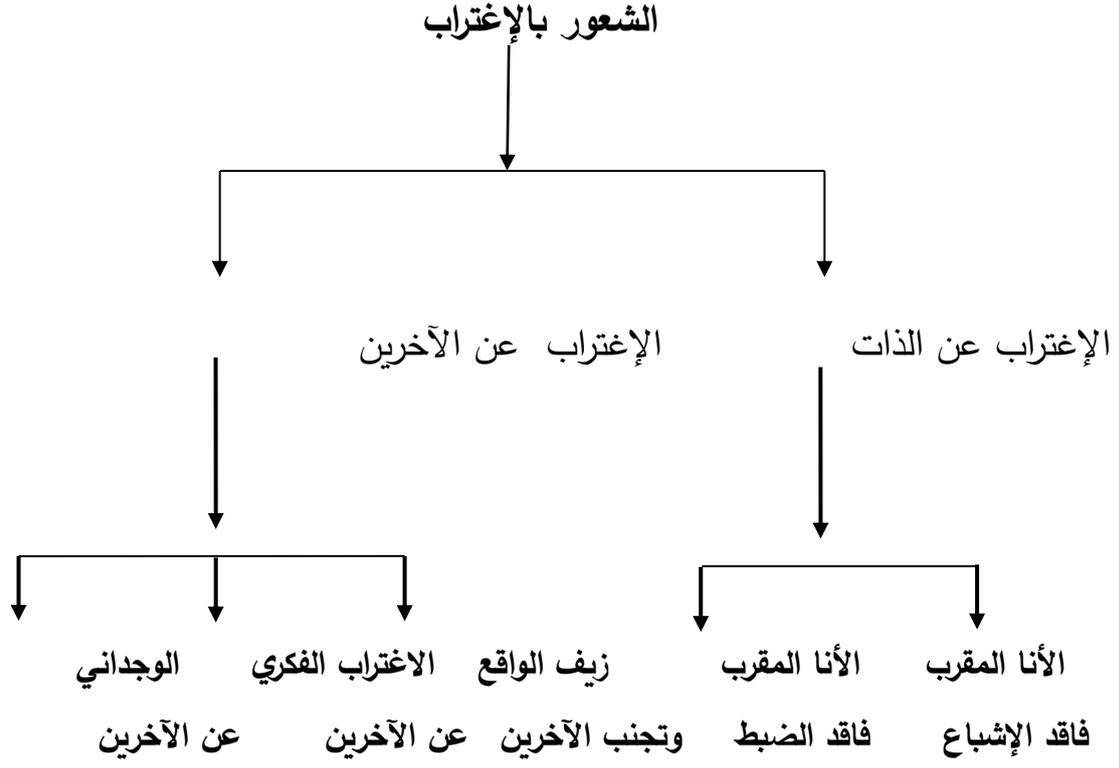
ويوضّح المخطط التالي (3) للباحثين: مدحت عبد الحميد ورشا الدمهوري، تفصيلا

للمظاهرة:

1 - إجلال محمد السري، المرجع سابق الذكر، ص ص 77-120.

2 - فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997، ص 03.

3 - مجدي أحمد محمد، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بالسمات الشخصية، الإسكندرية، 2001، ص 10.



المبحث السابع: في مسألة اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية:

المطلب الأول: مظاهر الاغتراب الاجتماعي عند النخبة السوسولوجية الجزائرية.

سنعمد خلال هذه النقطة، الإشارة إلى بعض المظاهر، مؤجلين التفصيل فيها بشكل مسهب في الفصل الميداني.

1- اغتراب الإنسان:

عندما يكون الإنسان عاجزا، في علاقاته بالمجتمع ومؤسساته، فليس أمامه من بدائل أو خيارات، لتجاوز اغترابه إلا: الانسحاب، أو الرضوخ، أو التمرد، أو الثورة⁽¹⁾.

1-1 الانسحاب: أو اللامواجهة، على أن يجد سبيلا آخر يجنبه تحمّل أوضاعه، بكلام آخر فلا يتمكن الإنسان، من الاستمرار في معاشته اغترابه، في علاقاته بالمجتمع والدولة والمؤسسات التي ينتمي إليها، أو يعمل ضمنها، ويدرك أنه لا يقوى على تغيير الواقع أو الرضوخ له ولو ظاهرا؛ فيحاول الانسحاب منه، أو الهرب باحثا عن فرصة أخرى، للخلاص من الوضع الذي يعانيه؛ وكثيرا ما يتمّ هذا الانسحاب بأشكال مختلفة، بحسب الظروف؛ وقد تشكّل الهجرة أفضل الحلول الممكنة، وهذا ما نلاحظه عند الكثير من المواطنين في الجزائر، وخاصة من قبل الشباب والعلماء والنخب المتعلّمة، في جميع التخصصات بصفة عامة، وعند النخبة السوسولوجية بصفة خاصة؛ وما يصطلح عليها بهجرة الأدمغة، وهناك العزلة واللامبالاة داخل المجتمع، وفي العلاقات العائلية...وجه آخر للانسحاب من الحياة، أو ما يطلق عليه البعض مصطلح الاستقالة الجماعية.

طبعا كثيرا ما يكون الانسحاب موضوع ازدرأ، باعتبار أنه يمثّل نوعا من اليأس والتشاؤم والفشل، في تغيير الواقع والنظام السائد؛ ولكنه يظل لدى البعض بحسب ظروفهم، خيارا يلجأون إليه، إلى أن تتغير الظروف والأحوال.

1 - حليم بركات، المرجع سابق الذكر، ص 81.

1-2 هناك احتمال الخضوع، أو الرضوخ، أو الاستسلام للأمر الواقع، والتكيف معه على الأقل ظاهريا والنفور منه ضمنا؛ عندما يستحيل الهرب، هنا سيشكل الرضوخ خيارا آخر، كثيرا ما يلجأ إليه المغتربون أيضا، بفعل اليأس والضعف والتمسك بقيم الصبر.

1-3 هناك بديل ثالث يتجسد في المواجهة، بالتمرد الفردي، أو العمل الثوري، على تغيير الواقع، ضمن حركة سياسية أو اجتماعية؛ بهذا المغترب بدل أن ينسحب أو يرضخ، يواجه المجتمع بمؤسساته وأنظمتها، ويعمل على تغيير الأوضاع والتوجهات السائدة؛ وعادة ما يكون التغيير بالأسلوب العنيف، وهو ما تزخر به الحياة العامة الجزائرية، في السنوات العشرين الماضية (1).

-الملاحظ أن هذه الأنماط من التغيير، تأخذ مكانها في الحياة الوطنية بأشكال متباينة، وهذا ما يشكل هدرا للطاقات، سواء فردية كانت أو جماعية.

-الملاحظة الأهم والتي يجب الإشارة إليها، هو أنه لا وجود لأية دراسة حول إشكالية، غربية أو اغتراب النخبة السوسيولوجية الجزائرية، وهذا ما صعب مهمتنا، اللهم إلا في دراستين، الدراسة الأولى وهي للأستاذ جمال معتوق، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه، تطرق فيها لموضوع اغتراب النخبة السوسيولوجية الجزائرية، وأوضح الأسباب، المظاهر، الخصائص، لاغتراب هذه النخبة (2).

والدراسة الثانية وهي أطروحة دكتوراه للباحث جوزة عبد الله، وعالج فيها موضوع الاغتراب لكن بشكل أشمل، وهي دراسة نظرية نقدية لواقع العالم العربي، فيما يخص الاغتراب الحضاري والعنف الاجتماعي (3).

1 - حليم بركات، المرجع سابق الذكر، ص 82-83.

2 - جمال معتوق، واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي: "دراسة ميدانية بالجزائر، تونس، والمغرب"، مرجع سبق ذكره، ص 230-240.

3 - جوزة عبد الله، الاغتراب الحضاري والعنف الاجتماعي - دراسة نظرية نقدية لواقع العالم العربي الإسلامي، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع - تنظيم وعمل - جامعة الحاج لخضر - باتنة -، 2012-2013، غير منشورة، ص 98.

وتبقى المعلومات والمعطيات الدقيقة قليلة، في ما يخص هذا الموضوع، مما جعلنا نكتفي ببعض القراءات، والقيام ببعض الإسقاطات على موضوعنا.

فالممتنع لمكانة ودور الفئة المثقفة عامة، والنخبة السوسيولوجية خاصة؛ يلاحظ أنها تشكل الفئة الأكثر معاناة وحرمانا وإقصاء، من طرف النظام القائم، أو حتى المجتمع، الذي يجهل عنها أشياء كثيرة، ويصفها بالفئة غير المنتجة كما يردد.

فقد لعب النظام القائم، ومنذ سنوات ولا يزال، ورقة إقصاء، وحصار، ومضايقة النخبة السوسيولوجية؛ وهذا خوفا مما يمكن أن تحدثه هذه الأخيرة، من تهديدات لمصالحها، فمنذ البداية، كانت المعادلة غير متكافئة، معادلة أساسها القوة والإقصاء بشتى أنواعها. ولتحقيق هذه الأهداف، نجد أن نظام الحكم، جعل من نخبة السوسيولوجيين غرباء عن أدوارهم الحقيقية، تلك الأدوار التي منحت الأشخاص آخرين، لا علاقة لهم بعلم الاجتماع، فأصبحت المواضيع السوسيولوجية من تخصصات، مثل علم السياسة والاقتصاد والصحافة، والشريعة... إلخ، وأصحابها الشرعيون في عالم النسيان.

ويشكّل اغتراب النخبة السوسيولوجية في الجزائر، وجها آخر من وجوه الإهانة والتصغير، والإذلال، والقهر والتخويف، والمقاطعة، والتهديد؛ حيث نجد الجهات الرسمية في البلاد، أنها قامت بوضع سياسة تعتمد أساسا، على التمييز ما بين التخصصات والمختصين فيها؛ فذاك تخصص تُقدّم له كل التسهيلات والصلاحيات والامتيازات المادية والحوافز، وتخصص آخر محاصر، غريب، منبوذ ومرفوض، حتى أصبحنا نجد أن أبسط هذه المجتمعات، تشير بأصابع الاتهام لهذا العلم، والنخب المنتمة إليه.

ومنه يظهر أن أول جهة كانت وراء اغتراب هذه النخبة - وكنا تطرقنا سابقا إلى الاغتراب السياسي-، بهذا العلم في النظام القائم، وتمثل هذا الاغتراب في:

- عدم الاعتراف بشريعة العلم.

- عدم إشراك النخبة السوسيولوجية في القرارات المصيرية.

- إضفاء صبغة اللامنتج، وعلم الكلام، والثرثرة عليه.

- تشجيع وهيمنة التمييز ما بينه وبين العلوم الأخرى.
- تجريده من طبائعه ومواضيعه.
- النظرة إليه نظرة العداء والدونية.
- إغتراب النخبة السوسيولوجية إزاء إرادة السلطة (1).

وهذا النوع من الغربة ناتج عن القهر والتسلط، اللذين تمارسهما هذه الأنظمة، وهذا إما خوفا من العواقب، أو الرضوخ للأمر الواقع، نظرا للحرمان الذي تعيشه هذه النخبة؛ ولهذا نجدها تفضل التقرب من السلطة والعمل على خدمتها، بغية إشباع حاجاتها، وتحسين وضعيتها الاجتماعية والاقتصادية؛ حيث تصبح هذه النخبة، تعمل على تبرير مواقف وتصرفات السلطة، بل تعمل على نشر أيديولوجيتها.

يقول البروفسور معتوق في أطروحته، في تحليله لظاهرة اغتراب نخبة السوسيولوجية، أن هناك عددا لا بأس به من هذه النخبة، أصبحوا يخدمون السلطة، بغية تلبية مصالحهم الشخصية على حساب الجماهير الواسعة، وعلى حساب العلم؛ فبعضهم أصبح ينادي بشرعية السلطة، والبعض الآخر قام بإنجاز الدراسات التي طلب منه ذلك، لتدعيم وتقوية نفوذه؛ أما للذين تمسكوا بالنزاهة والموضوعية، فنجدهم محاصرين من كل جهة (2).

كما قامت السلطات المتعاقبة على النظام، بإجهاض ثمره جهود هؤلاء العلماء، وذلك بعد استغلال نتائج أعمالهم، وحبسها في رفوف المكتبات.

عدم إقحام النخبة السوسيولوجية، في عملية التغيير الشامل الذي عرفته البلاد، وتفضيل أشخاص لا علاقة لهم بالتخصص على حسابهم، وحتى الاستعانة بالأجانب؛ هذا ما يجعل النخبة السوسيولوجية الجزائرية تغترب ذاتيا.

1 - جمال معتوق، المرجع سابق الذكر، ص 234.

2 - جمال معتوق، نفس المرجع، ص 235.

كما يشكّل الاغتراب المعياري لهذه النخبة، من أهم أنواع الاغتراب التي يعانونها، فنتيجة العوائق التي يواجهونها، يضطرون اللجوء إلى طرق غير شرعية، لتلبية حاجياتهم، وهذا ببيع أفكارهم سواء للسلطة أو حتى للأجانب، على حساب المصلحة العامة.

ويشكّل الإغتراب الثقافي والحضاري، اللذان تعانيهما النخبة السوسولوجية، سببا رئيسيا في ابتعادهم عن شعوبهم، وعدم قدرتهم على فهم واقع، وطموحات، وتطلّعات هذه الشعوب؛ حيث الكثير تقمص ثقافات لا صلة لها بثقافته الأصلية، وبهذا نجده قد انسلخ عن أمّته، وابتعد عنها كل الابتعاد.

تعمل النخب الثقافية بصفة عامة، والنخبة السوسولوجية بصفة خاصة، على إبراز تطلّعات وطموحات ومشاكل المجتمع الذي تنتمي إليه، وتتميز هذه النخبة عن النخبة السياسية، سواء في السلطة أو المعارضة، بأنها:

- تنتج المعرفة،
- تتحلّى بالروح النقدية،
- إستقلالية التفكير،
- ممارسة الدور الرقابي على أعمال السلطة وتوجهاتها،
- التزام هذه النخبة بالمشاريع والمبادئ، التي تحقق طموحات الشعب، وحقه في العيش بكرامة.

لكن ماذا عن دور هذه النخبة في المجتمع الجزائري، يقول الدكتور أحمد رواجعية * أن دور النخبة الفكرية بصفة عامة، غائب في الجزائر تماما، ولا يوجد له أي صدى في المجتمع ولا تأثير في السلطة. فهي موجودة لكن بشكل فوضوي، ويشير أيضا أن إسقاط مفهوم النخبة في الجزائر على حاملي الشهادات العليا، ينطوي على مغالطة كبيرة، فالشهادة الجامعية لا تعبّر تماما على القيمة الفكرية لصاحبها، ولا يمكنها أن تجعل منه مثقفا، بالمفهوم الصحيح للكلمة؛ ويضيف رواجعية بالقول: "المتقف الحقيقي هو الذي يشارك، من

خلال تفكيره وتصوراته ومساهماته، في المظاهر المتنوعة للحياة الاجتماعية، وهو الذي يستطيع أن يشخص علّة المجتمع، ويبادر إلى تقديم الحلول " (1).

ومن جانبه يشكك الكاتب الصحفي محمد دامو، في وجود نخبة في الجزائر، ويؤكد هذا في حوار مع قناة " عربية DW ": " أن المثقف موجود، لكن في ديار المهجر والاغتراب؛ وإن تراءت لنا أحيانا بعض بقاياها داخل الوطن، لكن وجوده في الخارج شيء ثابت، بدليل نشاطاته وإنتاجه الفكري، والأدبي، والأكاديمي المميز؛ أما في الداخل فهو بالكاد يستطيع المحافظة على كيانه وذاته، فما بالك بالدفاع عن قضايا مواطني شعبه (2). ويتّهم السلطة في الجزائر بأنه منذ 1962، وهي تفرغ الساحة السياسية من المنافسين المنتقدين، سواء من النخب السياسية، أو الفكرية أو الثقافية؛ ممّا جعل النقاش السياسي للسلطة أحاديا ومفرغا من المضمون، فالنظام يهيمن على كل فضاءات الثقافة وأدواتها في البلاد، ويسيطر عليها، كما يسيطر على حقول النفط والغاز في الصحراء، وهو يجتهد بكل طاقة لإفشالها وشل فاعليتها، وجعلها بوقا في خدمته دائما (3).

المطلب الثاني: تطبيقات في تجارب الاغتراب:

نموذج من الاغتراب اللغوي - الهوياتي / أدب المنفى

1- الاغتراب اللغوي (Aliénation Linguistique):

تناوله " أريك فروم " وذلك أثناء مناقشته للموقف، الذي يصبح فيه المرء واقعا تحت وهم، مفاده أنّ نطق الكلمة يعادل التجربة. وفي هذا الموقف فإن اللغة، تجعل من نفسها بديلا عن التجربة المماثلة، وبالتالي تكفّ عن أن تكون ما ينبغي أن تكون عليه أي رمزا

1 - <http://www.dw.com>توفيق بوقاعدة، " النخب الجزائرية تنصل من دور محوري وإرتماء في حضن السلطة "،

مستخرج من الرابط الالكتروني التالي: بتاريخ 2016/09/28 على الساعة 18سا50د

2 - نفس الموقع، نفس تاريخ التصفح.

3 - نفس الموقع.

للحقيقة؛ ولهذا السبب فإنه يصف اللغة هنا بأنها مغتربة⁽¹⁾، فاللغة تصبح مغتربة عندما تقع تحت وهم؛ أنّ نطق الكلمة يساوي الشعور بها، ويضرب مثالا على ذلك بكلمة "إني أحبّك"، فعندما أقول هذه الكلمة، فإن ذلك يتضمن وجود حقيقة في داخل نفسي هي "قوة حبّي"، وكلمة حب هي رمز لهذه الحقيقة الداخلية، ولكن عندما تنطق الكلمة فإنها تبدو حياة بذاتها"⁽²⁾.

يتحدث "إريك فروم" أيضا عن اغتراب اللغة، في مجال آخر، وهو نقد طابع التجريد الفكري، الذي يميّز حياة الإنسان المعاصر؛ فعلى سبيل المثال عندما نقول: " أنتج مستر فورد عددا من السيارات"، أو عندما أقول: " بنيت بيتا"، فإن مثل هذه العبارة تكون مضلّة، وتخفي كثيرا في الحقيقة، فالواقع أنني لم أبني بيتي وإنما قام ببنائه آخرون!" والملاحظ أن هذا النوع الأخير من خداع اللغة.

يتحدث عنه "هربرت ماركيز" حيث يرى أن المجتمع الصناعي المعاصر، يلجأ إلى الإكليسيهات، والشعارات، والعبارات المرعبة؛ الأمر الذي يزيّف الدلالات، ويميّع المعنى الحقيقي للأشياء؛ ويحاول "ماركيوز" أيضا أن يكشف عن الطابع العقلائي، الكامن في عقلائية اللغة⁽³⁾.

ودائما في سياق الاغتراب اللغوي، حدّد الفيلسوف الوضعي "لودفيغ فيتغنشتاين"⁽⁴⁾ (1889/04/26م - 1951/04/29م)، مفهومه للغة لديه قائلا³: "عالمي هو لغتي"،

1 - ريشارد شاخت، المرجع سابق الذكر، ص 197.

2 - إريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة. فؤد كامل، مصر، مكتبة غريب، 1978، ص 71.

3 - سهير عبد السلام، " مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيز"، المرجع السابق، ص 85.

4 - جمال حمود، " فلسفة اللغة عند فيتغنشتاين"،

3- مسترجع من البريد الإلكتروني: www.goodreads.com/book/show/10359433

لودفيغ فيتغنشتاين هو: فيلسوف نمساوي له مؤلفات عديدة أهمها: "رسالة منطقية فلسفية" و"تحقيقات فلسفية"، له أسلوب نيتشوي، اهتم باللغة، واعتبرها الطريق الوحيد إلى المعرفة، والوسيلة لفهم تكوين المعنى في الخطاب، فكل شيء يحدث داخل اللغة. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: www.google.com/bookshow/1035943 بتاريخ: 2016/08/15، على الساعة 22ما 54د.

وهو مفهوم لا يكاد يختلف في دلالاته وعمقه، عمّا ذهب إليه " هايدغر "، من اعتبار " اللغة هي مأوى الوجود "؛ وعمّا وصلت إليه بعض الاتجاهات في فلسفة اللغة، من تشبيه اللغة بدائرة مغلقة، تتحدد من خلالها رؤية الناطقين بها، إلى العالم حولهم وإلى الوجود بشكل عام. وقياساً على ذلك، فإن الجزائري الناطق باللغة العربية منشأً وأصلاً، هوية وازدياداً، تكون رؤيته للعالم ونظرته للوجود، قد حدّدت بلغة المنشأ والمولد؛ بحيث لو تحدّث بلغة أجنبية يتقنها، فلن تحيّد رؤيته، أو يبتعد تفكيره عن المنظور اللغوي الأصلي للوجود؛ فهو يتحدث لغة فرنسية أو إنجليزية، لكن من خلال البنية الذهنية، للدائرة الأصلية المتمثلة في اللغة العربية، اللغة الأم. وبذلك فإن العلاقة بين اللغة والفكر، هي علاقة تماهي، فالفكر لغة واللغة فكر. ونحن جميعاً نفكّر، من خلال لغتنا المتداولة، و بها نفكر⁽¹⁾؛ فهل نجد لهذه الخلفية الفلسفية من موقع، داخل منظومتنا المعرفية، بناءً على ما مرّ به المجتمع الجزائري، من ظروف كولونيالية عصبية وطويلة الأمد؟.

1- الاغتراب اللغوي: أنموذج الكاتب والروائي مالك حداد (1927-1978م)

2- الإغتراب الثقافي: أنموذج السوسيوولوجي جمال غريد (1943-2006م): في مسألة الثنائية الثقافية

لم يكتف الاستعمار الفرنسي، من احتلال الأراضي الجزائرية ونهب خيراتها، بل امتد إلى نهب الممتلكات الرمزية لهذا الشعب؛ من خلال تدمير بنيته الرمزية، ممثلة في اللغة، والثقافة، والعادات والتقاليد؛ التي هي أساس هوية المجتمع، كما تعرضت له اللغة من المستعمر، لأشكال من الاضطهاد، والتشويه، والتدمير؛ تجلّت في إعطاء دور للنظام

1 - المكي ناشد، " الاغتراب اللغوي في بلاد اللجوء: عقبة أم عتبة؟ "،

مستخرج من البريد الإلكتروني التالي: [http:// fr.Facebook.com/meki.Nachid](http://fr.Facebook.com/meki.Nachid)

بتاريخ 28 فيفري 2017، 13 سا 10 د.

التعليمي الكولونيالي، في فرض لغة المستعمر؛ فمارست عنفا رمزيا، على اللغة المحلية ولهجاتها، وعلى أشكالها التعبيرية، من الفنون والآداب (1).

أدركت فرنسا بأنه لكي تفرض وجودها الاستيطاني في الجزائر، وترسخ أركان وجودها هذا، وتضمن له الاستمرارية، ركّز على أرض " اللغة "، والتي تلعب دورا محوريا، في إعادة تنظيم النظام التمثلي في أي مجتمع، وخلق ارتباكات في نظرة المستعمر لوجوده وللعالم؛ الذي ينبغي أن يعبر عنه من خلال، فصل عرى لغته المحلية، طالما أن وجود الإنسان مربوط إلى شجرة اللغة، وإلى إدراكاته اللغوية لهذا الوجود. ومن ثمّ، فإن تغيير نظام تعبيره، أو على الأقل إزاحة نظامه التقليدي، سيخلق فيه تمزّقات نفسية، وانفصامات ذهنية، وارتكاسات قيمية، من شأنها أن تتركه عرضة، للزمات الوجودية - الهوية.

في هذا السياق الاستعماري تصبح: " اللغة الوسيط الذي يجري من خلاله مفاهيم " الحقيقة"، و" النظام " و" الواقع " راسخة؛ لكن هذه القوة تصبح مرفوضة، في ظل ظهور صوت ما بعد كولونيالي فعّال " (2) ، المسألة في جوهرها، كما يعرفها الباحث الأسترالي بيل أشكروفت (Bill Ashcroft) (*) هي تثبيت الوجود الاستعماري، من خلال توطيد النظام اللغوي الاستعماري، وضمان استمراريته الأبدية؛ حيث يتغلغل هذا الوجود في لاشعور المستعمرات، ويصبح جزءا من وجودها الجديد؛ وهنا تؤدي اللغة هذا الدور الخطير، في

1 - هنده قديد، الحركة الطلابية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (1927-1962) الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين نموذجا - دراسة لعينة من الأعضاء الفاعلين في الاتحاد ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي - جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع، 2011-2012، ص ص 49-50.

2 - خيرى بومة، " بيل أشكروفت وزميلاه: الإمبراطورية تردّ بالكتابة "، الدخول: 02 جانفي 2017 - 16 ساع - 45 د الرابط الإلكتروني: www.academica.edu/8216422/1 بتاريخ: 2016/10/31 على الساعة 16سا 45د.

*- بيل أشكروفت: من أبرز المفكرين الاستراليين، الذين تميزوا بخطاب نقدي، يتناول الآثار الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية؛ التي خلفها الاستعمار على الشعوب التي خضعت للاستعمار، دراسات ما بعد الاستعمارية تشمل، مجالات عدة من الأبحاث أبرزها: الفلسفة وعلم الاجتماع والعلوم السياسية، يركز هذا الخطاب على الفكر ما بعد الحداثة، الذي يربط ما بين نظرية المعرفة، وعلاقات القوة في المجتمعات.

مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: 431363.www.alhewar.org/debat/show_art.asp = بتاريخ 2017/05/28 على الساعة 18سا 45د.

إبراز الطابع المهيمن لهذا النظام، والقائم على تراتبية للقوى؛ في مقابل النظر إلى الآخر بدونية، واعتبار " لغته " لغة بذيئة، لا تعبّر إلا عن تخلف أصحابها وعن بدائيتهم. تلخّص المشروع في جعل المستعمر ينفر من لغته، ويقبل متوهّماً على لغة المستعمر، كتأشيرة للاعتراف به، أو لميلاده الجديد؛ لكن ما لم يتكهن به المستعمر، هو أن هذا الواقع القائم على تراتبية سلطوية " سيد/ عبد قوي/ ضعيف، متحضّر/ متخفّ، والتي سخر لها اللغة لتعزيزها؛ كانت سببا في انبثاق وعي، من داخل هذه المستعمرة، يسائل ذاته ويشكك في مدى نزاهة لغة المستعمر، وفي مدى براءتها من أي نوايا سيئة؛ بل إن هذا الوعي قد جسّدته كتابات، خرجت من أعماق هذه المستعمرة، وعمق المجتمع الجزائري؛ ومعظمها كان نتاج المدرسة الكولونيالية؛ فهمت أن المقاومة هي فعل لغوي، وهي استعادة للصوت المستبعد، أو المكتوم، وأن المستعمر يقاوم لا بالسلاح، لكن بالرّد عليه بالكتابة أي بالخطاب.

1- لغة المستعمر واغتراب الرؤية لدى مالك حداد:

أفرز الواقع الاستعماري الفرنسي " اغتراب اللغة "، لدى كتاب الجزائر المستعمرة. ويتجلّى هذا الاغتراب اللغوي، في هذه الفجوة بين خبرة المكان، وبين اللغة المتاحة لوصف هذا المكان، والخبرات التي تنتج عبر الاحتكاك والتفاعل به؛ حيث تبدو اللغة في هذا السياق، غير كافية لوصف مكان جديد أو مختلف، لا يوجد له بديل على صعيد الدوال، في لغة المستعمر؛ كأن تعجز هذه الأخيرة في وصف حيوانات المنطقة، أو ظروفها المادية والجغرافية أو ممارسات أهاليها؛ هل يعبّر هذا الكاتب عن ظروف وخصوصيات هذه الظروف، بلغة غير مهيأة، لثُمَّل على نحو دقيق تلك الظروف؟ ثمة ضرورة هنا، الممارسات عنيفة داخل هذه اللغة، والاستسلام لشرطيتها الدلالية، والنحوية، والتركيبية؛

والانحباس في تصوراتها الذهنية⁽¹⁾، وبذلك يقول الكاتب ما تريده هذه اللغة، وبذلك نكون أمام مقولتين: مقولة اللغة، ومقولة الذات الكاتبة؛ وهما في حالة تنافر وتضاد مؤلمين.

مالك حدّاد هو نموذجاً تاريخياً مهماً، يبرز العلاقة المتوترة، بين كاتب انفصل بقوة التاريخ عن لغة الأم، فوجد نفسه بين أحضان لغة أخرى؛ لكن العلاقة التي كشفت عن نوع من القلق، أو ربّما التذبذب في الرؤية، والوضوح، في الآن ذاته⁽²⁾.

كتب " مالك حداد " بلغة المستعمر، وإن كان سيفضّل لو أننا وصفنا هذه اللغة، بأنها لغة موليير⁽³⁾، إيماناً منه أن التجربتين الاستعمارية واللغوية، مفصولتين عن بعضيهما البعض، أما مشكلة الجزائري فليست مع اللغة، بقدر ما هي مع الجنرال " بيجو " ⁽⁴⁾.

داخل هذا السياق المشحون بتوترات، حاول حدّاد أن يخضعها، إلى نسق تأملي وجدلي؛ يصيغ رؤية لما يشكّل هاجساً حقيقياً، للكاتب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي؛ فلم

1 - علاء عبد الهادي، " اللغة والقوة "، الحوار المتمدن - العدد 4564 - 04 سبتمبر 2014 - 19 س.د 15 د.

الرابط الإلكتروني: www.elhewar.org/desat/asp/aid=833110.

2 - لونيبي بن علي، " عرض لأبعاد السؤال: هكذا كلم مالك حداد - ما معنى الكتابة بلغة الآخر "، 16 ماي 2014، 20 سا 02 <http://www.yagool.dz/ar/article>.

3 - هو جون باتيست بوكلان، ولد في 15 جانفي 1622م، توفي في 17 فيفري 1673، مؤلف كوميدي، ومسرحي، وشاعر فرنسي، يعدّ أحد أهم أساتذة الكوميديا، في تاريخ الفن المسرحي الأوروبي، " مؤسس الكوميديا الراقية ". مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: بتاريخ 2017/07/23 على الساعة: 21 سا 16 د. <https://org.wikipedia.org/wiki>

4- الجنرال توماس رويبر بيجو دولا بيكونيري (1849-1874م)، رقيّ إلى رتبة مارشال فرنسا في سنة 1843م، تولّى الحكم في الجزائر في 29 ديسمبر 1840م، إلى 29 جوان 1847م؛ حكم بسياسة القهر والعنف، والإبادة، والتدمير، والتهميش، والنفي؛ في إطار الحرب الشاملة التي مارسها اتجاه الجزائريين، ارتكزت سياسته في الجزائر على المبادئ التالية:

- أمن بضرورة توطيد الاستعمار في الجزائر.

- ترسيخ الاندماج من خلال القضاء على مقومات المجتمع - سنّ قوانين زجرية: قانون مصادرة الأراضي، والأموال، والأرزاق، والمحاصيل.

- حشد الجزائريين في المحتشدات، وتجميعهم ومحاصرتهم، لمنعهم من مساعدة الثوار.

- إباحة الحرائق وإتلاف المحاصيل، وطرد ونفي قادة الرأي، إلى ما وراء حدود الجزائر، مثلاً: كاليدونيا- في المحيط الهادي-.

للمزيد: أنظر الرابط الإلكتروني التالي: www.ar.ar.wiki.pedia.org/wiki/ = 431363. بتاريخ 2017 / 10 / 15 الساعة: 16 سا 45 د.

يكتف بتقديم شهادة شخصية، بل أراد أن يكون صوت جيل حاصره التاريخ، ووجد نفسه في معترك أزمات ثقافية ووجودية، كان للغة نصيب كبير في تعميق جراحهم الرمزية.

فاللغة الفرنسية عند " حداد "، هي ذلك المنفى الذي تحوّل إلى وضع درامي، بلغ به مبلغا من التألم الروحي، حيث لم يجد من ينكي هذه الجراح، إلا اختيار أشد الحلول قسوة، وهي التوقف عن الكتابة باللغة الفرنسية، بعد الاستقلال سنة 1962، فصاحب رواية "التلميذ والدرس"، أراد أن يقدّم درسا للتاريخ، حول التزام الكاتب الجزائري بقضايا وطنه؛ مؤمنا أن لا استقلال إلا بفك الارتباط بفرنسا لغويا، واستعادة علاقة الجزائر بمكوناتها الهوياتية، على رأسها اللغة العربية (اللغة الأم).

لم يقدّم لنا " حداد " لاسيما في مقاله الطويل، " الأصفار تدور في فراغ " محاكمة للغة الفرنسية، لكنّه أراد أن يكشف عن الانسداد، الذي طال أنظمة التمثيل الثقافية عند الكتاب الجزائريين، وما أبلغوه من عزلة قاسية، كان من أهم أسبابها غياب القراء بل وانعدامهم، لأن معظم الجزائريين كانوا أميين، وبذلك فإن ما يكتبه الكتاب الجزائريون، كان أشبه بمونولوج داخلي، لا يصل إلى هؤلاء الذين، كانوا ضحايا التاريخ، وضحايا سياسات الاستعمار؛ التي ضربت بثقلها في سبيل تجهيل الشعب الجزائري، ورميه في فم الجهل، ثم الإطباق عليه.

فحينما صدع " بعبارته الشهيرة " الفرنسية منفاي "، لم يكن يقصد بهذه العبارة الذائعة الشائعة، أن يحاكم اللغة الفرنسية، من حيث هي لغة مثل كل اللغات البشرية، وإنما كان يشير إلى الطريق المسدود، الذي وجد فيه الأدب المغربي، المكتوب باللغة الفرنسية عامة، والأدب الجزائري خاصة، ولاسيما أن هذا المنفى انتقل إلى قرائه " (1).

ندرك أن المعضلة عند " حداد " مزدوجة، فهي لا تتعلق باللغة فحسب، من حيث هي لغة، بل أيضا بالقارئ الذي يشاركه محنة المنفى، وعجزه عن قراءة ما يكتب؛ ويستذكر الحادثة التي وقعت له في إحدى مكتبات باريس، حين تحدّث إلى عامل جزائري اقتنى

1 - أحمد يوسف، علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، الجزائر/ الرباط، منشورات الإختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، دار الأمان، الطبعة الأولى، 2013، ص 172.

روايته، وهو لا يعرف القراءة، ومع ذلك أصّر على أن يحملها معه، كون الكاتب جزائرياً. الحادثة كما ذكرها " حداد "، تحمل الكثير من الدلالات، التي ندرك فيها بعمق مأساة القارئ كذلك، الذي قد تتخيل وضعه وهو يتأمل في كتاب، دون أن يقدر على فك شفرته أو أسراره. يعرف حداد القارئ الحقيقي بأنه ذلك الذي لا يقرأ، لكنه في المقابل، هو الذي يصنع التاريخ الذي يكتب عنه الكاتب؛ أي أنه أكبر من يفهم هذا التاريخ، في حين تقتصر وظيفة الكاتب في التعبير عن ذلك الفهم.

يقول حداد: " هؤلاء القراء الذين لا يقرؤوننا، الذين لا يستطيعون قراءةتنا، في حين أنهم هم الذين يعطون معنى لوجودنا، ومعنى لكتاباتنا، ويمثلون السبب والغاية للثورة الجزائرية، أعني بهم الفلاحين" (1).

إعتراف مهم من حداد، يُنزل الكتاب من أبراجهم العالية، ويقلل من تعاليهم الذي قد يبلغ شأنًا، يكون الكاتب سلطة قمعية، ومطلقة على القراء، بالنسبة له، هؤلاء الفلاحين هم القراء الحقيقيون، بل هم الذين يكتبون التاريخ، ويعيشونه من الداخل، ويساهمون في صناعته. غير أن المشكلة تكمن في أن الكاتب الجزائري، حين يكتب عن صانعي التاريخ، فهو يكتب لقراءه الحقيقيين الذين لن يقرؤوا له، وربما لم يسمعوا به. تلك هي مأساة الكتاب الجزائريين، مأساة مالك حداد، وكاتب ياسين⁽²⁾، ومولود فرعون⁽¹⁾، ومولود معمر⁽²⁾.

1 - مالك حداد، الأصفر تدور في فراغ، ترجمة: أحمد منور، دار الألمعية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012، ص 11.
2 - كاتب ياسين: هو كاتب وأديب جزائري من مواليد 02 أوت 1929 بالكننور (زيغود يوسف) بمدينة قسنطينة، وتوفي بتاريخ 28 أكتوبر 1989 بغرونوبل الفرنسية؛ واسمه الحقيقي (محمد حلوطي)، هو أحد عمالقة الأدب الفرنكفوني، من أشهر رواياته (نجمة)، كتب الرواية، والمسرح، والشعر، وعمل في الصحافة، وحظي بشهرة عربية وعالمية، لقب "بنبي العصيان"، و"الثوري المتمرد"؛ من مؤلفاته:

- مناجاة (1946)،
- أشعار الجزائر المضطهدة (شعر 1948)،
- نجمة (1956)،
- ألف عذراء (شعر 1958)،
- المضلع النجمي (رواية 1966)،
- ذكرى القصاص (مجموعة مسرحيات 1959)،

- فلسطين المخدوعة،
- حرب الألف عام،
- الرجل ذو النعل المطاطي (مسرحية 1990).
- أطلقت بلدية الدائرة الثالثة عشرة في باريس، على حديقة تقع قرب مقرها على كاتب ياسين. مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <https://ar.wikipedia.org> بتاريخ 09 نوفمبر 2018، على الساعة 19 سا 40د.
- 1 - مولود فرعون: هو أديب وكاتب جزائري، من مواليد 08 مارس 1913 بتيزي هييل قرية تاويريرت ولاية تيزي وزو، وتوفي في 15 مارس 1962 بالجزائر العاصمة، اغتالته منظمة الجيش السري الفرنسية بين عكنون، قبل أربعة أيام من وقف إطلاق النار، الذي شكل الخطوة الأولى لنهاية الثورة الجزائرية واستقلال الوطن.
إلتحق بالثانوية بتيزي وزو، وبعدها بمدرسة المعلمين ببوزريعة بالعاصمة.
تخرج في مدرسة المعلمين، واندفع للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتعليم، حيث عاد إلى قريته التي عين فيها مدرسا سنة 1935؛ وفي سنة 1957 التحق مرة ثانية بالعاصمة مديرا لمدرسة نادور بلكو سلامبيه (المدنية حاليا)، كما عين في سنة 1960 مفتشا لمراكز اجتماعية كان قد أسسها أحد الفرنسيين في عام 1955، وهي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل فيها، قبل أن يسقط برصاص الغدر والحدق الإستعماري في 15 مارس 1962، حيث كان في مقر عمله، مهموما بقضايا العمل، وبواقع وطنه خاصة في المدن الكبرى في تلك الفترة الانتقالية. من مؤلفاته (وجميعها باللغة الفرنسية):
- ابن الفقير (1950)،
- الأرض والدم (1953)،
- أيام قبائلية (1954)،
- الدروب الوعة (1957)،
- أشعار سي محند (1960)،
- الذكرى (1972)،
- مدينة الورود (2009)؛
- ومقالات عديدة وكثيرة نشرت في عدة طبعات فرنسية. من أقواله المأثورة: يقول: "أكتب بالفرنسية، وأتكلم بالفرنسية، لأقول للفرنسيين أنني لست فرنسيا".
- 2 - مولود معمري: روائي وباحث جزائري، من مواليد 28 ديسمبر 1917، ببني يني بتيزي وزو، وتوفي بتاريخ 26 فيفري 1989 بعين الدفلى؛
أرسى قواعد اللغة الأمازيغية، وكرس حياته للبحث والتتقيب في ثقافة الأمازيغ، أدى منع إحدى محاضراته في جامعة تيزي وزو عام 1982، إلى ما يسمى بالربيع الأمازيغي، اشتهر بمؤلفاته المكتوبة باللغة الفرنسية.
- بدأ تعليمه الأولي في مسقط رأسه، وفي سن الثانية عشرة (12) سنة، انتقل للدراسة إلى مدينة الرباط، وعاد بعد أربع سنوات إلى الجزائر، ثم انتقل بعدها إلى باريس، والتحق بالمدرسة العليا للأساتذة.
- في عام 1940 عاد إلى الجزائر مجددا، والتحق بكلية الآداب بجامعة الجزائر، وهي الفترة التي نشر فيها سلسلة من مقالات بمجلة (أكدا) المغربية، حول المجتمعات الأمازيغية، من خلال تناولها ببعث أنثروبولوجي، ساهم في تطوير اللغة والثقافة الأمازيغيتين.
- غادر الجزائر عام 1957 إلى الرباط مجددا، وهي المحطة التي سمحت له بالتعرف بكتاب "مغاربة أمازيغ" وإثراء مداركه في علم اللسانيات الأمازيغية، حيث قام بمحاولات لتأسيس قاموس أمازيغي موحد بين دول المغرب الكبير.

ويختزل حدّاد هذه المأساة بقوله: " وفي كل مرة كنت أفكر في هذا القارئ المثالي، في هذا الفلاح المنشغل اليوم بأمور أخرى، في هذا الفلاح الذي لا يقرأ لي، والذي أكتب له".

- بدأ مساره مدرسا بين 1964 و1972 على تدريس اللغة الأمازيغية في الجامعة، خلال الفترة الممتدة بين 1960 و1980، تولى معمري رئاسة المركز الوطني للأبحاث الأنثروبولوجية، ودراسات ما قبل التاريخ، وفيها أصدر مجلة علمية متخصصة تحمل عنوان: "ليببكا".

- في 10 مارس 1980 منعت السلطات الجزائرية إلقاء محاضرة بجامعة تيزي وزو بعنوان: "الأدب الشعبي القبائلي"، ما أدى إلى احتجاجات عارمة، أصبحت تسمى في ما بعد بـ "الربيع الأمازيغي"، وفي عام 1982 أسس معمري بباريس مركزا للدراسات والأبحاث الأمازيغية.

- المؤلفات:

- الهضبة المنسية أو الربوة (رواية 1952)،

*في ما يخص هذه الرواية كتب عميد الادب العربي الراحل المصري طه حسين، في دراسة نقدية ضمن كتابه " نقد وإصلاح" جاء فيها التالي: "كتاب الربوة المنسية: دراسة اجتماعية عميقة دقيقة، تصور أهل هذه الربوة في عزلتهم، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها؛ فلم يكادوا يذكرون أحد غيرهم من الناس، وهم يجهلون ما وراء الجبال التي تقوم دونهم، لا يعرفون إلا حين يضطرون إلى ذبلك اضطرارا، وما أقل ما يضطرون إليه، وهم لا يشعرون بالحكومة، إلا حين تجبي منهم الضرائب، على ما تثمر لهم الأرض وما يكسبون من المال...".

- غفوة العادل (رواية 1955)،

- الأفيون والعصا (رواية - فيلم - 1965)،

- العبور (رواية 1982)،

- سي محند أمحمد (قصائد شعرية 1965)،

- موظفة البنك (مجموعة قصصية 1973)،

- أشعار القبيلة (ديوان شعر 1980)،

- أسس مجلة "أوال" (الكلمة 1982)،

- تاجرومت (عمل في النحو الأمازيغي 1982)،

- مقالات أنثروبولوجية منشورة، وتهتم بالمسألة الأمازيغية.

*الجوائز والتكريمات:

- جائزة الدكتور هونور عام 1988،

- كرم بالدكتوراه الفخرية من جامعة السربون بفرنسا.

*توفي في حدث مرور يوم 26 فيفري 1989 في ولاية عين الدفلى (150 كيلومتر غرب الجزائر العاصمة)، خلال عودته من ملتي عقد بمدينة وجدة المغربية، ودفن في قريته تاويريرث.

*من أقواله: "نحب الحياة مثل كل أحياء هذا العالم، لكن ليس أي حياة". مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: " :// https : www.imararab.org.Iqt-wnqshT ، بتاريخ 15 أبريل 2018 ، على الساعة 19 سا 12د.

لهذا، ينتاب الكاتب إحساس بالعزلة، وبفضاعة اليتيم، وبالانقطاع عن واقع، من المفروض أنه يمثل متلقياً لأفكاره، وصوره، وهواجسه؛ حيث يغيب القارئ، أو يتمم الكاتب به، فذلك يعني عند حداد "استحالة الكتابة"؛ إذ تفتقد الكتابة وظيفتها كوسيط بين أفكار الكاتب وقارئه المثالي، وتستحيل إلى صمت من نوع آخر، يتلبس الكاتب في عزلته الأبدية والمؤلمة، كما تتحول الكتابة بلغة الآخر إلى انتقاء لجوهر الكتابة بذاتها، وتغدو النصوص منافي باردة، تصنع الكاتب هدفاً لوخر الحنين، لا إلى الوطن بل إلى اللغة الأولى، اللغة الأم.

ما كتبه حداد هو كبوابة المنفى الرمزية، تلك التي تستبدل الأوطان باللغات، وتغدو هذه اللغة/لغة الآخر المستعمر، بمثابة عزلة وجودية، فكتابة المنفى "لا يسكنها الحنين فقط إلى طفولة المكان، بل إلى طفولة اللغة الأم أيضاً؛ من منطلق أن طفولة اللغة، تربة لها قداستها وسحرها العجائبي، وتركيبها المنطقي الخاص، وتتمتع بحماية الذاكرة" (1).

يضعنا حداد أمام رؤيتين يفسر بهما مأساة الكاتب الجزائري:

1- الرؤية الأولى تتعلق بغياب القارئ،

2- الرؤية الثانية تتعلق بالحنين إلى اللغة الأم.

تأملات في الازدواجية اللغوية: اللغة الفرنسية وأطياف مولير، أن المفارقة في موقف حداد من لغة المستعمر؛ أنه اجتهد لكي يفصل بين نظرتيه إلى اللغة الفرنسية، باعتبارها هي منفاه الرمزي، وما أحدث ذلك في حياته الأدبية، من شروخ تتسبب في عزله، وتيتمه؛ وبين الاعتراف بالوجه التنويري في هذه اللغة بالذات؛ وكأن لسان حاله يقول: قد تكون الفرنسية منفاي، لكنها أيضاً بوابتي إلى العالم، وإلى فكر الأنوار، وإلى الحضارة. هل نحن أمام نظرة متناقضة مع أنفسنا؟

1 - أحمد يوسف، المرجع سابق الذكر، ص 173.

في البداية ينبغي أن نضع نظرة حداد للغة وإشكالياتها، في سياقها التاريخي، حيث كانت لمقولات كالاتزام والنضال السياسي، ووظائفية الكتابة، والتزامها التاريخي والأخلاقي؛ مقولات ذات دلالات متجذرة في تلك المرحلة، بل ومفتاحية، لفهم الطبيعة التاريخية، لأفكار جيل من الكتاب، الذين نشأوا داخل فضاء ثقافي، أخلّ بالتوازنات الثقافية واللغوية، في وعي الكتاب الجزائريين؛ ولم يكن طبعا مالك حداد الوحيد، الذي أحسّ بهذا الخلل، وإن كان ربما يمثل الصوت الأكثر وضوحا وجرأة، في طرحها بكل أبعادها ولاسيما الوجودية.

لم يؤمن حداد بأن الكتابة هي شأن فني بحت، وأن وظيفة الكاتب تقتصر هنا فقط في إنتاج الجمال والفن، وتربية الأذواق على الجميل؛ بل كانت الكتابة لديه انخراطا، في الحياة وفي التاريخ؛ هي أداة من أدوات النضال السياسي، الذي يهدف إلى إحداث اليقظة الوطنية، والوقوف في وجه الإمبريالية الغاشمة؛ هي أيضا تمثيل كل تلك الطبقات الكادحة، التي تعجز عن تمثيل نفسها، وانتشالها من براثن الصورة النمطية، التي رسختها السرديات الأوروبية، وأرادت بها إقناع هذه الشعوب بتخلفها التاريخي، وببدائيتها، ووحشيتها، إلى غير ذلك من الصور، التي تزخر بها الأدبيات الكولونيالية.

يعي حداد جيدا أن الكاتب الجزائري الذي يكتب بلغة المستعمر هو ضحية التاريخ، ضحية أقداره المشؤومة، وهو مؤمن بأن الكتابة باللغة الأم، يكون أصدق وأكثر قدرة على التعبير عن حقيقة أفكاره؛ وسيكتشف الكتابة بهذه اللغة ذاتها، من حيث هي جزء من معالم هوية المجتمع الجزائري؛ لكن تظل هذه الأفكار مجرد أمانى بالنسبة للكاتب، ما جعله ينتبه إلى ضرورة ممارسة نضاله بلغة المستعمر، لأن لا بديل له في ذلك الظرف التاريخي، فقد صارت لغة المستعمر، بالنسبة للمستعمر وسيلة تحرير فعالة " (1).

ثمة وجه مشرق في هذه اللغة، يقول حداد، وهو تراثها الأدبي والفكري والحضاري، وفي هذا الجانب، يعترف حداد بجميها، ويتمثل هذا الجميل في " احترام ضيافتها " للكتاب

1 - مالك حداد، الأصفار تدور في فراغ، المرجع سابق الذكر، ص 25.

الجزائريين؛ وهنا يتذكر كلاما قاله الكاتب الكبير " مصطفى كاتب"، يلخص الفكرة بحق: " لقد قاومنا " بيجو " ولكن لم نقاوم موليير .. " (1)، هذا ما يسميه حداد نفسه بـ " المفارقة التاريخية العجيبة "؛ فموليير بالنسبة للجزائريين ليس غريبا عنهم، وليست له أية علاقة بالقوة الاستعمارية، بل على العكس تماما، يمثل أده صرخة في وجه الاضطهاد، الذي عانى منه شخصا في حياته، ويقدم درسا في التاريخ على أن معنى أشكال الاضطهاد، هو الذي يتأسس من الداخل؛ فالعدو الحقيقي هو السيد الإقطاعي، الذي عرف موليير من خلال مسرحياته، كيف ينزع عنه قناعه، ذلك الإقطاعي الذي يمد يده للمحتلين في الجزائر (2).

ندرك أن حداد كان يسير نحو فكرة، " الإزدواجية اللغوية " كحلّ لا مفر منه، فحتى لو أن اللغة العربية بعد الاستقلال، ستعود لتتبوأ موقعها الطبيعي، فإن هذا لن يشكّل خطرا على اللغة الفرنسية، لأن هذه الأخيرة أصبحت تشكّل، جزءا من التراث الوطني. نفهم أن المستقبل سيكون - كما كان يحلم به حداد-، هو للتعايش بين اللغات في الجزائر.

يقول الراحل بختي بن عودة: " ليست الفرنسية (لغة الآخر الذي هو المستعمر)، ذلك المجال اللساني والمادي، الذي يترجم قوة المدفعية والنار، التي تعطلّ نمو الطبيعة؛ بل هو مجموع القيم المنحدرة، من الفلسفات والتواريخ، أي من كتابات، تفكّر ذاتها لتستطيع وضع صورة الغير، في كتاب أو في لوحة أو في مفهوم؛ لنكن عقلانيين ونتعلم التميز والتأمل، ولنذهب نحو تفادي شر القوم " (3).

ما تطرحه الإزدواجية اللغوية، هي نبذ فكرة محاكمة اللغات، وتمريغ اللغة في وحل الإيديولوجيات؛ لأن لغة الآخر هي أيضا ذلك المكان، المضيف الذي يستوعب المختلف؛ المكان الذي يكون للعقلانية حضورها الضروري، لتكون سداً منيعا، في وجه التشريعات

1 - نفس المرجع، ص 29.

2 - نفس المرجع، ص 29.

3 - بختي بن عودة، ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، مقارنة تأويلية الخطيبي نمونجا، " الجزائر، دار الأديب للنشر والتوزيع، د ط، دون تاريخ، ص 119.

العرقية واللغوية؛ إنها أيضا طريقة لممارسة " الحوار "، معنى تزويب الهوية، لكن هي طريقة أيضا للإقبال على " الكوني "، ونحو مزيد من الوعي بالذات، وهي كذلك تضمن " إخصابا " للوعي واللسان معا.

أليست اللغة الفرنسية هي الجسر الذي أوصل، حداد، وكاتب ياسين، ومحمد ديب، وآسيا جبار، وغيرهم إلى العالمية؟

كتب حداد يقول بنوع من الاعتراف: " إنني في اللغة الفرنسية في منفى، غير أن بعض المنافى يمكن أن لا تكون غير مجدية، وإنني أشكر من كل قلبي هذه اللغة، التي مكنتني من أن أخدم، أو أحاول أن أخدم بلدي الحبيب " (1).

لقد فهم بعيدا عن أي تأسّي مفرط، بأن الفرنسية كانت له، سندا في خدمة قضية بلده، وهذا ما يعكس الرؤية المتوازنة، في فهمه لوظائفية اللغة، في شرطيتها التاريخية، حتى تغدو وسيلة لا هدفا في ذاته، وحينما يكتب الكاتب وعيا بذاته، وبأهدافه، وبقضاياها.

- من يكون الكاتب الجزائري؟ جدل التاريخ والجغرافيا:

يمكن أن نختم في هذا البحث بسؤال، طرحه حداد " من هو الكاتب الجزائري؟ "، ما هي المعايير التي تكشف عن هوية الكاتب الجزائري؟ هو تساؤل عن الكتاب الجزائريين وليس عن الكتاب في الجزائر؛ فبين العبارتين اختلالات دلالية واضحة، من جهة أخرى فإن السؤال الذي طرحه كان في واقع الأمر، إعادة تمثّل ذات السؤال، الذي طرحته مجلة فرنسية، قامت بعملية سبر لآراء كتّاب، يفترض أنهم جزائريون، وبطبيعة الحال، كان معظم المستجوبين من الكتاب الفرنسيين، المقيمين في الجزائر بصفتهم كتّابا جزائريين.

كان لابدّ أن ننتبه إلى أن الكاتب الجزائري، كان يبحث عن انتشار نفسه، من ركام التعريفات والتصورات، حول من يكون الكاتب الجزائري، لما كان الكتاب الفرنسيون يدعون إلى هوية جزائرية لما يكتبونه؛ وكانت حركات مثل حركة الجزائر دعت، إلى تأسيس جمالية

1 - مالك حداد، المرجع سابق الذكر، ص 34.

مغايرة للجمالية الميتروبوليتانية؛ وكما يعتبرون أنفسهم كتّابا جزائريين، كما أن المنضوين في مدرسة الجزائر، كانوا هم أيضا يحدهم هذا الهدف، لتأسيس حركة أدبية جزائرية، تعلن عن ميلاد أدب جزائري جديد، يكتبه كتّاب فرنسيون، ولدوا في الجزائر وعاشوا فيها أمثال " ألبير كامو ".

إذا كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم كتّابا جزائريين، فمن يكون حداد، وكاتب ياسين، ومحمد ديب، وفرعون؟

هل المسألة تختزل في جدل الانتماء إلى حساسية في الكتابة، أم إلى هوية قومية، وسياسية، وقيمية، وتاريخية؟ هنا يقول حداد " أن عبارة " كاتب جزائري"، تحمل في نهاية المطاف غموضا، من حيث أننا لا نتفق على مضمونها، ولا حتى على كلمة " جزائري " أو على صفة " جزائري ". إن الكاتب نتاج التاريخ، أكثر منه نتاج الجغرافيا؛ فالجغرافيا احتمال أما التاريخ فلا. إنني أرى أن كل هذا الغموض، وهذه المعاناة في البحث عن تعريف نشأ من مأساة اللغة، وهذه المأساة تأتي من التعبير الفرنسي لكتّابنا " (1). الحل عند حداد هو تحديد مفهوم " الجزائري "، كمفهوم تاريخي لا جغرافي، طالما أن الجغرافيا ليست أكثر من احتمال؛ وأن العيش في مكان، لا يعني بالضرورة الانتماء إليه، إن لم يكن لوجوده امتدادا في التاريخ.

نطرح هنا فكرة الأصل بمعناها التاريخي، أي ذلك الجذر الذي يمكن الرجوع إليه، للقاء بالأجداد وبالتراث وبالعادة والتقاليد، والمنظومات التصويرية والذهنية والرمزية، التي أنتجتها الجماعة منذ قرون، ولذا يرفض حداد اعتبار الجزائر أمة بلا تاريخ.

2- أنموذج السوسيوولوجي جمال غرّيد (الإغتراب الثقافي):

رحلة البحث عن الذات الجزائرية، قبل القيام بقراءة متأنية في فكر، عالم الاجتماع الراحل جمال غرّيد، الذي لم يكف عن مناقشة السؤال، مسارا للوصول إلى الإجابات، التي

1 - مالك حداد، المرجع السابق الذكر، ص 52.

أثرت ولانتزال، في إشكاليات سوسولوجيا الغرب والجنوب، والمعرفة، والمجتمع؛ وفي أنثروبولوجية الجزائر.

سنعرض " اختصارا " السيرة الذاتية لهذا الأستاذ الكبير، قبل عرض أفكاره من خلال مؤلفه العلمي " الاستثناء الجزائري ".
المولد والنشأة (1):

ولد جمال غريد في جوان 1943 بطولقة (ولاية بسكرة)، في عائلة تقليدية ذات ثقافة عربية- إسلامية، جدّه الحسيني كان يدرس اللغة العربية والفقّه، بزاوية طولقة (سيدي علي بن عمر)؛ بعدما كان تلميذا بها- كان من أعيان طولقة، ثم تولّى بعدها مهام الدفاع (المحاماة)، بالمحكمة الإسلامية لطولقة في العشرينيات.

وجد ابنه الهاشمي (أبو جمال) الطريق معبداً أمامه، ونظراً لمعرفته باللغة العربية، والقانون الإسلامي- قاضي مستشار- خاصة في الإرث.

المسار التعليمي:

بعد التعليم الابتدائي (بالمدرسة القرآنية) وبزاوية طولقة، تحصّل على شهادة التعليم المتوسط في سنة 1952، باللغة العربية (الإعدادية).

دخل المدرسة الفرنسية، وكاد أن ينقطع عنها سنة 1956، وأثناء الثورة التحريرية الجزائرية، كان يكتب على جدران المدرسة " تحيا جبهة التحرير الوطني "، تمكّن المعلمون الفرنسيون من التعرف على خطّه، ولولا حمايته من طرف معلّمته، زوجة المدير، لما تابع دراسته.

نجح في جوان 1956 في مسابقة الالتحاق، بمستوى " السنة السادسة " للمعاهد، وجّه كتلميذ في النظام الداخلي بقسنطينة، وبتأنيو الفرنكو- إسلامية (حيي المكي اليوم)⁽²⁾.

1 - محمد بشير، جمال غريد السوسولوجي والأنثروبولوجيا صاحب الثنائية الثقافية، تعريب: محمد بشري، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، 2017، صص 11-13 (بتصرف).

2 - محمد بشير، المرجع السابق الذكر، ص 13.

- تحصّل على البكالوريا 1 وبكالوريا 2 "، نظام تعليمي فرنسي " سنة 1963.
- التحق بعدها بجامعة الجزائر، حيث زاول مهنة التدريس، بصفته معيدا سنة 1968.
- تحصّل على شهادة الدكتوراه حلقة ثالثة، سنة 1978 بجامعة باريس 7، وكان موضوعها: " نظام التعليم وعلاقته بنظام التعليم في الجزائر " .
- نال شهادة دكتوراه دولة، بجامعة باريس 7 عام 1994.
- وكان موضوع الأطروحة " التصنيع، طبقة العمال والسوسيولوجيا نموذج الجزائر " من مؤلفاته: باللغة الفرنسية (1):
- الاستثناء الجزائري (2007)
- مدخل إلى علم الاجتماع: حدود الجامعة الأوروبية (2013)
- ثلاث دراسات حول المادية التاريخية وعلم الاجتماع.
- علم الاجتماع في العالم العربي من الإتياع إلى الإبداع (1990).
- العامل الشائع، عناصر للاقتراب من الوجه الجديد للعامل الصناعي الجزائري، إنسانيات، (1997).
- بالإضافة إلى نشره عشرات المقالات والأبحاث العلمية، في المجلّات العلمية، والجرائد الصادرة بالعربية والفرنسية.
- سئل الفيلسوف الفرنسي " ميشيل فوكو " أين توجد الحقيقة؟
- فأجاب قائلا: " الحقيقة موجودة في الهامش "، ولمّا تحدث الفيلسوف الألماني " شيلر " عن الصورة النمطية، التي يمكن للباحث أن يغوص في مقتضياتها المعرفية، والاجتماعية، التمس حيثياتها مسترسلا: " تسكن الحقيقة في الهاوية " .
- هكذا كانت اعتبارات البحث في اللامفكر فيه، وكذا اللامنطوق، عند السوسيولوجي الجزائري " جمال غرّيد "، من خلال أعماله الأكاديمية، ودراساته العلمية المتباينة، بين الأبحاث

الأنثروبولوجية، والمؤلفات السوسولوجية والكتابات الإبتيمولوجية؛ في مسألة ثنائية الذات للمجتمع الجزائري، تجسّد في كتابه المعنون " الاستثناء الجزائري " الصادر عام 2007 (1).

شخص السوسولوجي غريد وحلّ، من منظار علمي بحث، مواطن الداء في المشهد السوسولوجي والأنثروبولوجي للجزائر؛ حيث اعتقد اعتقادا راسخا، بأن مجتمعنا هو بحاجة ملحة، لمعرفة نفسه موضوعيا وحميميا؛ لأن هذه المعرفة هي شرط لازم للعمل حول نفسه.

فمع بداية التحولات السياسية، والدخول في مرحلة التعددية الحزبية بداية التسعينيات، وما أنجز عنها تباعا، تغيرات اجتماعية عميقة، عرفت الجزائر آنذاك، وبرزت بوضوح العناصر الثقافية والهوياتية، كطرح الإسلام السياسي كبديل للتغيير، ومسألة الأمازيغية ودسترتها..؛ فكان أن طرح الأستاذ غريد أفكارا، تحاول أن تعطي تفسيرات، للأزمة المتعددة الأوجه، التي عاشها المجتمع الجزائري، في تسعينيات القرن الماضي.

هذه الأفكار تجسّدت في مشروع تأملي نقدي؛ بمعنى محاولة الفهم، والعمل متعدد الاختصاصات، لمراقبة المجتمع وهو يتغير؛ ومحاولة الاستماع إلى الثقافة الجزائرية وهي تتشكّل؛ ففتح تخصصا جديدا سماه " أنثروبولوجيا الجزائر المعاصرة "، حيث لم يترك ولا مؤسسة اجتماعية، إلا وتمّ التّطرق إليها؛ وهذا ابتداءا كان بجامعة وهران للعلوم الاجتماعية، حيث قدّم طلبته ما بعد التدرج بالبحث ميدانيا في: المصنع، المؤسسات الصحية، الإعلامية، التربوية، الأسرة، الجامعة وكذا الأحياء... إلخ (2).

يطرح جمال غريد سؤالا ملحا ومقلقا: "ما الذي يحدث في المجتمع الجزائري ولماذا؟! (3).

وللإجابة على هذا السؤال اقترح فرضية قاعدية، تروم فهم الأسباب التي أدت بالجزائر، التي انطلقت انطلاقا جيّدة إلى أزمة عضوية عميقة؛ تشير كل الدلائل إلى أنها مرشحة

1 - Guerrid Djamel, L'Exception Algérienne – La Modernisation a L'Epreuve de la Société, Casbah Editions, Alger, 2007.

2 - محمد بشير، المرجع السابق الذكر، ص 94.

3 - محمد بشير، المرجع السابق الذكر، ص ص 91-96.

للديمومة، ويصل إلى أطروحة في غاية الأصالة والجرأة، حول الثنائية الثقافية للمجتمع الجزائري، في إشارة إلى تواجد وتعايش مجتمعين اثنين، تابعين لحضارتين اثنتين مختلفتين. هذا الانقسام أثر بشكل كبير وعميق، في مسار المجتمع الجزائري، الذي توزع على مجموعتين اثنتين، مجموعة تنتمي إلى الثقافة العربية - الإسلامية، والمجموعة الثانية تعيش - وتفكر حسب أنماط ومعايير الثقافة الغربية.

الطرح الجديد " للأستاذ غريد " المخالف لطرح الباحثين الآخرين (1):

ظل يشتغل " غريد " على هذه " الثنائية، مدة عشرين سنة في " الحالة الجزائرية "، ولاحظ أنه لم يؤخذ في الحسبان، من قبل الشروط الخاصة، التي هي أساس إنتاج المجتمع الجزائري المعاصر، وفي مقدمتها الحدث الاستعماري؛ واعتبر أن المثقفين والباحثين الجزائريين قد تحدّثوا عن جزائريتهم هم، لكن الانطباع بقي أنهم يتحدثون عن الجزائر بكاملها.

كانت حياته الشخصية والزوجية، مرتبطة كثيرا بالحركة اليسارية " الماوية "، المختلفة عن التيار الجذري - الماركسي. وثيق الصلة بجزائريته سجّل دكتوراه عند "بيير بورديو"، لكنه لما اكتشف تعنّت أستاذه، ومحاولة فرض أفكاره توقّف عن التسجيل معه، مع أنه يعتبره عملاقا في "الفكر السوسولوجي" الأستاذ "غريد"، مع قوة تكوينه باللغة العربية، إلا أن كتبه أغلبها كانت باللغة الفرنسية-، وهذه الازدواجية اللغوية تشمل وتخصّ، كل الأكاديميين الجزائريين، باختلاف تخصصاتهم سواء في الأدب، العلوم السياسية، الفلسفة أو التاريخ... إلخ- وقد تطرّقنا في ما سبق، في نفس المبحث، بتحليل علمي دقيق لهذه المشكلة العضوية. كذلك فيما يخص ازدواجية نمط المعيشة والسلوك، في حياة " جمال غريد " فقد كانت زوجته، التي كانت تمثّل التحرر النسوي، الذي كان في أوجه آنذاك، وهذا في اعتقادنا

ينسجم مع أفكاره. فحواراته تختلف عن التدريس، إذ كان يميل إلى التحدث باللغة الفرنسية، ومن حواراته أنه كان يميل، إلى التمسك بالخصوصية الجزائرية (1).

لكن يرى من المهم أن نتساءل، بعد أن حاولنا التنقيب في حفريات هذا الفكر الخصب، لدى جمال غريد، هذه الثنائية الفكرية الذي تميز بها المجتمع الجزائري، عن غيره من المجتمعات العربية، والتي عاشت الصدمة الاستعمارية، أليست إسقاطا لحالة التثاقف، الذي عاشها هذا المفكر، مولدا وتنشئة وتعلما، في عهد كولونيالي أول؛ ثم نضج فكري وعلمي أثناء التحرير؛ فمفهومه للثنائية و أجرتها إمبريقيا، لتجاوز تحيينات الحداثة، والتراث الكوني والمحلي، العصري والتقليدي؛ هذا ما حاول تبيئته ميدانيا، باستدخال مناهج الأنثروبولوجيا، لدراسة خصوصيات مجتمعنا الثقافية، وعناصره الهوياتية والتاريخية.

تركيز البروفسور " غريد " على هذه الثنائية الثقافية، هو انعكاسا لما تركه البعد الثقافي للأيدولوجية الاستعمارية، آثارا مستميتة في النخبة المثقفة عموما، والسوسيولوجية على وجه الخصوص. التي اشتقت من اللغة الفرنسية؛ فهذه الرواسب العميقة المؤثرة، مازالت تعرقل إلى حد كبير، عملية استكمال البعد الهوياتي للمجتمع الجزائري.

هذه الإزدواجية الخطيرة، التي تغمر " جمال غريد "، وتطرحة أمام المجالين الثقافيين، المجال الثقافي الأصلي السابق للعهد الاستعماري، والمجال الثقافي الموروث عن هذا العهد. ولم تكف هذه التركيبة المزدوجة، الضاربة في العمق الهوياتي للإنسان، وجود حالة من الاستلاب الذي يطبع تفكير هؤلاء وهؤلاء، أي الآخر الذي يواجهه عند عرض أفكاره.

1 - أثناء إجراء مقابلة مع السوسيولوجي الأستاذ عبد العزيز راس مال، فقد حدثنا أنه درس عند "جمال غريد" مادة الإبتسميولوجيا في السنة الدراسية 1976-1977، ومادة البحث الميداني (تقرير للتربص)، بالإضافة إلى ملاحظته له أثناء فترة الدراسة، بتميزه بالازدواجية في اللغة والميل إلى الفرنسية، أكثر، مع أنه في أبحاثه يطرح ضرورة التمسك بالخصوصية الجزائرية.

أجريت المقابلة بتاريخ 16 نوفمبر 2016، بقسم علم الاجتماع، بجامعة بوزريعة -2- أبو القاسم سعد الله.

خلاصة

يغطي مفهوم الاغتراب مختلف النشاطات الإنسانية والفعاليات الاجتماعية، ومن هنا يجري التأكيد على الطابع الشمولي لهذا المفهوم؛ الذي يتجاوز حدود النشاطات ذات الطابع السياسي؛ وهذا ما يعني التّحفظ على الموقف الماركسي، حيث يتم توظيف مفهوم الاغتراب في التركيز، على الجوانب الاقتصادية والسياسية للنظام الرأسمالي.

إذا كان مفهوم الاغتراب يقارب، الشرط الإنساني بالدراسة والتحليل، وإذا كان تحليل الظاهرة الاغترابية قد بدأ، مع اللحظة التي بدأ فيها التساؤل يدور، حول بعض الأنظمة الاجتماعية القائمة، كالمجتمع الرأسمالي؛ فإن ذلك كله لا يمنع من التفكير في وضعية الفرد، ومعاينة شروط وجوده الفردي والنفسي؛ ومن ثم تحليلها من خلال مفهوم الاغتراب ذاته. وهنا يجب التأكيد على أهمية، وحدة العوامل النفسية والاجتماعية، بوصفها عوامل بنائية- متكاملة في عملية الاغتراب؛ ويأخذ مفهومه المزدوج هذا إلى أبعاد اقتصادية، واجتماعية، ونفسية، تتصف بالتنوع والتعدد؛ وأسباب تظهريه عديدة، عند النخبة السوسيولوجية الجزائرية.

الجانب الميداني للدراسة

الفصل السابع

مجتمع الدراسة

تمهيد

- محددات الدراسة
- منهج تقنيات الدراسة
- مجتمع البحث وعينة الدراسة
- خصائص العينة

تمهيد:

يكتسي هذا الفصل من الأهمية ما يخوّله، أن يكون لبّ الدراسة العلمية وجوهرها؛ فبعد أن تتم عملية توزيع الاستثمارات وتفرغها، تأتي هذه المرحلة وهي مرحلة عرض النتائج؛ حيث يتم فيها وصف النتائج المتحصل عليها، وإعطائها مصوغات ومبررات، تفسر كيف ولماذا حصلنا على هكذا نتائج؛ وعلى هذا الأساس يتم التوقف عند نقطتين رئيسيتين في هذا الفصل:

أولهما: عرض وتحليل خصائص العينة؛ فبعد أن تم التطرق إلى كيفية اختيار العينة وتحديد حجمها، وانطلاقاً من أهم المتغيرات، المواد دراستها ووصفها، في هذا البحث؛ تأتي في هذا الجزء منه إلى وصف مجتمع العينة، من خلال إبراز الخصائص التي يتميز بها عناصره ومفرداته؛ وهذا من أجل معرفة حجم ونسبة حضور بعض السمات والمميزات، التي يمكن أن تكون ذات أثر على الظاهرة المدروسة.

وثانيهما: عرض وتحليل نتائج الفرضيات، من خلال ما تحصّلنا عليه من الجداول الإحصائية البسيطة والمركّبة، المستوحاة من مؤشرات البحث، التي صورت إلى أسئلة الاستثمار، تهدف بالأساس إلى خدمة متغيرات الفرضيات الرئيسية.

- محددات الدراسة

أولاً: المجال الجغرافي:

يرتبط المجال الجغرافي لأية دراسة بالمكان التي تتم فيه، وعليه فإن مجالنا الجغرافي يرتبط بالجامعة كحقل للدراسة؛ ومنه كان قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر العاصمة، وقسم علم الاجتماع بجامعة أحمد منتوري بقسنطينة، وقسم علم الاجتماع بجامعة باجي مختار بعنابة، وقسم علم الاجتماع بجامعة محمد خيضر بسكرة، وقسم علم الاجتماع بجامعة أحمد بن بلة بوهران، كنموذج للدراسة.

وتمّ اختيار الجامعة كمجال جغرافي للدراسة؛ كونها ذلك الكيان الاجتماعي الذي يتفاعل فيه أفراد مجتمع البحث المتعلق بالدراسة؛ ولأنه المجال الوحيد الذي يتوفر على مفردات مجتمع البحث، المتعلقين بالحقل السوسيولوجي، ويعرفها " ألان تورين " (1) : على أنها نسق جامعي، حيث يرى أنها ليست تعاونية أو مجتمع مصغر، إنه جهاز إنتاج يختلف عن المؤسسات، لكنه يؤدي وظائف خاصة، تخضع للتنظيم العام للمجتمع؛ كما يتوقف على وظائف مصالحة الخاصة وتراكم قوته " وعليه يتم تحديد المجال الجغرافي للدراسة قيد الإنجاز، على مستوى جامعات الجزائر، قسنطينة، عنابة، بسكرة، ووهران.

جامعة باجي مختار عنابة: قسم علم الاجتماع بعنابة:

بدأ تدريس علم الاجتماع بجامعة عنابة خلال السنة الجامعية 1976-1977، تحت وصاية معهد العلوم الاجتماعية؛ حيث يمثل علم الاجتماع إحدى دوائره، وتخرّجت أول دفعة في علم الاجتماع سنة 1980، بلغ عدد الحاصلين على شهادة الليسانس في علم الاجتماع، في تلك الفترة ستة وثمانون (86) طالبا. أصبح معهدا مستقلا خلال السنة الدراسية 1985-1986. يضم القسم سبعة وأربعون (47) أستاذا حاصلوا على شهادة الدكتوراه.

1- Alain Touraine, « Université et société aux Etat unis », Paris, Edition du Seuil, Collection sociologie, 1973, p 100.

قسم علم الاجتماع بقسنطينة:

جامعة قسنطينة -1- منتوري هي جامعة حكومية جزائرية، تأسست في 29 مارس 1968، صمّم مخططات الجامعة المهندس المعماري البرازيلي الشهير أوسكار نيماير، وأنجزت المشروع مؤسسة أكوتيك.

بدأت النشاطات البيداغوجية في سبتمبر 1971، حاليا أصبحت من بين أكبر جامعات الجزائر. أنشئت بمقتضى الأمر رقم 69-45 الصادر في 17 جوان 1969، تضم الجامعة حاليا 38683 طالب مسجلين في مستوى التدرج، و2420 طالبا في مستوى ما بعد التدرج، يبلغ عدد الهيئة التدريسية بالجامعة 1773 أستاذا من رتب مختلفة.

تطبيقا للخريطة الجامعية، ووفقا للجريدة الرسمية (1985)، تم إنشاء معهد علم الاجتماع في نوفمبر من سنة 1978، وذلك بانفصاله عن معهد العلوم الاجتماعية، الذي فتح بدوره في شهر سبتمبر 1974⁽¹⁾.

خلال إحداث معهد العلوم الاجتماعية، نجد أنه كان يضم كل من الدوائر: الفلسفة، التاريخ وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى مجموعة من التخصصات.

بدأت النشاطات البيداغوجية في سبتمبر 1971، حاليا أصبحت من بين أكبر جامعات الجزائر. أنشئت بمقتضى الأمر رقم 69-45 الصادر في 17 جوان 1969، تضم الجامعة حاليا 38683 طالبا مسجلون في مستوى التدرج، و2420 طالبا في مستوى ما بعد التدرج، يبلغ عدد الهيئة التدريسية بالجامعة 1773 أستاذا من رتب مختلفة.

قسم علم الاجتماع يندرج ضمن كلية العلوم الاجتماعية. يضم القسم واحدا وثلاثون (31) أستاذا حاصلًا على شهادة الدكتوراه.

1 - فضيل دليو، "الجامعة: تنظيمها وهيكلتها (نموذج جامعة قسنطينة)"، مجلة الباحث، السنة الأولى، قسنطينة، الجزائر، جوان 1995، ص 231.

قسم علم الاجتماع بجامعة محمد خيضر بسكرة:

افتتح المعهد في جامعة محمد خيضر في السنة الجامعية 1996-1997، وهو يضم اليوم ثلاثة تخصصات في علم الاجتماع الحضري، وتخصص تربوي، وعلم الاجتماع الإتصال.

يضم قسم علم الاجتماع مائة وثمانية (108) أستاذًا، تحصّلوا على شهاداتهم العليا من جامعات وطنية وأجنبية.

قسم علم الاجتماع: جامعة أحمد بن بلة - وهران -

يعدّ هذا القسم من أقدم أقسام علم الاجتماع بالجزائر، بعد قسم علم الاجتماع بالعاصمة، حاولنا الحصول على معلومات حول هذا القسم، إلا أننا لم نحصل إلا على عدد الأساتذة حسب الجنس والرتب.

يضم القسم سبعة وخمسون (57) أستاذًا حاصلًا على شهادة الدكتوراه.

قسم علم الاجتماع جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر -2- :

هو أقدم وأعرق قسم تدرّس فيه السوسيوولوجيا، أسّس هذا القسم بموجب المرسوم 209/84 المؤرخ في 18 أوت 1984، والمتضمّن تنظيم وتسيير جامعة الجزائر، وهو امتدادا:

- قسم علم الاجتماع الذي كان تابعا لكلية الآداب بجامعة الجزائر.

- ثم دائرة علم الاجتماع، التي تأسست سنة 1979، وكانت تابعة لمعهد العلوم الاجتماعية⁽¹⁾.

1 - دليل الجامعة الجزائرية، السنة الجامعية 1988-1989، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988-1989، ص 69.

- وفي سنة 2000 وبموجب المرسوم القاضي بإحداث نظام الكليات، تحوّل معهد علم الاجتماع إلى قسم علم الاجتماع، ضمن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تمّ استحداث نظام (ل م د) الليسانس، ماستر، دكتوراه سنة.
- يضم قسم علم الاجتماع ستة وخمسون (56) أستاذا، حاصلًا على شهادة الدكتوراه.

ثانيا: المجال البشري:

إن الحديث عن المجال البشري للظاهرة المدروسة، يعيدنا إلى الحديث عن المشتغلين في الحقل السوسيولوجي في الجزائر؛ والذي يضم المشتغلين في الوقت الحاضر، أي الفاعلين الأنبيين، كالأساتذة في الحقل والذين يقومون بالعملية الأكاديمية، المتمثلة في التدريس؛ وهم موظفون في الجامعة، تم تنصيبهم في قسم علم الاجتماع، على أساس الشهادة المتحصل عليها، والمتمثلة في دبلوم علم الاجتماع، فكان حتميا على الباحثة تحديد المجال البشري للدراسة؛ وانطلاقا من مجتمع البحث الأصلي، والذي يعرف في لغة العلوم الإنسانية: أنه مجموعة منتهية أو غير منتهية، من العناصر المحددة مسبقا ⁽¹⁾.

ويعرف أيضا على أنه مجموعة عناصر، لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة، تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى، والتي يجري عليها البحث أو التقصي ⁽²⁾.

ومنه يعتبر مجتمع البحث الأصلي، المجموعة الكلية لأفراد البحث، والذي يتمثل في هذه الدراسة، إجمالي أساتذة علم الاجتماع عبر التراب الوطني؛ أي على مستوى الجزائر ككل، ومجتمعنا هنا في الدراسة يضم المشتغلين بالحقل السوسيولوجي، من هيئة التدريس الحاملين للشهادات المختلفة، في علم الاجتماع، ويعمدون على تلقين هذا العلم.

1 - موريس أنجرس، المرجع سابق الذكر، ص 298.

2 - نفس المرجع، ص 298.

ثالثاً: المجال الزمني:

يمكننا أن نهتم بموضع في فترة معينة من تطوره، أو في فترات من تقدمه، غير أنه غالباً ما تتم دراسة ظاهرة ما في فترة معينة⁽¹⁾، فعملية البحث تحددها فترة زمنية، لذلك كانت الدراسة محددة بوقت زمني ثم عبر المراحل التالية:

1/- مرحلة الاستكشاف: بدأت هذه المرحلة في هذه الدراسة، من نقطة الإحساس بالمشكلة، التي استدعت اهتمام الباحثة، والتي دفعت إلى ملاحظة علمية، وهي المرحلة التي ظهرت فيها بوادر البحث، كانت هذه المرحلة أواخر 2013 إلى غاية 2014.

2/- مرحلة بناء الموضوع، بدأت هذه المرحلة ابتداء من تحديد إشكالية الدراسة، وفروضها، لتنتهي بمرحلة بناء الاستثمارات؛ وكنت هذه المرحلة على امتداد الفترة من جوان 2014 إلى جوان 2016.

3/- مرحلة الميدان: وفيها يتم النزول إلى الميدان، وتوزيع الاستثمارات على المبحوثين، والتي امتدت من أوت 2017 إلى منتصف 2018.

4/- مرحلة جمع الاستثمارات وتحليلها؛ وتمّ فيها تفرغ الاستثمارات، التي تمّ استرجاعها من ميدان الدراسة.

- منهج وتقنيات الدراسة:

لا يمكن الحديث عن منهج البحث، ما لم نحدّد تعريفاً دقيقاً وشاملاً لمصطلح المنهج، كما أن لكل بحث علمي أكاديمي منهج خاص، يجب على الباحث أن يتّبعه حتى يتمكن من ترتيب أفكاره، وعرض نتائج بحثه بطريقة منظمة؛ وتختلف المناهج باختلاف مواضيع الدراسة والإشكاليات المطروحة.

في هذه الدراسة سوف نعتمد على المنهج الكمي، كما نستعين بالمنهج الوصفي؛ فالمنهج الكمي يقدم نتائج إحصائية رقمية يسهّل تحليلها، حيث تتحول النتائج الرقمية إلى

1 - موريس أنجريس، المرجع سابق الذكر، ص73.

دلالات سوسيولوجية، فهو المنهج القائم على الأعداد، أو كل ما هو قابل للكم، " فالحساب والقياس هما الصيغ التي يستعين بهما المنهج الكمي، ونتيجة البحث التي تأتي على شكل عدد أو مجموعة من الأعداد؛ والتي تعرض عادة في الجداول الإحصائية، أو عن طريق المنحنيات"⁽¹⁾.

كما يسعى المنهج الكمي إلى قياس الظواهر، عن طريق استعمال مؤشرات إحصائية (النسب، المجموع، المعامل، معدل والإحصائيات...إلخ)، ويدعو بطريقة صريحة إلى رقمنة الواقع، أي التعبير عن الواقع الاجتماعي عن طريق استعمال الأرقام. لذا يقال عنه أنه منهج صارم، أكثر علمية وأكثر مصداقية؛ ويرى " موريس أنجرس": "...أنّ المنهج الكمي يهدف إلى جمع معطيات قابلة للقياس، وقابلة للمقارنة فيما بينها؛ هذا الجمع للمعطيات يمكن أن يقام، بالاستعانة بتقنيات الإحصاء الشامل، أو عن طريق إجراءات أخرى، كالتحقيقات بالإستبيان - الإستمارة - ، التي تسمح بتحليل عدد أكبر من المعطيات " ⁽²⁾.

عموماً، فإنّ المنهج الكمي أو الإحصائي، يستند على استخدام الطرق الرقمية والرياضية، في معالجة وتحليل البيانات والمعطيات، وإعطاء التفسيرات والتحليلات التي يراها مناسبة، حسب الواقع الاجتماعي، وحسب المنطق المناسب؛ ويصلح في حالنا هذه، استعمال المنهج الإحصائي، الذي يعتمد على الاستدلال أو الاستقراء، حيث يعتمد الباحث فيه: " على اختيار نموذج أو عينة من مجتمع أكبر، وتحليل وتفسير البيانات الرقمية المجمعة عنها، والوصول إلى تعميمات واستدلالات، على ما هو أوسع وأكبر من المجتمع الأصلي المعني بالبحث "⁽³⁾.

1- Mark Mountousse et Gilles Renouard, **100 Fiches pour comprendre la sociologie**, Ed Bred, France, 2008, p 17.

2- Maurice Angers, **Initiation pratique a la méthodologie des sciences humains**, Armand Colin, Paris, 1995, p 123.

3 - فريد كامل زينة وآخرون، " **مناهج البحث العلمي، طرق البحث النوعي** "، عمان الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع الطباعة، ط2، 2007، ص 122.

حيث يقوم هذا المنهج على معرفة ما تعنيه، تلك الأرقام والنسب، وما تخفيه تلك الإحصائيات، ومعرفة دلالاتها السوسولوجية؛ وذلك أكثر من مجرد وصفها وتفسيرها أو حتى مردّ شرحها؛ أي أنّ العملية تركز على جمع، وتنظيم، وتلخيص، وتقديم، وتحليل البيانات؛ والقيام بتقارير واستنتاجات واضحة ومفيدة.

ففي هذه الدراسة، لا يمكن أن تقدم شرحًا أو تفسيرًا وافيًا للأرقام المتوفرة لدينا، من عملية تفرغ الجداول الإحصائية، ولا يمكن قراءة النسب التي تم حسابها، بعد عملية جمع البيانات من الاستبيان بالمقابلة المقدم إلى عينة الدراسة، ما لم نستعمل الإستدلال، أي القيام بقراءة سوسولوجية لهذه النسب وهذه الأرقام، حسب المحاور المحددة في الاستبيان، وبما يخدم فرضيات الدراسة ويجب عن تساؤلات الإشكالية.

أمّا المنهج الثاني في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفي، وهو منهج يستخدم في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها، أشكالها وعلاقتها والعوامل المؤثرة في ذلك، وهذا يعني أن المنهج الوصفي يهتم بدراسة حاضر الظواهر والأحداث، بعكس المنهج التاريخي الذي يدرس الماضي، مع ملاحظة أنّ المنهج الوصفي يشمل في كثير من الأحيان، على عمليات تنبؤ لمستقبل الظواهر والأحداث التي يدرسها (1).

وقد ارتبط المنهج الوصفي بالدراسات، في العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ نشأته وظهوره، حيث يقوم هذا المنهج " على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين، بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدّة فترات، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث، من حيث المحتوى والمضمون، والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتفسيره (2).

1 - ربحي مصطفى عيان، عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، عمان الأردن، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000، ص 42.

2 - نفس المرجع، ص 43.

ولا يتوقف المنهج الوصفي عند حدّ الوصف، بل يتعدى ذلك إلى التحليل وسبر أغوار البيانات والمعلومات والمعطيات، لاستخلاص نتائج جديدة؛ تساهم في تراكم وتقدّم المعرفة الإنسانية.

أما عن تقنيات البحث المستعملة، فإننا نشير أولاً إلى أنّ التقنيات، هي مختلف الوسائل التي تمكّن الباحث من الحصول على البيانات، من مجتمع البحث وتصنيفها وجدولتها، ويتوقف اختيار الأداة اللازمة لجمع البيانات على عدة عوامل، فبعض أدوات البحث تصلح في بعض المواقف والبحوث، بينما قد لا تكون مناسبة في غيرها ⁽¹⁾.

ولكي يصل الباحث أو الدارس إلى مرحلة اختبار الفروض وتحققها، لا بد أن يمر بمرحلة اختيار وتحديد وسيلة أو تقنيات جمع البيانات، ولذلك فهي - أي التقنيات - ليست مرتبطة بمقاربة مفضّلة بالنسبة للباحث، وليست مرتبطة بموضوع البحث فقط، وإنّما ترتبط أساساً بطبيعة الموضوع المدروس، والإشكالية المطروحة لأية دراسة أو بحث. ومهما كان نوعها تسيّر أي ترابط بين هذه الثلاثية: موضوع البحث، الإشكالية، أو المقاربة النظرية، ثم التقنيات المستعملة لجمع المعلومات وتحليلها؛ حيث تسمح هذه الثلاثية في التعمق المستمر، والتدقيق في الحقائق المتوصل إليها شيئاً فشيئاً.

ولطبيعة الموضوع الذي نقوم بدراسته، حاولنا الاستعانة بأكثر من تقنية من تقنيات البحث المعروفة، بداية بالملاحظة، أي الملاحظة بدون مشاركة، وصولاً إلى الاستمارة أو الاستبيان بالمقابلة، التي مثلت التقنية الأساسية لجمع المعطيات، وكان الهدف منها هو التوسع أكثر في الموضوع، وإيجاد إجابات حول مختلف الأسئلة التي تخدم الموضوع.

الملاحظة بدون مشاركة:

تعتبر الملاحظة إحدى الاستراتيجيات البحثية الرئيسية، التي تهدف إلى التوصل إلى معرفة عميقة لمجال من مجالات الدراسة، ونظراً لطبيعة موضوعنا اعتمدنا على الملاحظة

1 - محمد شفيق، "البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية"، المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998، ص 112.

بدون مشاركة، هذه الأخيرة التي تعرف كأسلوب بحثي، يلاحظ فيه الباحث مفردات بحثه، دون أن يشارك بفعالية في الموقف موضوع البحث، وفيها يقوم الباحث بملاحظة الجماعة دون مشاركتها، في أنشطتها ودون إثارة اهتمام المبحوثين، ويكون الاتصال بأعضاء الجماعة مباشراً، دون شعورهم بأنهم تحت الملاحظة المباشرة (1).

ونعني بها في هذه الأطروحة أو الدراسة، كل مشاهدة لا تعتمد إلا على الحواس العادية للمشاهد، أو " كل تفاعل وتبادل المعلومات بين شخصين أو أكثر، أحدهما الباحث والآخر المستجيب أو المبحوث، لجمع معلومات محددة حول موضوع معين، ويلاحظ الباحث أثناءها ردود فعل المبحوث " (2).

الاستبيان (الاستمارة):

يعتبر الاستبيان أو الاستمارة الطريقة الأكثر شيوعاً، من بين التقنيات المستعملة في الدراسة والبحث في علم الاجتماع، ويعود ذلك إلى كون الباحث، من خلال الاستبيان يشجع المبحوث على الرد، مثل الأسئلة المغلقة، أو يجد المبحوث راحته من خلال الأسئلة المفتوحة. وقبل البدء في تصميم الاستبيان، يجب على الباحث أن يحدد الغرض من البحث وخطته ومجاله، ثم توضع قائمة بالنقاط، التي يجب أن يحتويها كل قسم من أقسام صحيفة الاستبيان.

وصف أداة القياس:

تم بناء أسئلة الاستمارة انطلاقاً من مجموعة مؤشرات متعلقة بمتغيرات الدراسة، وانطلاقاً من فرضيات الدراسة، حيث تضمنت الاستمارة المتعلقة بهذه الدراسة واحد وخمسين (51) سؤالاً، تنقسم نوعية الأسئلة إلى ثلاثة أقسام:

1 - جمال إسماعيل الطحاوي، مدخل إلى البحث الإجتماعي، المنيا مصر، دار التسيير للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص 102.

2 - ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع سابق الذكر، ص 112.

القسم الأول: وضم مجموعة البيانات والمعلومات الشخصية والخاصة المتعلقة بأفراد العينة، وكانت حوالي سبعة (7) أسئلة.

القسم الثاني: وضم هذا القسم المعلومات التي يريد الباحث تجميعها، انطلاقاً من الأسئلة المطروحة، حيث كان عدد هذه الأسئلة حوالي أربعة وأربعون (44) سؤالاً، والتي تختلف من أسئلة موجهة، أي وضع احتمالات للإجابة، أسئلة مفتوحة وأسئلة نصف مفتوحة، بالإضافة إلى أسئلة ترتيب.

وقد تناول هذا القسم، ثلاثة محاور كبرى للدراسة، المرتبطة بفرضيات الدراسة، ثم التحصل على أسئلة الاستمارة، من خلال تفكيك المتغيرات الرئيسية، إلى أبعاد ومؤشرات غطت مختلف جوانب الدراسة.

صدق التحكيم:

يعتبر الميدان في علم الاجتماع، أكبر محكم لصدق الأداة المستخدمة في الدراسات المتعلقة بعلم الاجتماع، إلا أن عرض الاستمارة على بعض ذوي الاختصاص، من أجل تخفيض نسبة الأخطاء فيها، كالأخطاء اللغوية والتعبيرية والمنهجية وغيرها، هو أيضاً طريقة من طرق تحكيم الأداء، وفي هذا الصدد تم توزيع الاستمارة على (03) من الأساتذة في علم الاجتماع، من أجل تحكيمها وتحديد الأخطاء بها، وعلى رأس المحكمين، عرضت الاستمارة على البروفيسور بوسعادة رشيد، والذي قدّم بعض الملاحظات حول الأداة، والتي استفادت منها الباحثة، وجنبتها بعض الهفوات، التي قد تؤثر على إجابة المبحوثين، شأنها شأن الملاحظات الأخرى، المقدمة من قبل المحكمين الآخرين.

المقابلة الاستكشافية:

تعد المقابلة إحدى أدوات جمع البيانات، والتي تتم عن طريق اللقاء المباشر بين الباحث والمبحوث، وتستخدم في البحوث الميدانية، تجمع المعطيات المتعلقة بموضوع البحث، والتي لا يمكن جمعها عن طريق الدراسة النظرية والمكتبية (1). أجرت الباحثة في هذه الدراسة بعض المقابلات الاستكشافية والاستطلاعية، في بداية الدراسة من أجل التعرف على الظاهرة المراد تناولها، وتمت هذه المقابلات مع بعض أهل الرأي والاختصاص، إما مباشرة، أو عن طريق شبكة الإنترنت، التي من خلالها تم التواصل مع بعض الباحثين، والذين يهتمهم علم الاجتماع؛ حيث أن هذه المقابلات أسفرت جميعاً، على أن النخبة السوسولوجية الجزائرية معظمها مؤدجة ومسيّسة، وموجهة لخدمة السلطة؛ فاستخدمت المقابلة كأداة مساعدة للاستمارة، من أجل تحديد بنود الاستمارة بشكل دقيق، ولم تستخدم المقابلة كأداة لجمع المعلومات، ربما للجهد بالنسبة للباحثة، والوقت بالنسبة للمبحوثين.

تقنيات تحليل البيانات:

- **التحليل الكمي:** ليست كل الموضوعات الإنسانية تتلخص مفرداتها، في عناصر ذات خصائص مشتركة يمكن عدم تكميمها (2)؛ لذلك وجب أن يكون الباحث ذكياً، في كيفية الحصول على مؤشرات تمكنه من قياس الظاهرة؛ فيختص التحليل الكمي بعملية تحليل البيانات الرقمية والعددية، المتحصل عليها، تتم جدولتها وتحويلها إلى أرقام إحصائية، من أجل التحكم في إيجاد العلاقة بين المتغيرات عن طريق هذه الإحصائيات، وكذا حساب الترابط بينها، ومن بين أدوات التحليل الكمي: النسب المئوية، الجداول الإحصائية.

1 - رشيد زرواني، " مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية "، الطبعة الأولى، الجزائر، دار الهدى، 2007، ص 248.

2 - Raymond Bourdon, les méthodes en sociologie, 10^{ème} Edition, Paris, OPUF, 1995, p 86.

ومن خلال هذا نحاول معالجة المعلومات، التي قمنا بجمعها، عن طريق الاستمارة، وذلك بعد تفرغها في الجدول الديكارتي (جدول التوزيع التكراري) بالطريقة اليدوية التقليدية، ولتأكيد المعلومات آثرنا تفرغها عن طريق البرنامج الإحصائي (SPSS). وذلك بقصد تكيم الاستبيانات وتحويلها تقليدياً وآلياً، من معلومات أولية خام وكيفيته، إلى معلومات كمية عددية إحصائية، كقراءة منطقية رياضية، تسهل لنا تحليل المعطيات إحصائياً وسوسولوجياً. وبذلك يمكن عرض البيانات في صورة جداول مدعمة بأعداد ونسب مئوية، تترجم الواقع الميداني.

كما آثرنا استخدام المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري، لبعض القيم التي إرتأينا أنها تفيد التحليل الإحصائي.

خضعت جداولنا الإحصائية لمقاييس منهجية علمية، عند وضعها سواء كانت بسيطة، تعبر عن متغير واحد، وهذا ما ظهر في عرض وتحليل خصائص الفئة المدروسة (المبحوثين)؛ أو جداول مركبة تعبر عن متغيرين مستقل وتابع، وهذا ما يظهر في عرض وتحليل فرضيات الدراسة ومؤشراتها. لننتقل بعد ذلك إلى تحليلها تحليلًا سوسولوجيًا، لغرض ضمنه الربط بين الجانب النظري والواقعي الميداني، وهو ما يظهر في ما يسمى التحليل الكمي.

- **التحليل الكيفي:** التحليل الكيفي يمر بمراحل ومحطات أساسية، وتبدأ من عبارة البيانات التي تحصلنا عليها، من خلال الإحصائيات، ثم تليه مرحلة التفسير، من خلال ربط وإيجاد العلاقة بين متغيرات الدراسة، ثم التأويل، التي تختص بها العلوم الاجتماعية.

هذا التحليل يكون مباشرة بعد التحليل الكمي، ويتم هذا الأخير عن طريق تحليل المعطيات الكمية، المتحصل عليها بطريقة كيفية؛ وعادة ما يمر التحليل الكيفي بمحطات أساسية، أو خطوات تخدم مشروع البحث. والتي تبدأ من عبارة البيانات التي تحصلنا عليها، من خلال الإحصائيات، ثم تليه مرحلة التفسير من خلال ربط وإيجاد العلاقة بين متغيرات الدراسة، ثم التأويل التي تختص بها العلوم الاجتماعية.

فيتحول التحليل السوسولوجي حينئذ، إلى نوع من التوغل العجيب في ممارسات الحياة الفردية والجماعية، لمفردات الدراسة، يسمح لنا ببناء وعي علمي عن وجودها الاجتماعي، بكل تفاصيله ومساحاته ومتغيراته.

- مجتمع البحث وعينة الدراسة:

مجتمع البحث: يعني جميع الأفراد، أو الأحداث، أو الأشياء، التي تكون موضوع مشكلة البحث بخصوص العينة.

إن الانتقال من الجانب النظري إلى الجانب الميداني، يتطلب تسلّح الباحث بالكثير من المعطيات النظرية، التي تعتبر الأرضية التي ينطلق منها، واضعا نصب أعينه تساؤلات إشكالية الدراسة، ثم الحلول المؤقتة التي تمّ اقتراحها لهذه التساؤلات، أو ما يسمى بالفرضيات؛ ولذا فإن الباحث ملزم بمعرفة جيّدة بمجتمع البحث، لأنّ أي سوء فهم لمجتمع البحث، لن يحقق لصاحبه (الباحث) ما يرنو إليه من أهداف مسطّرة.

قبل الحديث عن عينة البحث، أو كيف يتم اختيارها، وهل تمثل مجتمع البحث أم لا؟ لابد من الحديث عن مجتمع البحث، وتحديد المجتمع الذي سيتناوله البحث، يعني القيام بالحصص الأشمل للمجتمع أو عيّنة مختارة منه؛ فمجتمع الدراسة أو البحث يعني جميع الأفراد، أو الأحداث، أو الأشياء، التي تكوّن موضوع مشكلة البحث.

أما بخصوص العيّنة، فإنّ معظم الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، يعتبرون العينات كمصدر بشري، يمكن أن تعمّم نتائجها على مجتمع بأسره، مهتدين في ذلك باستخدام العينات في العلوم الطبيعية، ومتعذرين بصعوبة المسح الشامل⁽¹⁾.

إن العبرة في الاختيار هو الحصول على عينة، تعطي نتائج ذات دقة معينة، بأقل تكلفة ممكنة، أو تعطي أعلى دقة بتكاليف محددة⁽²⁾، كما أنها: "مجموعة فرعية من

1 - عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، القاهرة مصر، مكتبة مدبولي، 1999، ص 208..

2 - راسم محمد جمال، مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية، القاهرة، مركز جامعة القاهرة التعليم المفتوح، 1999، ص 118.

عناصر مجتمع بحث معين⁽¹⁾؛ وعليه فإن العينة هي مجموعة أفراد من مجتمع البحث، والتي يجب أن تكون ممثلة لهذا المجتمع، من أجل تعميم النتائج المتوصل إليها".

فعالم الاجتماع في دراسته للعينة، وتطابق نتائجه على المجتمع، كالطبيب الذي يبغى تحليل دم المريض، فيأخذ منه عينة بسيطة، يعتبرها نموذجا يمثل دم المريض كله، ويقوم بفحصها وتحليلها، وإطلاق الحكم والنتائج على جسم المريض كله من خلالها⁽²⁾.

ولما كان مجتمع البحث في هذه الدراسة، هو مجموع المشتغلين في الحقل السوسولوجي، فإن البحث يختص بمجموعة من الأساتذة على مستوى جامعات الجزائر، قسنطينة، عنابة، بسكرة ووهران، حيث يتم تقديم الاستمارات كعينة من المبحوثين.

- **العينة:** هي مجموعة أفراد من مجتمع البحث، والتي يجب أن تكون ممثلة لهذا المجتمع، من أجل تعميم النتائج المتوصل إليها.

- **مجتمع البحث:** هو مجموع المشتغلين في الحقل السوسولوجي، فإن البحث يختص بمجموعة من الأساتذة على مستوى جامعات الجزائر، وهران، قسنطينة، عنابة وبسكرة.

- **نوع العينة:** قصدية وهي: معرفة آراء المجتمع المستهدف، لكن من المحتمل إعطاء وزن أكبر للمجموعات الأسهل، وصولا ضمن مجتمع الدراسة.

كل طرق اختيار العينة التالية، يمكن اعتبارها أنواعا فرعية من العينة القصدية.

العينة: هي مجموعة الناس التي تم اختيارها، لتكون ضمن الدراسة.

- **العينة القصدية:** أننا نختار بقصد معين -عادة ما يكون لدينا مجموعة بعينها نبحث عنها- أساتذة- تكون العينة القصدية مفيدة في الحالات التي نرغب فيها الوصول إلى العينة المرغوبة بسرعة.

1 - موريس أنجرس، المرجع سابق الذكر، ص 301.

2 - محي الدين مختار، الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية، الجزء الأول، باتنة، الجزائر، ب. ط، منشورات جامعة باتنة، 1999، ص 239.

تساعد العينة القصدية في معرفة آراء المجتمع المستهدف، لكن من المحتمل إعطاء وزن أكبر للمجموعات الأسهل، وصولاً ضمن مجتمع الدراسة.

- العينة النمطية: عينة الخبراء، عينة الحصة، ربما نختار عينة من أجل إبراز التنوع، كما في العينة غير المتجانسة.

جدول رقم (1): يبين قائمة أساتذة علم الاجتماع بجامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله حسب الرتب:

العدد	رتبة الأستاذ	الرقم
21	أستاذ التعليم العالي	1
19	أستاذ محاضر-أ-	2
16	أستاذ محاضر-ب-	3
56	المجموع	

جدول رقم (2): يبين قائمة أساتذة علم الاجتماع بجامعة محمد خيضر بسكرة حسب الرتب:

الرتبة	رتبة الأستاذ	الرقم
19	أستاذ التعليم العالي	1
25	أستاذ محاضر-أ-	2
12	أستاذ محاضر-ب-	3
46	المجموع	

جدول رقم (3): يبين قائمة أساتذة علم الاجتماع بجامعة منتوري قسنطينة، حسب الرتب:

الرتبة	رتبة الأستاذ	الرقم
11	أستاذ التعليم العالي	1
09	أستاذ محاضر-أ-	2
11	أستاذ محاضر-ب-	3
31	المجموع	

جدول رقم (4): يبين قائمة أساتذة علم الاجتماع بجامعة باجي مختار عنابة حسب الرتب:

الرتبة	رتبة الأستاذ	الرقم
19	أستاذ التعليم العالي	1
09	أستاذ محاضر-أ-	2
10	أستاذ محاضر-ب-	3
34	المجموع	

جدول رقم (5): يبين قائمة أساتذة علم الاجتماع بجامعة أحمد بن بلة وهران حسب الرتب:

الرتبة	رتبة الأستاذ	الرقم
20	أستاذ التعليم العالي	1
26	أستاذ محاضر-أ-	2
06	أستاذ محاضر-ب-	3
52	المجموع	

- خصائص العينة:

1- الخصائص الاجتماعية:

الجدول رقم (1): يبين التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب الجنس والرتبة:

المجموع	فئة الأساتذة الجامعيين						الجنس	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر (ب)		أستاذ محاضر (أ)			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
60	81	90	34	42	20	55	27	ذكور
40	54	10	04	58	28	45	22	إناث
%100	135	%100	38	%100	48	%100	49	المجموع

يمثل الجدول الإحصائي أعلاه، بيانات متغيرين كفيين وصفيين، هما النوع الاجتماعي والفئة السوسيو مهنية، ومن خلال القراءة الإحصائية، يتضح لنا أنّ نسبة الذكور في عيّنة بحثنا أكبر من نسبة العنصر الأنثوي، حيث مثل هذا الأخير ما نسبته 40%، من المجموع الكلي لعينة الدراسة، في حين كانت حصة الذكور 60% من مجموع العينة. ومن خلال قراءة النسب السابقة في علاقتها، بالرتبة الوظيفية لمفردات العينة، نلاحظ جلياً هيمنة العنصر الذكوري في فئة أساتذة التعليم العالي، حيث نجد أنّ 90% من مجموع هذه الفئة ذكور، في الوقت الذي تسجل فيه الإناث حضوراً ضئيلاً بنسبة 10%. أما بالنسبة للرتب الوظيفية الأخرى، فقد كشفت لنا القراءة الإحصائية، وجود تقارب بين مكوني النوع الاجتماعي، حيث نجد أنّه من بين مجموع الأساتذة، المصنفين في رتبة أستاذ محاضر - ب-، بلغت نسبة الإناث 58%، مقابل نسبة 42% للذكور. أمّا بخصوص فئة أستاذ محاضر - أ- فقد بلغت نسبة العنصر الذكوري 55%، مقابل نسبة 45% للإناث.

إنّ الوجود المتزايد للمرأة الجزائرية في الحياة العامة، يمثل أحد مؤشرات التغيير الاجتماعي والاقتصادي، الذي تعيشه الجزائر منذ خمسين سنة من استقلالها؛ وعليه فإن مواكبة المرأة الجزائرية لمسار التغيير الحاصل، هو انعكاس لدورها وفعاليتها في مختلف الميادين، والتي من بينها القطاع التعليمي، الذي يعتبر هو الأعلى نسبة، بين مختلف قطاعات العمل الأخرى.

جدول رقم (02): يبين توزيع أفراد العينة حسب الجنس والمؤسسة الجامعية:

المجموع		الجنس				المؤسسة الجامعية
		أنثى		ذكر		
%	ت	%	ت	%	ت	
19.25	26	05.55	03	28.39	23	جامعة الجزائر-2-
25.92	35	25.92	14	25.92	21	جامعة وهران
11.11	15	12.96	07	09.87	08	جامعة قسنطينة
21.48	29	24.07	13	19.75	16	جامعة عنابة
22.22	30	31.48	17	16.04	13	جامعة بسكرة
%100	135	%100	54	%100	81	المجموع

هذا الجدول نريد من خلاله، توضيح ووصف النوع الاجتماعي في دراستنا، وتوزعه على المؤسسات الجامعية التي أجريت فيها الدراسة؛ حيث احتلت جامعة وهران، الصدارة في عدد الاستثمارات التي تم إسترجاعها، من ميدان الدراسة بنسبة 25.92% من المجموع الكلي، متبوعة بجامعة بسكرة 22.22% من مجموع العينة الكلي، تليها بعد ذلك جامعة عنابة بنسبة 21.48% ثم تأتي جامعة الجزائر-2- بنسبة مئوية قدرت بـ 19.25%، وفي الأخير جامعة قسنطينة بنسبة 11.11%.

وهنا نشير إلى أنّ هذه التفاوتات الطفيفة بين المؤسسات الجامعية، التي مثّلت حقل الدراسة الميدانية، تعود أساسًا إلى عدد الأساتذة في كل جامعة من جهة، ومن جهة أخرى إلى درجة الاستجابة والتعاون من قبل مفردات العينة، حيث، قمنا بتوزيع أكبر عدد ممكن من الاستمارات في كل جامعة، وكانت نسبة التفاعل والإجابة على استبيان الدراسة، مختلفة من جامعة إلى أخرى.

للإشارة فإننا نورد الترتيب الوطني، والإفريقي والعالمي للجامعات التي أجريت بها الدراسة⁽¹⁾.

- جامعة الجزائر تحتل المركز الثالث وطنيًا، المركز 76 أفريقيًا، والمركز 3710 عالميًا.

- جامعة قسنطينة، تحتل المركز التاسع وطنيًا، المركز 91 أفريقيًا، والمركز 4280 عالميًا.

- جامعة عنابة، تحتل المركز العاشر وطنيًا، المركز 92 أفريقيًا، والمركز 4281.

- جامعة وهران، تحتل المركز الحادي عشر وطنيًا، المركز 93 أفريقيًا، والمركز 4580 عالميًا.

- جامعة بسكرة، تحتل المركز 23 وطنيًا، والمركز 6759 عالميًا.

1- المصدر: منشور اليونسكو عام 2015.

جدول رقم (03): يبين التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب السن والجنس:

المجموع		الأقدمية								الجنس
		78-66		65-53		52-40		39-27		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
60	81	90.9	10	87.5	35	47.16	25	35.48	11	ذكر
40	54	9.09	1	12.5	5	52.83	28	64.51	20	أنثى
%100	135	%100	01	%100	33	%100	32	%100	69	المجموع

تشير المعطيات الرقمية الواردة في الجدول أعلاه، أنّ الفئة العمرية [40-52]، ينتسب إليها أكبر عدد من أفراد العينة، وقد بلغت نسبة العنصر النسوي في هذه الفئة 52.83%، أما نسبة الذكور فقد قدرت نسبتها بـ 47.16% .

تأتي بعد ذلك في الترتيب الفئة العمرية [53-60]، والتي هيمن فيها العنصر الذكوري بنسبة 87.5% مقابل نسبة 12.5% فقط للإناث.

يأتي في المركز الثالث الفئة العمرية [27-39]، كان حضور الإناث فيها بنسبة 64.51%، في حين بلغت نسبة الذكور 35.48%.

وفي الأخير نجد الفئة العمرية [66-78]، والتي نجد فيها العنصر الذكوري مهيمًا بنسبة 90.91%، مقابل 9.09%.

يؤشر متغير السن في دراستنا هذه، على تنوع الأجيال التي تزاوّل مهنة التدريس في الجامعة، فبالنظر إلى الحد الأدنى للسن، والذي يمثل 27 سنة في الجدول الإحصائي، والحد الأعلى للسن هو 78 سنة، فإننا نجد أفرادًا من أجيال متلاحقة تتشارك نفس المهنة، ونفس المجال لكنّها تختلف، في تصوراتها وتمثلاتها للواقع وللحقيقة الاجتماعية؛ فجيل الثورة وأجيال ما بعد الاستقلال، وزمن الاشتراكية وصولاً إلى جيل ما بعد أكتوبر 1988، كان لكل منها ظروفه وملابساته في الحياة.

ومن ثم كان لكل جيل تصوراته عن نفسه وعن الآخر، وحتى عن الواقع، إنَّ هذا ما سنقف عنده حتماً، عندما نكون بصدد تحليل المعطيات الميدانية بشكل أكثر وضوحاً.

عند حسابنا للمتوسط الحسابي لسن أفراد العينة نجده يساوي:

$$X = 42.59 \text{ سنة، وهو مؤشر عن تشييب القطاع الجامعي.}$$

أي أنّ نسبة الشباب المشتغلين بالقطاع هي الغالبة، رغم وجود شيخوخة نسبية، بالنظر إلى خصوصية نظام التقاعد بالقطاع، وعموماً فإن متغير السن يعطي صورة عن طبيعة الجيل الممارس لفعل اجتماعي ما، فسن الرشد الذي تعكسه مفردات مجتمع البحث بتنوع أجياله، هو مفهوم اجتماعي، لأنه يطرح مسألة كفاءة الجيل، الذي يجد معناه ودلالاته ضمن سياقاته الاجتماعية.

جدول رقم (04): يبين توزيع أفراد العينة حسب السن والرتبة:

المجموع		فئات السن								الرتبة
		78-66		65-53		52-40		39-27		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
35.55	48	09.09	01	5	02	43.39	23	70.96	22	أستاذ محاضر - ب-
36.29	49	18.18	02	27.5	11	50.94	27	29.03	09	أستاذ محاضر - أ-
28.14	38	72.72	08	67.5	27	05.66	3	-	00	أستاذ التعليم العالي
100	135	100	11	100	40	100	53	100	31	المجموع

يوضّح لنا الجدول أعلاه توزيع الرتبة الوظيفية، لأفراد العينة حسب أعمارهم، ومن خلال القراءة الإحصائية لمضمون الجدول يلاحظ جلياً، أنه كلما اتجه منحى السن نحو الأعلى، كلما كانت إمكانية الترقية إلى رتبة أستاذ التعليم العالي أكبر، حيث نجد أن ما نسبته 72.72% من هذه الفئة الوظيفية يتراوح سنهم ما بين [66-78]، تليها نسبة أخرى معتبرة، من فئة أساتذة التعليم العالي تقدر بـ 67.5%، تتراوح أعمارهم ما بين [53-65]، مع

الإشارة إلى أنها تسجل حضوراً ضئيلاً بنسبة 05.66% عند الفئة العمرية [40-52]، وتندعم تماماً عند الفئة العمرية [27-39].

ومن بين أهم المعايير الأساسية، للترقية إلى فئة أستاذ التعليم العالي، هو الإنتاج المعرفي والبحث الذي يقدمه الأستاذ أثناء مساره المهني، بالإضافة إلى سنوات الأقدمية، وما تحتويه من نشاطات بيداغوجية وعلمية، ومنشورات أكاديمية.

أما في ما يخص رتبة أستاذ محاضر -أ-، فإننا نجد أعلى نسبة مئوية هي 50.94% عند الفئة العمرية [40-52]، متبوعة بنسبة مئوية 29.03% عند الفئة العمرية [27-39] تليها بعد ذلك الفئة العمرية [53-65] بنسبة 27.05%، وفي الأخير نجد فئة السن [66-78] بنسبة مئوية قدرت بـ 18.18%.

بالنسبة لفئة أستاذ محاضر -ب- يمكن القول أننا أمام عنصر شبابي بامتياز، حيث نجد الصدارة للفئة العمرية [27-39] بنسبة 70.96%، تليها الفئة العمرية [40-52] بنسبة 43.39%، وتتضاءل النسبة المئوية كلما اتجهنا بمنحى تصاعدي.

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ الجامعي المحاضر، هو الشخص الذي يقوم بإعطاء المحاضرة للطلاب سواء في الكلية أو الجامعة، بشرط أن يكون حاصلاً على شهادة الدكتوراه أو الماجستير، ولكن إن لم يكن حاصلاً عليهما فيسمى بمعلم أو مدرس.

2- الكفاءات العلمية والعملية، والتي تمثلت في المنصب والدرجة المهنية والأقدمية ونوع الشهادة، واللغات المتحكّم فيها:

جدول رقم (05): يبين التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب اللغات المتحكّم فيها:

اللغات المتحكّم فيها	التكرار	التكرار النسبي %
لغة عربية	28	20.74
عربية + فرنسية	81	60
عربية + فرنسية + إنجليزية	26	19.26
المجموع	135	100%

من خلال المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول الإحصائي السابق، نسجل أكبر حضور لمزدوجي اللغة (عربية + فرنسية) بنسبة مئوية قدرت بـ 60%، تأتي بعدها مباشرة بنسبة 20.74% وهي تمثل فئة الأساتذة الجامعيين أحاديي اللغة.

أما عن أولئك الذين يتقنون اللغات الثلاثة (عربية+ فرنسية + إنجليزية)، فقد بلغت نسبتهم في الجدول السابق 19.26%.

بالنسبة لأحاديي اللغة، في عمومهم، ينتمون إلى الجيل الحديث الذي مسّته سياسة التعريب في المدرسة، وفي الغالب ينحدرون من أصول جغرافية قروية أو ريفية، من المناطق الداخلية للوطن بدرجة أخرى.

أما بالنسبة للفرانكفونيين، ومتعددي اللغات، فإنهم في الغالب ينتمون إلى جيل الثورة، وأجيال ما بعد الاستقلال، الذين درسوا في الغالب باللغة الفرنسية لوحدها، أو جنبًا إلى جنب مع اللغة العربية، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن التعدد اللغوي، من الشروط التي ينبغي توفرها في الأستاذ الجامعي، إذا ما اعتبرنا هذا الأخير عنصرًا نخبويًا فاعلاً، قادراً على إثراء مجتمعه بأفكار ومعارف هادفة، لكن الملاحظ في النسق الثقافي الجزائري، أن تكلم لغة أجنبية وإتقانها يوظف خارج سياقه الفعلي، فإلى جانب كون اللغات الأجنبية أداة استعراض Prestige وتميّز، فإنها تمثل توجهًا إيديولوجيًا، ونمطًا ثقافيًا مخصوصًا، مما يجعل توظيفها في مجال البحث والمعرفة ضئيل جدًا.

المنطق السوسولوجي يتعاطى مع التعدد اللغوي بصورة إيجابية، باعتباره ظاهرة اجتماعية صحية، إذا ما برزت بصورة طبيعية، ونابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية، ولكنه يأخذ موقف النقد الصريح، عندما يأخذ التعدد اللغوي مسلكًا إيديولوجيًا وسياسيًا.

جدول رقم (06): يبين توزيع أفراد العينة حسب اللغات المتحكم فيها والرتبة:

المجموع	اللغات المتحكم فيها							الرتبة المهنية
	اللغات الثلاثة		العربية والفرنسية		العربية			
	%	ت	%	ت	%	ت	%	
35.55	48	26.92	7	37.03	30	39.28	11	أستاذ محاضر-ب-
36.29	49	26.92	7	35.80	29	46.42	13	أستاذ محاضر-أ-
28.14	38	46.15	12	27.16	22	14.28	04	أستاذ التعليم العالي
%100	135	%100	26	%100	81	%100	28	المجموع

المعطيات الواردة في هذا الجدول، تدعم ما تطرقنا إليه سابقاً في الجدول رقم (05)، حيث نجد أنّ نسبة أحاديي اللغة منخفضة، عند فئة أساتذة التعليم العالي 14.28%، في حين نجدها مرتفعة إلى حد ما، عند كل من فئة أستاذ محاضر -أ- 46.42%، وفئة أستاذ محاضر-ب- 39.28%؛ وعلى العكس تماماً، عندما نكون بصدد الحديث عن مزدوجي اللغة، وثلاثي اللغة، فإننا نجد فئة أساتذة التعليم العالي تمثل 46.15% من مجموع العينة، في حين بلغت نسبة كل من فئة أستاذ محاضر -أ-، أستاذ محاضر -ب- 26.92%.

كما أشرنا في التحليل الذي أوردناه سابقاً، في الجدول رقم (5)، فإنّ تواجد اللغات الثلاثة العربية والفرنسية والإنجليزية، في ساحة الفعل الثقافي بالجزائر، يمكن إرجاعه إلى الإنتماء العربي والمتوسطي، الذي تمتاز به الجزائر، ومجاورتها لحضارات عربية إسلامية وأوروبية متعددة؛ وتهيمن اللغة الفرنسية على مجال التواصل، اللفظي والكتابي وحتى الإداري مقارنة مع اللغة الإنجليزية، وهو أمر يعزى إلى عامل تاريخي وثقافي في آن واحد، وهو الحقبة الاستعمارية الطويلة، التي مرّ بها المجتمع الجزائري في ظلّ الاحتلال الفرنسي.

جدول رقم (07): يبين التوزيع التكراري لأفراد العينة حسب متغير بلاد التكوين في التدرج ومتغير الرتبة المهنية:

المجموع		بلاد التكوين في التدرج				الرتبة المهنية
		خارج الجزائر		داخل الجزائر		
%	ت	%	ت	%	ت	
35.55	48	-	-	37.20	48	أستاذ محاضر-ب-
36.29	49	-	-	37.98	49	أستاذ محاضر-أ-
28.14	38	-	-	24.80	32	أستاذ التعليم العالي
%100	135	%100	06	%100	129	المجموع

يتضمن الجدول الإحصائي المزدوج، بيانات رقمية تم تجميعها من ميدان الدراسة، وتتعلق هذه البيانات ببلاد التكوين الجامعي في طور التدرج، بالنسبة لأفراد العينة التي أجريت عليها الدراسة؛ وما تؤشر عليه البيانات الإحصائية السابقة، هو أنّ مجتمع البحث الذي منهم أساتذة جامعيين، هو منتج محلي صرف، أي أن ما نسبته 95% من مفردات العينة، تابعوا تكوينهم الجامعي في طور التدرج، بجامعة جزائرية محلية، في حين أنّ نسبة 5% فقط منهم تابعوا تكوينهم الجامعي، خارج الجزائر.

تضم الشبكة الجامعية الجزائرية، مئة وستة (106) مؤسسة التعليم العالي، موزعة على ثمانية وأربعون (48) ولاية عبر التراب الوطني، وتضمن خمسون (50) جامعة، ثلاثة عشر (13) مركزاً جامعياً، عشرون (20) مدرسة وطنية عليا، وعشرة (10) مدارس عليا، إحدى عشر (11) مدارس عليا للأساتذة، وملحقتين (02) جامعتين (*).

- مرسوم تنفيذي رقم 03-297 مؤرخ في 24 جمادى الثانية عام 1424 هـ الموافق لـ 23 غشت سنة 2003 يحدد مهام * الجامعة والقواعد الخاصة بتنظيمها وسيرها- الجريدة الرسمية سنة 2003- العدد 51- ص ص 04-15.

مع العلم، أنّ التكوين الجامعي يعتبر عامل غاية في الأهمية، في سياق تكوين أفراد مؤهلين ومتخصصين، وفق ما يتطلبه سوق العمل، وهذا الأخير نجده، في الحالة الجزائرية، لا يعكس تناغماً كبيراً مع مخرجات الجامعة، وما يقدمه من عروض شغل.

جدول رقم (08): يبين توزيع أفراد العينة حسب بلد التكوين في ما بعد التدرج والرتبة المهنية:

المجموع		بلد التكوين في ما بعد التدرج						الرتبة المهنية
		الجزائر والخارج		الخارج		الجزائر		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
35.55	48	-	-	05.26	01	46.53	47	أستاذ محاضر-ب
36.29	49	13.33	02	26.31	05	41.58	42	أستاذ محاضر-أ-
28.14	38	86.66	13	68.42	13	11.88	12	أستاذ التعليم العالي
%100	135	%100	15	%100	19	%100	101	المجموع

يشير الجدول الإحصائي السابق، إلى بلد التكوين الجامعي في ما بعد التدرج، لمفردات العينة التي شملتها دراستنا، وكما أسلفنا الذكر في الجدول رقم (07)، يكون أنّ أغلب أساتذة الجامعات على تنوع درجاتهم الوظيفية، هم خريجي معاهد وجامعات وطنية؛ فإننا نجد نفس الملاحظة تقريباً عندما يتعلق الأمر، ببلد التكوين الجامعي في ما بعد التدرج، حيث أنّ فئة أساتذة التعليم العالي، كان لها حصة الأسد، في مزاولته دراستها العليا بين الجزائر والخارج 86.66%، مقابل نسبة 68.42% واصلوا تعليمهم الجامعي العالي، في الخارج بصفة مستقلة.

أما عن نسبة أولئك الذين تلقوا تكويناً متواصلًا، فيما بعد التدرج بالجامعات الجزائرية، فقد بلغت نسبتهم 11.88%.

نلاحظ أيضًا في الجدول رقم (08) انخفاض نسب الأساتذة الجامعيين، الذين زولوا تكوينهم فيما بعد التدرج في الخارج، حيث بلغت نسبة فئة أستاذ محاضر (ب) 5.26%، مقابل نسبة 26.31% لفئة أستاذ محاضر (أ).

أما بخصوص أولئك الذين لهم تكوين جامعي، فيما بعد التدرج بجامعة الوطن، فقد بلغت نسبة فئة أستاذ محاضر (ب) 46.53%، مقابل نسبة 41.58% لفئة أستاذ محاضر (أ).

يأتي التكوين في الماجستير والدكتوراه، بعد أدوار التدرج في التكوين والتعليم العالي، والغرض منه هو التدريب للمهن في مجال التكوين والتعليم العالي، والبحوث والخبرات، والإدارة رفيعة المستوى، في مختلف قطاعات الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

جدول رقم (09): يبين توزيع أفراد العينة حسب نوع الشهادة:

نوع الشهادة	التكرار	التكرار النسبي %
دكتوراه دولة	38	28.14
دكتوراه العلوم	73	54.07
دكتوراه ل، م، د	09	06.66
ماجستير	15	11.11
المجموع	135	100%

من خلال قراءة المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (09)، يتضح لنا أنّ حاملي شهادة دكتوراه العلوم، يمثلون أعلى نسبة مئوية، في المجموع الكلي لمجتمع البحث 54.07%، ثم يأتي في المركز الثاني حاملو شهادة دكتوراه دولة، بنسبة مئوية قدرت بـ 28.17%.

تأتي بعد ذلك نسبة أفراد العينة ممن يحوزون، على شهادة الماجستير في رصيده التكويني 11.11%، وفي الأخير، نجد نسبة أولئك الذين يحملون شهادة دكتوراه الطور الثالث، أو ما تسمى ب: دكتوراه ل، م، د، 6.66%.

تشمل الشهادات وأنواع الدبلومات، التي تمنحها الجامعات الجزائرية أنواع عديدة منها: شهادة تقني سامي، شهادة ليسانس، شهادة ماستر، شهادة مهندس، وهذا في طور التكوين في التدرج، أما بخصوص التكوين فيما بعد التدرج، فتمنح الجامعة الجزائرية شهادة الماجستير، شهادة دكتوراه العلوم، شهادة دكتوراه دولة.

هذه الشهادات تمنح بعد إتمام، متطلبات برامج ومناهج تعليمية مختلفة، وكل نوع من هذه الشهادات يمنح صاحبه بعض الامتيازات في عمله، أو تؤهله للعمل في بعض المناصب والمواقع.

II - المسار المهني، وطريقة الالتحاق بمهنة الأستاذ الجامعي، ومكانة علم الاجتماع:

جدول رقم (10): يبين العلاقة بين ما تمثله مهنة التدريس لفئة البحث، وطريقة الإلتحاق بعلم الاجتماع ك تخصص.

المجموع	ماذا تمثل مهنة تدريس علم الاجتماع لدى فئة البحث						طريقة الالتحاق بعلم الاجتماع	
	مهنة أجد فيها نفسي		مهنة حساسة وهامة		مهنة كباقي المهن			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
61.48	83	60.6	40	65.51	38	45.45	05	التوجيه
16.29	22	13.63	09	18.96	11	18.18	02	الصدفة
22.22	30	25.75	17	15.51	08	36.36	04	عن طريق التقليد
%100	135	%100	66	%100	58	%100	11	المجموع

يعرض لنا الجدول رقم (10) تصورات أفراد العينة، عن مهنة تدريس علم الاجتماع بفضاء الجامعة، وعلاقة ذلك بطرق التحاقهم بعلم الاجتماع كتخصص؛ ومن خلال إسقاط قراءة إحصائية، على البيانات الرقمية الواردة في الجدول، يظهر لنا انسجام وتوافق في إجابات المبحوثين، بحيث كلما كان اختيار تدريس علم الاجتماع عن قناعة وعن توجيه، كلما كانت تصوراتهم عن مهنة تدريس علم الاجتماع إيجابية، وكلما كان الالتحاق بعلم الاجتماع عن طريق الصدفة أو التقليد، كلما قلّت درجة الرضا والارتياح، في تصورات أفراد العينة عن مهنة تدريس علم الاجتماع، وهو ما سنوضحه في عرض النسب المئوية على النحو الآتي:

بالنسبة لأفراد العينة الذين يرون، أن مهنة تدريس علم الاجتماع هي مهنة هامة وحساسة، نجد أنّ غالبيتهم التحقوا بعلم الاجتماع عن طريق التوجيه 65.51%، مقابل

18.96% منهم التحقوا بتخصص علم الاجتماع عن طريق الصدفة، و15.51% كانت سابقتهم في دراسة علم الاجتماع عن طريق التقليد.

بالنسبة للمبوحثين الذين اعتبروا أن تدريس علم الاجتماع، هو بمثابة مهنة يجدون فيها أنفسهم، فقد كانت أغليبيتهم كما أشرنا سابقاً، التحقوا بالتخصص عن طريق التوجيه والاستشارة 60.6%.

أما عن نسبة الذين اختاروا منهم علم الاجتماع، عن طريق الصدفة فقد بلغت 13.63%، كما لدينا نسبة مئوية تعبر عن أولئك الذين التحقوا بتخصص علم الاجتماع، عن طريق التقليد وقد بلغت 25.75%.

نسل كذلك في الجدول رقم (10) إتجاه آخر في إجابات المبوحثين، لا يذهب في تصوراته عن تدريس علم الاجتماع بنحو إيجابي، حيث يعتبر أصحاب هذا الاتجاه، مهنة علم الاجتماع مهنة كباقي المهن، لا فضل عليها عن غيرها، ونجد في هذا الاتجاه نسبة معتبرة منه، التحقت بتخصص علم الاجتماع عن طريق التوجيه 45.45% تليها بعد ذلك نسبة الذين التحقوا بالتخصص عن طريق التقليد 36.36%، لتأتي في الأخير نسبة 18.18% التي تشير إلى أولئك الذين اختاروا التخصص عن طريق الصدفة.

من أبرز الكتب ذائعة الصيت، هو كتاب حرفة عالم الاجتماع، ل: بيار بورديو⁽¹⁾، والذي نستشف منه أهمية علم الاجتماع، كواحد من العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تعنى بدراسة المجتمع، وعلاقة الفرد بالمجتمع ككل، وبناءً على هذه الدراسة يستطيع علم الاجتماع تحديد خصائص الفرد والجماعة، بالإضافة إلى العلاقة بينهما، وهذه الخصائص هي التي تعمل على تشكيل المجتمعات، وتعطي لكل منها طابعاً تميزها عن غيرها.

1 - بيار بورديو، حرفة عالم الاجتماع، ترجمة وتحقيق: نظير جاهل، دار الحقيقة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، لبنان، 1993.

جدول رقم (11): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ والفرصة في اختيار مهنة أخرى:

المجموع		رتبة الأستاذ الجامعي						الفرصة في اختيار مهنة أخرى
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر - أ		أستاذ محاضر - ب		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
85.18	115	92.1	35	83.67	41	81.25	39	أرفض الفرصة في اختيار مهنة أخرى
14.81	20	07.9	03	16.32	08	18.75	09	لا أتردد في تغيير مهنتي.
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع

نحاول في الجدول رقم (11)، من خلال ما تضمنه من معطيات إحصائية، تمّ تجميعها من ميدان الدراسة، معرفة درجة الرضا عن ممارسة تدريس علم الاجتماع بجامعة الوطن، لدى الفئة المعنية مباشرة، بهذه المهنة، تخصصًا، والتزامًا، وبحثًا، وتدريسًا؛ والملاحظة العامة التي نسجلها في هذا الجدول، أنّ معظم أفراد العيّنة، على اختلاف درجاتهم العلمية والوظيفية يشعرون بالرضا النفسي، وبنوع من تحقيق إشباع ذاتي بممارستهم لهذه المهنة، لذا فإنهم يعلنون صراحة رفضهم فرص أخرى، تتاح لهم بدل ممارسة هذه المهنة، في حين أنّ الذين لا يشعرون بالرضا لمزاولتهم تدريس علم الاجتماع، يمثلون اتجاها ضعيفا مقارنة بالاتجاه الأول. إن ما نقوله عن هذين الاتجاهين، هو ما تنطق به بيانات الجدول الإحصائي رقم (11)، والتي سنعرض قراءتنا الإحصائية فيما يلي:

- بالنسبة لفئة أساتذة التعليم، العالي يمثل اتجاه الرضا ما نسبته 92.1%، في حين بلغ اتجاه عدم الرضا 07.9%.

- بالنسبة لفئة أستاذ محاضر -أ-، نسجل نسبة 83.67% تعبر عن ارتياح أفرادها، ورضاهم عن ممارسة هذه المهنة، مقابل 16.32% منهم فقط من يمثلون عكس الاتجاه الأول.

- بالنسبة لفئة أستاذ محاضر -ب- نجد نفس التناغم السابق، أي هيمنة اتجاه الرضا بـ 81.25%، مقابل 18.75% الذي يمثل اتجاه عدم الرضا عن مزولة مهنة تدريس علم الإجماع.

جدول رقم (12): يبين العلاقة بين الأقدمية والفرصة في اختيار مهنة أخرى:

المجموع		الأقدمية								الفرصة في اختيار مهنة أخرى
		61-47		46-32		31-17		16-02		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
85.18	115	-	-	81.81	27	96.87	31	82.6	57	أرفض تغيير مهنتي.
14.81	20	100	01	18.18	06	03.12	01	17.39	12	لا أتردد في تغيير مهنتي
%100	135	%100	01	%100	33	%100	32	%100	69	المجموع

الجدول رقم (12) يتوافق ما تضمنته من معطيات إحصائية، إلى حدّ كبير مع ما جاء في الجدول رقم (11)، حيث نجد أن متغير الأقدمية في العمل، له دور في تحقيق ما نسميه بالانتساب أو الهوية، بحيث كلما تمّدت فترة مزولة المهنة، كلما زاد التعلق بها؛ ومن ثم الرضا بها والاجتهاد في إتقانها والتحكم فيها، والقراءة الإحصائية للجدول السابق، توضح ما نذهب إليه في تحليلنا بشكل أكثر دقة، وفيما يلي عرض ما جاء في الجدول رقم (12):

- أعلى نسبة مئوية في الجدول بلغت 96.87%، وهي تمثل نسبة الذين يرفضون تغيير مهنة علم الاجتماع، ممّن لهم سنوات أقدمية تتراوح ما بين [17-31 سنة]، مقابل نسبة 03.12%، لا يترددون في تغيير المهنة.

- في المركز الثاني تأتي فئة الأقدمية [2-16 سنة]، نجد فيها 82.06% يحبون مزاوله مهنة تدريس علم الاجتماع وراضون عنها، مقابل 17.39% يرون عكس ذلك.

- يأتي بعد ذلك فئة الأقدمية [32-46]، وبنفس الوتيرة، نجد اتجاه الرضا هو الغالب 81.81% مقابل 18.18% اتجاه عدم الرضا.

جدول رقم (13): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى اعتقاده أنّ علم الاجتماع، علم خاص مقارنة بالعلوم الأخرى.

المجموع	رتبة الأستاذ الجامعي						الاعتقاد بأن علم الاجتماع خاص مقارنة بالعلوم الأخرى	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر - أ		أستاذ محاضر - ب			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
65.18	88	63.15	24	61.22	30	70.83	34	نعم، أعتقد ذلك.
34.81	47	36.84	14	38.77	19	29.16	14	لا، لا أعتقد.
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع

يعرض لنا الجدول الإحصائي أعلاه، نظرة أفراد العينة، على اختلاف رتبهم الوظيفية، إلى علم الاجتماع كتخصص أكاديمي وكمهنة اجتماعية، من حيث الاعتقاد بأنه مجال ابستيمولوجي يسمح بأن يعطي لمن يمارسه ويمتهن فيه، صبغة ذات طابع هوياتي، بتعبير بيير بورديو، ويصبح بذلك علمًا له من الخصوصيات، ما تجعله ذو قيمة رفيعة

مقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى، فالى أي حدّ تصدق هذه المقولة؟ هذا ما سنحاول استقرائه في إجابات المبحوثين، من خلال البيانات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (13).
الإتجاه العام في الجدول يبين لنا أنّ معظم أفراد العينة الذين شملتهم الدراسة، يذهبون على القول بأنّ علم الاجتماع، هو علم خاص، له مكانته وضرورة وجوده، مقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى.

وفيما يلي عرض النسب المئوية لإجابات المبحوثين: * - بالنسبة لفئة أستاذ محاضر-ب-، يعتقد 70.83% من المبحوثين بخصوصية علم الاجتماع، مقابل 29.16% لا يرون له خصوصية. * - بالنسبة لفئة أستاذ محاضر-أ-، نجد أنّ ما نسبته 61.22% منهم، يعتقدون بخصوصية علم الاجتماع، في حين نجد نسبة 38.77%. * - بالنسبة لفئة أساتذة التعليم العالي، سجل نسبة 63.15% يؤكّدون الاعتقاد بخصوصية علم الاجتماع، في حين يرفض نسبة 36.41% هذا التصور.

جدول رقم (14): يبين العلاقة بين بلاد التكوين فيما بعد التدرج، ومدى الاعتقاد بأنّ علم الاجتماع علم خاص، مقارنة بالعلوم الأخرى:

المجموع		بلاد التكوين فيما بعد التدرج						الإعتقاد بأنّ علم الاجتماع علم خاص مقارنة بالعلوم الأخرى
		خارج وداخل الجزائر		خارج الجزائر		الجزائر		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
65.18	88	40	06	78.94	15	66.33	67	نعم، أعتقد ذلك
34.81	47	60	09	21.05	04	33.66	34	لا أعتقد
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع

أسفرت القراءة الإحصائية لمعطيات الجدول رقم (14)، التي تضمنت نظرة أفراد عينة إلى تخصص علم الاجتماع، انطلاقاً من بلاد تكوينهم الجامعي فيما بعد التدرج، على النتائج التالية:

*- بالنسبة لأفراد العينة الذين تابعوا تكوينهم الجامعي، فيما بعد التدرج خارج الجزائر، نسجل نسبة معتبرة منهم 78.94% يرون، بتميز وخصوصية علم الاجتماع، مقابل 21.05% منهم لا يتفقون مع هذا الرأي.

*- أما بالنسبة لأولئك الذين كان مسارهم التكويني، فيما بعد التدرج بجامعات الوطن، فإننا نسجل أيضاً نسبة معتبرة منهم 66.33%، ترى وتعتقد بأن علم الاجتماع هو علم خاص، مقارنة بالعلوم الأخرى، في حين تنفي نسبة 33.60% منهم هذا الاعتقاد.

الفصل الثامن

تحليل فرضيات الدراسة

الفرضية الأولى: هناك مشتغلون في علم الاجتماع وليس هناك نخبة سوسولوجية، لا يشكلون فئة متجانسة، مهمشون وغير متموقعين اجتماعيا.
جدول رقم (15): يبين مفهوم النخبة بالنسبة للأستاذ الجامعي:

المجموع		الرتبة المهنية						مفهوم النخبة
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
24.44	33	21.05	08	24.48	12	27.08	13	الفئة المثقفة الواعية التي تملك زمام القيادة والمبادأة
47.4	64	44.73	17	51.02	25	45.83	22	فئة مثقفة ذات مكانة اجتماعية
06.66	09	07.89	03	04.08	02	08.33	04	الإطارات ذات التكوين العالي
21.48	29	26.31	10	20.4	10	18.75	09	المتميزون من خلال مستواهم العلمي
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

يبين لنا الجدول الإحصائي المدون أعلاه، تمثلات أفراد العينة عن مفهوم النخبة، انطلاقاً من كون أنّ الدراسة أجريت على فئة اجتماعية ذات صلة متينة بالمفهوم، والمقصود هنا هو مفهوم النخبة، ويظهر جلياً، أنّ هذا المفهوم، ومن خلال إجابات أفراد العينة، بأنّه مفهوم، مطاطي، لا نمطي، وله أكثر من مدلول، ويحتل عدّة تأويلات، كما أنّ معايير وأسس تحديده تختلف باختلاف زاوية النظر، وعموماً، فإنّ المعايير المرتبطة بتحديد مفهوم النخبة، من خلال إجابات المبحوثين، قد تمثّلت، في المكانة الاجتماعية، والمستوى التعليمي العالي، وامتلاك زمام القيادة والمبادأة.

وتظهر لنا النسب المئوية المسجلة في الجدول الإحصائي، أنّ أكبر نسبة من إجابات المبحوثين وهي (47.4%)، يعني لنا مفهوم النخبة، تلك الفئة المثقفة التي تتميز بمكانتها الاجتماعية في النسق الاجتماعي.

تليها بعد ذلك نسبة (24.44%)، وهي تشير إلى فئة البحث التي يعني لها مفهوم النخبة، هو مدى حيازتها وامتلاكها لزام القيادة، والمبادرة، في حين أنّ نسبة أولئك الذين ربطوا مفهوم النخبة بمعيار المستوى العلمي العالي، فقد بلغت (21.48%).

يشكل مفهوم النخبة في ذاته ظاهرة سياسية اجتماعية هامة في التاريخ، ومن ثم استقصى التنظير لهذا المفهوم، جهود الباحثين والدارسين من تخصصات وميادين مختلفة، ومن ثم تعددت معايير وأسس تحديد المضمون الاستيمولوجي والمنهجي لهذا المفهوم، وعليه فإنّه نجد الفكر السوسيولوجي الغربي، الكلاسيكي منه والمعاصر، حول مفهوم النخبة، يحضر بقوة في إجابات أفراد العينة حول تصوراتهم لمفهوم النخبة، فالذين يرون بأنّ النخبة تتحدّد من خلال النجاح الاجتماعي والتفوق العلمي، يتبعون في ذلك مقارنة ماركسية، والذين يرون بأنّ النخبة تملك زمام القيادة والمبادرة، يأخذون بنظرية غيتانو موسكا الذي يقول بضرورة وجود طبقة حاكمة تتولى قيادة المجتمع وتطوّره، أمّا عن فئة البحث التي تحصر مفهوم النخبة في الإطارات ذات التكوين العالي، فهي تستند إلى المنظور الفيبييري الذي يقمّ نموذج النخبة البيروقراطية، القائمة على الكفاءة والانتظام في المجتمع الرأسمالي.

جدول رقم (16): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي وما مدى الكلام عن نخبة عالمة
سوسيولوجية:

المجموع		الرتبة المهنية						هل يمكن الكلام عن نخبة سوسيولوجية عالمة	
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
27.4	37	28.94	11	20.4	10	33.33	16	لها كفاءة علمية، إذن هي نخبة سوسيولوجية عالمة	يمكن التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمة
14.07	19	13.15	05	16.32	08	12.5	06	هي تقاوم لتكون كذلك	
10.37	14	13.15	05	08.16	04	10.41	05	تتميز بمجهود علمي	
51.85	70	55.26	21	44.89	22	56.25	27	المجموع الجزئي الأول	
51.85	23	10.52	04	14.28	07	25	12	لأنها مهمشة	لا يمكن التكلم
17.03	20	21.05	08	18.36	09	06.25	03	علم الاجتماع له ليس له مكانة	
14.81	10	05.26	02	14.28	07	02.08	01	لأن المجتمع مغلق بسبب طبيعة النظام	
07.04	12	07.89	03	08.16	04	10.41	05	انعدام الممارسة السوسيولوجية	
08.88	65	44.73	17	55.10	27	43.75	21	المجموع الجزئي الثاني	
%100	135	%100	%100	%100	49	%100	48	المجموع الكلي	

يتضمن الجدول الإحصائي رقم (16) موقف، وكذا تبريرات أفراد عينة عن مدى الكلام عن نخبة سوسيولوجية عالمية، ومن خلال المجاميع الجزئية المدرجة في الجدول، يتضح لنا تقارب كبير في الاتجاهين، أي الاتجاه الذي يقول بإمكانية الكلام عن نخبة سوسيولوجية عالمية، والذي يمثل نسبة (51.85%) من المجموع الكلي للعينة، والاتجاه الذي ينفي إمكانية التكلم عن وجود نخبة سوسيولوجية عالمية، والذي يمثل في الجدول الإحصائي نسبة (48.14%).

إن التقارب الذي أشرنا إليه قبل قليل بخصوص المجاميع الجزئية، نجده يتكرر أيضًا إذا ما أردنا قراءة معطيات الجدول، انطلاقًا من متغير الرتبة الوظيفية، وهو ما سنوضحه على النحو الآتي: بالنسبة لفئة أستاذ محاضر - ب -: بلغت نسبة الاتجاه الذي يرى بإمكانية التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمية (56.25%)، أما التبريرات التي يقدمها هذا الاتجاه، فقد توزعت وفق النسب التالية: امتلاكها لكفاءة علمية (33.33%)، مقاومتها لكي تكون نخبة (12.5%)، وتميزها بمجهود علمي خاص (10.41%).

أما الإتجاه الذي ينفي إمكانية التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمية، فد مثل نسبة (43.75%)، توزعت التبريرات التي قدمها هذا الاتجاه على ما يلي: لأنها مهمشة (25%) إنعدام الممارسة السوسيولوجية (10.41%).

أما بخصوص فئة أستاذ محاضر - أ - نجد أن نسبة الاتجاه الذي يرى بإمكانية التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمية تمثل (44.89%) من المجموع الكلي للعينة، وتوزعت هذه النسب حسب التبريرات التي قدمها أفراد العينة إلى ما يلي:

- امتلاك النخبة لكفاءة علمية (20.4%)؛
- تقوم النخبة بمقاومة الوضع السائد (16.32%)؛
- تتميز النخبة بمجهود علمي خاص (08.16%).

ونجد، في نفس الفئة، أي فئة أستاذ محاضر - أ- ما نسبته (51.1%) من المجموع الكلي للعيينة. تمثل الإتجاه الذي ينفي إمكانية التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمية، ويقدم هذا الاتجاه تبريرات مختلفة، توزعت حسب النسب المسجلة في الجدول على النحو التالي:

- لأنّ النخبة السوسيولوجية مهمشة (14.28%)؛
- علم الاجتماع ليس له مكانة (18.36%)،
- انعدام الممارسة السوسيولوجية (08.16%).

ولنتقل الآن إلى فئة أستاذ التعليم العالي، حيث تشير المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول إلى نسبة (55.26%) من مجموع العينة، تمثل الفئة التي تقول بإمكانية التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمية، وتقدم في ذلك تبريرات، من بينها أنّ النخبة السوسيولوجية تمتلك كفاءة علمية (28.94%)، وهي تتميز بمجهود علمي خاص (13.15%) دائماً.

وفي نفس فئة أستاذ التعليم، نجد أن ما نسبته (44.73%) من مجموع العينة، تنفي إمكانية التكلم عن نخبة سوسيولوجية عالمية، ومن أهم التبريرات التي قدّمها هذا الاتجاه، هو كون علم الاجتماع ليس له مكانة (21.05%) وكذا اعتبار أنّ النخبة السوسيولوجية مهمشة (10.52%).

من المنظور السوسيولوجي، يمكننا أن نستعين بنظرية توماس بوتومور حول مفهوم النخبة، التي ينظر لها كفئة وظيفية لها وضع رفيع في المجتمع، مميّزًا إيّاها عن الطبقة السياسية، أو النخبة السياسية الحاكمة، ويمكن أن نصنف النخبة السوسيولوجية ضمن النخبات الثلاثة التي تناولها توم بوتومور في أبحاثه، وحيث يرى أنّه من بين الفئات الاجتماعية التي ارتفعت إلى مراتب الأهمية في التغيرات الاجتماعية والسياسية الهائلة في القرن العشرين ثلاث نخب هي: المفكرون ومديري الصناعات، وكبار الموظفين الحكوميين، وينظر إلى المفكرين، وهي النخب العالمية المتخصصة في مجالاتها، على أنّها الفئة التي تسهم إسهامًا في خلق الأفكار وانتقاءها ونقدها، وهذه الفئة تشمل الكتاب، والعلماء، والفلاسفة، والمفكرون، وأصحاب النظريات الاجتماعية.

وتشكل الجامعات والمهن الفكرية في العديد من المجتمعات الحديثة، وسيلة رئيسية يستطيع بها الأفراد الموهوبين، من الطبقات الاجتماعية في المجتمع، الارتفاع إلى مراكز أكثر أهمية، وكنتيجة لذلك، فإنّ ما تنتجه النخبة السوسيولوجية في مجال التنظير المعرفي والعلمي، يجعل من الاعتراف الاجتماعي بها مسألة حتمية.

جدول رقم (17): يبين نظرة الأستاذ الجامعي لدور النخبة العالمية والسوسيولوجية:

المجموع	الرتبة						دور النخبة العالمية والسوسيولوجية	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
52.59	71	52.63	20	55.10	27	50	24	الإنتاج المعرفي السوسيولوجي والمساهمة في تنمية البلاد والتنظير
08.14	11	05.26	02	10.2	05	08.33	04	التوعية الاجتماعية والعمل على تغيير الأوضاع.
30.37	41	31.58	12	24.48	12	35.41	17	التنظير، التوعية، المشاركة، الإنتاج
08.88	12	10.52	04	10.2	05	06.25	03	جميعها
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

يوضح لنا الجدول الإحصائي مجمل الأدوار التي تضطلع بها النخبة العالمية والسوسيولوجية، حسب تصورات أفراد العينة، ونجد أنّ دور الإنتاج المعرفي والسوسيولوجي، والمساهمة في تنمية البلاد، والتنظير، أخذ حصة الأسد من إجابات فئة البحث، وهو ما تشير إليه في الجدول نسبة (52.59%).

يليه مباشرة، دور التوعية، والتنظير، والمشاركة، والإنتاج العلمي، والذي مثل نسبة (30.37%) من المجموع الكلي لعينة البحث، أمّا عن نسبة فئة البحث، التي ترى أنّ دور النخبة العالمية والسوسيولوجية، يشمل كل الأدوار التي أشرنا إليها سابقا فقد قدّرت بـ (08.88%).

إذا ما أردنا ان نؤول ونفسّر ما أشرنا إليه آنفا، من خلال قراءة المعطيات الإحصائية، فإنّه علينا، أنّ نسلم، بأنّ النخبة السوسيولوجية العالمية، ليست وحدة عضوية متكاملة، داخل النسق الاجتماعي الكلي، وأنّ أدوارها تتعدّد، وتختلف باختلاف الظروف والسياقات التي يوجد فيها المجتمع الذي تنتمي إليه، فإذا نظرنا إليها كنخبة اجتماعية تنشط في حقل معين من الحقول الاجتماعية، أو نظرنا إليها كنخبة مهنية وفق قواعد التقسيم الاجتماعي للعمل، إنّ أدوارها تتشابه وتتبارى، مع نخب اجتماعية ومهنية تنشط في حقول ومجالات، غير مجال تخصصها.

جدول رقم (18): يبين رأي الأستاذ الجامعي في امتلاك النخبة السوسيولوجية في الجزائر النفوذ والقرار الكافي أو عدم امتلاك ذلك:

المجموع	الرتبة						امتلاك النخبة السوسيولوجية في الجزائر النفوذ والقرار الكافي		
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-				
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
05.18	07	07.89	03	04.08	02	04.16	02	لأنّها تتمتع بنفوذ علمي	}
02.22	03	-	-	04.08	02	05.08	01	الباحث الاجتماعي يقدم حلولاً لأصحاب القرار	
07.40	10	07.89	03	08.16	04	06.25	03	المجموع الجزئي الأول	
12.59	17	10.52	04	18.36	09	08.32	04	هناك غموض في هذا الأمر	م

28.14	38	26.31	10	22.44	11	35.41	17	تتطوي تحت إشكالية الإبعاد والتهميش
44.44	60	50	19	40.81	20	43.75	21	ليس هناك لا ممارسة ولا سوسيوولوجيا، ولا مكانة لعالم الاجتماع، فما بالك بالقرار
07.40	10	05.26	02	10.20	05%	06.25	03	القرار لأصحاب القرار وهم يحتكرون النفوذ السلطة
92.59	125	92.10	35	91.83	45	93.75	45	المجموع الجزئي الثاني
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

يتضمن الجدول الإحصائي معطيات إحصائية تمّ فرزها من خلال التحقيق الميداني، وكانت حول سؤال مؤاده، مدى امتلاك النخبة السوسيوولوجية في الجزائر في الجزائر لرصيد من النفوذ والقرار الكافي، وتفيدنا القراءة الإحصائية بأنّ الاتجاه العام للجدول، الذي تمثله نسبة (92.59%)، يتبين لنا نفي أفراد عينة البحث، لفكرة امتلاك النخبة السوسيوولوجية في الجزائر النفوذ والقرار الكافي، مقابل نسبة ضئيلة من عينة البحث التي ترى عكس ذلك، وهو ما تشير إليه النسبة المئوية المقدرة بـ (7.40%).

وبالتمعن في النسب المئوية التي تضمنها الجدول الإحصائي، نجدتها تعكس بصورة جلية الاتجاه العام للجدول الذي أشرنا إليه آنفاً، وسنعرض هذه النسب المئوية انطلاقاً من متغير الرتبة الوظيفية، من أجل تدعيم الاتجاه العام للجدول الإحصائي.

ولنبدأ بفئة أستاذ محاضر - ب-، حيث نسجل نسبة ضئيلة تقدر بـ (6.25%)، ترى بأنّ النخبة السوسيوولوجية في الجزائر، لها ما يكفي من النفوذ والقرار الكافي ويبرّر هذا الاتجاه موقفه، انطلاقاً من تمتع النخبة السوسيوولوجية بنفوذ علمي (04.16%)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعتبرون أنّ الباحث الاجتماعي يقدم حلولاً لأصحاب القرار (02.08%).

أمّا بخصوص الاتجاه، الذي ينفي امتلاك النخبة السوسولوجية في الجزائر لمساحة كافية من النفوذ، فقد شكّل الأغلبية في فئة أستاذ محاضر - ب-، وذلك بنسبة (93.75%). إنّ هذا الاتجاه يبرّر موقف إجابته، بإعطاء أسباب ومظاهر تميّز النخبة السوسولوجية في الجزائر، ومن أبرز هذه المظاهر، حسب ترتيب نسبها المئوية، نجد ما يلي:

- ليس هناك لا ممارسة ولا سوسولوجيا، ولا مكانة لعالم الاجتماع، فما بالك بالقرار (43.35%).

- النخبة السوسولوجية في الجزائر طالما كانت ولاتزال مبعدة ومهمشة (35.41%).

- القرار والنفوذ لأصحاب السلطة السياسية، وهم يحتكرون مصادر القوة والنفوذ (6.25%).

ما لاحظناه، على فئة أستاذ - ب- نجده، يتكرر أيضًا عن فئة أستاذ محاضر - أ- وفئة أستاذ التعليم العالي، وبنفس المبررات التي يقدمها الاتجاه الذي يؤكد امتلاك النخبة السوسولوجية الجزائرية لقدر من النفوذ والقرار، وكذا الاتجاه الذي ينفي رأي الاتجاه الأول.

وعليه، فإنّه بالنظر إلى إجابات فئة أستاذ محاضر - أ - وفئة أستاذ التعليم العالي، لا توجد هناك فروقات ذات دلالات إحصائية، بالنظر لمتغير الرتبة الوظيفية، وعلاقته بمدى امتلاك النخبة السوسولوجية في الجزائر للنفوذ والقرار الكافي.

وقد سجلنا من خلال معطيات الجدول الإحصائي السابق، في فئة أستاذ محاضر - أ-، ما نسبته (91.83%)، ينفي امتلاك النخبة السوسولوجية للنفوذ، مقابل نسبة (08.16%)، تؤكد وجود نفوذ لدى النخبة السوسولوجية. أمّا عن فئة أستاذ التعليم العالي، فإننا نجد عندها هي الأخرى، اتجاه النفي هو الغالب بنسبة (92.10%)، مقابل الاتجاه الذي يرى بامتلاك النخبة السوسولوجية لمساحة كافية من النفوذ، والذي قدر (07.89%).

من الناحية السوسولوجية، تتحدد معالم النفوذ والقرار، داخل النسق الاجتماعي لنخبة مثقفة، من خلال الاعتراض الاجتماعي والسياسي بوجودها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هو مدى إشراك هذه النخبة في مشاريع التنمية وفي دائرة اتخاذ القرار، ومدى قوة هذه النخبة رؤية مثقفة في كسب تأييد جماهيري واسع، ومعارضة مشاريع وسياسات، لا تراها هذه الفئة

تخدم الصالح العام، وبمعايينة امبريقية لواقع النخبة السوسولوجية في الجزائر، وهو واقع تشترك فيه مع كافة النخب العالمية الأخرى، نجدها تفتقر إلى المؤشرات التي أوردناها فيما سبق، حيث تعتبر النخبة السوسولوجية فئة سوسيومهنية ضمن الموظفين الأجراء لدى القطاع العام، فلا هي يُعترف بها كنخبة، ولا إنتاجها المعرفي الضئيل، وُظف في السياسة العامة للمجتمع، ناهيك عن مسألة الإبعاد والتهميش التي تعرفها النخب، بسبب احتكار النفوذ والقرار في دائرة السلطة السياسية.

جدول رقم (19): يبين موقف أفراد العينة من مقولة يورغن هابرماس: " أنّ النخبة المثقفة هي تلك الفئة القادرة على الإنتاج الفكري والتأثير في الآخرين، عن طريق هذا الإنتاج، حيث يكون هذا الأخير قائماً على رفض الوضع القائم ".

المجموع	الرتبة						موقف أفراد العينة من مقولة " يورغن هابرماس "		
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-				
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	النتيجة	
10.37	14	07.89	03	14.28	07	08.33	04		لأنه فعلا النخبة تؤثر في الآخرين من خلال إنتاجها الفكري
29.62	40	21.05	08	24.48	12	41.66	20		لأنّ فعلا الأخصائي الاجتماعي إشتراك يبيكي مع بكاء المجتمع ويفرح مع فرحه
27.40	37	34.21	13	28.56	14	20.83	10		دائما النخبة المثقفة ترفض الوضع القائم لأنه دائما مشبوه ومغلوط
17.77	24	21.05	08	10.20	05	22.91	11		النخبة المثقفة هي الفئة

								الواعية والتي لها دراية ويمكنها مناقشة الأمور المتعلقة	
85.18	115	84.21	32	77.55	38	93.57	45	المجموع الجزئي الأول	
02.96	04	05.26	02	02.04	01	02.08	01	الوضع الحالي يفترض أن يكون غير صحيحًا	ن م و ا ف ا ن ق
08.14	11	07.89	03	14.28	07	02.08	01	لأن الإنتاج السوسولوجي، منحصر في النظر ولا يؤخذ به	
03.70	05	02.63	01	06.12	03	02.08	01	المجتمع في ذل ولا تؤثر فيه النخبة	
14.81	20	15.78	06	22.44	11	06.25	03	المجموع الجزئي الثاني	
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي	

نحاول من خلال الجدول الإحصائي رقم (19)، وما تضمنه من عطيات رقمية، رصد موقف عينة البحث من مقولة أحد أعلام الفكر السوسولوجي المعاصر، والمقصود هنا، هو "يورغن هابرماس" الذي يعتبر من رواد مدرسة فرانكفورت والماركسية المحدثه، وهو يعتبر: "أنّ النخبة المثقفة هي تلك الفئة القادرة على الإنتاج الفكري والتأثير في الآخرين، عن طريق هذا الإنتاج، حيث يكون هذا الأخير قائمًا على رفض الوضع القائم".

تبين لنا القراءة الإحصائية للجدول، أنّ أغلبية أفراد عينة البحث تؤيد مقولة يورغن هابرماس السابقة، وهو ما تشير إليه نسبة (85.18%) في الجدول الإحصائي، كما أنّ هناك اتجاه ضمن عينة البحث، لا يؤيد ما يذهب إليه هابرماس في مقولته السابقة، ولكنه يشكل نسبة ضئيلة نوعا ما قدرت في الجدول السابق بـ (14.81%).

بالنسبة للاتجاه الأول، والذي يوافق المفكر يورغن هابرماس في مقولته السابقة، يدعم موقفه بجملة من التبريرات المختلفة، والتي توزعت حسب إجابات أفراد العينة على النحو التالي:

- النخبة السوسيولوجية اشتراكية، تبكي لبقاء المجتمع، وتشاطره همومه (29.62%).
- النخبة المثقفة ترفض الوضع القائم لأنه مشبوه ومغلوط (27.40%).
- النخبة المثقفة لها من الوعي، ما يمكنها من مناقشة الأمور المتعلقة بالمجتمع (17.77%).

- تؤثر النخبة في المجتمع من خلال إنتاجها الفكري (10.37%).

أما عن الاتجاه الذي يتخذ موقف رافض لمقولة يورغن هابرماس، والذي تعبر عنه فئة قليلة من عينة البحث، فإنه هو الآخر قدم بعض التبريرات التي تسند وجهة نظره، ومن بين هذه التبريرات، هو اعتبار الإنتاج السوسيولوجي إنتاج نظري محض، لا يجد طريقة للممارسة العملية.

- النخبة المثقفة ترفض الوضع القائم لأنه مشبوه ومغلوط (08.14%)، كما يعتبر هذا الاتجاه أنّ المجتمع يعيش حالة من التأزم والتقهقر، ولم يُعد معنياً بما تنتجه النخبة (03.70%).

- يعتبر يورغن هابرماس^(*) من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر، وهو من أهم منظري مدرسة فرانكفورت، ومن الرعيل الأول الذين مثلوا النظرية النقدية الاجتماعية، التي أسسها كل من ماكس هوركهايمر، و تيودور أدورنو، و روبرت ماركيز، و إيريك فروم، وآخرون.

تعتبر مدرسة فرانكفورت معقلاً خصباً للفكر الماركسي، لكنّها تقترح أدوات معرفية جديدة لتحليل وفهم سيرورة المجتمع، تختلف عن تلك التي صاغتها الماركسية الكلاسيكية، مثل فهم

* يورغن هابرماس، فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، من مواليد 18-06-1929 - دسلدورف - حامل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة بون، أستاذ زائر بعدة جامعات ألمانية مثل جامعة غوته في فرانكفورت، وجامعة ماربورغ وجامعة نورث وسترن.

المجتمع من خلاله مقارنة التقسيم الطبقي، وإنما تتبنى مقولة الفعل التواصلي، والفعل الإستراتيجي، اللذان يجعلان من النخبة المثقفة، إنما تكون نخبة فاعلة، من خلال اتحادها مع الوعي الجمعي لدى الجماهير، بإنتاج وضع ملائم يوفر لها سبل حياة كريمة، يتناقض وجودها مع الوضع القائم.

جدول رقم (20): يبين رأي الأستاذ الجامعي حول مدى مطابقة مقولة " يورغن هابرماس " على النخبة السوسولوجية في الجزائر:

المجموع	الرتبة						مطابقة مقولة يورغان هابرماس على النخبة السوسولوجية في الجزائر	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
28.14	38	39.47	15	24.48	12	22.91	11	نعم
17.77	24	15.78	06	16.32	08	20.83	10	لا يترك المجال للنخبة السوسولوجية، أن تعارض
23.70	32	15.78	06	26.53	13	27.08	13	من بصفتها تعارض؟ إنه ليس لها مكانة
30.37	41	28.94	11	32.65	16	29.16	14	لا بد أن يعترف بها أولاً كـنخبة، ثم نفكر إذا تنطبق عليها مقولة يورغن هابرماس
71.85	97	60.52	23	75.51	37	77.08	37	المجموع الجزئي
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

يتضمن الجدول الإحصائي رقم (20) موقف أفراد العينة، من خلال إسقاط مقولة "يروغان هابرماس" التي أشرنا إليها آنفاً، على واقع النخبة السوسيولوجية في الجزائر، ومن خلال الاطلاع على المعطيات الإحصائية التي يتيحها لنا الجدول.

نجد أنّ نسبة معتبرة من أفراد العينة (71.25%) لا توافق على مطابقة مقولة يورغان هابرماس على النخبة السوسيولوجية في الجزائر. وتدعم هذا الموقف بعدة حجج، من بينها، عدم امتلاك النخبة السوسيولوجية الجزائرية لمكانة اجتماعية داخل النسق الاجتماعي، نظراً لكونها لا يعترف بها كنخبة، لها دور وظيفي في المجتمع، وهو ما نعتبر عليه النسبة المئوية (30.77%) المشار إليها في الجدول الإحصائي السابق.

ومن الحجج الأخرى أيضاً التي يقدمها هذا الاتجاه هو عدم وجود هامش أو مجال، من خلاله تستطيع النخبة السوسيولوجية أن تمارس دورها في المعارضة، وهو ما مثل ما نسبته (17.77%) من إجابات أفراد العينة.

كما تبيّن لنا القراءة الإحصائية للجدول رقم (20)، أنّ الاتجاه الذي يرى بإمكانية إسقاط محتوى مقولة يورغان هابرماس على النخبة السوسيولوجية في الجزائر، يمثل نسبة (28.14%) من إجابات أفراد العينة.

يمكن القول، أنّه في ظل ضعف سوسيولوجيا النخب على المستوى المغربي، وحتّى على المستوى المحلي، فإنّ الفكر السوسيولوجي والتنظيري، يبقى دائماً ذو طبيعة وافدة، وليست محلية، يُعنى بمواضيع وظواهر، لها بيئتها وسياقاتها المختلفة.

وبالرجوع إلى مقولة "يورغان هابرماس"، التي تقضي بأنّ النخبة المثقفة هي تلك الفئة القادرة على الإنتاج الفكري، والتأثير في الآخرين عن طريق هذا الإنتاج، حيث يكون هذا الأخير قائماً على رفض الوضع القائم ومدى مطابقتها على النخبة السوسيولوجية في الجزائر، فإنّنا نسجل، كمراقبين وكباحثين في الحقل الاجتماعي، أنّ الإنتاج السوسيولوجي في الجزائر تلوّن بطبيعة وخصائص كل فترة سياسية واقتصادية في الجزائر، حيث نجده، في عهد الاشتراكية والحزب الواحد يهتم بفكرة الاشتراكية والشعبية، والتضامن الوطني،

وبناء المجتمع والدولة، و نفس الاتجاه الذي كانت تشكله السلطة السياسية، في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، لنجدها، في فترة التسعينات، تتجه كتاباتها إلى مواجهة التطرف والعنف والإرهاب الذي عرفته هذه الفترة، ثم توجّهت النخبة السوسيولوجية في الجزائر بعد سنة 2000 إلى يومنا هذا، بتقديم خطاب نقدي وشمولي لتركيبية المجتمع وأنساقه، وكذا إلى بنية السلطة وطرق ممارستها، ومما سبق، يمكن القول أنّ النخبة السوسيولوجية، ومن خلال إنتاجها الفكري، تتأثر أيّما تأثر بسياقات المحيط الاجتماعي الذي تتواجد فيه.

جدول رقم (21): يبين رأي الأستاذ الجامعي في إمكانية الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي:

المجموع		الرتبة						إمكانية الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي	
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
22.22	30	31.57	12	18.36	09	18.75	09	عالم الاجتماع نجده في كل القطاعات، وهذه الأخيرة مرتبطة كلها بالسياسة وأصحاب القرار	A
14.07	19	13.15	05	10.20	05	18.75	09	عالم الاجتماع دائماً في نقاش مع السياسي في قضايا الدولة والمجتمع	
21.48	29	21.05	08	18.36	09	25	12	السياسي دائماً في خوف من معارضة النخبة السوسولوجية	
57.77	78	65.78	25	46.94	23	62.5	30	المجموع الجزئي الأول	
10.37	14	10.52	04	10.20	05	10.41	05	مجالان مختلفان قد لا يلتقيان	B
14.81	20	13.15	05	20.4	10	10.41	05	ليس هناك تداخل بين السياسي والنخبة السوسولوجية بل بالعكس هي غير مرغوب فيها	
17.03	23	10.52	04	22.4	11	16.66	08	عالم الاجتماع يلاحظ وينتقد ولا يحكم.	
42.22	57	34.21	13	53.06	26	37.5	18	المجموع الجزئي الثاني	
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي	

نلاحظ من خلال معطيات الجدول الإحصائي رقم (21)، استقراء وجهات نظر أفراد العينة حول قضية إمكانية الفصل بين النخبة السوسولوجية ورجل السياسة، أو السياسي بالمفهوم العام، وأول ما يلاحظ، من خلال القراءة الإحصائية للجدول، هو وجود تقارب بين الاتجاه الذي لا يرى بإمكانية الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي، والذي تمثل نسبة (57.77%) من المجموع الكلي لعينة البحث، والاتجاه الذي يقول بوجود للفصل بين رجل السياسة، والنخبة السوسولوجية، حيث يمثل ما نسبته (42.22%)، من مجموع إجابات العينة المدروسة.

بالنسبة للاتجاه الأول، والذي يقول بالوصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي، يدعم وجهة نظره، انطلاقاً من أمثلة مستقاة من واقع العلاقة، الموجودة بين النخبة السوسولوجية العاملة، والنخبة السياسية الحاكمة، بحيث تفيدنا معطيات الجدول الإحصائي السابق، بأن ما نسبته (22.22%) من هذا الاتجاه، ترى بأن عالم الاجتماع يناقش كل القضايا المطروحة في جميع مجالات الحياة، وهذه الأخيرة مرتبطة كلها بالسياسة وأصحاب القرار، وهناك من يعتبر في هذا الاتجاه، بأن رجل السياسة الذي يمارس السلطة، يتخوف دائماً من معارضة النخبة السوسولوجية لسياساته وممارسته، وهو ما تشير إليه النسبة المئوية المسجلة في الجدول الإحصائي والمقدّرة بـ (21.48%). كما نجد تأويلاً آخر يقدمه هذا الاتجاه، من خلال تأكيده لاستحالة الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي، وهو اعتباره لاستمرارية وديمومة النقاش في قضايا الدولة والمجتمع بين كلا النخبتين، وهو ما يمثل ما نسبته (14.07%) من المجموع الجزئي للاتجاه الأول؛ أمّا بخصوص الاتجاه الثاني، الذي يقول بالفصل بين كل من النخبة السوسولوجية والسياسي، فإنّه هو الآخر حاول تدعيم وجهة نظره، بناءً على كون أنّ عالم الاجتماع، له مجال الخاص بالبحث والملاحظة، دون اللجوء إلى دائرة ممارسة السلطة (17.03%)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هناك من يعتبر، في هذا الاتجاه، بأنه ليس هناك تداخل بين السياسي والنخبة السوسولوجية، باعتبار هذه الأخيرة غير مرغوب فيها من طرف السياسي (14.81%).

من منظور سوسيولوجي، يمكننا الحديث عن ثنائية الوصل والفصل في آن واحد، إذا ما طرحنا مسألة العلاقة القائمة بين النخبة السوسيولوجية والسياسي، فبالنسبة لعلاقة الوصل، نجد أنّ المجال السياسي، أو النخبة السياسية الحاكمة لا تسمح- و لا يمكن أن تسمح- للمجال الاجتماعي ان يستقل استقلالاً كاملاً، فإذا نظرنا إلى النخبة السوسيولوجية كنخبة اجتماعية ذات طابع مدني، فإنّها لا تعتبر نخبة مدنية خالصة، بل لها امتداداتها داخل المجال السياسي، من خلال عضويتها لجمعيات أو أحزاب سياسية أو رئاسة مجالس إدارة مؤسسات حكومية، ممّا يجعل الحديث عن استقلالية الاجتماعي عن السياسي مجرد ترف فكري.

أمّا عن حدود الفصل بخصوص العلاقة، بين مجال سياسي معين، تعد الفترة فيه ممارسة مرتكزة عن فئة أقلية، ومجال اجتماعي تتشظ فيه نخب متعدّدة بتعدد مصادر شرعيتها، فإنها تبقى متماهية إلى حدّ كبير، وذلك بسبب وجود اتجاهات متناقضة داخل المجال الاجتماعي، حيث نجد اتجاهات نخبوية تقدم مساهمات فكرية من أجل الالتحاق بالمجال السياسي، وتحقيق قدر ممكن من السلطة ومواردها، ويمكن الاستدلال على هكذا مثال بمجموعة من الممارسات السلوكية ذات الطابع السياسي، والتي تلتصق بدول العالم الثالث، وهي:

- تغيير المواقف السياسية على نحو سريع وغير مفهوم.
- تغيير الانتماءات السياسية والتحالفات السياسية على نحو سريع وغير مفهوم أيضا.

- عدم الوضوح بين ما هو سياسي وما هو مدني.
- شكلانية العمل المدني، وتوجيهه لخدمة مصالح سياسية.
كما نجد أيضًا اتجاهًا نخبويًا يحاول أن يتنكّر لكل ما هو سياسي، ويجعل من ممارساته وإنتاجه الفكري، محاولة لنقد المجال السياسي أو التنكر لإنجازاته، من خلال تأسيس خطاب نقدي، يستخدم ما هو متاح في المجال الاجتماعي، من استقلال نسبي لكي يحقق مصالح اجتماعية وسياسية.

جدول رقم (22): يبين رأي الأستاذ الجامعي من مقولة بيار بورديو التي يصف فيها علم الاجتماع بالرياضة القتالية:

المجموع	الرتبة						موقف الأستاذ الجامعي من مقولة بيار بورديو حول علم الاجتماع	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
21.48	29	21.05	08	18.36	09	25	12	صراع ونضال يتطلبان النفس الطويل وجهود علمية لفرض الذات
25.92	35	34.21	13	22.44	11	22.91	11	مع التغير الحاصل، يفرض على عالم الاجتماع بذل مجهودات فكرية فهو دائماً في مصارعة
29.62	40	34.21	13	28.57	14	27.08	13	مادام المجتمع يتحرك دون انقطاع، فإنّ عالم الاجتماع في صراع دائم مع التغير الاجتماعي.
77.03	104	89.47	34	69.38	34	75	36	المجموع الجزئي الأول
14.07	19	5.26	02	16.32	08	18.75	09	بل هو مجهود فكري ونظري وامبريقي، وليس قتال.
08.88	12	5.26	02	14.28	07	06.25	03	يعتمد علم الاجتماع على الفهم والتحليل، لمسايرة الواقع وليس القتال.
22.96	31	10.52	04	30.61	15	22	12	المجموع الجزئي الثاني
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

إنّ مقارنة معطيات الجدول، بناءً على ما تتيحه لنا القراءة الإحصائية لاتجاهات ومواقف أفراد العينة من مقولة بيار بورديو، تعطينا تصوّراً، أو مجموعة من التصورات عن النخبة السوسولوجية في الجزائر، ورؤيتها لذاتها، وللمواضيع التي تشتغل عليها في نفس الوقت، إذا ما اعتبرنا، أنّ مقولة بيار بورديو التي تقول بأنّ: " علم الاجتماع هو رياضة قتالية، تحمل في طياتها الكثير من المعاني والرموز والدلالات.

وإذا أمعنا النظر في معطيات الجدول، فإننا نلاحظ اتجاهاً يمثل الأغلبية من أفراد عينة البحث يؤيد ما ذهب إليه بيار بورديو في مقولتهن وهوة ما تشير إليه نسبة (77.03%) من المجموع الكلي للعينة، مقابل ما نسبته (22.96%)، من مجموع فئة البحث لا يؤيد مقولة بيار بورديو التي أشرنا إليها آنفاً.

وبالرجوع إلى الاتجاه الأول، الذي يعتبر أنّ علم الاجتماع هو عبارة عن رياضة قتالية، نجد، يقدم تفسيرات يرى بأنها توضح وجهة نظره، والتي سنوردها حسب ترتيب نسبها المئوية على النحو الآتي:

- مادام المجتمع يتحرك دون انقطاع، فإنّ عالم الاجتماع في صراع دائم مع التغيير الاجتماعي (29.62%).

- مع التغييرات السريعة، والتحوّلات المجتمعية، يستلزم على عالم الاجتماع بذل مجهودات فكرية متجدّدة (25.92%).

- فرض الذات يتطلب من عالم الاجتماع صراع نضال وجهود علمية (21.48%).
يعتبر عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع المعاصر، ومن جهة أخرى، يُعدّ بيير بورديو من أهم ممثلي المقاربة الصراعية ذات التوجه الماركسي، وكذلك من أهم رواد البنيوية التكوينية **Structuralisme**، وتبني نظريته السوسولوجية على دراسة المجتمع باعتباره فضاء للصراع والمنافسة والهيمنة.

مع تحليل تراتبية مختلف الطبقات الاجتماعية، وتبيان الدور الذي تقوم به الممارسات الثقافية داخل الصراع الذي يحدث بين هذه الطبقات الاجتماعية بشكل وع أو غير واع، ثم استجلاء الكيفية التي تعيد بها المدرسة إنتاج اللامساواة المجتمعية، وإعادة الطبقات الاجتماعية نفسها عندما يصف بيير بورديو علم الإجماع بالرياضة القتالية، فهو يعني أنّ السوسيولوجيا تتأسس علمياً وموضوعياً على " الاجتماعى " .

وهذا الأخير لا يخلو من التناقضات والصراعات التي تكتنفه، ممّا يجعل عالم الاجتماع، في صراع ومواجهة هذه التناقضات، التي لا يكون فهمها وتفسيرها بالأمر الهين. لذلك فإنّ السوسيولوجيا هي ممارسة ميدانية بامتياز، تقتضي عملية الهدم والبناء، مع المحافظة على الصرامة والدقة والعلميتين، وخصوصية الواقع.

جدول رقم (23): يبيّن نظرة أفراد العينة إلى نوعية العلاقة القائمة بين النخبة السوسيولوجية والسلطة:

العلاقة بين النخبة والسلطة	التكرار	التكرار النسبي
علاقة تعاون وتفاهم	97	71.85
علاقة صراع وتناحر	15	11.11
علاقة حذر	23	17.03
المجموع	135	%100

يرصد لنا هذا الجدول الإحصائي، تصورات أفراد العينة عن طبيعة العلاقة القائمة بين النخبة السوسيولوجية والسلطة، والتي تتجسد في ثلاثة أبعاد، هي التعاون، والصراع، والحذر، ومن خلال إسقاط قراءة إحصائية على المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، نجد نسبة كبيرة تقدر بـ (71.85%) من عينة البحث، ترى بوجود علاقة تعاون وتفاهم بين كل من النخبة السوسيولوجية والسلطة، في حين، أنّ أفراد العينة الذين يصفون هذه العلاقة بالحذر، يمثلون ما نسبته (17.03%) من المجموع الكلي للعينة.

أما عن أولئك الذين ينظرون إلى العلاقة القائمة بين النخبة السوسولوجية والسلطة، بأنها علاقة تتميز بالصراع والتناحر، فقد بلغت نسبتهم (11.11%) من مجموع إجابات أفراد العينة.

على الرغم من الاختلافات البارزة بين الدول المتقدمة، وغيرها من الدول في تعاطيها مع مسألة النخبة، فإنّ هناك اتفاقاً داخلها جميعاً، يُجمع على توتر العلاقة بين النخب والسلطات الحاكمة، البعض يسميها أزمة إذا كان هناك صراع بينها، والبعض الآخر يصفها بالتحالف المشكوك فيه، أي تعاون وتقاوم مصحوب بكثير من الحيطة والحذر.

وفي هذه الحالة، فإنّ التساؤل الذي يفرض نفسه من وجهة نظر سوسولوجية، هو كيفية الوصول إلى علاقة صحية، بين النخبة والسلطة، يستفيد منها المجتمع، وترتاح لها الجماهير على اختلاف فئاتها وشرائحها، وعليه فإنّه، يفضّل أن تكون العلاقة بينهما قائمة على شرعية قانونية وشعبية، أي تكون بمثابة عقد اجتماعي يكفل حقوق كل طرف، ولا تقوم على الإخضاع بالقوة، لأنّ استثناء السلطة السياسية إلى القوة والسيطرة، يفقدها شرعية القبول والاعتراف من النخبة من جهة، ومن المجتمع من جهة أخرى.

جدول رقم (24): يبين موقف الأستاذ الجامعي على وصف البعض من علماء الاجتماع العرب، الذين يمارسون السوسيولوجيا بالمشتغلين في علم الاجتماع بدلاً من علماء الاجتماع:

المجموع		الرتبة						موافقة الأستاذ الجامعي على وصف الذين يمارسون السوسيولوجيا، بالمشتغلين في علم الاجتماع، بدلاً من علماء الاجتماع
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
17.03	23	10.52	04	26.53	13	12.5	06	نظرا للصراع والتشتت القائم على هذا التخصص
17.03	23	21.05	08	16.32	08	14.58	07	لأنّ كل العلوم مبتذلة، حيث تترجم الكتب العالمية بدلاً من التأليف والدراسات الإجتماعية
17.77	24	31.57	12	08.16	04	16.66	08	لا يوجد أصلاً منصب للأبحاث السوسيولوجية فمناصب الشغل قائمة على النظرة الإدارية
23.7	32	07.89	03	32.64	16	27.08	13	لا توجد دراسات سوسيولوجية تنظيرية
75.55	102	7.05	27	83.67	41	70.83	34	المجموع الجزئي الأول
7.40	10	7.89	03	4.08	02	10.41	05	في رأي بأنهم علماء اجتماع بالرغم من عدم ممارستهم له كعلماء

08.88	12	10.52	04	4.08	02	12.5	06	كأساتذة، لسنا مشغولين وإنما لنا هامش للأبحاث السوسيولوجية
08.14	11	10.52	04	08.16	04	06.25	03	يعتبر الأستاذ الجامعي باحث، وعليه فهو عالم اجتماع وليس مشغل.
24.44	33	28.94	11	16.32	08	29.16	14	المجموع الجزئي الثاني
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

تظهر لنا مجاميع التوزيع الهامشي في الجدول أعلاه، اتجاهاً سائداً، تمثله فئة أفراد العينة الذين يوافقون على وصف الذين يمارسون السوسيولوجيا بالمشغولين في علم الاجتماع بدلاً من علماء الاجتماع، وذلك بنسبة (75.55%).

أما الاتجاه المعاكس للاتجاه السائد، تمثله في الجدول فئة أفراد العينة، الذين يفضلون وصف علماء الاجتماع على النخبة السوسيولوجية بدلاً من وصف المشغولين في علم الاجتماع، وذلك بنسبة مئوية قدرت بـ (24.44%).

الاتجاه السائد في الجدول، يستند إلى حجج ومعطيات أفرزتها فئات تحليل المحتوى في إجابات أفراد العينة، والتي من بينها: ندرة الدراسات السوسيولوجية التنظيرية (23.7%) وعدم الاعتراف بالأبحاث السوسيولوجية، بفعل هيمنة النظرة الإدارية على مؤسسات ومخابر البحث (17.77%).

لقد بينت الدراسات النقدية لواقع السوسيولوجيا في الوطن العربي، وجود هوة عميقة بين ما يقدمه الباحثون في المجال الاجتماعي من أفكار ونظريات، وحتى ما يقومون به من دراسات امبريقية، وواقع المجتمعات العربية، بمعنى أن كل تلك الجهود تبدو في كثير من الأحيان أنها هامشية لأنها لم ترق إلى ذلك المستوى من التنظير الذي بإمكانه تحليل وتفسير المشكلات الاجتماعية مثل: الأمية، البطالة، الفقر، الانحراف والجريمة... إلخ.

إنّ هذا الواقع أصبح يعبر عليه حالياً، بأزمة اغتراب عالم الاجتماع عن واقعه، أي جوهر اهتماماته الحقيقية.

إنّ هذه الأزمة يرجعها البعض، إلى حداثة هذا العلم في الوطن العربي، معبرين بذلك عن كون علم الاجتماع ذاته، يمثل تراثاً تاريخياً يضرب بجذوره في أعماق الماضي البعيد، الذي عبر عنه الفلاسفة القدامى، وصولاً إلى معالم هذا العلم على يد ابن خلدون، الذي أسس قواعده وأرسى مناهجه ضمن كتابه الشهير " المقدمة " .

كما يفسّر البعض الآخر هذه الأزمة، بمنطلقات نفسية وسيكولوجية يعاني منها المفكر العربي " الباحث الاجتماعي "، تؤدي إلى تغييب الفكر السوسيولوجي المرهلي، والاستعارة دائماً بنماذج وأطر وقوالب نظرية من الفكر السوسيولوجي الغربي، وإسقاطها على مجتمعات يختلف واقعها، إلى درجة كبيرة مع الواقع الذي أفرزته، هذه الأطر والقوالب النظرية.

وأياً كانت الخلافات حول تفسير ما يسمى، بأزمة علم الاجتماع في الوطن العربي، فإنّ المتتبع لتاريخ هذا العلم يلاحظ، أنّه نما على هامش المجتمعات العربية، دون الاهتمام الكافي به، ودون إعطائه دوره الحقيقي في عملية تنمية، وتحديث المجتمعات العربية.

جدول رقم (25): يبين موافقة الأستاذ الجامعي بمتغير الأقدمية على أن كل المشتغلين في علم الاجتماع، عندما يشكلون نخبة سوسيولوجية متجانسة:

المجموع		الأقدمية								كل المشتغلين في علم الاجتماع عندما يشكلان نخبة سوسيولوجية متجانسة	
		61-47		46-32		31-17		16-02			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
02.22	03	-	-	03.03	01	03.125	01	01.44	01	نعم هي كذلك في المجال العلمي الأكاديمي	موافقة
04.44	06	-	-	03.03	01			07.24	05	يوجد تجانس، ولكن لا توجد مكانة لتفعيل هذا التجانس	
06.66	09	-	-	06.06	02	03.125	01	08.69	06	المجموع الجزئي الأول	
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	لم يقدم المبحوثن تبريرات	موافقة
93.33	126	100	01	93.93	31	96.87	31	91.30	63	المجموع الجزئي الثاني	
%100	135	%100	01	%100	33	%100	32	%100	69	المجموع الكلي للعينة	

يقدم لنا الجدول الإحصائي رقم (25) معطيات رقمية تتعلق بمتغير الأقدمية لأفراد عينة البحث، ووجهات نظرهم حول تجانس النخبة السوسيولوجية في الجزائر، وتظهر لنا القراءة الإحصائية للجدول السابقة، أن الاتجاه السائد أو العام يمثل (93.33%).

تمثله فئة أفراد العينة الذين ينفون صفة التجانس عن النخبة السوسولوجية، في حين يمثل الاتجاه المعاكس، أي الاتجاه الذي يقول بتجانس النخبة السوسولوجية، نسبة ضئيلة قدرت في الجدول السابق بـ (06.66%).

وما يلاحظ جلياً، من خلال قراءة المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول أعلاه، هو ضعف علاقة الارتباط بين المتغيرين اللذين أشرنا إليهما آنفاً، حيث لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية بين متغير الأقدمية، ووجهة نظر أفراد العينة، حول تجانس النخبة السوسولوجية.

التأويل السوسولوجي لما سبق عرضه من معطيات إحصائية، هو أنّ عدم التجانس داخل النخبة السوسولوجية، يمكن أن يعزى إلى عدة عوامل، لعلّ من أبرزها أنّ أحدّ محدّدات الدخول، إلى هذا الوسط النخبوي متاح لأي فرد، وهذا المحدّد نعني به التأهيل العلمي والمتخصّص المبني على إنتاج معرفي سوسولوجي، يحظى بالاعتراف والقبول دون الأخذ بعين الاعتبار، الانتماءات الدينية والعرقية والمذهبية، وحتّى الأصول العائلية، والمنحدرات الجغرافية لا تحول دون الولج إلى هذا الوسط النخبوي.

جدول (26): يبين رأي الأستاذ الجامعي حسب أقدمية، في مدى استطاعة النخبة
السوسيولوجية التموّج اجتماعيا:

المجموع		الأقدمية								إمكانية النخبة السوسيولوجية التموّج اجتماعيا	
		61-47		46-32		31-17		16-02			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
04.44	06	-	-	06.66	02	06.25	02	02.89	02	أصبح المجتمع ينظر إليها بنظرة المنقذ	
05.18	07	-	-	06.66	02	09.37	03	02.89	02	أصبحت لها فعالية في الميديا	
04.44	06	-	-	03.33	01			07.25	05	بأن المجتمع يחס بضرورة وجود النخبة السوسيولوجية	
14.07	19	-	-	15.15	05	15.62	05	13.04	09	المجموع الجزئي الأول	
21.48	29	-	-	03.33	01	18.75	06	31.88	22	هي بعيدة كل البعد عن التموّج لأنها لا تملك كيانا وظيفيا	
31.11	42	-	-	36.36	12	37.5	12	26.08	18	هي في تراجع لدورها فكيف التموّج	
33.33	45	-	-	45.45	15	28.12	09	28.98	20	ليس لها مكانة	

85.92	116	-	-	84.84	28	84.37	27	86.95	60	المجموع الجزئي الثاني
%100	135	%100	01	%100	33	%100	32	%100	69	المجموع الكلي للعيينة

يظهر من إحصائيات الجدول رقم (26) أنّ الاتجاه العام تمثّله نسبة (85.92%)، من فئة المبحوثين الذين صرحوا، بعدم استطاعة النخبة السوسولوجية التموّج اجتماعياً، وتؤيده في ذلك الخانة المركزية (84.84%) من فئة الأقدمية [32-46]، وكذلك الخانة (86.95%) من فئة الأقدمية [2-16].

وتشير فئات تحليل المحتوى إلى مبررات هذا الاتجاه، الفائل بعدم تموّج النخبة السوسولوجية اجتماعياً، والتي من بينها " أنها ليس لها مكانة (33.33%)"، و"ليس لها دور يذكر في المجتمع (31.11%)"، كما أنّها: " لا تعبّر عن كيان وظيفي (21.48%)".

أمّا الاتجاه المعاكس في الجدول الإحصائي السابق، فتمثّله نسبة (14.07%) من المبحوثين، الذين يرون في النخبة السوسولوجية، بأنّها ذات تموّج اجتماعي.

هذا من الناحية الإحصائية، أمّا سوسولوجياً، فإنّ الحديث عن التموّج الاجتماعي، هو حديث بالدرجة الأولى، عن النفوذ الاجتماعي بشكل عام، إنّنا هنا نتحرك في مجال ربح في القرية والمدينة، والمؤسسة، والتنظيم، وفي المجال المدني بصفة عامة.

إنّ طرح فكرة التموّج الاجتماعي ترتبط أساساً بمفهوم المجال، بحيث تصبح القضية ليست تركيزاً على القوة أو انتشارها، وإنّما طبيعة التأثير السياسي، والاجتماعي داخل مجال، أو حقل معين من الحقول الاجتماعية.

إنّ التموّج الاجتماعي للنخبة يتحدّد من خلال تلك المسافة، التي تُبقيها بينها وبين السياسي، إنّ صور تدخّل هذا الأخير لا يمكن إغفالها بأي حال من الأحوال، حيث ثمة صور عديدة من التدخل، تزداد بشكل سافر في النظم الديكتاتورية، وتتناقص في الدول ذات الطابع الديمقراطي، ويتخذ التدخل صوراً شتى تبدأ من القضاء تماماً، على أي صوت أو

حركة داخل المجال الاجتماعي، وتنتهي بما يمكن أن نطلق عليه بالرعاية أو الوصاية، حيث تُصبح النخبة ربيبةً للسلطة، تتكفل هذه الأخيرة بتربيتها، وتعليمها، وتوظيفها، ورعايتها، والإنابة عنها، والتحدث بصوتها.

استنتاج الفرضية الأولى:

تم بناء عدد من الجداول الإحصائية الارتباطية، انطلاقاً من مؤشرات الفرضية، التي بنيت حول مسألة النخبة السوسيولوجية في الجزائر، ومستوى توقعها اجتماعياً، ومدى حضورها الفعلي، سواء داخل فضاء الجامعة أو خارجه.

*- لا يحمل مفهوم النخبة تصوراً نمطياً واحداً، لدى مفردات عينة البحث، وإنما يتشعب حسب المدرسة، أو النظرية السوسيولوجية، التي تناولت هذا المفهوم ومؤشراته، مع تسجيل غياب نظرة إجرائية لهذا المفهوم، انطلاقاً من خصوصية السياق الثقافي والاجتماعي، وهو ما عبرت عنه قراءة وتحليل الجدول رقم (15) كما ترى نسبة معتبرة من الباحثين، أن تصنيف النخبة السوسيولوجية يدخل ضمن مؤشرات النخب الثلاثية لـ: توم بوتومور، أي نجده يضع النخبة السوسيولوجية ضمن نخبة المفكرين، التي تسهم اسهاماً مباشراً في خلق الأفكار وانتقادها، وهو ما عبر عنه في قراءة و تحليل الجدول (16).

*- تلعب النخبة السوسيولوجية دوراً ابستيمولوجياً، في مواكبة التغيرات والتحويلات الاجتماعية، التي تمر بها المجتمعات، إذا ما أسندت لها وسائل التمكين، لكن وضعها ومكانتها في العالم المتقدم هو غيره في العالم الثالث، إذ نجدها في هذا الأخير، مجرد فئة سوسيو مهنية، أجيبة و موظفة لدى القطاع العام، مما يجعل وجودها ومساهمتها في اتخاذ القرار ضئيلة جداً، كما يجعل من وظيفتها النقدية محدودة الفعالية، عكس ما يقول به يورغان هابرماس، من أن الإنتاج الفكري السوسيولوجي، إنما يكون قائماً على رفض الوضع القائم، وذلك نظراً لتدني مكانة العلوم الاجتماعية لدى أصحاب السلطة، مما يجعل من هكذا إنتاج عبارة عن حشو ورقي، يوضع في رفوف المكتبات، لا عبارة عن خزان معلوماتي موجه لفهم المجتمع وتركيبته، إن هذا ما نتلمسه عند قراءة وتحليل الجداول الإحصائية رقم (17) و(18)، و(19)، والجدول رقم (26).

*- حول مسألة الفصل بين النخبة السوسيولوجية والسياسي، يبدو أن ثنائية الفصل والوصل، لا بد منها عند تناول هذه المسألة، لا سيما عند الحديث عن النخبة وعلاقتها

بالمحيط السياسي في دول العالم الثالث، أين نجد حضور تسييس مفرد لكل مجالات الحياة الاجتماعية، وقد أشرنا إلى ذلك بالتحليل في الجدول رقم (21)، والجدول رقم (23).

*- من خلال قراءة وتحليل الجدول رقم (22)، أن معظم عينة البحث غير مطلعين، أو قليلي الاطلاع، على التراث السوسيولوجي لبير بورديو، المعروف بغزارة إنتاجه المعرفي، وهو ما أبانت عليه تعليقاتهم حول مقولته، التي يصف فيها علم الاجتماع بالرياضة القتالية.

الفرضية الثانية: يعاني المشتغلون بعلم الاجتماع من صور عديدة للاغتراب، نتيجة للتهميش، وعدم الفعالية، وتعطل أدوارهم العلمية والنقدية.

النخبة السوسيولوجية ومسألة الإغتراب:

جدول رقم (27): يبين معنى الاغتراب لدى الأستاذ الجامعي:

المجموع		الرتبة المهنية						مفهوم النخبة
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
08.14	11	07.89		10.20	05	06.25	03	عدم الشعور بالرضا في المحيط الاجتماعي.
27.40	37	34.21	03	24.48	12	25	12	أن تعيش داخل المجتمع وتشعر وكأنك ليس منه.
14.07	19	07.89	13	16.32	08	16.66	08	الخروج عن الواقع لصعوبة التكيف والدخول في صراع.
17.03	23	15.78	03	16.32	08	18.75	09	الاغتراب الذي يعيشه حامل شهادة في علم الاجتماع، بابتعاده عن التخصص والممارسة السوسيولوجية
33.33	45	34.21		32.64	16	33.33	16	الاغتراب هو الاستلاب، فهم ليسوا أحرارا في نشر أي فكر معين، أو أي مشروع علمي دون رقابة.
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

حاولنا في الجدول الإحصائي أعلاه، رصد أهم التعاريف التي قدمها أفراد عينة البحث حول مفهوم الاغتراب، وأظهر لنا القراءة الإحصائية أنّ ما نسبته (33.33%)، وهي النسبة الغالبة في الجدول، من مبحوثينا، تعرّف مفهوم الاغتراب بعدم حرية النخبة السوسولوجية، في نشر أي فكر معين، أو تبني مشروع علمي دون رقابة.

نسجل في الجدول الإحصائي أعلاه، أيضاً، ما نسبته (27.40%)، من أفراد عينة البحث، يعني الاغتراب لهم، عدم الشعور بالانتماء إلى المجتمع المحلي، كما نسجل ما نسبته (17.03%) من أفراد العينة يعرفون الاغتراب بالخروج عن الواقع والدخول في صراع معه، نتيجة صعوبة التكيف معه.

إن هذه المعطيات، لا شك أنّها تفيد بوجود تباين للصور النفسية والسيكولوجية، التي تعبّر عن اغتراب الأستاذ الجامعي، الممارس لمهنة علم الاجتماع، كوظيفة تدريس أو بحث، أو تنظير، وهو ما عبّرت عنه المصطلحات الواردة، في إجابات المبحوثين مثل عدم الشعور بالرضا، وصعوبة التكيف، والدخول في صراع مع نظم وأبنية تقليدية، تعادي أو تعارض ما هو عقلائي ومعرفي، وهو ما يجعل من ظاهرة الاغتراب واقعا متشابها، لدى الكثير من النخب في دول ما يسمى بالعالم الثالث.

غير أن السوسولوجيا لا تكتفي بتأويل ظاهرة الاغتراب، التي تعيشها النخبة بناءً على خصائص النظام السياسي والاجتماعي وحسب، وإنّما تأخذ في الحسبان، هذه الظاهرة كأحد مميزات الوسط النخبوي أيضاً، حيث لا تعيش النخبة اغتراباً جغرافياً فقط، وإنّما هناك اغتراب فكري ولغوي، فاللغة السوسولوجية القائمة على التحليل الإبتيمولوجي، لا تتسجم مع محيط استهلاكي بالدرجة الأولى، تهيمن فيه معايير الخل والاضطراب الاجتماعي، يسوده العنف، والتفكير الأسطوري والميتولوجي على نطاق واسع، وهو ما يجعل الخطاب العقلائي الذي تتبناه النخبة، يبدو في أكثر حالاته غريباً أو غير منسجم، مع خطاب الجموع أو الجماهير، فإذا كان مصطلح الأنثليجنسيا مرادفاً لمفهوم النخبة، فإنّ الشعبوي هو أكثر المصطلحات وجاهة، للتعبير عن خطاب الجماهير.

جدول رقم (28): يبين لنا مدى إمكانية الكلام، عن اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية وتعليل ذلك:

التكرار النسبي	التكرار	إمكانية الكلام عن اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية	
23.70	32	الإحساس بالتهميش وعدم القدرة على الإنتاج	
30.37	41	بما أن النخبة مهمشة من طرف النظام والسلطة الحاكمة، فطبيعي أنها تعيش في حالة اغتراب	
31.85	43	ما دام النخبة مهمشة، ولا تشارك في صنع القرار	
85.92	116	المجموع الجزئي الأول	
08.14	11	مادام هناك بحث علمي، فهذا يعني أنه ليس هناك اغتراب	
05.92	08	التمسك بعلم الاجتماع لا يدخل النخبة في اغتراب.	
14.07	19	المجموع الجزئي الثاني	
%100	135	المجموع الكلي	

تظهر لنا القراءة الإحصائية للجدول رقم (28)، أنه من بين 135 مبحوثاً، هناك 116 مبحوثاً يمثلون اتجاهها سائداً في الجدول، وهو ما تشير إليه النسبة المئوية (85.92%)، حيث تعتبر هذه النسبة عمن يرون بإمكانية الكلام، عن اغتراب النخبة السوسولوجية الجزائرية، مدعمين وجهة نظرهم، ببعض الأدلة، من قبيل التهميش وعدم القدرة على الإنتاج (23.7%)، والتهميش من طرف السلطة (30.37%).

في حين يمثل 19 مبحوثاً من هذه العينة، الاتجاه المعاكس بنسبة (14.07%)، ممن ينفون بوجود حالات من الاغتراب، تعيشها النخبة السوسولوجية في الجزائر.

علينا أن نشير إلى أن الاغتراب ليس ظاهرة نفسية خالصة، أو ظاهرة يدرسها علم النفس المرضي، بل هو ظاهرة وجودية نجد لها تجليات وملامح في مجالات عدّة، كالدين

والتاريخ والسياسة، وغيرها من المجالات، وبخصوص النخبة السوسيولوجية في الجزائر، فإنها وكغيرها من النخب الاجتماعية الأخرى، تعيش أنماطاً وصوراً مختلفة من الاغتراب، لاسيما إذا أخذنا حجم الهوة بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون داخل النسق الاجتماعي، بسبب غياب الظروف السياسية، والمؤسسية، التي تجعل من الفعل النخبوي ذي أهمية وفعالية، ومن صور الاغتراب التي تعيشها النخبة السوسيولوجية بصفة خاصة، والنخب بصفة عامة، نجد الاغتراب السياسي، وهو لجوء النخبة إلى الاحتفاء بالأيديولوجيات السياسية التي تمارس السلطة، بصرف النظر عن نوعها: ليبرالية، أو ماركسية، أو اشتراكية، أو قومية، بحثاً عن تحقيق مآرب مادية وسياسية، ويصبح ولائها للأيديولوجيا، أكثر من ولائها للحقل المعرفي الذي تنتمي إليه.

كما يوجد هناك اغتراب اجتماعي وثقافي، عندما لا تعبر لغة النخبة، ولا حتى خطابها على طموحات وآمال الجماهير، أو أن يكون هذا الخطاب دون مستوى وعيهم، أو يخدم أجندة سياسية محضة، مما يجعل النخبة لا تضطلع بدورها الاجتماعي، والسياسي، والفكري، بجدارة وكفاءة.

جدول رقم (29): يبين العلاقة بين مدى إمكانية الكلام عن اغتراب النخبة السوسيولوجية الجزائرية، ومدى تموقع النخبة السوسيولوجية الجزائرية اجتماعيا:

المجموع		اغتراب النخبة السوسيولوجية				تموقع النخبة اجتماعيا
		لا		نعم		
%	ت	%	ت	%	ت	
14.07	19	19	19	-	-	نعم
85.92	116	116	-	%100	116	لا
%100	135	%100	19	%100	116	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول تطلق النسب، بين الذين قالوا أنّ النخبة متموقة، هم الذين قالوا أنها ليست مغتربة، وفي المقابل تطابق النسب بين الذين قالوا أنّ النخبة ليست متموقة، هم الذين قالوا عنها أنّها مغتربة، فهناك علاقة توازن بين أفراد المجتمع.

إحصائياً، لا نسجل في الجدول رقم (29) اتجاهها عاما سائداً، واتجاهها معاكساً، بحيث نجد توافق كلي في إجابات أفراد العينة، إذا ما نظرنا إليها من خلال وجهات نظرهم حول تموقع النخبة اجتماعياً من جهة، واغترابها من جهة أخرى.

سوسيولوجياً، يمكننا أن نستعير بما يقوله المفكر المغربي محمد عابد الجابري في هذا الصدد، عندما يتناول مسألة مهام النخبة وعلاقتها بجمهورها، مشيراً إلى وجود هوة بن الإثنيين - أي النخبة والجمهور -، وذلك بسبب تضخم الشعور بالذاتية والفردية عند الطرف الأول، وهو ما ينتج واقعا انفصامياً، تبدو فيه صور الاغتراب أكثر وضوحاً وجلاءً بين قيادة وقاعدة، بحيث تفقد الأولى (النخبة) سندها بل ومشروعيتها، كما تفقد الثانية موجهها ومؤطرها. ويشير الجابري في هذا المضمار إلى وجود نخبة تعيش لنفسها ومع نفسها، فهي تعتبر نفسها في جزيرة خالية، لا تتحدث إلا عما يعجبها في عالمها الخاص، وتستطيع أن تكتب وتؤلف، ولكنها لا تخرج عن ذاتيتها، وتظل بسبب ذلك بعيدة عن الغاية الكبرى المنشودة من المعرفة والثقافة.

جدول رقم (30): يبين العلاقة بين اتّصاف علم الاجتماع بالطابع الإيديولوجي، ومدى إمكانية تصور علم الاجتماع خالي من الإيديولوجيا:

		إمكانية تصور علم الاجتماع خالي من الإيديولوجيا				نعم
		غير موافق		موافق		
%	ت	%	ت	%	ت	
13.33	18	52.94	18	-	-	
22.22	30	32.35	12	18.81	19	لا يمكن فصل الموضوعات التي يعالجها علم الاجتماع عن الإيديولوجيا في كثير من الحالات.
18.51	25	-	-	24.75	25	لأنّ علم الاجتماع هو أصل العلوم الأخرى، وهو يستخدم إنجازاتها.
14.07	19	-	-	18.81	19	هو علم حديث النشأة ولا يمكن أن يخلو من الإيديولوجيا.
31.85	43	14.7	05	37.62	38	نشأ وتطور منذ ثلاث قرون، ويمكن تنقيته من الإيديولوجيا.
86.67	117	47.06	16	%100	11	المجموع الجزئي
%100	135	%100	34	%100	101	المجموع الكلي

من خلال محتوى الجدول الإحصائي رقم (30)، نسجل ذهاب النسب والأرقام المبينة في الخانات الهامشية للجدول، أنّ الاتجاه السائد فيها تمثله فئة أفراد العينة، الذين صرحوا

أنه لا يمكن تصوّر علم الاجتماع خالي من الإيديولوجيا، وذلك بنسبة (86.67%) وبتعداد 117 مبحثاً.

كما نقرأ في الجدول الإحصائي أعلاه، اتجاهاً معاكساً لهذا الاتجاه، يرى بإمكانية تصور علم الاجتماع خالي من الأيديولوجيا، ولا يوافق على التصاق الطابع الأيديولوجي بعلم الاجتماع، وذلك بنسبة ضئيلة تقدر بـ (13.33%)، وبتعداد 18 مبحثاً فقط من المجموع الكلي للعينة. إذا أردنا أن نؤول ما عرضناه سابقاً، وفق المدلول السوسيولوجي، فإنّه علينا في البداية أن نعترف بأنّ مفهوم الإيديولوجيا، من المفاهيم المثقلة بالدلالات، في اللغة الشائعة، كما في الاستعمالات العلمية، فبقدر ما تستعمل كلمة "إيديولوجيا"، في المجالات الإنسانية المتعددة، توظف أيضاً في السياق السياسي، كما في السياق الاجتماعي، أمّا عن الجانب العلمي للكلمة فإنّه، كما يقول فيليب برو: " لم يتحقق بعد إجماع غير قابل للنزاع حولها " (1).

وإذا أخذنا مسألة العلاقة بين العلم والإيديولوجيا، وماهي حدود الفصل والتشابك بينهما، فإننا نستعير هنا ما ذهب إليه كل من دستون دي تراسي Destutt De Tracy أحد رواد النظرية الوضعية Positivisme، وأحد مؤسسي كلمة "إيديولوجيا"، وذلك بتأثير أفكار كل من جوت لو ولكونياك، حيث يقول أنّه لا وجود لأفكار فطرية مادام الفكر مستمداً من الإحساس، وقد اعتقد أيضاً بأنّه: " لا شيء يوجد بالنسبة لها إلاّ بواسطة الأفكار التي نمتلكها عنه، لأنّ أفكارنا هي كينونتنا بأكملها، وهي وجودنا نفسه" (2).

ولأن استطاعت العلوم التجريبية والرياضية، أن تكون إنتاجاً معرفياً حول الطبيعة، فإنّ العلوم الإنسانية والاجتماعية، ونظراً لتعقّد وحساسية موضوع بحثها وهو الإنسان، لم يكن باستطاعتها أن تعزل نفسها عن المضمون الإيديولوجي.

1 - برو فيليب، " علم الاجتماع السياسي "، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 1998.

2 - بن عبد العالي عبد السلام، " الميتافيزيقا، العلم والإيديولوجيا "، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، (بدون تاريخ).

جدول رقم (31): يبين العلاقة بين اتّصاف علم الاجتماع بالطابع الإيديولوجي، ومدى إمكانية تصور علم الاجتماع خالي من الإيديولوجيا:

المجموع		بلد التكوين في التدرج				إمكانية تصور علم الاجتماع خالي من الإيديولوجيا
		غير موافق		موافق		
%	ت	%	ت	%	ت	
13.33	18	-	-	13.95	18	نعم
13.33	18	-	-	13.95	18	المجموع الجزئي الأول
13.33	30	50	03	20.93	27	لا يمكن فصل الموضوعات التي يعالجها علم الاجتماع، عن الإيديولوجيا في كثير من الحالات.
22.22	25	-	-	19.37	25	لأنّ علم الاجتماع هو أصل العلوم الأخرى، وهو يستخدم إنجازاتها
18.51	19	-	-	14.72	19	هو علم حديث النشأة ولا يمكن أن يخلو من الإيديولوجيا.
14.07	43	50	06	31	40	نشأ وتطور منذ ثلاثة قرون، ويمكن تنقيته من الإيديولوجيا
86.67	117	%100	06	%100	111	المجموع الجزئي
%100	135	%100	06	%100	129	المجموع الكلي

تشير إحصائياً الجدول أعلاه، أنّ الاتجاه العام فيه، وكما تدلّ عليه الخانة الهامشية هو (86.66%)، وبتعداد 117 مبحوثاً، إن هؤلاء المبحوثين الذين تشير إليهم النسبة المئوية السابقة، لا يعتقدون بوجود إمكانية تصور علم إجماع خالي من الإيديولوجيا، وهم يشكلون أغلبية فئة البحث التي زاولت تكوينها في التدرج داخل الجزائر، مثلما تشير إلى ذلك الخانة المركزية (86.04%).

بينما تشير المعطيات الإحصائية في الاتجاه المناقض إلى ما نسبته (13.33%) من المجموع الكلي للعينة، تشير إلى فئة المبحوثين الذين صرحوا أن تصور علم اجتماع خالي من الصبغة الإيديولوجية، حقيقة موجودة، وهذه الفئة هي الأخرى، تعتبر منتج محلي صرف، أي أنها تابعت تكوينها في التدرج داخل مقاعد الجامعة الجزائرية.

إننا نلاحظ، وبشكل أكثر وضوحاً، إنّ العلاقة بين العلم والإيديولوجيا، لا تتأثر أبداً بالمعطى الجغرافي، فسواء كنا داخل الوطن أوفي أوطان أخرى، فإن ذلك لا يغيّر إطلاقاً في مسار العلاقة بين علم الاجتماع والإيديولوجيا.

وهنا نسوق مفهوم "الإيديولوجيا العلمية" بتعبير جورج كانغليم، الذي وضعه في نهاية الستينات، بعد أن أخذه عن "لوي ألتوسير" و"ميشيل فوكو"، ويشير "جورج كانغليم" بداية إلى أنّ التعبير يبدو متناقضاً، من باب أنّ الإيديولوجيا تحرّف الانتباه عن الواقع وهي تزعم التعبير عنه، على العكس من العلم. ولرفع هذا التناقض، يعرف "كانغليم" الإيديولوجية العلمية "بأنها الخطاب الذي يسبق علماً قيد التأسيس، بالاستناد إلى علم قائم ومحاكاته في مناهجه ومعطياته، فيكتسب من خلال طموحه، لكي يكون علماً صفة إيديولوجية علمية.

بالضرورة هنا أن تكون الإيديولوجيا نقيضاً للعلم، بل مرافقة له، ولهذا لا غنى للباحث الإبستمولوجي حين يكتب تاريخ العلوم، من أن يضمّن تاريخه هذه الجوانب غير العلمية، التي ساهمت في نشوء العلم، إنّ هذه التمييز بين العلم والإيديولوجيا العلمية، يفيد في تمييزها عن الإيديولوجيا السياسية كوعي زائف.

جدول رقم (32): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى موافقته على مقولة علام الاجتماع المغربي عبد الصمد الديالمي التي تنص على ما يلي: "الخطاب السوسولوجي العربي فوقي ومغيب عن الواقع الاجتماعي".

المجموع		المجموع						موقف الأستاذ من مقولة عبد الصمد الديالمي	
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -ب-		أستاذ محاضر -أ-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
28.14	38	23.68	09	24.48	12	35.41	17	خطاب غير مغيب، وإنما مفروض	موافق
26.66	36	26.31	10	28.57	14	25	12	أغلبية الخطابات السوسولوجية، هي خطابات سياسية.	
18.51	25	18.42	07	22.44	11	14.58	07	خطاب يعيد نوعا ما عن الواقع الحقيقي.	
73.33	99	68.42	26	75.51	37	75	36	المجموع الجزائري الأول	
08.14	11	-	-	06.12	03	16.66	08	لا يمكن الاجماع، فهناك من لا يخاف ولا يغيب الحقيقة	غير موافق
12.59	17	21.05	08	12.24	06	06.25	03	لا يمكن تطبيق هذه المقولة مائة بالمائة على الخطاب السوسولوجية بالجزائر.	
05.92	08	10.52	04	06.12	03	02.08	01	هناك الكثير من الخطابات السوسولوجية غير مغيبة عن الواقع.	
26.66	36	31.57	12	24.48	12	25	12	المجموع الجزائري الثاني	
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي	

القراءة الإحصائية لمعطيات الجدول رقم (34)، تفرز لنا النسب والأرقام التالية:

إنّ ما نسبته (73.33%)، تمثل الإتجاه العام السائد في الجدول، والذي يوافق فيه أفراد العينة على مقولة عالم الاجتماع المغربي بكوت الخطاب السوسولوجي العربي فوقي ومغيب عن الواقع الاجتماعي، ويؤيد الاتجاه العام، الخانة المركزية (75.51%) من فئة أستاذ محاضرا - أ- والخانة المركزية (75%) من فئة أستاذ محاضر-ب-، والخانة المركزية (68.42%) من فئة أستاذ التعليم العالي.

أمّا عن الاتجاه المعاكس في الجدول فيمثل ما نسبته (26.66%)، ويشير إلى فئة البحث التي لا تؤيد ما يذهب إليه، عالم الاجتماع المغربي عبد الصمد الديالمي في مقولته السابقة، ويدعم الاتجاه المعاكس في الجدول الإحصائي السابق، الخانة المركزية (25%) من فئة أستاذ محاضر-ب-، والخانة المركزية (24.48%) من فئة أستاذ محاضر-أ- وكذا الخانة المركزية (31.57%) من فئة أستاذ التعليم العالي.

ما يلاحظ وما يعاب أيضًا على الساحة السوسولوجية العربية، هو غياب منظومة فلسفية ذاتية، تستمد منها السوسولوجيا مسلماتها وإطارها المعرفي والمنهجي من جهة، وغياب الموضوع السوسولوجي العربي من جهة أخرى؛ ولذلك طالما كان التساؤل المتجدد والمتكرر، حول مدى قدرة النظرية الاجتماعية المعاصرة التي يوظفها علماء الاجتماع العرب حاليًا لتفسير وفهم ديناميكية التحولات الاجتماعية في المجتمع العربي، وهذه التحولات من التداخل والتعقيد والخصوصية، بحيث تستعصى على الفهم والتفسير برؤى ومعايير وأدوات تحليل النظرية الاجتماعية المعروفة.

إذا كانت السوسولوجيا الغربية قد تشكلت في سياقات، تاريخية وثقافية وفكرية متميزة، كانت استجابة منطقية للواقع الغربي وتحدياته، فإنّ السوسولوجيا العربية كما يقول بذلك عبد الصمد الديالمي، لم تواجه الواقع بعد، إنّها تعتمد على النظرية والممارسة الغربية الإمبريقية القديمة والحديثة، ممّا يجعل الخطاب السوسولوجي، فوقيًا ومغيبًا عن الواقع الاجتماعي العربي بكل تعقيداته وخصائصه

جدول رقم (33): يبين العلاقة بين متغير الشهادة، ومدى موافقة مقولة عالم الإجتماع المغربي عبد الصمد الديالمي " الخطاب السوسيولوجي العربي فوقي ومغيب عن الواقع الاجتماعي ":

المجموع		المجموع								الموقف من مقولة عبد الصمد الديالمي	
		ماجستير		دكتوراه ل م د		دكتوراه العلم		دكتوراه دولة			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
28.14	38	40	06	22.22	02	28.76	21	23.68	09	خطاب غير مخير، وإنما هو خطاب مفروض	
26.66	36	33.33	05	33.33	03	26.02	19	23.68	09	أغلبية الخطابات السوسيولوجية هي خطابات سياسية	
18.51	25	-	-	44.44	04	20.54	15	15.78	06	خطاب بعيد نوعاً ما عن الواقع الحقيقي	
73.33	99	73.33	11	100%	09	75.34	55	63.15	24	المجموع الجزئي الأول	
08.14	11	06.66	01	-	-	13.69	10	-	-	لا يمكن الإجماع، فهناك من لا يخاف ولا يعيب الحقيقة	
12.59	17	0.2	03	-	-	06.84	05	23.68	09	لا يمكن تطبيق هذه المقولة مائة بالمائة على الخطاب السوسيولوجي بالجزائر	

05.92	08	-	-	-	-	04.10	03	13.15	05	هناك الكثير من الخطابات السوسيولوجية غير مغيبّة عن الواقع
26.66	36	26.66	04	-	-	24.65	18	36.84	14	المجموع الجزائري الأول
100 %	135	100 %	15	%100	09	100 %	73	100 %	38	المجموع الكلي

يتضمن الجدول رقم (33) موقف أفراد عينة بحثنا، من مقولة عالم الاجتماع المغربي، انطلاقاً من نوع الشهادة الجامعية المحصل عليها، من خلال مسار التكوين الجامعي، والقراءة الإحصائية للجدول السابق، تفرز لنا النسب والأرقام التالية:

يتمثل الاتجاه العام نسبة (57.33%) من المبحوثين الذين يؤيدون مقولة عبد الصمد الديالمي^(*)، وبتعداد 99 مبحوثاً من المجموع الكلي للعينة، ونجد هذا الاتجاه مدعوماً بفئة حاملي شهادة دكتوراه العلوم بنسبة (75.34%)، متبوعاً بفئة حاملي شهادة الماجستير (73.33%)، وكذا فئة حاملي شهادة دكتوراه الدولة بنسبة (63.15%).

أما عن الاتجاه المعاكس في الجدول، فإننا نقرا ما نسبته (26.66%) من المبحوثين الذين ينفون صحة مقولة عبد الصمد الديالمي.

يبدو من باب التأويل للمعطيات الإحصائية سالفة الذكر، أنّ مقولة عالم الاجتماع والأكاديمي المغربي عبد الصمد الديالمي، تلامس جوهر الواقع السوسيولوجي من حيث الإنتاج والممارسة، فإذا اعتبرنا بأنّ أحد أسباب وجود علم الاجتماع، هو ممارسة التفكير

*- عبد الصمد الديالمي، عالم اجتماع وأكاديمي مغربي، حاصل على دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، من جامعة بيكاردي "فرنسا 1987"، أستاذ علم الاجتماع سابقاً بجامعة محمد بن عبد الله بفس ما بين 1997 و2005، وجامعة محمد الخامس بالرباط ما بين 2005 و2013، وهو من أبرز المتخصصين في المسألة الجنسية في العالم العربي، وخبير في الصحة الإنجابية من 1997 إلى الآن.

النقدي للمجتمع في إطار تركيبات اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، ودينية، فإن وظيفة عالم الاجتماع تفاعلية، وهي بناء تصورات تتلاءم مع مجتمعه، عوض الاقتصار على أخذ مفاهيمه من المجتمعات المتطورة، وذلك من أجل إنتاج علم سوسيولوجي في المجتمعات النامية، يتماشى وخصوصياتها الثقافية والحضارية، وصياغة مفاهيم سوسيولوجية، انطلاقاً من ضرورة التوافق البنوي بين تطور الفكر السوسيولوجي، والحياة السياسية والاجتماعية. إن ما نصوغه من تحليل في هذا المقام، ليس دعوة صريحة لرفض التراث السوسيولوجي العالمي، وإنما استعماله بشكل محايد، واستبعاد التعامل معه كبضاعة أخرى من خلال النقل التكنولوجي، للتحرر من التبعية المتحكمة في ممارساته وفاعليه ومواضيعه.

جدول رقم (34): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي ورؤيته لوضعية النخبة
السوسيولوجية الجزائرية:

المجموع		الرتبة						وضعية النخبة السوسيولوجية الجزائرية	
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
02.96	04	02.63	01	04.08	02	02.08	01	تحاول تفعيل طاقتها في المجال العلمي	إيجابية
02.22	03	02.63	01	02.04	01	02.08	01	تغيرت النظرة إليها نحو الأحسن	
05.18	07	05.26	02	06.12	03	04.16	02	المجموع الجزئي الأول	
18.51	25	18.42	07	18.36	09	18.75	09	هي تعيش وتتواجد في حالة مهترئة	سلبية
15.55	21	15.78	06	16.32	08	14.58	07	هي غير مستقرة وغير معترف بها كفئة فعالة في المجتمع	
31.85	43	34.21	13	32.65	16	29.16	14	هي في ردع دائم لأفكارها وقراراتها	
65.92	89	68.42	26	67.34	33	62.5	30	المجموع الجزئي الثاني	
28.88	39	26.31	10	26.53	13	33.33	16	بدون إجابة	لا أدري
28.88	39	26.31	10	26.53	13	33.33	16	المجموع الجزئي الثالث	
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي	

على الرغم من تشتت إجابات أفراد العينة في الجدول الإحصائي أعلاه، فإننا نقرأ إحصائياً، وجود اتجاه عام سائد تمثله الخانة الهامشية (65.92%)، بتعداد 89 مبحوثاً، وهم ممن يصفون وضعية النخبة السوسولوجية الجزائرية بالسيئة، ونجد هذا الاتجاه عند كل رتبة وظيفية، حيث مثل ما نسبته (68.42%) عند فئة أستاذ التعليم محاضر-أ-، وما نسبته (62.5%) عند فئة أستاذ محاضر-ب-.

أما الاتجاه المعاكس فتمثله الخانة الهامشية (05.18%) لفئة الأساتذة الذين يرون بأن النخبة السوسولوجية الجزائرية في وضعية جيدة، مع الإشارة إلى وجود نسبة معتبرة من المجموع الكلي للعينة، قدرت (28.88%) تشير إلى فئة البحث التي تحفظت وامتنعت عن الادلاء برأيها حول وضعية النخبة السوسولوجية في الجزائر.

يمكن تفسير وتأويل المعطيات الرقمية التي أشرنا إليها آنفاً، بناء على العديد من المؤشرات التي يمكن استقراؤها من الواقع الاجتماعي، حيث لم يُعد للنخبة دور في صنع القرار، وتهدمت صورتها المثالية في المخيال الاجتماعي العام، بسبب فقدان قيمتها التأثيرية على الجماهير، التي أدركت بأن القيمة الإنسانية الحقيقية، ليست في هالة المكانة الأكاديمية ولا المعرفية ولا الثقافية، ما لم تكن النخبة ملتحمة مع المجتمع، وتعيش ضمن الواقع، لا من فوقه، يضاف إلى ذلك التهميش الممنهج والنسقي، لكل فعل نخبوي يرمي إلى الإصلاح والتغيير في أسْمى معانيه.

جدول رقم (35): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي ورأيه في مدى مسؤولية النخبة
السوسيولوجية عن وضعيتها:

المجموع		الرتبة						مسؤولية النخبة السوسيولوجية عن وضعيتها	
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
28.14	38	28.94	11	20.4	10	35.41	17	لأنّ النخبة السوسيولوجية فضّلت الحياد	
21.48	29	15.78	06	36.73	18	10.41	05	لأنها لا تقاوم، ولا تبحث عن حقوقها	
49.62	67	44.73	17	57.14	28	45.83	22	المجموع الجزائري الأول	
17.77	24	18.42	07	12.24	06	22.91	11	لأننا نعيش في فلك سياسي واقتصادي حيث النظام السياسي لا تأثير على النظام الاجتماعي ككل	
22.96	31	23.68	09	20.4	10	25	12	النخبة لا حول لها ولا قوة	
09.62	13	13.15	05	10.2	05	06.25	03	النخبة لا يمكنها معاكسة التيار	
50.37	68	55.26	21	42.85	21	54.16	26	المجموع الجزائري الأول	
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي	

تكشف لنا المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (35)، عن عدم وجود اتجاه عام سائد، واتجاه معاكس له، وذلك بسبب التقارب الكبير بين هذين الاتجاهين، حيث بلغت نسبة أفراد العينة الذين يحملون النخبة السوسولوجية مسؤولية تردّي أوضاعها (49.62%) أمّا عن أولئك الذين ينفون عنها مسؤولية تردّي أوضاعها، فقد شكّلوا ما نسبته (50.37%) من إجابات المبحوثين.

كما أنّ تعداد المبحوثين في كل اتجاه من الاتجاهين السابقين اللذين ذكرناهما آنفاً، متساوي تقريباً، حيث بلغ تعداد المبحوثين في الاتجاه الأول 67 مبحوثاً، بينما في الاتجاه الثاني، فإنّنا نجده 68 مبحوثاً.

سوسولوجيا يمكن تفسير هذا التباين والتقارب في نفس الوقت، بين اتجاهات المبحوثين بخصوص وضعية النخبة السوسولوجية، إلى تعدد العوامل والأسباب المسؤولة عن الوضع الحالي، الذي تعيشه النخبة السوسولوجية، وهو وضع لا يختلف كثيراً عن وضع النخب الأخرى، سواء نظرنا إليها من طابع اجتماعي أو من طابع مهني، وهذا كله نتيجة الهيمنة والسيطرة لكل ما هو سياسي، على حساب ما هو إجتماعي، وثقافي، ومعرفي، وديني... إلخ.

جدول رقم (36): يبين نظرة فئة البحث إلى النخبة السوسولوجية في الجزائر:

المجموع		الرتبة المهنية						نظرة فئة البحث إلى النخبة السوسولوجية في الجزائر
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-		
ت	%	ت	%	%	ت	%	ت	
11.11	15	07.89	03	14.28	07	10.41	05	مستقلة في أقوالها وأفعالها
24.44	33	18.42	07	22.44	11	31.25	15	خاضعة لأصحاب القرار
34.07	46	36.84	14	40.81	20	25	12	نخبة لقمة عيش ولا حول ولا قوة لها
30.37	41	36.84	14	22.44	11	33.33	16	عالمة مبدعة، مهمشة ومقصاة، وتبحث عن نفسها
%100	135	%100	38	%100	49	%100	48	المجموع الكلي

من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه والمتضمن نظرة فئة البحث إلى النخبة السوسولوجية في الجزائر، يظهر لنا أن ما نسبته (34.07%)، وبتعداد 46 مبحوثاً، ينظرون إلى هذه النخبة على أنها "نخبة لقمة عيش ولا حول ولا قوة لها"، ومتبوعة بنسبة (30.37%) وبتعداد 41 مبحوثاً، ينظرون إلى النخبة السوسولوجية على أنها "عالمة مبدعة، مهمشة ومقصاة وتبحث عن نفسها". ثم لدينا ما نسبته (24.43%) ممن يرون في النخبة السوسولوجية خاضعة لأصحاب القرار. إن جملة التمثلات الاجتماعية التي تحملها مفردات العينة عن ذاتها، وعن النخبة السوسولوجية، تركز إلى حد بعيد الواقع الاجتماعي والسياسي بكل تناقضاته، وهو واقع تعيش فيه الثنائيات الجدلية مثل الإبداع والروتينية، والاحتفاء والاقصاء، والاستقلالية عن السياسي والخضوع له، وغيرها من الجدليات التي تصنع الفارق، بين نخب تنتمي إلى عالم متقدم، وأخرى تنتمي إلى عالم

متخلف؛ إنَّ هذه الأخيرة تتعرض إلى ما نسميه بتهرئة النخب، نتيجة التسييس المفرط للحياة الاجتماعية بمختلف مجالاتها.

جدول رقم (37): يبيّن رأي فئة البحث فيما مدى صدق أنّ السلطة أعطت فرصاً عديدة للنخبة السوسولوجية:

التكرار النسبي	التكرار	السلطة أعطت فرصة للنخبة السوسولوجية
20	27	صحيح
80	108	غير صحيح
%100	135	المجموع

من خلال الجدول السابق، يمثل الاتجاه العام السائد (80%)، وبتعداد 108 مبحوثاً من أفراد العينة، ينفون صحة القول، بأنَّ السلطة أعطت فرصاً عديدة للنخبة السوسولوجية، في حين لا يشكل الذين يرون بأنَّ السلطة منحت فرصاً عديدة للنخبة السوسولوجية سوى (20%) وبتعداد 27 مبحوثاً فقط.

أنَّ هذه المعطيات يمكن تأويلها سوسولوجياً، بازدواجية المعايير التي تعتبر خاصية تتميز بها السلطة، في تعاملها مع نخبها فيما يسمى بدول العالم الثالث، فمن جهة تعتبر النخب بمثابة خزّان لا ينضب من الإطارات ذوي الكفاءة العالية، تلجأ إليه السلطة لتسيير الشأن العام، ومن جهة أخرى فإنَّ هذه النخب، ولدى استعمالها من طرف السلطة، فإنَّها تصبح نخباً بيروقراطية بحتة، تقوم بتنفيذ مهام إدارية وتقنية ذات طابع روتيني ودوغمائي، ممّا يجعلها تفقد علاقتها تدريجياً بالحقل المعرفي الذي تنتمي إليه، وذلك بسبب عدم توظيفها للمخزون المعرفي الذي تملكه، في المناصب التي تمنحها لها السلطة، إنه، بتعبير آخر ذوبان ما هو عرفي وعلمي، داخل ما هو إداري وبيروقراطي.

جدول رقم (38): يبين رأي فئة البحث في وجود نظرة دولية اتجاه علم الاجتماع:

التكرار النسبي	التكرار	هناك نظرة دولية اتجاه علم الاجتماع
64.44	87	نعم
35.56	48	لا
%100	135	المجموع

من خلال القراءة الإحصائية للجدول الإحصائي أعلاه، يظهر لنا جلياً أنّ ما نسبته (64.44%) هو الاتجاه المسيطر، حيث يؤكد من خلاله، أفراد العينة الذين أجريت عليهم الدراسة، وجود نظرة دولية اتجاه علم الاجتماع كمهنة وكتخصص معرفي، وبتعداد 87 مبحوثاً من المجموع الكلي للعينة. في حين أنّ ما نسبته (35.56%)، وبتعداد 48 مبحوثاً قد صرّحوا بأنه ليس هناك نظرة دولية، اتجاه علم الاجتماع إذا كان لعلم الاجتماع بصفة خاصة، والعلوم الاجتماعية بصفة عامة دور حيوي، في الدول المتقدمة، من خلال تحليله للوقائع والمعطيات الاجتماعية، فإنّه، على العكس تماماً، عندما يتعلق الأمر بمكانته في دول العالم الثالث، حيث أعطيت، في هذا الأخير، ولا تزال تُعطى الأولوية إلى العلوم التقنية والرياضية، من أجل مسايرة الطفرة الهائلة التي أحدثتها التكنولوجيات المتطورة، دون أن يتحقق ذلك، وبالتالي نجد أنّ العلوم الاجتماعية قد هُمّشت بفعل قرار سياسي، مما جعل خريجي هذه العلوم، لا يجدون فرصاً متكافئة في سوق العمل مقارنة مع نظرائهم من خريجي العلوم التقنية والرياضية هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإنّ علم الاجتماع، والعلوم الاجتماعية بشكل عام، لم تستطع لحد الآن، بعد مضي عدة سنوات من تأسيسها في الجامعات العربية، أن ينجح في تأصيل وجوده، لا على المستوى الاستيمولوجي لمفهوم المعرفة العلمية والمنهج النظرية، ولا على المستوى الاجتماعي لتقبل مخرجاته العلمية من

البحوث والإنتاج العلمي، نتيجة عدم قراءة الواقع قراءة علمية، فالواقع التطبيقي لتخصص علم الاجتماع، نظرياً ومنهجياً بالجامعات العربية، يعكس وجود فجوة معرفية بين النظرية والواقع.

استنتاج الفرضية الثانية

فمن خلال تتبع قراءة إحصائية وتحليل سوسولوجي متواترين للجداول الإحصائية الارتباطية، التي تم بناؤها من مضمون الفرضية الثانية، التي تمحورت حول واقع وصورة النخبة السوسولوجية في الجزائر، انطلاقا من مؤشرات عديدة، من أهمها الاغتراب، والتموقع الاجتماعي، والخضوع للسلطة السياسية، والتهميش وعدم الفعالية، وعليه فإننا نسوق تلخيص النتائج الجزئية لهذه الفرضية في النقاط التالية:

*-تتعدد صور الإغتراب لدى الأستاذ الجامعي لمهنة علم الاجتماع، صور نفسية وأخرى سيكولوجية،

الفرضية الثالثة: الإنتاج السوسولوجي في غالبته إنتاج نمطي، روتيني، يعتمد مقاربات وأطر نظرية، يتم استنساخها من خارج الفضاء الابدستيمولوجي المحلي.

جدول رقم (39): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي وسبقيته قراءتها لعلماء اجتماع جزائريين:

المجموع	الرتبة							القراءة لعلماء اجتماع جزائريين
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر - أ		أستاذ محاضر - ب		القراءة لعلماء اجتماع جزائريين	
	%	ت	%	ت	%	ت		
88.14	119	97.36	37	81.63	40	87.5	42	نعم
11.85	16	16	01	18.36	09	12.5	06	لا
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

يتبين لنا الجدول الإحصائي أعلاه، اتجاهات مفردات العينة حول مسألة قراءتهم لعلماء اجتماع جزائريين، ومن خلال إسقاط قراءة إحصائية على مضمون الجدول، نسجل اتجاهًا عامًا يمثل ما نسبته 88.14%، ويشير إلى المبحوثين الذين أكدوا قراءتهم لعلماء اجتماع جزائريين، ونلاحظ أنّ الاتجاه العام في الجدول، السابق كان مهيمًا، وبنسبة مطلقة، وهو ما تدعمه الخانات المركزية التي تضمنها الجدول الإحصائي، حيث نجد أنّ نسب القراءة لعلماء اجتماع جزائريين، توزعت وفق الدرجة الوظيفية، لمفردات العينة توزعت كالآتي:

فئة أستاذ التعليم العالي = 97.36%

فئة أستاذ محاضر - ب = 87.5%

فئة أستاذ محاضر - أ = 81.63%

أمّا الاتجاه المعاكس في الجدول، فإنه يمثل نسبة ضئيلة من المجموع الكلي للعينة، قدّرت في الجدول الإحصائي السابق بنسبة 11.85%، تدعمه الخانة المركزية (18.36%)

لفئة أستاذ محاضر-أ- والخانة المركزية (12.5%) لفئة أستاذ محاضر-ب-، وهذه النسب تمثل حصة الذين لم يسبق لهم القراءة لعلماء اجتماع جزائريين.

بالنسبة الذين يقرؤون، وسبق لهم أن قرؤوا لعلماء اجتماع جزائريين، فهم يمثلون القاعدة، إذ إنه من الضروري والبديهي أيضًا للأستاذ الجامعي، المنتسب للحقل المعرفي السوسيولوجي، أن يقرأ ويطلع على أعمال من سبقوه في هذا المضمار، لاسيما في ما يتعلق بالدراسات والأبحاث المتعلقة بالمجتمع الجزائري، كما أنّ القراءة كأحد مؤشرات الفعل الثقافي، أحد العناصر العامة للباحث والأستاذ الجامعي، لتحصيل زاد معرفي وعلمي، يمكنه من الاشتغال في حقل الدراسات السوسيولوجية.

أمّا بالنسبة لأولئك الذين صرحوا بأنهم لم يسبق لهم القراءة، فإنهم يشكلون الاستثناء، لذلك كانت نسبتهم ضئيلة، ومنه فإن تأويل ذلك، يمكن أن يعزى إلى كون هؤلاء، إمّا بالمبتدئين أو الملتحقين حديثًا بالحقل السوسيولوجي، أو هو عدم الاهتمام بقراءة الإنتاج السوسيولوجي، والقيام بمهام بيداغوجية بحتة كالتدريس مثلا.

جدول رقم (40): يبين العلاقة بين متغير السن لفئة البحث، وأسبقية قراءتها لعلماء اجتماع جزائريين.

المجموع		متغير السن								القراءة لعلماء اجتماع جزائريين
		78-66		65-53		52-40		39-27		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
88.14	119	100	11	92.5	37	83.01	44	87.09	27	نعم
11.86	16	-	-	07.5	03	16.99	09	12.91	04	لا
100	135	100	11	100	40	100	53	100	31	المجموع

تسمح لنا المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (40) بمحاولة رصد العلاقة

القائمة بن متغير السن، ومتغير القراءة لعلماء اجتماع جزائريين لدى مبحوثينا.

إحصائياً، نسجل اتجاهًا سائدًا، وهو ما تمثله الخانة الهامشية 88.14%، وبتعداد 119
مبحوثًا، وهم ممّن يقرون بأنهم قرءوا لعلماء اجتماع جزائريين.

يؤيد هذا الاتجاه الخانة المركزية 100% للفئة العمرية [66-78 سنة] بتعداد
11 مبحوثًا، متبوعًا بنسبة 92.5% لفئة السن [53-65]، ثم نسبة 87.09% لفئة السن [27-
39]، كما تؤيد هذا الاتجاه الخانة المركزية 83.01% لفئة السن [40-52].

أمّا الاتجاه المعاكس في الجدول، فتمثله الخانة الهامشية 11.86% وبتعداد
16 مبحوثًا، وهي تشير إلى نسبة مفردات العينة، على اختلاف فئاتهم العمرية، الذين لم
يقرؤوا لعلماء اجتماع جزائريين.

إنّ الأرقام والنسب التي قدمناها تخفي تفسيرًا سوسولوجيا سنحاول أن نتناوله انطلاقًا
من متغير ديمغرافي محوري، وهو السن، إنّ هذا الأخير طالما كان يعبر عن متغير الجيل،
وكل ما يحمله من ممارسات ومعاني تميّز الفاعل الاجتماعي من جيل إلى آخر،

فبالنسبة لأساتذة التعليم العالي، الذين يمثلون في الغالب جيلًا واحدًا، نجد أنّ نسبة
القراءة لعلماء اجتماع جزائريين كانت 100%، إن هذا مردّة إلى ظروف ومعطيات توفّرت
لهذا الجيل كفرص التكوين في الخارج التي كانت تمنحها الحكومة لأبناء هذا الجيل في
سبعينات وثمانينات القرن الماضي، وكذا الاعتراف ولو ضمنيًا بأهمية العلوم الاجتماعية من
قبل السلطة، إلى غيرها من المعطيات، في حين أنّ الأجيال التي تلت هذا الجيل، ورغم
جهودها ومقاومتها من أجل إثبات الذات، إلا أنّ السياق السياسي والاجتماعي والثقافي في
حال دون بروزها كمنخبة سوسولوجية فاعلة في النسق الاجتماعي، ومن هنا وجهت انتقادات
للمشتغلين بعلم الاجتماع، كونهم لم يصلوا إلى القيام بدورهم لرفع قيمته ومكانته.

جدول رقم (41): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، وأهم خمس مراجع سوسيولوجية يقرأ لها.

المجموع	الرتبة							ذكر أهم مس مرجعيات سوسيولوجية بالجزائر
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-			
	%	ت	%	ت	%	ت		
03.70	08	-	-	06.12	03	04.16	02	أحمد بوخبزة
05.92	08	-	-	12.24	06	04.16	02	علي الكنز
05.92	08	05.26	02		02	08.32	04	عبد الغني مغربي
11.85	16	07.89	03	06.12	03	20.83	10	الجيلالي اليابس
60.74	82	84.21	32	53.06	26	50	24	بوخبزة، علي الكنز، هوارى عدي، عبد الغني مغربي، الجيلالي اليابس
11.85	16	02.63	01	18.36	09	12.5	06	بدون إجابة
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

يتضمن الجدول الإحصائي أعلاه، أهم خمس مراجع سوسيولوجية محلية، يستند إليها المبحوثين في قراءتهم وتحليلاتهم، ومن علماء السوسيولوجيا الجزائريين الذين ذكروا في إجابات مفردات العينة نذكرهم كآتي:

- أحمد بوخبزة.
- علي الكنز.
- عدي هوارى.
- الجيلالي اليابس.
- عبد الغني مغربي.

ومن خلال القراءة الإحصائية لبيانات الجدول، نجد أنّ ما نسبته 60% من المبحوثين، وبتعداد 82 مبحوثاً، يقرؤون لعلماء الاجتماع الذين سبق ذكرهم آنفاً، كما نسجل في الجدول ما نسبته 11.85% من المبحوثين، لم يصرحوا بأي إجابة حول مضمون السؤال لا يبدو من خلال تشتت إجابة مبحوثينا أنّهم يقرؤون لكل الرواد الذين ذكرت أسمائهم آنفاً، إذ أنّ الكثير منهم يعرفونهم انطلاقاً من شهرتهم الأكاديمية، لا أكثر، وكمثال عن ذلك، معظم الذين ذكروا الجيلاي اليايس، و أمحمد بوخبزة، وعلي الكنز، يعترفون أنّهم لم يطلعوا على أعمال هؤلاء، وإنّما عرفوهم من خلال تواتر أسماءهم لدى الكثيرين ممن يشتغلون بالبحث السوسولوجي ومما يؤكد ما نذهب إليه، هو غياب قامات بارزة في الحقل السوسولوجي الجزائري، لكنها لم تذكر في إجابات المبحوثين، على غرار عمّار بلحسن، وإلياس بوكراع، وكلودين شولي، وأحمد المقري التلمساني.

جدول رقم (42): يبين العلاقة بين متغير السن لفئة البحث، والأعمال السوسولوجية المفضّلة لديها:

المجموع		متغير السن								الأعمال السوسولوجية المفضّلة للقراءة
		78-66		65-53		52-40		39-27		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
16.29	22	-	-	-	-	28.3	15	22.58	07	الجزائرية
09.63	13	-	-	-	-	11.32	06	22.58	07	العربية
58.52	79	100	11	100	40	37.73	20	25.81	08	الغربية
15.15	21	-	-	-	-	22.64	12	29.03	09	جميعها
100	135	100	11	100	40	100	53	100	31	المجموع

نقرأ إحصائياً، من خلال مضمون الجدول أعلاه، إتجاهاً سائداً هو ما تمثله الخانة الهامشية 58.52%، بتعداد 79 مبحوثاً وهم ممّن يفضلون قراءة الإنتاج السوسولوجي

الغربي، تؤيد هذا الاتجاه الخانة المركزية 100% للفئة العمرية [66-78]، والخانة المركزية 100% للفئة العمرية [53-65].

أمّا الاتجاه المعاكس، فتمثله الخانة الهامشية 09.63%، بتعداد 13 مبحوثاً فقط، وهم من المبحوثين الذين صرحوا بأنهم يفضلون قراءة الإنتاج السوسيوولوجي العربي. التأويل السوسيوولوجي للإحصائيات السابقة، يبين لنا لماذا فئة أستاذ التعليم العالي، يفضلون قراءة الأعمال السوسيوولوجية الغربية بنسبة 100%، حيث أنّ هذا الجيل لم تمسّه سياسة التعريب التي شُرِعَ فيها منذ سبعينات القرن الماضي، لمّا يجعل تكوينه اللغوي العربي ضعيفاً نوعاً ما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ تلقّي هذا الجيل لتكوين ازدواجي اللغة، أو فرنسي في غالب الأحيان، أنتج فئة مثقفة فرانكفونية بامتياز.

في حين أنّنا نجد فئة أستاذ محاضر ب- وفئة أستاذ محاضر أ- يقرؤون في الغالب باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية، لكنّ الغالبية منهم تفضّل قراءة الأعمال السوسيوولوجية المكتوبة باللغة العربية، دون غيرها، وذلك لاضطلاعها وتمكّنها في العربية، وعدم إتقانها المحكم باللغات الأخرى قراءة وكتابةً.

جدول رقم (43): يبين العلاقة بين متغير الجنس لفئة البحث، ونوع الأعمال السوسيوولوجية المفضلة للقراءة:

المجموع		الجنس				الأعمال السوسيوولوجية المفضلة للقراءة
		أنثى		نكر		
%	ت	%	ت	%	ت	
16.29	22	18.51	10	14.81	12	الجزائرية
09.63	13	18.51	10	03.70	03	العربية
58.51	79	37.03	20	72.84	59	الغربية
15.55	21	25.92	14	08.64	07	جميعها
100	135	100	54	100	81	المجموع

من خلال القيام بقراءة إحصائية على الجدول الإحصائي المدون أعلاه، الذي يتبين لنا تقاطع بيانات إحصائية لكل من متغير الجذر، ومتغير الأعمال السوسولوجية المفضلة للقراءة، نسجل اتجاهًا عامًا في الجدول، تمثله خانة التوزيع الهامشي (58.51%)، وبتعداد 79 مبحثًا يفضالون قراءة الأعمال السوسولوجية الغربية، الأوروبية منها والأمريكية.

يُدعم هذا الاتجاه الخانة المركزية 72.84%، لفئة الذكور وبتعداد 59 مبحثًا، وكذا الخانة المركزية 37.03% لفئة الإناث، وبتعداد 20 مبحثًا.

في حين يمثل الاتجاه المناقض 09.63% تؤيده، من الخانات المركزية، نسبة 18.51% لفئة الإناث، ويشير هذا الاتجاه إلى فئة المبحثين الذين يقبلون على قراءة الأعمال السوسولوجية العربية.

كما يبيّن لنا الجدول الإحصائي السابق أن نسبة إقبال مفردات العينة على قراءة الأعمال السوسولوجية الجزائرية هي نسبة ضعيفة إلى حدّ ما، كما تشير إلى ذلك بنسبة 16.29%.

إنّ ضعف نسبة الإقبال لدى مبحثينا لقراءة الأعمال السوسولوجية الجزائرية، هو في حد ذاته إجابة ضمنية عن وضعية ومكانة علم الاجتماع، في منظومة التعليم الجامعي، حيث ما يلاحظ عن الإنتاج السوسولوجي الجزائري، وما يعاب عليه كذلك، هو تذبذبه بين إنتاج عربي وغربي، مع غياب واضح لتبينة نظريات ومفاهيم هذا العلم مع الحالة الجزائرية، مما يجعل الدراسات والبحوث التي تنتجها الجامعة عبارة عن استنساخ لدراسات وبحوث أخرى وافدة من خارج الفضاء الإبتسيميولوجي المحلي.

جدول رقم (44): يبين العلاقة بين متغير الجنس، واللغة المفضلة لقراءة الأعمال السوسيلوجية:

المجموع		الجنس				اللغة المفضلة في قراءة الأعمال السوسيلوجية
		أنثى		ذكر		
%	ت	%	ت	%	ت	
39.52	53	53.7	29	29.63	24	العربية
41.48	56	27.77	15	50.61	41	الفرنسية
02.22	03	05.55	03	-	-	الإنجليزية
17.03	23	12.96	07	19.75	16	جميعها
100	135	100	54	100	81	المجموع

تذهب أرقام معطيات الجدول الإحصائي أعلاه، إلى أنّ الاتجاه السائد أو العام، تمثله فئة المبحوثين الذين يفضلون قراءة الأعمال السوسيلوجية المكتوبة باللغة الفرنسية، وهو ما توضحه خانة التوزيع الهامشي 41.48% وبتعداد 56 مبحوث، كما تمثله فئة المبحوثين الذين يفضلون قراءة الأعمال السوسيلوجية المكتوبة باللغة العربية، وهو ما تشير إليه أيضا خانة التوزيع الهامشي 39.52%، وبتعداد 53 مبحوثا، أما بخصوص الاتجاه المعاكس، فقد مثل نسبة ضئيلة جدا، قدرت بـ 2.22%، وبتعداد 03 مبحوثين، يشير هذا الاتجاه إلى المبحوثين ذو القراءة الانجلو سكسونية للأعمال السوسيلوجية. من وجهة نظر سوسيلوجية، إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن متغير الجنس ليس له تأثيرات ذات جدوى، في إختيار لغة القراءة للأعمال السوسيلوجية، فإن تناول المسألة اللغوية في الجزائر له أكثر من مدلول، إذ أنّ إختيار لغة ما، وتبنيها في الحياة اليومية، كما في الحياة العلمية، هو تعبير عن انتماء ثقافي واجتماعي حيث اللغة الأجنبية، لاسيما اللغة الفرنسية. ليست أداة تواصل، وقراءة فحسب، وإنما في الوقت نفسه عنصر تميّز ومفاخرة، انطلاقا من كونها تمنح للمتكلم بها جاذبية، عندما يتعلق الأمر بحالة المثقف الجزائري.

جدول رقم (45): يبين العلاقة بين الأعمال السوسولوجية المفضّلة، لدى فئة

البحث، واللغة المفضّلة في قراءة هذه الأعمال:

المجموع		الأعمال السوسولوجية المفضّلة								اللغة المفضّلة في قراءة الأعمال السوسولوجية
		جميعها		الغربية		العربية		الجزائرية		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
39.25	53	47.61	10	20.25	16	91.03	12	68.18	15	العربية
41.48	56	19.04	04	62.02	49	-	-	13.63	03	الفرنسية
02.22	03	-	-	03.79	03	-	-	-	-	الإنجليزية
17.03	23	33.33	07	13.92	11	7.7	01	18.18	04	جميعها
100	135	100	21	100	79	100	13	100	22	المجموع

معطيات الجدول الإحصائي رقم (45) تترجم إلى حدّ كبير ما ذهبنا إليه قراءتنا الإحصائية للجدول الإحصائي رقم (44)، حيث نسجل حضوراً ملفتاً للإنتباه، لكل من اللغتين العربية والفرنسية، كأعمال أكاديمية، أو كلغة قراءة، في حين، نلاحظ أنّ اللغة الإنكليزية تسجل حضوراً باهتاً لدى أفراد العينة، على مستوى اللغة المستعملة في القراءة أو في نوعية الأعمال السوسولوجية المكتوبة بالإنجليزية.

إن حضور اللغة العربية واللغة الفرنسية في النسق الثقافي، يعزى إلى عوامل تاريخية وإنثروبولوجية، فمثلاً عندما يتعلق الأمر باللغة العربية، فإن عمرها الزمني في منطقة شمال إفريقيا يمتد لقرون طويلة، ممّا جعلها وعاءً مميزاً لثقافة هذه الشعوب، لاسيّما إذا عرفنا بأن وفودها لهذه المنطقة كان مصحوباً بانتشار الدين الإسلامي فيها، أمّا بخصوص اللغة الفرنسية، فإنّ الفترة الطويلة للاستعمار الفرنسي في الجزائري، جعل من اللغة الفرنسية أحد مكونات المشهد الثقافي في جزائر ما بعد الاستقلال، حيث نجدّها حاضرة في الأعمال

الأكاديمية، كما في الروايات والسينما ووسائل الإعلام، فضلاً عن كونها لغة تخاطب وتواصل لدى جمع غفير من الجزائريين.

جدول رقم (46): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ومدى معالجة الإنتاج السوسيولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية الجزائرية:

المجموع		رتبة الأستاذ الجامعي						مدى معالجة الإنتاج السوسيولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
45.18	61	55.26	21	42.85	21	39.58	19	يعالج
54.81	74	44.73	17	57.14	28	60.41	29	لا يعالج
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

البيانات الإحصائية الواردة في الجدول أعلاه، تم رصدها، من خلال سؤال وجهناه لعينة البحث، مؤداه، مدى معالجة الإنتاج السوسيولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية الراهنة، ومن خلال إسقاط قراءة إحصائية متأنية على المحتوى الرقمي للجدول، يبدو لنا الاتجاه العام السائد في خانة التوزيع الهامشي، التي تشير إلى ما نسبته 54.81% من الباحثين، الذين ينفون المقولة التي تزعم بأن الإنتاج السوسيولوجي الجزائري يعالج المشكلات الاجتماعية الراهنة يدعم هذا الاتجاه العام كل من الخانة المركزية 60.41% لفئة أستاذ محاضر-ب-، والخانة المركزية 57.14% لفئة أستاذ محاضر-أ-.

أما عن الاتجاه المعاكس في الجدول الإحصائي السابق، فإنه تشير إليه نسبة 45.18% المتواجدة في خانة التوزيع الهامشي، وهنا نجد أيضاً أن الاتجاه المعاكس، كما أسلفنا ذكره، مدعوماً بالخانة المركزية 55.26% لفئة أستاذ التعليم العالي، والخانة المركزية 42.85% لفئة أستاذ محاضر-أ-.

علينا أن نشير في هذا السياق، أنّ التجربة السوسولوجية في الجزائر عرفت منعطفات عديدة، بدءًا من السوسولوجيا الكولونيالية، التي دأبت على دراسة بنية المجتمع الجزائري لخدمة مصالح استعمارية، كأعمال جاك بيرك، و رينيه غاليسو، وصولاً إلى المرحلة الممتدة ما بين (1971-1984)، وهي المرحلة التي أصبح ينظر فيها، إلى علم الاجتماع كعلم نقدي إيديولوجي وثوري، يتماهى مع النهج الاشتراكي للدولة، ثم تأتي مرحلة ما بعد سنة 1984 إلى يومنا هذا، حيث تحوّل علم الاجتماع كغيره من العلوم الاجتماعية، مع التوجه الليبرالي الجديد للدولة، علمًا منبؤدًا، فاقداً لكل المكاسب التي حقّقها في المراحل السابقة، وهذا بالرغم من ضآلتها، فنجد أنّ الخطاب الرسمي قد تغيّر في هذه الفترة موقفاً وعملاً اتجاه العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع خاصة، وأصبحت كل الأنظار متجهّة نحو العلوم الطبيعية والتكنولوجية وذلك باسم التنمية والتغيير.

لكن ما يحدث في الجزائر اليوم، من تحولات بنيوية واجتماعية عميقة، لعلّ من أبرزها مشاهد الحراك الاجتماعي ذو الطبيعة السلمية، والمطلبية السياسية الثورية، يشكل مادة دسمة للبحث والتنقيب، وهو ما يستدعي ثورة سوسولوجية مواكبة لهذا الحراك، من أجل تقصي مؤشرات الفعل الاجتماعي العقلاني، في بعده القيمي والغائي، والوقوف على الأدوار والوظائف التي أفرزت فاعلين اجتماعيين جدد، وبتمثلات اجتماعية هي الأخرى، أزاحت ما كان متعارفاً عليه بالضرورة.

جدول رقم (47): يبين العلاقة بين جنس فئة البحث، ومدى معالجة الإنتاج السوسولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية:

المجموع		الجنس				مدى معالجة الإنتاج السوسولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية
		أنثى		نكر		
%	ت	%	ت	%	ت	
45.18	61	46.29	29	44.44	36	يعالج
54.81	74	53.7	29	55.55	45	لا يعالج
100	135	100	54	100	81	المجموع

من أجل القيام برصد العلاقة بين متغير الجنس، ورؤية مفردات العينة لمدى معالجة الإنتاج السوسولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية، توضح لنا القراءة الإحصائية للبيانات الواردة في الجدول أعلاه، التقارب الكبير، في موقف كل من الذكور والإناث، فبالنسبة للاتجاه العام ف الجدول، والمقدر بنسبة 54.81%، نجد أنّ نسبة الذكور كانت قد قدرت بـ 55.55%، في حين قدرت نسبة الإناث بـ 53.7% وهو ما يبيّن لنا تقارباً في النسبتين.

كذلك الحال بالنسبة للاتجاه المعاكس، والذي يمثل نسبة 45.18%.

حيث يلاحظ جلياً تقارب نسبة كل من الذكور والإناث، حيث قدرت الأولى

بـ 44.44%، بينما قدرت الثانية بـ 46.29%.

لا يبدو أنّ هناك علاقة تذكر بين متغير النوع الاجتماعي ومدى معالجة الإنتاج السوسولوجي للمشكلات الاجتماعية الراهنة، والسبب في ذلك، يعود، كما أسلفنا سابقاً، أنّ الإنتاج السوسولوجي، كان في كل مرة يتلون بطبيعة الظروف السياسية والاجتماعية وما تنتجه من ظواهر ومشكلات، وكذا بموقف السلطة من هذا الإنتاج المعرفي، ومدى الاعتراف بنخبته، وإشراكهم في عملية التنمية الاجتماعية.

جدول رقم (48): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، ورأيهم حول قدرة المشتغلين بعلم الاجتماع على التنبؤ بحجم المشكلات:

المجموع	الرتبة						قدرة المشتغلين بعلم الاجتماع على التنبؤ بحجم المشكلات	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر - أ		أستاذ محاضر - ب			
	%	ت	%	ت	%	ت		
61.48	83	63.15	24	53.06	26	68.75	33	نعم
38.51	52	36.84	14	46.24	23	31.25	15	لا
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

إحصائياً، تشير المعطيات الواردة في الجدول الإحصائي رقم (48) إلى وجود إتجاه عام سائد، تشير إليه نسبة 61.48%، في خانة التوزيع الهامشي، وبتعداد 83 مبحوثاً ويمثل الاتجاه العام فئة المبحوثين الذين يرون قدرة المشتغلين في علم الاجتماع التنبؤ بحجم المشكلات.

تدعم الاتجاه العام، كل من الخانة المركزية 68.75% لفئة أستاذ محاضر - ب، والخانة المركزية 63.15% لفئة أستاذ التعليم العالي.

أمّا بخصوص الاتجاه المعاكس، في الجدول، فهو ما تشير إليه نسبة 38.51% في خانة التوزيع الهامشي، وبتعداد 52 مبحوثاً، ويمثل هذا الاتجاه فئة المبحوثين الذين ينفون قدرة المشتغلين في علم الاجتماع على التنبؤ بحجم المشكلات، نجد هذا الاتجاه مدعوماً بكل من الخانة المركزية 46.94% لفئة أستاذ محاضر - أ، والخانة المركزية 36.84% لفئة أستاذ التعليم العالي.

يمكن أن نعقب على ما سقناه من قراءة إحصائية لمضمون الجدول السابق، بالاستشهاد باعترافات لعلماء الاجتماع، عن أوضاع علم الاجتماع في الوطن العربي برمته،

حيث يقول محمد عزّت حجازي، الخبير بالمركز القومي للبحوث والاجتماعية والجنائية بالقاهرة: "إننا لا ننتج علمًا حقيقيًا، وإنما نستورد ونستهلك دون تبصّر، ونخلط في ذلك بين ما يمكن أن يفيد وما لا غناء فيه (1).

أمّا عالم الاجتماع الجزائري علي الكنز يقول: "إذا أردنا تقويم الممارسات السوسيولوجية في بلادنا، أمكننا وصفها بتبعيتها الأساسية للسوسيولوجيا الغربية، يمكن أن نؤكد هذه الحقيقة دون خوف، وقد انسحب علينا هذا الحكم سابقًا، نأخذ هذه التبعية أشكال التكرار والتقليد واعيًا، أم غير واعٍ، مما يؤدي إلى انعكاس، أو بالأحرى انحراف قضايا وإشكاليات العالم الغربي داخل البنى الاجتماعية والثقافية لعالمنا.... (2).

في نفس السياق يتحدث عالم الاجتماع الإماراتي سالم ساري، عن سيطرة المفاهيم الغربية على فكر علماء الاجتماع في بلادنا، وعن عدم نجاحهم في تطوير مفاهيم أصيلة لتحليل واقع مجتمعاتنا، حيث لم يظهر لسنوات طويلة في التراث العربي لعلم الاجتماع، في ما يتصل بالمشكلات الاجتماعية التقليدية، على الأقل إلا تطابق مع المفاهيم النظرية الغربية، بمسلماتها وافتراساتها وارتباطاتها (3).

1- د. أحمد إبراهيم خضر، "اعترافات علماء الاجتماع: عقم النظرية وقصور المنهج"، ص: 15.

2- د. أحمد إبراهيم خضر، مرجع سابق الذكر، ص 10.

3- المرجع نفسه، ص 187.

جدول رقم (49): يبين العلاقة بين جنس فئة البحث، ورأيهم حول قدرة المشتغلين بعلم الاجتماع على التنبؤ:

المجموع		الجنس				قدرة المشتغلين بعلم الاجتماع على التنبؤ بحجم المشكلات
		أنثى		ذكر		
%	ت	%	ت	%	ت	
61.48	83	70.37	38	55.55	46	نعم
38.51	52	29.63	16	44.44	36	لا
100	135	100	54	100	81	المجموع

من خلال القراءة الإحصائية لبيانات الجدول أعلاه، نلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مكوني النوع الاجتماعي، فمن خلال رصد نسبة الاتجاه العام في الجدول، والمقدرة بـ 61.48%، وهي النسبة التي تمثل فئة المبحوثين الذين يؤكدون قدرة المشتغلين في علم الاجتماع على التنبؤ بحجم المشكلات، نجد أن نسبة الإناث التي قدّرت بـ 70.37% هي أكبر بكثير من نسبة الذكور التي قدّرت بـ 55.55%. غير أننا نجد الأسرة معكوساً في الاتجاه المناقض في الجدول، حيث نجد نسبة الإناث التي قدّرت بـ 29.63%، هي أقل بكثير من نسبة الذكور التي قدّرت بـ 44.44%. لقد أشرنا فيما سبق، أثناء تناولنا بالقراءة والتحليل للجدول الإحصائي السابق (جدول رقم 48)، أنّ علم الاجتماع مسألة الإنتاجية العلمية، إنما يمكن أن تُعزى لأسباب معرفية بحتة، أو لأسباب تتعلق بظروف سياسية ومؤسسية، وعليه فإنّ متغير الجنس في الجدول السابق، يبدو عديم التأثير فيما يتعلق بإجابات المبحوثين عن مدى قدرة المشتغلين بعلم الاجتماع بحجم المشكلات، مما يجعل علاقة الارتباط بين المتغيرين علاقة صفرية.

جدول رقم (50): يبين العلاقة بين رتبة الأستاذ الجامعي، والاعتقاد بأن الإنتاج السوسيولوجي هو إنتاج أكاديمي بحث:

المجموع	الرتبة						الإنتاج السوسيولوجي هو إنتاج أكاديمي بحث	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر -أ-		أستاذ محاضر -ب-			
	%	ت	%	ت	%	ت		
52.59	71	44.73	17	61.22	30	50	24	موافق
47.41	64	55.26	21	38.77	19	50	24	غير موافق
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

القراءة الإحصائية للجدول أعلاه، تبين لنا أنه من بين 135 مبحوثاً شملتهم الدراسة الميدانية، هناك 71 مبحوثاً، يمثلون اتجاهاً سائداً في الجدول أعلاه بنسبة 52.59%، ممن يرون أن الإنتاج السوسيولوجي، هو إنتاج أكاديمي بحث، ويُدعم هذا الاتجاه كل من الخانة المركزية 50% لفئة أستاذ محاضر-ب-، والخانة المركزية 61.22% لفئة أستاذ محاضر-أ-.

في حين يمثل 64 مبحوثاً من مجموع العينة الاتجاه المعاكس في الجدول بنسبة 47.41%، ممن لا يعتبرون أن الإنتاج السوسيولوجي هو إنتاج أكاديمي بحث، تدعمه فئة أستاذ التعليم العالي بنسبة 55.26%، وبتعداد 21 مبحوثاً، وكذا فئة أستاذ محاضر-ب-، بنسبة 50%، وبتعداد 24 مبحوثاً.

يعاني علم الاجتماع بصفة عامة من انعدام التواصل والنقاش بين باحثيه، ويتجنب اللجوء إلى المجتمع بحثاً عن معطيات تجريبية، حيث نجد أنّ علماء الاجتماع في الغالب، يثيرون الأسئلة بدل تقديم أجوبة ملموسة، ويظهر واقع السوسيولوجيا المساهمة المحدودة، لعلماء الاجتماع العرب في النقاش والتنظير الفكري، بسبب الاستبداد وهيمنة الطابوهات .

وبالإطلاع على السير الذاتية للباحثين الذين يُجرون بحوثًا سياسية لمصلحة الدولة والمنظمات الدولية، يتبين أن نحو ثلاثة أرباع هؤلاء لم ينشروا بحوثهم في سجلات أكاديمية، وأنه ليس هناك أثر لعمل ميداني، وأن أغلب المخرجات هي إعادة إنتاج لأعمال باحثين آخرين، ونادرًا ما نصادف كتبًا ألفها باحثون اجتماعيون تُقرأ خارج الوسط الأكاديمي، بحيث تثير إشكاليات أساسية للمجتمع العربي أو المحلي.

جدول رقم (51): يشير إلى بعض الأمثلة التي قدمتها فئة البحث، بخصوص تدخل علماء اجتماع جزائريين، في معالجة المشكلات التي تعانيها بعض القطاعات:

الأمثلة	التكرار	%
الأمن الغذائي	16	11.85
النزوح الريفي	08	05.92
التحولات الاجتماعية	15	11.11
الصناعة والاقتصاد	28	20.74
الموروث الثقافي	14	10.37
بدن إجابة	54	40
المجموع	135	100

يبين لنا الجدول الإحصائي أعلاه، أنّ ما نسبته 40% هو الاتجاه المسيطر في الجدول، حيث تشير هذه النسبة المرتفعة إلى فئة المبحوثين الذين لم يصرحوا بأي إجابة عن المجالات والقطاعات التي بإمكان علماء اجتماع جزائريين معالجة مشكلاتها، وقد بلغ عدد هؤلاء المبحوثين 54 مبحثًا. في حين نجد أنّ ما نسبته 20.74% من المبحوثين قد صرّحوا بإمكانية المعالجة السوسولوجية لمشكلات الصناعة والاقتصاد وبتعداد 20 مبحثًا.

كما يحضر في إجابات مفردات العينة، كل من موضوع الأمن الغذائي وموضوع التحولات الاجتماعية كأحد مجالات تدخل علماء الاجتماع لمعالجة المشكلات المتعلقة بالموضوعين السابقين، وهو ما تعبر عنه النسبة المئوية 11.85%، و 11.11% في الجدول السابق يتنوع حضور البحث السوسولوجي في فضاءات متعددة، حيث نجده يهتم بدراسة سلوك المجتمعات، وطرق تفاعلها، وما يؤثر فيها، بالإضافة إلى التحولات التي تمرّ بها، وترزع استقرارها، ولا يقتصر علم الاجتماع على دراسة ظاهرة واحدة، أو فئة مجتمعية ما؛ بل إنّه يدرس كافة شرائح المجتمع، ويستفيد من تنوعها، للحصول على أكبر قدر من المعلومات التي زيد من إمكانية التعرف إلى المجتمع بمكوناته، ومؤسساته، وطبقاته على اختلافها.

جدول رقم (52): يبين مدى معرفة فئة البحث عن أجيال علماء الاجتماع في الجزائر:

معرفة أجيال علماء الاجتماع في الجزائر	التكرار	%
بعض الشيء	61	45.18
الكثير	29	21.48
الجيل الأول والثاني والثالث	15	11.11
الجيل الأول والثاني	30	22.22
المجموع	135	100

يفرز لنا الجدول الإحصائي رقم (52) نسباً مئوية وتكرارات تبين لنا توزع مفردات العينة حسب معرفتهم عن أجيال علماء الاجتماع، والقراءة الإحصائية لمعطيات الجدول، تفيد أنّ ما نسبته 45.18% من المبحوثين، تعدادهم 61 مبحوثاً، كاتجاه عام، قد اعترفوا بأنّ معرفتهم بأجيال علم الاجتماع في الجزائر ضئيلة، تليها بعد ذلك نسبة 22.28% من المبحوثين، صرحوا بأنهم يعرفون الجيل الأول والثاني، متنوعة، بما نسبته 21.48% من المبحوثين الذين قالوا بأنهم يعرفون الكثير عن أجيال علماء الاجتماع في الجزائر.

تعكس معطيات الجدول السابق واقع البحث العلمي، والعلاقة بين الأجيال الثقافية، وهي معطيات تؤثر على وجود حالة باطولوجية، تتم عن أزمة حضارية وثقافية تعيشها دول العالم الثالث، ومنها الجزائر، إنّ أزمة العلوم، إنّما هي نتاج أزمة مجتمعية هي الأخرى، تبدأ من السياسي، وتتماهى مع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، حيث يصبح الاحتفاء بالرأسمال الثقافي لا يشكل رمزية معنوية من شأنها أن تجعل الفعل الثقافي ذو شأن في هكذا مجتمعات، ومنه تنشأ القطيعة بين الأجيال، بسبب ما يُعرف اليوم بأزمة المثقف، الذي لم يعد مجهولاً عند الجماهير فحسب، وإنّما حتى عند نظرائه من المثقفين.

جدول رقم (53): يبين تصنيف عينة البحث لأجيال علماء الاجتماع الجزائريين:

المجموع	الرتبة						أجيال علماء الاجتماع الجزائريين في نظر عينة البحث		
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-				
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
27.41	37	26.31	10	24.49	12	31.25	15	محمد السويدي عبد الغني مغربي	الجيل الأول
34.07	46	26.31	10	40.82	020	33.33	16	امحمد بوخبزة جيلالي اليابس ندير معروف	الجيل الثاني
38.52	52	47.37	18	34.69	17	35.42	17	زمام نورالدين معتوق جمال سلاطنية بلقاسم	الجيل الثالث
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع	

يتضمن الجدول الإحصائي أعلاه، تصنيفاً مفردات عينة بحثنا لأجيال علماء الاجتماع في الجزائر، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الحقل المعرفي السوسولوجي هو حديث العهد في الجامعة الجزائرية، إذ ما قارناها بنظيراتها من الجامعات العربية الأخرى، كالجامعة المصرية، والجامعة العراقية، والجامعة المغربية، وغيرهم من الجامعات الأخرى.

ومن خلال تتبع ما تتيحه لنا القراءة الإحصائية لبيانات الجدول، نشير إلى غياب ما يُسمّى بالاتجاه العام أو السائد في الجدول، وذلك لتقارب النسب المئوية المسجلة في خانة التوزيع الهامشي، ومع ذلك، فإنّ الجيل الثالث من علماء الاجتماع الجزائريين حاز على أكبر نسبة مئوية، من خلال إطلاع فئة البحث على أعماله وإنتاجه السوسولوجي، وهو ما تشير إليه فإنه التوزيع الهامشي بنسبة مئوية قدرها (38.52%).

ثم يأتي في المركز التالي، الجيل الثاني من علماء الاجتماع، وحضوره كمرجعيات لدراسات سوسولوجية محلية، وذلك بما يمثل ما نسبته (34.07%) من إجابات المبحوثين. أما عن الجيل الأول من علماء الاجتماع الجزائريين، فقد سجّل هو الآخر حضوراً في إجابات مفردات العينة، وذلك ما تشير إليه خانة التوزيع الهامشي (27.41%).

م يمكن أن نعلق عليه من منظور سوسولوجي، على ما أفرزته لنا القراءة الإحصائية للجدول السابق، أن هناك أعلام بارزة في علم الاجتماع، على اختلاف وتنوع أجيالها، وهي محل إجماع لدى الباحثين والمشتغلين في دائرة السوسولوجيا، وحتى عند غير المنتسبين للحقل السوسولوجي فأسماء مثل: محمد السويدي، عبد الغني مغربي، أحمد بوخبزة، جيلالي اليابس، سلاطنية بلقاسم، زمام نورالدين، لها وزنها وثقلها في الساحة السوسولوجية، لكننا نتساءل، وبغرابة عن غياب قامات سوسولوجية لامعة، تركت أثرها في ميدان البحث السوسولوجي، وقامات أخرى لاتزال تنتشط أكاديمياً وفكرياً، مثل: عمار بلحسن، سعيد شيخي، منصور بن لرنب، عمر أكتوف، جابي عبد الناصر، وغيرهم، وعليه فإنّ هذه الانتقائية لعلماء دون آخرين يمكن تفسيرها.

كما كنا قد أشرنا إليه في تحليل الجدول رقم (52)، إلى وجود فجوة معرفية بين الأجيال الثقافية والعلمية، ومن بينها الأجيال الثقافية والعلمية، ومن بينها أجيال الحقل السوسيولوجي في الجزائر.

جدول رقم (54): يبين عضوية عينة البحث في مخابر البحث العلمي:

المجموع	الرتبة						العضوية في مخبر بحث	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
74.81	101	81.58	31	85.71	42	58.33	28	نعم
25.18	34	18.42	07	14.29	07	41.67	20	لا
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

يظهر من خلال الجدول أعلاه، أنّ الاتجاه السائد أو العام يمثل 74.81%، وبتعداد 101 مبحوث، تمثله فئة المبحوثين الذين أكدوا عضويتهم في مخابر البحث العلمي، وتؤيد هذا الاتجاه الخانة المركزية 85.71% لفئة أستاذ محاضر-أ-، والخانة المركزية 81.58% لفئة أستاذ التعليم العالي.

في حين يمثل الاتجاه المعاكس نسبة 25.18%، وبتعداد 34 مبحوثاً، وهو فئة المبحوثين الذين ليس لهم عضوية في مخابر البحث.

التأويل السوسيولوجي لا يعطي قيمة للكم، إلا إذا كان من وراء هذا الكم دلالات ومعاني، حيث أنّ لا عدد المخابر الموجودة على مستوى كليات وجامعات الوطن، ولا عدد فرق البحث المتوزعة على هذه المخابر، ولا حتى عدد الباحثين المنضويين والمنخرطين

في مخابر وفرق البحث، يعكس لنا طفرة معلوماتية في البحوث العلمية، ولا يؤشر على إنتاج علمي قابل للتسويق، أو موجه إلى الإدماج في مخططات التنمية بكل أبعادها، وما إقدام الوزارة الوصية على غلق الكثير من هذه المخابر، لا سيما في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، لأكبر دليل، على أنّ مخابر وفرق البحث إنّما فُتحت بقرار سياسي لا يستند إلى إستراتيجية علمية، وتمّ التخلّي عن مُعظمها أيضًا بقرار سياسي بحت.

جدول رقم (55): يبيّن رأي فئة البحث حول نوعية الرسائل الجامعية:

المجموع	الرتبة						نوعية الرسائل الجامعية	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-			
	%	ت	%	ت	%	ت		
06.67	09	-	-	08.16	07	10.42	05	جيدة
65.93	89	63.16	24	75.5	37	58.33	28	مقبولة
27.4	37	36.84	14	16.33	08	31.25	15	سيئة وورديئة
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

نقرأ في الجدول الإحصائي السابق اتجاهاً عاماً بنسبة 65.93% تعداده 89 مبحوثاً، ممّن أنّ الرسائل الجامعية ذات مستوى مقبول من ناحية الشكل والمحتوى المعرفي، وتؤيد هذا الاتجاه كل من الخانة المركزية (75.5%) لفئة أستاذ محاضر-أ-، والخانة المركزية 63.16% لفئة أستاذ التعليم العالي.

أمّا الاتجاه المعاكس ف الجدول، فإنّه تمثله نسبة (27.4%)، كما تشير إليه خانة التوزيع الهامشي، وبتعداد 37 مبحوث، ممّن يصفون نوعية الرسائل الجامعية بكونها سيئة

ورديئة تؤيده الخانة المركزية 36.84% من فئة أستاذ التعليم العالي، والخانة المركزية 31.25% من فئة أستاذ محاضر-ب-.

ما يمكن قوله بخصوص ما أسلفنا ذكره، هو أنّ أزمة الإنتاج المعرفي السوسولوجي، هي جزء من أزمة الإنتاج العلمي في بلادنا بصفة عامة، حيث أنّ الإحصائيات والأرقام التي تخص ميزانية البحث العلمي، لا تجعل من هذا الأخير رهاناً تعتمد عليه السلطة السياسية، وتعول عليه في بناء اقتصاد مبني على المعرفة العلمية، أو تنمية اجتماعية، مبنية على ما توفره الدراسات والأبحاث، مما جعل العلوم، ولاسيما العلوم الاجتماعية، لا تحظى بالاعتراف الاجتماعي، إلى جانب كونها مهمشة سياسياً.

جدول رقم (56): يبين مدى تأييد فئة البحث لفكرة إنشاء المخابر وفرق البحث:

المجموع		الرتبة						تأييد فكرة إنشاء المخابر وفرق البحث	
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت		
32.59	44	34.21	13	28.57	14	35.42	17	هي القاعدة الأساسية الصلبة لانفتاح العلم السوسولوجي	مؤيد
26.67	36	28.95	11	28.57	14	22.92	11	لا يوجد مجال آخر لإبراز علم الاجتماع كعلم ضروري	
25.93	35	23.68	09	26.53	13	27.08	13	هي المنتفس الفعلي لحامل شهادة في علم الاجتماع الذي واصل التدرج العلمي	
85.18	115	86.84	33	83.67	41	85.42	41	المجموع الجزئي الأول	
08.15	11	05.2	04	10.21	05	04.17	02	لا أرى أي منفعة على أرض الواقع	غير مؤيد
06.67	09	02.63	01	06.12	03	10.41	05	عمل المخابر وفرق البحث أكاديمي ولا يمت بصلة لحل المشاكل الاجتماعية	
14.82	20	13.16	05	16.33	08	14.58	07	المجموع الجزئي الثاني	
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع الكلي	

يتضمن الجدول رقم (56) المدون أعلاه، بيانات حول موقف عينة بحثنا من مسألة إفشاء المخابر وفرق البحث، بحيث أن القراءة الإحصائية للجدول السابق، تفرز لنا اتجاهًا عامًا تمثله خانة التوزيع الهامشي (85.15%)، وبتعداد 115 مبحوث، يؤيدون فكرة إنشاء المخابر وفرق البحث، ونجد هذا الاتجاه مدعومًا بالخانة المركزية (86.84%) من فئة أساتذة التعليم العالي، والخانة المركزية (85.42%) لفئة أستاذ محاضر-ب-، وكذا الخانة المركزية (83.67%) لفئة أستاذ محاضر-أ-.

كما تفرز لنا إحصائيات الجدول تبريرات الاتجاه العام، حيث أن ما نسبته (32.59%) من مؤيدي فكرة إنشاء المخابر وفرق البحث يرجعون ذلك إلى كون هذه الأخيرة هي القاعدة الأساسية والصلبة لانفتاح العلم السوسولوجي، بينما نجد أن ما نسبته (25.93%) منهم، يرون في فرق ومخابر البحث متنفسًا فعليًا لحامل شهادة في علم الاجتماع الذي واصل التدرج العلمي.

أما عن الاتجاه المعاكس في الجدول، فإنه تمثله الخانة الهامشية (14.82%) لفئة المبحوثين الذين لا يؤيدون فكرة إنشاء المخابر وفرق البحث، تؤيد هذا الاتجاه كل من الخانة المركزية (16.33%) من فئة أستاذ محاضر-أ-، والخانة المركزية (14.58%) من فئة أستاذ محاضر-ب-.

لقد أشرنا في تحليلنا للجدول رقم (54)، أن فكرة إنشاء مخابر وفرق البحث، إنما كانت بفعل قرار سياسي، والأصح هو، إلى جانب توفر الإرادة السياسية، يجيب أن يكون من ورائها أهداف مسطرة يتوخى تحقيقها، وأنّ تعبر عن حاجات علمية امبريقية، وتُعنى بمعالجة المشاكل الاجتماعية الراهنة، مع إرفاقها بكل الوسائل والإمكانات لتحقيق ذلك، أمّا إذا كانت المخابر مقطوعة الصلة عن واقعها، وتعاني عجزًا فادحًا في التجهيزات ووسائل البحث العلمي، فإنها تصبح دون جدوى أو فعالية.

جدول رقم (57): يبين اختيارات الإجابة في الجدول لدى فئة البحث حول خصائص النخبة السوسيولوجية:

المجموع		الرتبة						خصائص النخبة السوسيولوجية
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر - أ		أستاذ محاضر - ب		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
18.52	25		07		08		10	المشتغلون بعلم الاجتماع
23.7	32		08		12		12	الرصيد النظري، والمعرفي الكافي، لديهم تكوين عالي.
04.44	06		01		02		03	يتمتعون بسلطة رمزية، تسمح لهم بالتفكير في قضايا المجتمع.
06.67	09		02		-		07	امتلاك كفاءات نظرية، وتطبيقية عالية.
06.67	09		02		05		02	معارفهم لا تتعدى حدود تخصصهم
14.81	20		05		10		05	معارفهم منقولة من عند الآخرين.
01.48	02		01		-		01	معارف قديمة وغير مواكبة للتطورات التي عرفها هذا العلم.
11.11	15		06		05		04	لهم رؤية واضحة، وقدرة عالية من الفهم والتحليل.
05.93	08		03		02		03	يتمتعون بالموضوعية، والنزعة العلمية.
100	135		38		49		48	المجموع

القراءة الإحصائية لمعطيات الجدول المدون أعلاه، والمتضمن أهم العبارات التي تمّ استخدامها من طرف مفردات العينة لتوصيف خصائص النخبة السوسولوجية، تظهر لنا أنّ خاصية الرصيد النظري والمعرفي الكافي تمثّل اتجاهاً سائداً في الجدول، من حيث أنّها حازت على أكبر نسبة مئوية من إجابات المبحوثين، قدّرت بـ (23.7%)، متبوعة بخاصية " المشتغلون في علم الاجتماع بنسبة (18.52%)، ثم نجد خاصية " معارفهم منقولة من عند الآخرين "، بنسبة (14.81%)، متبوعة بخاصية " لهم رؤية واضحة وقدرة عالية من الفهم والتحليل " والتي مثّلت نسبة (11.11%) من إجابات المبحوثين.

بصفة عامة، يمكن القول، أن مفهوم النخبة السوسولوجية، لا يمكن إسقاطه على أيّ منتسب للحقل المعرفي السوسولوجي، وإنّما على تلك الفئة التي تقدّم إنتاجاً معرفياً يتسم بالتواتر والغزارة، وتساهم في إثراء النقاش العام بخصوص مسائل اجتماعية وسياسية وثقافية، وهذه الخصائص لم نجد لها أي إشارة في إجابات المبحوثين، رغم أنّها تعتبر أحد مميزات الوسط النخبوي السوسولوجي.

جدول رقم (58): يبين نظرة فئة البحث لمستقبل علم الاجتماع في الجزائر:

المجموع	الرتبة						مستقبل علم الاجتماع في الجزائر	
	أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-			
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
16.29	22	13.16	05	16.32	08	18.75	09	أحب هذا العلم إلا أن مستقبله، متوقف على طبيعة النظام السياسي.
17.04	23	15.79	06	16.32	08	20.83	09	مستقبله متوقف على أصحاب القرار بإعطائه مكانة.
18.52	25	21.05	08	14.28	07	18.75	10	مستقبله متوقف على الوعي بأهميته.
16.29	22	15.79	06	14.29	07	22.91	09	لا أرى له أي مستقبل
31.85	43	34.21	13	38.77	19	100	11	مستقبله مرتبط بتنمية الثقافة الاجتماعية.
100	135	100	38	100	49	100	48	المجموع

حول نظرة فئة البحث لمستقبل علم الاجتماع في الجزائر، تزودنا القراءة الإحصائية للجدول أعلاه بمعطيات إحصائية، تظهر لنا الاتجاه العام في الجدول، حسب ما تشير إليه الخانة الهامشية (31.85%)، ويعتبر هذا الاتجاه عن فئة المبحوثين الذين يرون أن مستقبل علم الاجتماع مرتبط بتنمية الثقافة الاجتماعية، يدعم هذا الاتجاه الخانة المركزية (38.77%) من فئة أستاذ محاضر-أ-، والخانة المركزية (34.21%) لفئة أستاذ التعليم العالي. نلاحظ كذلك من خلال الجدول السابق، أنّ الاتجاه العام متبوع بنسبة

(18.52%) من فئة المبحوثين الذين يرون أن مستقبل علم الاجتماع متوقف على الوعي بأهميته، ثم لدينا ما نسبته (17.04%) من المبحوثين، الذين يرون أن مستقبل علم الاجتماع متوقف على أصحاب القرار وذلك بإعطائه مكانة لائقة.

إنّ القيام بثورة علمية ومعرفية، يبدأ أساسًا من الاهتمام بالمنظومة العلمية، وتفعيلها في النسق الاجتماعي، وهذا لا يتجسد إلاّ من خلال إرادة سياسية فاعلة، مستقلة في قراراتها، تقوم بإشراك أصحاب العقول النيرة، والحاملين لمشاريع أفكار تنموية، في تحديث بُنى المجتمع، ومؤسسات الدولة، وأن ترى في الوظيفة النقدية التي تمارسها في النسق الاجتماعي بمثابة المرآة، التي من خلالها تقف على مواطن القصور والخلل في سياساتها العامة المتبعة في تسيير الشأن العام، ومن خلال، ما قدمناه، من شروط سياسية ومؤسسية لتفعيل نسق العلوم الاجتماعية، يمكن لنا أن نتنبأ بِغَدِ مُشرق وأفضل ستعرفه هذه العلوم في مستقبل الأيام.

جدول رقم (59): يبين موقف عينة البحث من إمكانية الكلام عن نخبة سوسولوجية جزائرية:

المجموع		الرتبة						إمكانية الكلام عن نخبة سوسولوجية جزائرية
		أستاذ التعليم العالي		أستاذ محاضر-أ-		أستاذ محاضر-ب-		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
11.85	16	13.15	05	10.20	05	12.5	06	هناك نخبة، وخاصة في الجامعة، ولكنها مهمة.
21.48	29	21.05	08	18.36	09	25	12	أعمالها لا تؤخذ بعين الاعتبار، إلا أنها تقاوم لتكون موجودة.
17.77	24	18.42	07	20.41	10	14.58	07	مع كل الصعاب، لا يمكن إلغاء وجود النخبة.
51.11	69	52.63	20	48.98	24	52.8	25	المجموع الجزئي الأول
11.85	16	13.15	05	12.24	06	10.41	05	لأنها تنشط داخل الجامعة.
17.77	24	13.15	05	14.28	07	25	12	لا يمكن التحدث عن نخبة سوسولوجية، وهي لا تساعد على دراسة الظواهر الاجتماعية.
19.26	26	21.05	08	24.49	12	12.5	06	تواجه الكثير من الصعوبات في ميدان البحث والعمل.
48.88	66	47.36	18	51.02	25	47.91	23	المجموع الجزئي الثاني
100	100	100	38	100	49	100	48	المجموع الكلي

أهم ما تفرزه القراءة الإحصائية للجدول الإحصائي رقم (59)، وهو غياب وجود اتجاه عام سائد في إجابات المبحوثين، واتجاه معاكس، وذلك نظراً لتقارب نسب الاتجاهين، حيث مثلت نسبة المبحوثين الذين يقولون بوجود نخبة سوسيولوجية جزائرية (51.11%) من المجموع الكلي للعيّنة، بينما مثلت نسبة المبحوثين الذين ينفون وجود نخبة سوسيولوجية جزائرية ما قيمته (48.88%) من المجموع الكلي للعيّنة.

إذا ما أردنا تصنيف النخبة السوسيولوجية، فإنّه أماننا أكثر من زاوية للنظر إليها كنخبة، فمن جهة يمكننا اعتبارها نخبة ثقافية، انطلاقاً من كون المثقف السوسيولوجي، هو الآخر ينتج معرفة وفكرًا، كغيره من المثقفين، كما يمكن النظر إليها كنخبة مهنية، نظراً لتدرجها في مسار وظيفي، وانضوائها تحت شكل مؤسساتي يتمثل في الجامعة ومراكز البحث، بالإضافة إلى اعتبارها أيضًا نخبة سياسية، إذ أنها قد تتخرط في فعل سياسي مباشر، كأن تنضم إلى النخبة البيروقراطية المسيّرة لأجهزة ومرافق الدولة، أو تشكل تيارًا معارضًا للسلطة، من خلال وظيفتها المعرفية النقدية.

استنتاج الفرضية الثالثة:

تمحورت الفرضية الثالثة حول مسألة الإنتاج السوسولوجي في الجزائر وخصائصه وطبيعته، ومن خلال إسقاط القراءة الإحصائية على بيانات الجدوال الإرتباطية، وما يتبعها بالضرورة من تحليل سوسولوجي للدلالات الإحصائية التي تخفيها البيانات، قمنا بتلخيص أهم ما تم التوصل إليه، في تحليل هذه الفرضية، وهو ما ندرجه في النقاط التالية:

- برهنت القراءة الإحصائية، والتحليل السوسولوجي للجداول الإحصائية رقم (39)، (40)، (41)، على أنه رغم تصريح الغالبية المطلقة، من عينة البحث بقراءتهم لأعمال باحثين سوسولوجيين جزائريين، إلا أن ذلك لا يخفي وجود فجوة معرفية، وغياب تواصل بين محترفي مهنة البحث السوسولوجي.

- هناك إقبال شبه ضعيف لدى المبحوثين، لقراءة الأعمال السوسولوجية الجزائرية، وهو مؤشر عن وضعية ومكانة علم الاجتماع في منظومة التعليم الجامعي، حيث يتذبذب هذا العلم بين إنتاج غربي وعربي، مع غياب واضح لتبينة نظريات ومفاهيم هذا العلم مع الحالة الجزائرية؛ يضاف إلى ذلك أن اللغة العربية واللغة الفرنسية، كأداتين لقراءة الأعمال الأكاديمية ذات المحتوى المعرفي السوسولوجي، وذلك لاعتبارات تاريخية وأنتروبولوجية، وهو ما تم الإشارة إليه في القراءة الإحصائية، والتحليل السوسولوجي للجداول الإحصائية رقم (42)، (43)، (44) و(45).

- بخصوص مسألة مدى معالجة الإنتاج السوسولوجي الجزائري، للمشكلات الاجتماعية، نجد أنه لا أثر لمتغير رتبة الأستاذ الجامعي، ولا متغير النوع الاجتماعي بمتغير الإنتاج السوسولوجي، وذلك لكون أن هذا الأخير من حيث نوعيته وغازرته، ومدى معالجته للمشكلات الاجتماعية، يرتبط بظروف سياسية، واجتماعية، ومعرفية، ناتجة عن البيئة التي تتواجد بها، وهو ما برهنت عليه قراءة وتحليل الجداول الإحصائية رقم (46)، (47)، (48)، (50)، (51).

هناك شغف قليل الأهمية لدى عينة بحثنا، في ما يتعلق باطلاعها على أعمال أجيال علم الاجتماع في الجزائر، وهو ما وقفنا عليه من خلال الأسماء البارزة في الحقل السوسيولوجي الجزائري، التي ذكرها المبحوثين، حيث نجد غياب رموز فاعلة في المشهد السوسيولوجي، حاضرة بقوة من خلال أعمالها الأكاديمية، وهو ما برهنت عليه قراءة وتحليل الجدولين الإحصائيين رقم (52)، ورقم (53).

- في الجداول الإحصائية رقم (54)، و(55)، و(56)، و(57)، نجد بعض ما يميز المشهد السوسيولوجي في الجزائر، حيث نجد وجود الكثير من فرق وخابر البحث، التي لم تتوفر لديها الإمكانيات والوسائل، للنهوض بمستوى البحث العلمي في بلادنا، ولا حتى وجود مناخ فكري قائم على الإبداع والتنافسية؛ وهو ما انعكس على وضعية النخبة السوسيولوجية من جهة، ومن نوعية الرسائل والأبحاث الجامعية من جهة أخرى.

- أسفرت لنا القراءة الإحصائية، والتحليل السوسيولوجي لكل من الجدول رقم (58)، والجدول رقم (59)، أن مستقبل علم الاجتماع في الجزائر، هو من مستقبل نخبته، إذ إن رقي وازدهار إحداها متوقف على الآخر.

الاستنتاج العام

الإستنتاج العام:

استنتاج الفرضية الأولى:

تمّ بناء عدد من الجداول الإحصائية الارتباطية، انطلاقاً من مؤشرات الفرضية التي بنيت حول مسألة النخبة السوسولوجية في الجزائر ومستوى توقعها اجتماعياً، ومدى حضورها الفعلي، سواء داخل فضاء الجامعة أو خارجها، وهو ما أتاح لنا تلخيص النتائج الجزئية لهذه الفرضية كما يلي:

- لا يحمل مفهوم النخبة تصوراً نمطياً واحداً لدى مفردات عينة البحث، وإنما يتشعب، حسب المدرسة أو النظرية السوسولوجية التي تناولت هذا المفهوم ومؤثراته، مع تسجيل غياب نظرة إجرائية لهذا المفهوم انطلاقاً من خصوصية السياق الثقافي والاجتماعي، وهو ما عبرت عنه قراءة وتحليل، الجدول رقم (15) كما ترى، نسبة معتبرة من المبحوثين، أنّ تصنيف النخبة السوسولوجية يدخل ضمن مؤشر النخبات الثلاثة ل: توماس بوتومور أي نجده يضع النخبة السوسولوجية ضمن نخبة المفكرين، التي تُسهم إسهاماً مباشراً في خلق الأفكار وانتقادها، وهو ما عبّر عنه قراءة وتحليل الجدول رقم (16).

- تلعب النخبة السوسولوجية دوراً ابستمولوجياً، في مواكبة التغيرات والتحوّلات الاجتماعية التي تمرّ بها المجتمعات، إذا ما أسندت لها وسائل التمكين، لكنها وضعتها ومكانتها في العالم المتقدم هو غيره في العالم الثالث، إذ نجدها في هذا الأخير، مجرد فئة سوسيو مهنية، أجيبة وموظفة لدى القطاع العام، مما يجعل نفوذها ومساهمتها في اتخاذ القرار ضئيلة جداً، كما يجعل من وظيفتها النقدية محدودة الفعالية، عكس ما يقول به يورغا هابرماس من أنّ الإنتاج الفكري السوسولوجي، إنّما يكون قائماً على رفض الوضع القائم، وذلك نظراً لتدني مكانة العلوم الاجتماعية لدى أصحاب السلطة، مما يجعل من هكذا إنتاج، عبارة عن حشو ورقي يوضع في رفوف المكتبات، لا عبارة عن خزان معلوماتي موجه لفهم المجتمع وتركيبته، إنّ هذا ما تتلمسه عند قراءة تحليل الجداول الإحصائية رقم (17)، و(18)، و(19) والجدول رقم (26).

حول مسألة الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي، يبدأ أنّ ثنائية الفصل والوصل لا بدّ منها عند تناول هذه المسألة، لاسيما عند الحديث عن النخبة وعلاقتها بالمحيط السياسي في دول العالم الثالث، أين نجد حضور تسييس مفرد لكل مجالات الحياة الاجتماعية، وقد أشرنا إلى ذلك بالتحليل في الجدول رقم (21) والجدول رقم (23).

- من خلال قراءة وتحليل الجدول رقم (22)، أنّ معظم عينة البحث غير مطلعين أو قليلي الاطلاع على التراث السوسولوجي لـ: "بيير بورديو" المعروف بغزارة إنتاجه المعرفي، وهو ما أبانت عليه تعليقاتهم حول مقولته التي يصف فيها علم الاجتماع بالرياضة القتالية.

استنتاج الفرضية الثانية:

من خلال تتبع قراءة إحصائية وتحليل سوسيولوجي، متواترين للجداول الإحصائية الإرتباطية، التي تمّ بناؤها من مضمون الفرضية الثانية، التي تمحورت حول واقع وصورة النخبة السوسيولوجية في الجزائر انطلاقاً من مؤشرات عدّة، من أهمها الاغتراب، والتموقع الاجتماعي والخضوع للسلطة السياسية، والتهميش وعدم الفعالية، وعليه، فإننا نسوق تلخيص النتائج الجزئية لهذه الفرضية في النقاط التالية:

- تتعدد صور الاغتراب لدى الأستاذ الجامعي لمهنة علم الاجتماع، صور نفسية وأخرى سيكولوجية، ساهمت في بروز عوامل سياسية ومعرفية واجتماعية، هذا ما اعترف به عدد معتبر من المبحوثين الذين أجريت عليهم الدراسة، ويرتبط الاغتراب بصلة وثيقة بعدم التموقع الاجتماعي، إذ أنّ هذا الأخير هو أحد مظاهر الاغتراب وضوحاً، هذا ما نجده في الجداول الإحصائية رقم (27)، (28)، (29).

العلاقة بين العلم والإيديولوجيا متماهية إلى حدّ بعيد، باعتبار كليهما إنتاجاً فكرياً إنسانياً، غير أنّ للعلم قدرًا من الموضوعية والمنهجية، لا يمكن أن تتوفر لدى النزعة الإيديولوجية، كنّ ما أطلعنا عليه لدى قراءة وتحليل إجابات المبحوثين في الجدول الإحصائي رقم (30) والجدول الإحصائي رقم (31)، يوحي بوجود فهم سطحي لدى المبحوثين بشأن العلاقة بين العلم والإيديولوجيا، حيث يظهر ذلك في الشكل المقتضب لإجاباتهم.

- وضعية الإنتاج السوسيولوجي في الجزائر، لا يمكن النظر إليها خارج أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي، حيث إلى جانب تدني مكانة العلوم الاجتماعية في النسق الثقافي، يعاني الخطاب السوسيولوجي هو الآخر من نظرة فوقية استعلائية، مغيّبة عن الواقع الاجتماعي، وهذه الأزمة، هي نتاج ظروف سياسية واجتماعية خاصة بالبيئة الثقافية العربية.

كما أنّ لمشتغلين في الحقل السوسيولوجي مسؤولية في ذلك، من خلالها استعلائها عن واقع مجتمعاتها، وتخليها عن وظيفتها النقدية والتنويرية المنوطة بها، وهو ما برهنت عليه القراءة الإحصائية والتحليل السوسيولوجي للجداول الإحصائية رقم (32)، (33)، (34)، (35).

- ما تحمله مفردات العينة من تصورات عن النخبة السوسيولوجية في الجزائر، تركز إلى حدّ بعيد الواقع الاجتماعي والسياسي بكل تناقضاته، وهو واقع تتعايش فيه الثنائيات الجدلية مثل: الإبداع والروتينية، والاحتفاء والإقصاء، والاستقلالية عن السياسي والخضوع له، هذا الأخير، لا يسمح بإيجاد فضاء تتشط فيه النخب دون خضوعها للرقابة وللضبط، مما يجعل فرص بروز فعل نخبوي ناجع مرتبط بنظرة السياسي إليه، التي هي في الواقع نظرة دونية، تؤثر على طابع الاستبداد السياسي والفكري، وهو ما أشرنا إليه من خلال قراءتنا وتحليلنا للجداول الإحصائية رقم (36)، (37)، (38).

استنتاج الفرضية الثالثة:

تمحورت الفرضية الثالثة حول مسألة، الإنتاج السوسولوجي في الجزائر وخصائصه وطبيعته، ومن خلال إسقاط القراءة الإحصائية على بيانات الجداول الارتباطية، وما يتبعها بالضرورة، من تحليل سوسولوجي للدلالات الإحصائية التي تخفيها البيانات، قمنا بتلخيص أهم ما تمّ التوصل إليه في تحليل هذه الفرضية، وهو ما ندرجه في النقاط التالية:

- برهنت القراءة الإحصائية والتحليل السوسولوجي للجداول الإحصائية رقم (39)، (40)، (41)، على أنه رغم تصريح الغالبية المطلقة من عينة البحث، بقراءتهم لأعمال باحثين سوسولوجيين جزائريين، إلا أنّ ذلك لا يخفي وجود فجوة معرفية، وغياب تواصل بين محترفي مهنة البحث السوسولوجي.

- هناك إقبال شبه ضعيف لدى المبحوثين، لقراءة الأعمال السوسولوجية الجزائرية، وهو مؤشر عن وضعية ومكانة، علم الاجتماع في منظومة التعليم الجامعي، حيث يتذبذب هذا العلم بين إنتاج غربي وعربي، مع غياب واضح لتبينة نظريات ومفاهيم هذا العلم مع الحالة الجزائرية، يضاف إلى ذلك أن اللغة العربية واللغة الفرنسية، كأداتين لقراءة الأعمال الأكاديمية ذات المحتوى المعرفي السوسولوجي، وذلك لاعتبارات تاريخية وأنتربولوجية، وهو ما تمّ الإشارة إليه في القراءة الإحصائية، والتحليل السوسولوجي للجداول الإحصائية رقم (42)، (43)، (44)، (45).

- بخصوص مسألة مدى معالجة، الإنتاج السوسولوجي الجزائري للمشكلات الاجتماعية، نجد أنه لا اثر لمتغير رتبة الأستاذ الجامعي، ولا متغير النوع الاجتماعي بمتغير الإنتاج السوسولوجي، وذلك لكون، أنّ هذا الأخير، من حيث نوعيته وغازته، ومدى معالجته للمشكلات الاجتماعية يرتبط بظروف سياسية واجتماعية ومعرفية ناتجة عن البيئة التي تتواجد بها، وهو ما برهنت عليه قراءة وتحليل الجداول الإحصائية رقم (46)، (47)، (48)، (50)، (51).

هناك شغف قليل الأهمية لدى عينة بحثنا، في ما يتعلق باطلاعها على أعمال أجيال علم الاجتماع في الجزائر، وهو ما وقفنا عليه من خلال الأسماء البارزة، في الحقل

السوسيولوجي الجزائري التي ذكرها المبحوثون، حيث نجد غياب رموز فاعلة في المشهد السوسيولوجي، حاضرة بقوة من خلال أعمالها الأكاديمية، وهو ما برهنت عليه قراءة وتحليل الجدولين الإحصائيين رقم (52)، و(53).

- في الجداول الإحصائية رقم (54)، (55)، (56)، (57)، نجد بعض ما يميز المشهد السوسيولوجي في الجزائر، حيث نجد وجود الكثير من فرق ومخابر البحث، التي لم تتوفر لديها الإمكانيات والوسائل، للنهوض بمستوى البحث العالمي في بلادنا، ولا حتى وجود مناخ فكري قائم على الإبداع والتنافسية، وهو ما انعكس على وضعية النخبة السوسيولوجية من جهة، ونوعية الرسائل والأبحاث الجامعية من جهة أخرى.

- أسفرت لنا القراءة الإحصائية والتحليل السوسيولوجي، لكل من الجدول رقم (58) والجدول رقم (59)، أنّ مستقبل علم الاجتماع في الجزائر، هو من مستقبل نخبته، إذ أنّ رقيّ وازدهار إحداها متوقف عن الآخر.

لا يحمل مفهوم النخبة تصورا نمطيا واحدا، لدى مفردات عينة البحث، وإنما يتشعب حسب المدرسة أو النظرية السوسيولوجية، التي تناولت هذا المفهوم ومؤشراته، مع تسجيل غياب نظرة إجرائية لهذا المفهوم، انطلاقا من خصوصية السياق القافي والإجتماعي، وهو ما عبرت عنه قراءة و تحليل الجدول (15)، كما نرى نسبة معتبرة من المبحوثين، أنّ تصنيف النخبة السوسيولوجية، يدخل ضمن مؤشر النخبات الثلاث لـ : توم بوتومور، أي تجده يضع النخبة السوسيولوجية ضمن نخبة المفكرين، التي تسهم إسهاما مباشرا، في خلق الأفكار وانتقادها، وهو ما عبر عنه قراءة و تحليلا الجدول (16).

• تلعب النخبة السوسيولوجية دورا ابيستيمولوجيا، في مواكبة التغيرات والتحولات الاجتماعية، التي تمر بها المجتمعات، إذا ما أسندت لها وسائل التمكين، إذ نجد في هذا الأخير مجرد فيئة سوسيو مهنية، أجيبة وموظفة لدى القطاع العام، مما يجعل نفوذها ومساهمتها في اتخاذ القرار ضئيلة جدا؛ كما يجعل من وظيفتها النقدية محدودة الفعالية، عكس ما يقول به يورغن هابرماس، من أنّ الإنتاج الفكري السوسيولوجي، إنما يكون دائما

على رفض الوضع القائم، وذلك نظرا لتدني مكانة العلوم الاجتماعية، لدى أصحاب السلطة، مما يجعل من هكذا إنتاج، عبارة عن حشو ورقي في رفوف المكتبات، لا عبارة عن خزان معلوماتي، موجه لفهم المجتمع و تركيبته، إن هذا ما نلمسه عند قراءة وتحليل الجداول الإحصائية رقم (17)، (18) و(19) و(26).

• حول مسألة الفصل بين النخبة السوسولوجية والسياسي، يبدو أن ثنائية الفصل والوصل لا بد منها، عند تناول هذه المسألة، لا سيما عند الحديث عن النخبة وعلاقتها بالمحيط السياسي، أين نجد حضور تسييس مفرط لكل مجالات الحياة الاجتماعية، وقد أشرنا إلى ذلك بالتحليل في الجدول رقم (21)، والجدول رقم (23).

إنّ ما أظهرته نتائج الدراسة الميدانية من أزمة بنيوية، تعرّفها المعرفة السوسولوجية العربية ومنها الجزائرية، ذات أبعاد إستمولوجية ونظرية، وحتّى سياسية واجتماعية تستدعي إعادة الاعتبار للتفكير النقدي، من خلال إحلال علم الاجتماع المكانة الحيوية والضرورية في النسق الثقافي. كما أن تراجع وهج النخبة السوسولوجية، وفعاليتها، إنّما هو تعبر عن ظاهرة " كساد النخبوية ورواج الشعبوية " إنّ هذه الظاهرة تجد تنامياً لا محدوداً، كلما ارتفع منسوب الاستبداد السياسي والفكري، وفضاءات مساحات الإبداع والحرية.

إنّ ما تشهده الجزائر حالياً من حراك شعبي غير مسبوق، قد يكون حافزاً للمثقف السوسولوجي، يستدرك من خلاله إلى حدّ ما، تأخره عن المشهد السياسي وانعزاله عنه، وذلك بضرورة قراءة الحراك الشعبي عبر مسيراته المتعاقبة، بطريقة تشخيصية تمكنه من استيعاب طبيعة المدخلات التي فعّلت تركيبة الحراك، وكذا عليه أن يفكر بمنطق العلوم الاجتماعية البعيد عن لغة الأحكام والمواقف المؤدلجة.

لاسيما وأنّ النقاش الذي ينتظر من الجامعة والحقل الأكاديمي تفعيله في الأيام القليلة القادمة، هو كفيل بتوضيح رؤية الحراك نحو إنتاج النوعية التي من شأنها أن ترسم خارطة طريق للولوج إلى بناء معالم المجتمع الجديد بمدنيته المأمولة، إن هكذا نقاش، ستكون مساهمة المثقف السوسولوجي على قدر كبير من الأهمية.

الخاتمة

الخاتمة

أتت هذه الدراسة كمحاولة لعرض بعض نقاط الظل، حول موضوع النخبة السوسيولوجية الجزائر، وإشكالية الإنتاج المعرفي والأكاديمي، من خلال تناول العديد من المؤشرات ذات الصلة بموضوع الدراسة؛ كتناول الفرق بين الممارسات السوسيولوجية الغربية ونظيراتها في الجزائر، وكذا التصورات الاجتماعية للنخبة السوسيولوجية، أو ما يطلق عليها المشتغلون في السوسيولوجيا، عن ذاتها كفئة اجتماعية ضمن النسق الاجتماعي العام، وكذا عن واقعها وظروف اشتغالها، ومؤشرات تكيفها واندماجها، وعلاقتها بالسياسي، إلى غير ذلك من المسائل المرتبطة بها، ذات البعد الاجتماعي.

من خلال الدراسة الميدانية لموضوع البحث، وجدنا أن علم الاجتماع هو أكثر العلوم رفضا في المجتمع، وأقلها مكانة وإقبالا، لدى الطلبة الباحثين؛ على الرغم من كونه أكثر العلوم اهتماما بالمجتمع، ودراساته وأبحاثه، هي الأكثر فائدة من أجل نمو سليم وعقلاني للجماعة البشرية.

إن هذه المكانة المتدنية لعلم الاجتماع في الوطن العربي، والتي نجد لها حالة مشابهة في الجزائر، كرست وجود علم الاجتماع في تراتب مهني، وأكاديمي هامشي ويساري، وجعلت من المشتغلين بالحقل السوسيولوجي، خارج صلب مهنتهم ووظيفتهم كمتقنين، وكمنتجين لخطاب علمي، يساعد في تحقيق التنمية الاجتماعية المنشودة.

وبالرغم من اختلاف التحليلات والرؤى، التي حاولت ولا تزال تحاول، إعطاء تفسيرات وحلول لأزمة موضوع علم الاجتماع والنخبة، على أن هذا الموضوع ليس من المواضيع، التي يتم تناولها بطريقة سهلة، وإنما هو بمثابة متاهة ابستمولوجية، وسياسية، واجتماعية، تحتاج إلى الكثير من التعمق والتحليل، على يد باحثين محترفين، يتقنون مهنة السوسيولوجيا.

قائمة المراجع

1- في المنهجية:

1. إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيغل، بيروت، دار التنوير، ط3، 2007.
2. أوزي أحمد، تحليل المضمون ومنهجي البحث، المغرب، الشركة المغربية للطباعة والنشر، 1993.
3. برو محمد، الموجه في منهجية العلوم الاجتماعية - علم النفس، علم الاجتماع، علوم التربية، الجزائر تيزي وزو، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.
4. جليبي علي عبد الرزاق، السيد عبد العاطي السيد، بيومي محمد أحمد، محمد جابر سامية، البحث العلمي الاجتماعي " لغته ومداخله، ومناهجه، وطرائقه، دار المعرفة الجامعية، 2003.
5. حويتي أحمد، دليل التوثيق في العلوم الاجتماعية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012.
6. سبعون سعيد، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، الجزائر، دار القصة للنشر، 2012.
7. مصباح عامر، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.
8. ملحم حسن، التفكير العلمي والمنهجية، الجزائر، مطبعة دحلب، 1993.
9. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية - تدريبات علمية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر، دار القصة للنشر، ط2، 2006.

2- في علم الاجتماع:

10. ———، ———، تأملات سوسيولوجية في الواقع الجزائري والعربي، بسكرة، دار علي للطباعة والنشر، ط 2، 2017.

11. ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، بيروت لبنان، قسم الدراسات في دار نوبليس، ط 1، 2015.
12. بومنيير كمال، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، الجزائر، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2012.
13. خليل العمر معن، ثنائيات علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، ب ط ، د ت.
14. دوفيرجيه موريس، علم اجتماع السياسة، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1987.
15. الديالمي عبد الصمد، القضية السوسيولوجية نموذج الوطن العربي، الدار البيضاء أفريقيا الشرق، 1989.
16. زمام نورالدين، تأملات سوسيولوجية في الواقع الجزائري والعربي، بسكرة الجزائر، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، ط 1، 2017.
17. سبورك يان، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي، ترجمة: حسن منصور الحاج، بيروت لبنان، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2009.
18. سكوت جون، خمسون عالما إجتماعيا أساسيا - المنظرون المعاصرون، ترجمة: رشا جمال، بيروت لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 2، 2013.
19. سكوت جون، خمسون عالما إجتماعيا أساسيا - المنظرون المعاصرون، ترجمة: محمود محمد حلمي، بيروت لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 2، 2013.
20. العطري عبد الرحيم، سوسيولوجيا الأعيان، الرباط، القاهرة، دائرة العلوم الإنسانية، 2013.
21. عنصر العياشي، نحو علم اجتماع نقدي - دراسات نقدية وتطبيقية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2003.
22. عودة محمد، أساس علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية، د . ط، دس.

23. قباري محمد اسماعيل، نظرية المعرفة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط2، د ت.
24. كريث أيان، النظرية الاجتماعية من برسونز إلى هابرماس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1999.
25. مصباح عامر، علم الاجتماع الرواد والنظريات، الجزائر، شركة دار الأمة، ط1، 2010.

3- في النخبة:

26. —، —، النخبة والمجتمع، ترجمة: جورج جحا، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.
27. إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، القاهرة، رؤية النشر والتوزيع، 2006.
28. إدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، بيروت لبنان، النهار للنشر ش.م.ل، 1996.
29. بلحسن عمار، أنتليجانسيا أم مثقفون في الجزائر، بيروت، دار الحداثة، ط 1، 1986.
30. بوتومور توم، الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ب ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.
31. بوهند خالد، النخب الجزائرية دراسة تاريخية وإجتماعية - 1892-1942، وهران، دار القدس العربي، 2015.
32. تشومسكي نعوم، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قيلان، الدار البيضاء المغرب، ، توبقال، ط 1 ، 1990.
33. الجابري محمد عابد، مفهوم الثقافة... وقاموس الخطاب العربي المعاصر، 11 ديسمبر 2007، مركز دمشق للدراسات النظرية وحقوق الإنسان.

34. جابي ناصر، الجزائر: الدولة والنخب - دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب، 2008.
35. حسين نواره، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير - سنوات من الجمر لسنوات من النار - من بداية القرن العشرين لغاية الاستقلال، ترجمة: سعيدي فتحي، الجزائر، دحلب موفم للنشر، 2013.
36. الخولي سناء، مدخل إلى علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، 1998.
37. دويذة نفيسة، النخبة الجزائرية مسار وأفكار - ملامح التكوين، النشاط والمواقف، الجزائر، منشورات ثالة، 2014.
38. رحيم أسعد محمد، نخب سياسية - نخب ثقافية، مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي:
39. سارتر جون بول، دفاع عن المثقفين، الترجمة العربية، بيروت، دار الآداب، 1973.
40. شبار سعيد، قضايا إسلامية معاصرة - النخبة والأيدولوجيا والحداثة، لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2005.
41. شريعتي علي، مسؤولية المثقف، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، بيروت لبنان، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط 2، 2007.
42. صاري جيلالي، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ترجمة: عمر المعراجي، الجزائر، منشورات ANEP، 2007.
43. عمري الطاهر، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها - من بداية القرن العشرين إلى ما بين الحربيتين العالميتين، الجزائر، الدار الوطنية للكتاب، 2014.
44. العوامي فيصل، المثقف وقضايا الدين والمجتمع، لبنان بيروت، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، ط 1، 1999.
45. غليون برهان، مجتمع النخبة، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1986.

46. قرنفل حسن، المجتمع المدني والنخبة السياسية- إقصاء أم تكامل؟، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1997.
47. ليكليرك جيرار، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة: جورج كتورة، بيروت لبنان، الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008.
48. ماكسيمكو فلاديمير، الأنثجيانسيا المغربية- المثقفون أفكار ونزاعات، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، الجزائر، دار الحكمة ودار النهضة، ط 1، 1994.
49. الموسوي محسن، النخبة الفكرية والانشقاق- تحولات الصفوة العارفة في المجتمع العربي الحديث -، بيروت، دار الآداب للنشر ولتوزيع، ط 1، 2001.
50. نجم عطفه، علم الاجتماع المعرفة، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2001.
51. واثر بوري جون، أمير المؤمنين: الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة: عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، ط 1، 2004.

4- مراجع عن الاغتراب:

52. أحمد محمد مجدي، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بالسمات الشخصية، الإسكندرية، دار النهضة الشرق، 2001.
53. الألوسي عادل، الاغتراب والعقوبة، القاهرة مصر، دار الفكر العربي، ط 1، 2003.
54. بركات حليم، الاغتراب في الثقافة العربية- مآهات الإنسان بين الحلم والواقع، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2001.
55. بنيامين والتر، العمل الفني في عصر إعادة إنتاجه تقنيا، منشور من منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية، مستخرج من الرابط الإلكتروني الآتي: http://www.datanf/arb/1248/cb_1189_1218 تاريخ تصفح الموقع: 2016/10/10، على الساعة 20 سا، 30 د.

56. بيطار سالم، اغتراب الإنسان وحرية، طرابلس/ لبنان، المؤسسة الحديثة للكتابة 2003.
57. حسن حماد حسن محمد، الإغتراب عند أريك فروم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1995.
58. حميد السويدي فاطمة، الإغتراب في الشعر الأموي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997.
59. خليفة عبد اللطيف محمد، دراسات في سيكولوجية الإغتراب، القاهرة، دار غريب للدراسات والنشر والتوزيع، 2003.
60. دعوى أشرف علي، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، القاهرة، دار النهضة الشرق، 2002.
61. رجب محمود، الإغتراب - سيرة المصطلح، القاهرة، دار المعارف، 1988.
62. رجب محمود، الإغتراب، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1978.
63. سارتر جان بول، الوجد والعدم، مترجمة: عبد الرحمن بدوي، بيروت، منشورات دار الآداب، ط 1، 1966.
64. شاختر ريتشارد، الإغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.
65. شتا السيد علي، نظرية الإغتراب من منظور علم الاجتماع، السعودية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1984.
66. شتا علي السيد، اغتراب الإنسان في التنظيمات الصناعية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، 1998.
67. عباس فيصل، الإغتراب، لبنان، دار المنهل اللبناني، ط 1، 2008.
68. عبد السلام سهير، مفهوم الإغتراب عند هاربرت ماركيز، مصر، دار المعرفة الجامعية الأزايطة، 2003.
69. عصار خير الله، مبادئ علم النفس الإجتماعي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

70. عيد محمد إبراهيم، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2005.

71. فروم أريك، الدين والتحليل النفسي، ترجمة: فؤاد كامل، مصر، مكتبة غريب، 1982.

72. قریش بن علي، الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1943)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس - 2007/2006.

73. محمد الشيخ خليل جواد، الاغتراب النفسي وعلاقته بمفهوم الذات، سوريا متلقى طلاب الجامعة. مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.jamaacc/post> تاريخ تصفح الموقع: 2016/11/09، على الساعة 10 سا، 10 د.

74. محمد فتحي وفاء، الاغتراب وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية، القاهرة، جامعة عين الشمس، 1996.

75. محمود إبراهيم، الاغتراب الكفكاوي ورواية المسخ نموذجاً، مجلد 15، عدد 02، 1984.

76. نعيمة وائل، الاغتراب عند كارل ماركس - دراسة تحليلية نقدية، الجزائر، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2004.

77. النكلاوي أحمد، الاغتراب في المجمع المصري المعاصر، القاهرة، دار الثقافة العربية، 1989.

78. وطفة علي، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية - بحث في إشكالية القمع التربوي، عالم الفكر الكويتية، المجلد 72، العدد الثاني، أكتوبر/ديسمبر 1998.

79. وهبة مراد، الاغتراب والوعي الكوني - دراسة هيغل وفرويد، القاهرة، عالم الفكرة، العدد الأول، المجلد العاشر.

5- مراجع مختلفة:

80. —، —، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، ط 1، 1969.
81. —، —، تأملات، بيروت لبنان، دار النشر، دار الفكر المعاصر، 2009.
82. —، —، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، ط 4، 1984.
83. —، —، أعمال عبد القادر جغول، ترجمة: نورالدين زمام وسعيد سبعون، ذاكرة الناس، المجلد الأول، 2013.
84. —، —، العقل والثورة، هيغل ونشأة النظرية الماركسية، ترجمة: فؤاد زكريا، مصر، الهيئة المصرية العامة، د ط، 1960.
85. —، —، تاريخ الجزائر ولمغرب العربي، ترجمة: فضيلة الحكيم، فيصل عباس، ذاكرة الناس، 2013.
86. —، —، نحو علم اجتماع نقدي- دراسات نظرية وتطبيقية، الجزائر، ديون المطبوعات الجامعية، ط 3، 2003.
87. ابن القيم الجوزية، مدرج السالكين، تحقيق: رضوان جامع رضوان، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2001.
88. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972، الجزء 05.
89. أبو الحيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، لبنان، دار العلم، ط 1، 1981.
90. أبو الفتح الأصبهاني، أدب الغرباء، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت لبنان، دار الكتاب الجديد، ط 1، 1972.
91. أبو بكر أميمة وشكري شيرين، المرأة والجنس - إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، دمشق سوريا، دار الفكر، ط 1، 2002.

92. أبو جادو صالح محمد، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عمان، دار المسيرة، ط1، 2010.

93. أحمد فؤاد عاطف، الحرية والفكر السياسي المصري - دراسة تحليلية في علم الاجتماع السياسي-، القاهرة، دار المعارف، 1982.

94. الأزرق مغنية، نشوء الطبقات في الجزائر - دراسة في الاستعمار والتغير الاجتماعي- السياسي، ترجمة: سمير كوم، لبنان، مؤسسة الأبحاث العربية، بدون سنة.

95. الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، الترجمة: حنفي بن عيسى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

96. الألباني محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع، الإسكندرية مصر، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، دت، الجزء 02.

97. ألفين جولدنر، الأزمة القادمة في علم الاجتماع الغربي، ترجمة: علي ليلة، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2004.

98. أندري جوليان شارل، أفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، تونس، الدار التونسية للنشر، 1976.

99. برفيلي غي، الطلبة الجزائريون في الجامعات الفرنسية 1880-1962، الجزائر، دار القصة للنشر، 2007.

100. بشير محمد، جمال فريد السوسيولوجي والأنتروبولوجيا صاحب الثنائية الثقافية، تعريف: محمد بشري، وهران، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، 2017.

101. بن الحاج أبو حسن القشيري النيسابوري، الصحيح، بيروت لبنان دار الجيل.

102. بن علي دغين، نظرة العقيد لطفى المستقبلية للتنمية الاقتصادية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2009.

103. بن عمار بن منصور ليلى، فرحاس عباس، ذلك الرجل المظلوم، ترجمة: حسين لبراش، الجزائر، دار الجزائر للكتاب، ط 1، 2011.

104. بن عودة بختي، ظاهرة الكتابة في النقد الجديد - مقارنة تأويلية الخطيبي نموذجاً، الجزائر، دار الأديب للنشر والتوزيع، د ط، د ت.
105. بن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة: عمر مسقاوي وآخرون، بيروت لبنان، دار الفكر، ط 3، 1969.
106. بورديو ببير، مسائل في علم الاجتماع، ترجمة: هنا صبحي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة - كلمة، ط 1، 2012.
107. -بيتر بيرغر وتوماس لوكمان، البيئة الاجتماعية للواقع، ترجمة: أحمد با قادر، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع 2000.
108. جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث - دراسة سوسيولوجية-، بيروت لبنان، دار الحداثة، ط 3، 1983.
109. جغلول عبد القادر، علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة، ذاكرة الناس، المجلد الثاني، 2013.
110. الجوهري، الصحاح، المجلد الأول، القاهرة، الكتاب العربي، 1956.
111. الجيلالي عبد الرحمان، محمد بن أبي شنب، الجزائر، فونطانا، 1983.
112. حداد مالك، الأصفار تدور في فراغ، ترجمة: أحمد منور، الجزائر، دار الألمعية، ط 1، 2012.
113. حسن يوسف محمد، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، موقع صيد الفوائد مستخرج من الرابط الإلكتروني: بتاريخ 2016/01/18 على الساعة <http://www.Saaid.com>
114. حميداتو مصطفى محمد، عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، الدوحة قطر، وزارة الشؤون الإسلامية، 1997.
115. خزار وسيلة، الأبيولوجيا وعلم الاجتماع - جدلية الانفصال والاتصال، منتدى المعارف، بيروت لبنان، ط 1، 2013.
116. الدايم عبد الله، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

117. الرضواني محمد، مدخل إلى علم السياسة، سلسلة بدائل قانونية وسياسية، رقم 3، ط1، 2014.
118. زامل صالح، تحول المثال، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.
119. زهران سناء حامد، إرشاد الصحة النفسية (تصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب)، عالم الكتب، ط 1، 2004.
120. السحيري بن حتييرة صوفية، الجسد والمجتمع - دراسة أنتروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، لبنان، دار محمد علي للنشر، ط 1، 2008.
121. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 5، بيروت لبنن، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998.
122. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، الجزائر، عالم المعرفة، 2015.
123. سماتي محفوظ، النخب الجزائرية تحت الاحتلال الفرنسي، ج 1، الجزائر، منشورات دحلب، د س.
124. طالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996.
125. عباس فرحات، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، الجزائر، منشورات المسك، 2009.
126. عبد الوهاب يحي لطف، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1991.
127. عز أحمد، الثورة الفرنسية العظيمة ملحمة قلبت وجه التاريخ (الجزء الأول)، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، 2003.
128. العقيد لطف، نظرة العقيد لطف المستقبلية للتنمية الاقتصادية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2010.
129. عنصر العياشي سعيد، الأزمة الجزائرية في تصورات المثقفين - نصوص مختارة، ابن الندير للنشر والتوزيع/ دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط 1، 2018.

130. عيادي سعيد، ترخيص القواعد الثقافية لإعادة البناء الحضاري، دار قرطبة/ دار بن مرابط، ط 1، 2009.
131. فرويد سيغmond، الأنا والهوا، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الشروق، ط 4، 1982.
132. قرفي عبد الحميد، منصورى فؤاد، واقع علم الاجتماع فى الجزائر - دراسة حالة جامعة عنابة، أعمال الملتقى " علم الاجتماع والمجتمع فى الجزائر ".
133. الكنز على، حول الأزمة -5 دراسات حول الجزائر والعالم العربى، الجزائر، دار بوشان للنشر، 1990.
134. لاند روبرت، حركة التحرر الوطنى فى الجزائر 1962، ترجمة: مصطفى ماضى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
135. مازن صلاح حامد مطبقانى، عبد الحميد ابن باديس - العالم الربانى والزعم السياسى، الجزائر، دار بنى مزغنة، 2015.
136. ماكورى جون، الوجودية، ترجمة: عبد الفتاح إمام، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1990.
137. محسن مصطفى، فى المسألة التربوية - نمو منظور سوسىولوجى متفتح، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافى المغربى، ط 2، 2002.
138. محمد نزار سامى، حمان عبد المنعم أحمد، مدخل إلى تطور الفكر التربوى، ذات السلاسل، الكويت، 2000.
139. مرسى محمد منير، الاتجاهات الحديثة فى التعليم الجامعى المعاصر وأساليب تدريسه، القاهرة، عالم الكتب، 2002.
140. المصطاوى عبد الرحمان، الديوان، بيروت لبنان، دار المعرفة، ط 3، 2005.
141. مغربى عبد الغنى، الفكر الاجتماعى عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشريف بن دالى حسين، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

142. المنوفي كمال، أصول النظم السياسية، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

143. موران إدغار، الفكر والمستقبل - مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور ومخير الحجوجي، الدار البيضاء المغرب، دار طوبقال للنشر، ط 1، 2004.

144. هابرماس يورغن، المعرفة المصلحة، ترجمة: حسن صقر، كولونيا ألمانيا، منشورات الجمل، ط 1، 2001.

145. هاربرت ماركيز، الإنسان والبعث الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الأدب، ط 3، 1983.

146. وناس المنصف، الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر - دراسة في التغير الثقافي والإجتماعي، المطبعة العربية ونس، د س.

147. يوسف أحمد، علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، الجزائر، لبنان/ الرابط، منشورات الإختلاف، منشورات ضفاف دار الأمان، ط 1، 2013.

6- قواميس ومعاجم:

148. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، حرف النون، مادة نخب، الجزء الرابع عشر، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2003.

149. بودون ريمون، و بوريكوف، المعجم النقدي لعلم الإجتماع، ترجمة: سليم حداد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.

150. جان فرانسوا دورتيه، مع العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، كلمة/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2009.

151. جوهري عبد الهادي، قاموس علم الإجتماع، دار الشروق، بيروت، ط 1، 2000.

152. دنكن ميتشل، علم الإجتماع، ترجمة: إحسان محمد حسن، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1982.

153. طلعت زين قبيعة، معجم فرنسي عربي - المتقن الشامل، بيروت لبنان، دار الراتب الجامعية، د س.

154. عبد السلام هارون، المعجم الوسيط، المجلد الرابع، بيروت، دار الجيل، ط1، 1991.

155. عودة محمد، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب ط، د ت.

156. الفيروز أبادي محي الدين، المعجم الوسيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمان المركشيلي (غ ر ب)، بيروت، دار إحياء التراث العرب، الجزء الأول ط 1، 1971.

157. محمد حسن يوسف، موسوعة المصطلحات الإقتصادية، مستخرج من الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.saad.com> بتاريخ 2017/11/11، على الساعة 22.35.

158. مصطفى إبراهيم، الزكيات أحمد حسن وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط، إسطنبول، دار العودة، 1989.

159. معجم المنجد في اللغة العربية، بيروت دار الشروق، ب س.

160. معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2000.

7- الرسائل الجامعية:

161. بزاز عبد الكريم، علم إجماع بيار بورديو، رسالة دكتوراه، إشراف نور الدين بومهرة، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2006-2007.

162. بن علي قريش، الاغتراب ف الشعر العربي الحدي (1920-1943)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجبالي ليايس - سيدي بلعباس -، 2006-2007.

163. حضري فضيل، تشكل النخبة الدينية في الزائر - دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان، رسالة دكتوراه: إشراف مزار بلخضر، جامعة تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2012-2013.

164. حنطابلي يوسف، إشكالية السؤال السوسولوجي في الفكر العربي المعاصر - الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الآخر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007-2008.

165. خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) - دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2002-2003.

166. سليم موسى محمود عوض محمود، مظاهر الاغتراب النفسي لدى معلمي المدارس الحكومية في محافظات شمال فلسطين، مذكرة ماجستير في الإدارة التربوية، جامعة النجاح - فلسطين - كلية الدراسات العليا، 2003.

167. شلغوم جميلة، السوسولوجيا والنخبة في الجزائر، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، تحت إشراف جمال معتوق، جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، 2011-2012.

168. عباس نعمان، مقاربات علم الاجتماع بين التكامل والتعدد - دراسة تحليلية في طبيعة المعرفة الاستيمولوجية بين وحدة العلم وخصوصيات الواقع، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، قسم علم الاجتماع، 2010-2011، غير منشورة.

169. قديد هندا، الحركة الطلابية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (1927-1962) - الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين نموذجا - دراسة لعينة من الأعضاء الفاعلين في الإتحاد، رسالة ماجستير تحت إشراف معتوق جمال، في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع، 2011-2012.

170. محمد الصغير عباس، فرحات عباس من الجزائر فرنسية إلى الجزائر جزائية 1927-
(1963)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع،
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006-2007.
171. مخنان طارق، أزمة غياب دور النخبة الجزائرية في التغيير، رسالة دكتوراه في علم
الإجماع، إشراف جمال مزوار، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة -، كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2011-2012.
172. معتوق جمال، واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي: دراسة ميدانية بالجزائر،
تونس والمغرب، رسالة دكتوراه، إشراف عبد الغني مغربي، جامعة الجزائر، معهد علم
الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الثقافي، 1998-1999.
173. معزة عزالدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية مرحلة الاستقلال 1899-
1985، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2003.
174. يونسى كريمة، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة
الجزائر، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،
جامعة مولود معمري- تيزي وزو-، 2011.

8- مجلات ودوريات:

175. أبو رمان عبد الله، " البحث عن النخبة "، يومية الرأي، الأردن، 04 نوفمبر 2011.
أنظر أيضا الرابط الإلكتروني التالي <http://www.alrai.com/index/php>
176. أعواج دلال، مفهوم القطيعة الابدستيمولوجية عند غاستون باشلار، مجلة العلوم
الاجتماعية، ج 1، 17/07/201. مسترجع من الرابط الإلكتروني التالي <http://www>
177. أوشیخة طاهر، بعد مرور عامين عن رحيل مصطفى لشرف: مفكر طي النسيان،
الخبر الأسبوعي، العدد 109، 24 جويلية 2009.

178. بلفردى جمال، " حول نخب الحركة الوطنية 1830-1954 "، مجلة المصادر، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 27، السداسي الأول، 2016، صص (108-169).
179. بن زياب أحمد، " ابن باديس في ذكرى وفاته السادسة والثلاثين "، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 32، أبريل 1976.
180. بن عمارة عبد الرحمان، ابن نبي ناضل ضده فكرة إستيراد الشعوب للحضارة، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 2015/11/04 الموافق لـ 21 محرم 1437، العدد 4907.
181. حجازي أحمد محمد سليمان، " مقدمة لدراسة النخبة في الثقافة العربية الإسلامية، جدلية الأصالة والمعاصرة "، مجلة العلم الإنسانية، السنة الخامسة، العدد 37، ربيع 2008، الموقع <http://www.ulum.com>.
182. زمام نور الدين، " النخبة المثقفة بعيون أخرى "، جريدة الجزائر نيوز، الجزائر، مستخرج من الرابط الإلكتروني <http://www.djazair.com> بتاريخ 2015/08/15 - على الساعة 22 سا. 55 د.
183. ساقور عبد الله، " فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة العلمية واستهلاكها "، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 17، جوان 2002.
184. سعادة مولود، " النخبة والمجتمع "، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، سبتمبر، 2010.
185. شطب عيدان المجمعى محمد، " النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية "، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، السنة 1، المجلد 1، العدد 4، العراق، 2004.
186. عبد الفتاح إمام، " القانون الحديدي للأوليفارشية "، مجلة العربي، العدد 482، بيروت، يناير 1992.
187. لكريني إدريس، النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام لمصر، العدد 25، جاني 2007.

188. مجموعة أساتذة، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، مجلة المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

189. المهدي بن عيسى محمد، المجتمع والتنمية في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، ديسمبر 2010، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

190. يعيش خزار وسيلة، " الممارسة السوسيولوجية في الجزائر"، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، سبتمبر 2010.

9- مجلات ودوريات:

191. "شراد هشام، بن نبي مفكر عالمي رافع لحوار الحضارات لكنه ظل مجهولا"، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 2015/11/04 الموافق 21 محرم 1437 هـ، العدد 4907.

192. إبراهيمي الطاهر، " نحو علم اجتماع ما بعد التعددية السياسية في الجزائر - الدواعي والإمكان".

193. أوشيش إسماعيل، " انتشار الفرنسية بالجزائر من أسباب القابلية للاستعمار"، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 2015/11/04 الموافق 21 محرم 1437 هـ، العدد 4907.

194. بوراكي محمد، واقع وآفاق البحث السوسيولوجي، مجلة البحوث السوسيولوجية، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جامعة الجزائر - قسم علم الاجتماع - العدد 1، 2000.

195. بورديو بيير، مسائل في علم الاجتماع، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة - كلمة -، 2011.

196. حمادي سعدون وآخرون، " دور التعليم في الوحدة العربية"، الندوة الفكرية التي نظمها مركز الوحدة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، 1980.

197. دناقة أحمد، " واقع الممارسة السوسولوجية فيالجامعة الجزائرية- من وجهة نظر أساتذة علم الاجتماع "، مجلة دراسات، جوان 2016.
198. زمام نور الدين، " حول سوسولوجية المثقف الجزائري "، مجلة إضافات، العدد الأول، شتاء 2008.
199. سعدي عبد الفتاح، " نقل العقل العلمي الحداثي عند إدغار مورين"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، سبتمبر 2016.
200. عبد اللاوي حسيني، " من_التحقيقات السوسولوجية إلى التفكير في الممارسة_ "، مجلة البحوث السوسولوجية، قسم علم الاجتماع- كلية العلوم الاجتماعية، العدد 01، السنة 2000.
201. عبد المعطي عبد الباسط، " في إستشراف مستقبل علم الإجتماع في الوطن العربي- بيان التمرد والالتزام "، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.
202. عنصر العياشي، " أزمة غياب علم الاجتماع "، مجلة المستقبل العربي، العدد 137، جويلية 1990.
203. كامل حمام فادية وخلف الهويش فاطمة، " الاغتراب النفسي وتقديرات الذات لدى خريجات الجامعة والعاملات والعاطلات عن العمل "، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، العدد الثاني-.
204. مانع أحسن، " مالك شبل الذي عرفت، جريدة الخبر، الإثنين 21 نوفمبر 2016 الموافق لـ 21 صر 1438 هـ.
205. مختار محي الدين، "واقع الممارسة السوسولوجية في المجتمع العربي"، مجلة البحوث السوسولوجية، قسم علم الاجتماع- كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الجزائر، العدد 01، السنة 2000.

206. معتوق جمال، " دراسة سوسيولوجية حول الاغتراب "، مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة سعد دحلب- البليدة، العدد الأول، سبتمبر 2008.
207. معتوق جمال، " لمحة تاريخية عن الممارسة السوسيولوجية بالجزائر"، مجلة البحوث السوسيولوجية، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جامعة الجزائر- قسم علم الاجتماع- الجزائر، العدد 1، سنة 2000.
208. معتوق فتحة، " علاقة البحث بالنظرية السوسيولوجية في الجزائر"، مجلة البحوث السوسيولوجية، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، جمعة الجزائر- قسم علم الاجتماع- العدد 1، 2000.
209. موران إدغار، نحو براديغم جديد، ترجمة: يوسف تيبس، مجلة رؤى تربوية، العدد 29، 2001.
210. مولاي سعيد، " أفكار بن نبي أسس لحضارة لم تجد من يطبقها في الجزائر"، جريدة الشروق اليومي، الأربعاء 2015/11/04 الموافق . 21 محرم 1437 هـ، العدد 4907.
211. النووي قيس، " الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا "، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، وزارة الإعلام للكويت، 1979.

10- المقالات الالكترونية:

212. إبراهيم الحيدري، " مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: http://www.amaaber.org/issue_july_08/spot_lighyts. Html بتاريخ: 2016/08/04، على الساعة 09-48 د.
213. أبو عزي الأخضر، " جيلالي اليايس... التماس الصرامة، مستخرج من الرابط الإلكتروني http://www.Freemediawzteh/84-0110_49/html. بتاريخ: 2014/06/04، على الساعة 20 ساع- 40 د. العنوان الأصلي باللغة الفرنسية "Algérie 2005".

214. بن علي لونيبي، عرض لأبعاد السؤال: " هكذا كلم مالك حداد- ما معنى الكتابة بلغة الآخر"، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: [Http://www.yagool.dz/ar/article](http://www.yagool.dz/ar/article). بتاريخ: 2014/005/16، على الساعة 20 سا- 02 د.
215. بوقاعدة توفيق، "النخب الجزائرية تتصل من دور محوري وارتقاء في حضن السلطة"، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.dw.com>. تاريخ التصفح: 2016/09/28.
216. بومة خيرى، "بير أشكروفت وزميلة: الإمبراطورية ترد بالكتابة"، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.academia.edu/8216422/1>. بتاريخ 2016/10/31، على الساعة 16 سا- 45 د.
217. حمداوي جميل، "سوسولوجيا النخب- النخبة المغربية أنموذجاً"، ط 1، 2015 مسترجع من الرابط الإلكتروني: [Http://www.aluka.het](http://www.aluka.het). بتاريخ 2015/04/01 على الساعة 22 ساع- 13 د.
218. حمود جمال، "فلسفة اللغة عند فيتغنشتاين"، مستخرج من الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.goodreads.com/bode/schow/10359433>. بتاريخ: 2016/10/28، على الساعة 14 سا- 32 د.
219. الخولي احمد عماد الدين، "السوسولوجية الهرمة ومشروع تفكيك التمركز- نحو إعادة تفكيك الموضوع (المجتمع)"، مقالة إلكترونية. مستخرجة من الرابط الإلكتروني التالي: [Http://www.....univers.ourgla_dz/indexi.php/numero_16-ssh](http://www.....univers.ourgla_dz/indexi.php/numero_16-ssh). بتاريخ: 2016/12/28، على الساعة 14 سا- 12 د.
220. العاطفي طارق، تلخيص الفصل الرابع من كتاب "صناعة النخبة"، لعبد الرحيم عطري، الحوار المتمد، عدد 2897، 2010/01/24. مسترجع من الموقع الإلكتروني التالي: www.alhearar.com بتاريخ 2015/11/10، على الساعة 20، 46 د.

221. عبد الهادي علاء، اللغة والقوة، الحوار المتمدن، العدد 4564، 2014/09/04. تاريخ

تصفح الموقع: 2016/11/02 على الساعة: 13 سا-15 د. مستخرج من الموقع

الإلكتروني التالي: [.Http://www.elhewar.org/desat/asf/aid=833110](http://www.elhewar.org/desat/asf/aid=833110).

222. كايي ألان وستيفان دوفوا، " التحول العولمي في العلوم الاجتماعية "، ترجمة:

جان جور. مستخرج من الرابط الإلكتروني الثاني:

<http://www.alhayat.com/Articles/25234351> تاريخ التصفح: 2016/12/28،

على الساعة 23 ساع- 30 د.

223. ناشد المكي، "الإغتراب اللغوي في بلاد اللجوء: عقبة أم عتبة"، مستخرج من الرابط

الإلكتروني التالي: <http://www.fr.facebook.com.mkei.Nachid> بتاريخ:

2017/02/28، على الساعة 13 سا- 10 د.

11- ملتقيات ومنتديات:

224. بن عبد اللاوي المختار، " إنتاج النخب وتنويرها في المغرب، نخب مغربية:

الخلفيات، المسارات والتأثير، أعمال المنتدى المغربي الثاني، منشورات مدى، الدار

البيضاء، المغرب، ط 1، 2012.

225. بوماء العينين طالب، " إنتاج النخب وتنويرها في المغرب، نخب مغربية: الخلفيات،

المسارات والتأثير، أعمال المنتدى المغربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء،

المغرب، ط 1، 2012.

226. دليو فوضيل وآخرون، " التحديات المعاصرة، العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة "،

فعاليات اليوم الدراسي الوطني الأول لمختبر علم الاتصال - مخبر علم الاجتماع -

جامعة منتوري - قسنطينة، 2002.

227. زمام نورالدين، " معضلات التفسير السوسولوجي"، نشر أعمال الملتقى الوطني حول

علم الاجتماع وعلم الاجتماع في الجزائر أية علاقات؟، وهران أيام 4-5 و 6 ماي

2004، نقلا عن: عبد القادر لقعج "علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر"، ب ط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004.

228. شحشي عبد الرحمان، " النخبة مقارنة في المفهوم، نخب مغربية: الخلفيات، المسارات والتأثير، أعمال المنتدى المغربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2012.

229. عباس وحيد، " عولمة التضامن نحو نظام دولي متوازن، الملتقى الدولي للسلم والتضامن المنظم تحت رعاية رئيس الجمهورية في قصر الأمم- الصنوبر، في 03-04 جويلية 2002 (مطبوعة غير منشورة).

12- مراجع باللغة الأجنبية:

230. Alberto (Puppo), Goetano Moska et le théorie de la classe politique , Revue française de l'histoire des idées politique, 2005.
231. Benda (Julien), la tradition des clercs, Edition Grosset, Paris, 1978.
232. Bourdieu (Pierre), Passeron (Jean Jacques), chamboredon (Jean – Elande), La misère du monde, Paris , le senil, 1993.
233. Bourdieu (Pierre), Passeron (Jean Jacques), chamboredon (Jean –Elande), Le métier de sociologue, Monton/Rodas, Paris, 1968.
234. Bourges (Henri), L'Algérie l'épreuve du pouvoir 1962-1967, Paris, P.U.F.
235. Boutefnouchet (Mostapha), Introduction à la sociologie, OPU , Alger,2004.
236. Bussino (Giovanni), élite et élitisme, Casbah Edition, Alger, 1998, Presse universitaire de France, 1996.
237. Colonna (Fanny), les instituteurs algériens 1939-1983, Les presses des sciences politiques, paris, 1975.
238. Djerbal (Daho), et Benguerra (Mohamed), Djilali Liabes- la quête de la rigueur, Casbah Edition, Alger, 2006.
239. Durkheim (Emile), Les règles de la méthode sociologique , Bullet de l'université, 1975.
240. Ferro (Marc), une information mondialisée, Le Monde Diplomatique, Collection Manieeve de voir, 27 Aout 1995.

241. Fromm (Erich), **Société Aliénée et Société Saine, Du capitalisme au socialisme humaniste**, traduit Ever Jean Claude, Le courrier du livre, Paris, 1956.
242. Gengenbach (Ludwig), **L'essence du christianisme**, Traduction Jean Pierre Osei et Jean Pierre Grossie, François maspero, Paris, 1973.
243. Grauwits (M), **Lexique des sciences sociales**, 5 ème édition , Dalloz, paris , 1999.
244. Guerrid (Djamel) , **L'exception Algérienne- La modernisation a l'épreuve de la société** , Casbah Editions, Alger, 2007.
245. Josseline (Henri), **Ala découverte de l'internet** , Revue le guide d'internet du multimédia, Edition continental on, Melidon, France, Hors-serie Juillet-Aout 1996.
246. Manhein (Karl), **Idéologie et Utopie une introduction a le sociologie de la connaissance**, traduit sur l'édition anglaise par pauline Robert, Librairie Murcel Rivers et Cie, 1956.
247. Marx (Karl), **Le capital**, Edition populaire-presse universitaire de France, 1919.
248. Masquerey (Emile), **Souvenirs et visions d'Afrique**, Alger/Paris, 1894, 1915, 1985.
249. Matellart (Ananand), **l'invention de la communications** Série Histoire Contemporaine, La Découverte, Paris, 1994.
250. Matellart (Ananand), **La communication-Monde-Histoire des idées et des stratégies**, Série histoire contemporaine la découverte, Paris, 1992.
251. Maud (Mannon) **Enfance aliénée**, U.G.E, France, 1972.
252. Merrad (Ali), **Le Réformisme musulman en Algérie de 1925 a 1940**, Paris, monton et Cie, 1967.
253. Merton (Radclif) , **Eléments de théorie et de méthode sociologique**, trad H.Mendras, Armand Colin , Paris , 1997.
254. Michels (Roberts), **Les partis politiques essais sur les tendances oligarchiques des démocraties**, traduit par S.Jankevitch, Publistes, **Topics political parties Democrecy**, 1914.
255. Mills (wright), **The Power Elite**, (l'élite du pouvoir) traduction en français doz Agoune, 2012 Sous le titre l'élite du pouvoir, 1956
256. Morin (Edgar), **la méthode B , la connaissance de la connaissance**, Edition le Seuil, Paris, 1986
257. Morin (Edgar), **la méthode la vie de la vie**, Edition le Seuil, Paris, 2004.

258. Morin (Edgar), **les sept savoirs nécessaires de l'éducation du futur**, Seuil, UNESCO, 1999.
259. Mosca (Gaetano), **Elementi di scienza politica**, tome 2, 1923.
260. Oulianov (Vladimir Ilitch) , **Karl Marx**, Edition Electronique, paris, 1970.
261. Robert Ageron (Charles), **les Algériens Musulmans et la France de 1871 à 1919**, Paris, P.U.F, IT, 1992.
262. Schumpeter (Joseph A) , **Anfsatze Zur Sociologie**, Germany , J.C.B Mohr,(Oanlsiebeck) Tübingen, 1953.
263. Seeman (Melvin), **Alienation and Anomy**, (Vol1), Academic press, New York, 1990.
264. Touraine (Alain), **Le retour de l'acteur**, Paris, Fayard, 1984.
265. Touraine (Alain), **pour le sociologie**, Edition le seuil, Paris, 1974.

13- Dictionnaires et encyclopédies :

266. Baldumi (Jean), **Dictionnaire de philosophie**, Michigan New York, 2^{ème} Edition, 1911.
267. **Dictionnaire Quillet de la langue française**, Tome1, Librairie Aristide, Quillet, Paris, 1975.

الملاحق

الإستمارة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا / تخصص ثقافي

إستمارة بحث

موضوع الدراسة: الإنتاج المعرفي السوسيوولوجي للنخبة الأكاديمية الجزائرية في الجامعات
الجزائرية

إشراف: الأستاذ الدكتور جمال معتوق

إعداد الطالبة: هندا قديد

يندرج هذا العمل ضمن مشروع بحث علمي، لتحضير شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع الثقافي، تحت إشراف الأستاذ الدكتور جمال معتوق. والغرض من هذه الدراسة السوسيوولوجية العلمية، معرفة الإنتاج العلمي المعرفي للنخبة السوسيوولوجية الجزائرية، ومدى تأثيره في حل مشاكل المجتمع الجزائري.

وتحقيقا للغرض، ندعو شخصكم الموقر قبول ملء هذه الإستمارة، كما سنكون جد متشرفين وممتنين لكم لو قبلتم الرد على أسئلتنا، وبالطرق التي تناسبكم؛ هذا ونضمن لحضرتكم بأن شخصكم مشورا، ونؤكد لكم أن البيانات المتحصل عليها من قبلكم، ستجمع كجزء من مشروع جامعي لا أكثر.

ونقدم لكم أسمى آيات الشكر على المساعدة، التي نتمناها منكم.

تقبلوا منا، خالص عبارات التقدير والإحترام والإمتنان

I- بيانات عامة عن المبحوثين:

1- الجنس: ذ أ

2- السن:

3- اللغات المتحكّم فيها:

- العربية

- الفرنسية

- الإنجليزية

4- الأقدمية في المهنة:

5- الرتبة:

- أستاذ محاضر ب

- أستاذ محاضر أ

- أستاذ التعليم العالي

6- بلاد التكوين: في التدرج: الجزائر خارج الجزائر

فيما بعد التدرج: الجزائر خارج الجزائر

7- طبيعة الشهادة المتحصل عليها: دكتوراه دولة

دكتوراه علوم

دكتوراه نظام ل.م.د

ماجستير

آخر.....

II- بيانات خاصة بمهنة التدريس في علم الاجتماع:

1- كيف تم التحاقك بعلم الاجتماع كتخصص ؟

- عن طريق التوجيه
- عن طريق الصدفة
- عن طريق التقليد

آخر حدد:.....

2- ماذا تمثل بالنسبة لك مهنة تدريس علم الاجتماع؟

- مهنة كباقي المهن الأخرى
- مهنة حساسة وهامة
- مهنة أجد فيها نفسي

3- لو أعطيت لك الفرصة في اختيار مهنة أخرى، كيف يكون رد فعلك؟

- أرفض هذه الفرصة
- لا أتردد في تغيير مهنتي هذه

آخر حدد:.....

4- هل تعتقد أن علم الاجتماع هو كما يقول البعض علم خاص مقارنة بباقي العلوم الأخرى؟

- نعم أعتقد ذلك
- لا أعتقد ذلك

5- في حالة نعم لماذا؟.....

III- بيانات خاصة بمسألة النخبة السوسيولوجية في الجزائر:

1- ماذا يعني بالنسبة لك مفهوم النخبة؟.....

.....

.....

.....

2- هل يمكن الكلام عن نخبة سوسولوجية - نخبة عالمة سوسولوجية - في الجزائر؟

نعم لا

لماذا في كلتا الحالتين؟

3- في نظرك يتمثل دور النخبة العالمة عامة والسوسولوجية خاصة في نظرك؟

- الإنتاج المعرفي السوسولوجي

- التوعية الإجتماعية

- المشاركة السياسية

- المساهمة في تنمية البلاد بكل أبعادها

- التنظير

- العمل على تغيير الأوضاع داخل البلاد

غير ذلك حدّد:

4- هل ترى بأن النخبة السوسولوجية في الجزائر تملك النفوذ والقرار الكافي؟ نعم لا

في حالة لا لماذا؟

في حالة نعم ما نوع و حدود هذا النفوذ وهذه القرارات؟

.....

.....

.....

5- يرى عالم الاجتماع "يورغن هابرماس": أن النخبة المثقفة هي تلك الفئة القادرة على

الإنتاج الفكري والتأثير في الآخرين، عن طريق هذا الإنتاج، حيث يكون هذا الأخير قائما

على رفض الوضع القائم". ما موقفك؟ موافق غير موافق

ولماذا في كلتا الحالتين؟

.....

6- هل كلام هابرماس السابق ينطبق على النخبة السوسولوجية الجزائرية؟

نعم لا

في حالة لا لماذا؟

.....

.....

7- يرى بعض المهتمين بقضايا النخبة السوسيولوجية، أنه يستحيل الفصل بينها وبين

السياسي. موافق غير موافق

لماذا في كلتا الحالتين؟.....

.....

.....

8- يصف بيير بورديو علم الاجتماع "بالرياضة القتالية" La Sociologie est un sport de combat

. هل أنت مؤيد لهذا القول؟ نعم لا

لماذا في كلتا الحالتين؟

.....

.....

9- في نظرك كيف يجب أن تكون العلاقة بين النخبة السوسيولوجية والسلطة؟

- علاقة تعاون وتفاهم

- علاقة صراع و تناحر

- علاقة حذر

غير ذلك حدّد:.....

.....

.....

10- يصف البعض من علماء الإجماع العرب، الذين يمارسون السوسيولوجيا بالمشغلين في

علم الاجتماع، بدلا من علماء الاجتماع. موافق غير موافق

لماذا في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

11- هل كل المشتغلين في علم الاجتماع عندنا يشكّون نخبة سوسيولوجية متجانسة؟

نعم لا

لماذا في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

12- هل استطاعت النخبة السوسيولوجية الجزائرية التموّج اجتماعيا؟

نعم لا

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

IV- النخبة السوسيولوجية ومسألة الاغتراب:

1- ماذا يعني بالنسبة لك مفهوم الاغتراب؟.....
.....
.....

2- هل يمكن الكلام عن اغتراب النخبة السوسيولوجية الجزائرية؟

نعم لا

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

3- يقول العديد من الذين تعرّضوا لعلم الاجتماع بالدراسة والتحليل، أن هذا الأخير يطغى عليه الطابع الأيديولوجي؟ موافق غير موافق

4- هل يمكن تصور علم الاجتماع خالي من الأيديولوجيا؟ نعم لا

في حالة لا لماذا؟.....
.....
.....

5- يقول عالم الاجتماع المغربي عبد الصمد الديالمي: "الخطاب السوسيولوجي العربي فوقي ومغيب عن الواقع الاجتماعي". موافق غير موافق

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

6- كيف ترى وضعية النخبة السوسيولوجية الجزائرية؟

جيدة سيئة لا أدري

لماذا في كل الحالات؟.....
.....
.....

7- يقال بأن النخبة السوسيولوجية الجزائرية مسؤولة بالدرجة الأولى عن وضعيتها هذه.

موافق غير موافق

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

8- النخبة السوسولوجية الجزائرية هي نخبة:

- مستقلة في أقوالها وأفعالها
- خاضعة لأصحاب القرار
- نخبة لقمة عيش
- لا حول ولا قوة لها
- نخبة عالمة ومبدعة
- نخبة مهمشة ومقصاة
- نخبة تبحث عن نفسها

غير ذلك حدّد:.....
.....
.....

9- يقول البعض أن السلطة قد أعطت فرصا عديدة للنخبة السوسولوجية الجزائرية، من خلال تولي هذه الأخيرة مناصب سيادية في هرم السلطة، إلا أنها لم تخدم السوسولوجيا من

- خلال هذه المناصب. ما موقفكم من هذا؟ صحيح غير صحيح

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

10- هل أنت موافق على هذا القول، هل يمكن القول بأن وضعية هذا العلم في باقي

- الوسائط، هي نتاج لتلك النظرة الدونية؟ نعم لا

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....
.....
.....

٧- بيانات خاصة بالإنتاج السوسولوجي:

1- هل سبق لك و أن قرأت لعلماء اجتماع جزائريين؟ نعم لا

2- في حالة نعم اذكر خمسة أسماء لهؤلاء الذين قرأت لهم.

3- تفضّل الأعمال السوسولوجية:

- الجزائرية

- العربية

- الغربية

4- تفضّل قراءة الأعمال السوسولوجية المكتوبة باللغة:

- العربية

- الفرنسية

- الإنجليزية

غير ذلك حدّد:.....

.....

.....

5- هل الإنتاج (الأعمال) السوسولوجي الجزائري يعالج بما فيه الكفاية المشكلات

الاجتماعية الجزائرية؟ يعالج لا يعالج

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....

.....

.....

.....

.....

.....

6- في نظرك المشتغلين بعلم الاجتماع عندنا، قادرين على التنبؤ بحجم المشكلات، والأشكال الممكن أن تأخذها في المستقبل؟ نعم لا

في حالة لا لماذا؟.....
.....
.....
.....
.....

7- البعض يرى بأن الإنتاج السوسولوجي هو إنتاج أكاديمي، لا يأخذ في الحسبان خصوصية وحاجات القطاعات الاجتماعية والاقتصادية.

موافق غير موافق

8- في حالة موافقتك على هذا الرأي، أذكر بعض الأمثلة، عن تدخل علماء الاجتماع الجزائريين في التشخيص واقتراح حلول علمية، لمعالجة المشكلات التي تعيشها بعض القطاعات التنموية.....

.....
.....
.....

9- ماذا تعرف عن أجيال علماء الاجتماع في الجزائر؟

بعض الشيء الكثير لا أعرف شيئاً

10- في حالة معرفة أجيال علماء الاجتماع الجزائريين، أذكر بعض الأسماء مع ترتيبها:

- الجيل الأول:.....
.....

- الجيل الثاني:.....
.....

.....- الجيل الثالث:

.....

.....

11- هل أنت عضو في مخبر؟ نعم لا

12- هل أنت عضو في فرقة بحث؟ نعم لا

13- هل أنت مؤيد لإنشاء المخابر وفرق البحث؟ مؤيد غير مؤيد

..... لماذا في كلتا الحالتين؟

.....

.....

.....

14- ما موقفك من نوعية الرسائل الجامعية؟

- جيدة

- مقبولة

- سيئة وريئة

..... غير ذلك حدّد:

.....

.....

.....

15- ضع علامة (x) أمام الإجابة التي تختارها في الجدول الآتي :

لا	نعم	البنود
		المشتغلون بعلم الاجتماع
		الرصيد النظري والمعرفي الكافي
		لديهم تكوين عالي
		يتمتعون بسلطة رمزية تسمح لهم بالتفكير في قضايا المجتمع.
		امتلاك كفاءات نظرية وتطبيقية عالية
		معارفهم لا تتعدى حدود تخصصهم
		معارف هي منقولة من عند الآخرين
		معارف قديمة وغير مواكبة للتطورات التي عرفها هذا العلم
		لهم رؤية واضحة وقدرة عالية من الفهم والتحليل
		يتمتعون بالموضوعية والنزعة العلمية

16- كيف ترى مستقبل هذا العلم عندنا؟

.....

17- هل يمكن في نظرك الكلام عن نخبة سوسيولوجية جزائرية؟ نعم لا

كيف ذلك في كلتا الحالتين؟.....

.....

.....

.....



الدكتور الياس بوكراع من مواليد 1953.

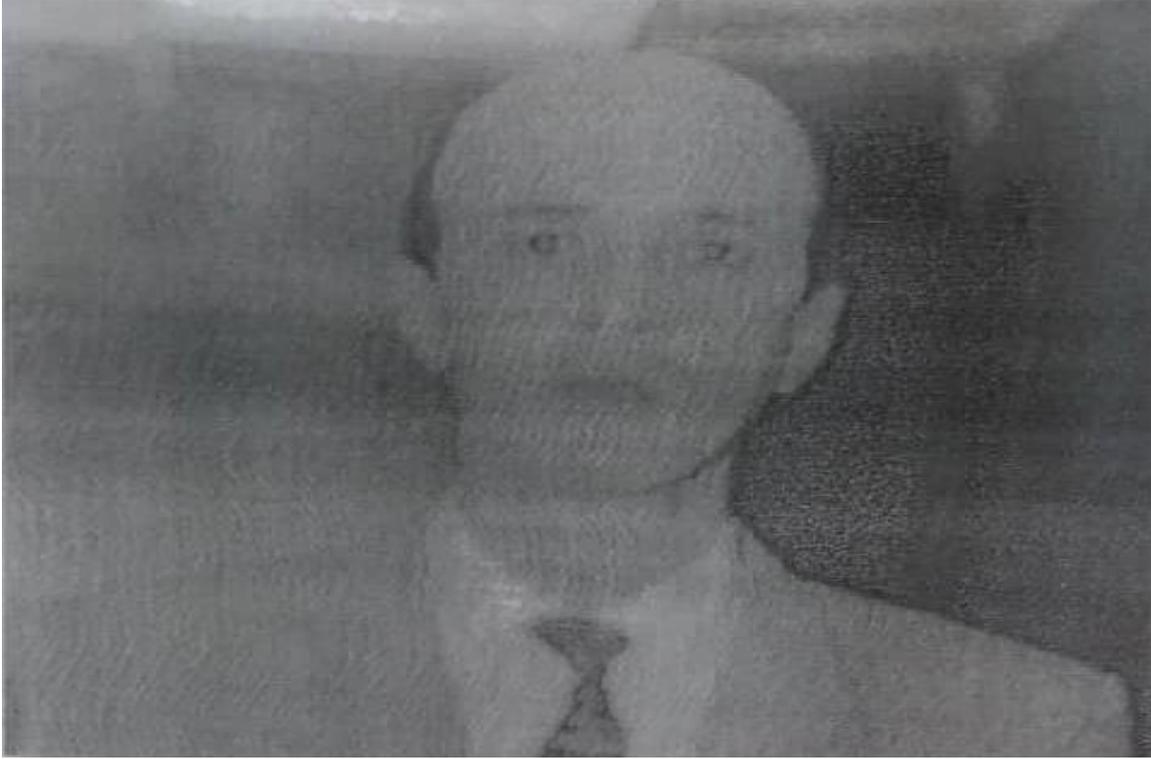
- مدير سابق للمعهد الوطني للدراسات الجيوستراتيجية الشاملة.
- حائز على إجازة في علم الاجتماع من جامعة الجزائر.
- حائز على شهادة الدكتوراه من جامعة واشنطن التي يعمل بها كأستاذ محاضر كما يحوز على شهادة الدكتوراه من جامعة بروكسل الحرة.
- من أبرز مؤلفاته الجزائر الرعب المقدس الصادر عن دار الفارابي.



بيار بورديو عالم اجتماع فرنسي من مواليد أغسطس 1930 وتوفي في 23 يناير 2002. يعتبر أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع المعاصر، بل أن فكره أحدث تأثيرا بالغا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، منذ منتصف الستينات من القرن الماضي.



جاك بيرك عالم اجتماع فرنسي من مواليد فرنده بولاية تيارت بتاريخ 4 جوان 1910. درس علم الاجتماع بجامعة السوربون، وألّف في مجال الدراسات العربية والإسلامية العديد من الكتب القيمة، تصدى في مؤلفاته إلى ما اعتبر قراءات متحجرة وجامدة للدين، ودعا في المقابل إلى إسلام منفتح على التقدم والعلمانية وتحرير المرأة. توفي بفرنسا يوم 27 جوان 1995.



جيلالي اليابس عالم اجتماع جزائري من مواليد 1948 بسيدي بلعباس وتوفي في 16 مارس 1993 بالقبة بالجزائر العاصمة.

تم تعيينه وزيرا للجامعات عام 1991 ثم وزيرا للتعليم العالي والبحث العلمي عام 1992، كما عين في مارس 1992 مديرا لمعهد الدراسات العليا والإستراتيجيات.
من مؤلفاته باللغة الفرنسية:

- دول العالم الثالث والنظام العالمي الجديد
- البحث عن الانضباط
- رأس المال الخاص ومديرو الصناعة في الجزائر



كلودين شولي (1931-2015) أستاذة علم الاجتماع بجامعة الجزائر، ومجاهدة ومناضلة في ثورة التحرير من أصول فرنسية، باحثة في علم الاجتماع، وهي زوجة الطبيب والمناضل بيار شولي المولود في الجزائر.